



مؤتمر القرن الدولي الأول للعلوم الاجتماعية

I. International Century Congress for Social Sciences

Yüzüncü Yılda Uluslararası Sosyal Bilimler Kongresi



2023

Rimar Academy
Publishing House



مؤتمر القرن الدولي الأول للعلوم الاجتماعية

FULL TEXT BOOK

كتاب الوقائع

Tam Metin Kitabı

<u>Yayınevi:</u>	دار النشر:	أكاديمية ريمار - Academy Rimar
<u>Editör:</u>	المحرر:	Dr. Osman TURK https://orcid.org/0000-0002-9379-6225
<u>Yayın Koordinatörü:</u>	تنسيق النشر:	ALAA NSREENY
<u>ISBN:</u>	نظام الترميز الدولي لترقيم الكتاب:	978-625-94159-4-9
<u>DOI:</u>	رقم معرف الكائن الرقمي:	http://dx.doi.org/10.47832/soci.con1-1
<u>Baskı:</u>	تاريخ الطباعة:	31 March 2024
<u>kongre Tarihi:</u>	تاريخ المؤتمر:	27-28-29 / 12/2023
<u>Sayfa:</u>	عدد الصفحات:	379
<u>URL:</u>	رابط النشر:	www.rimaracademy.com
<u>No Sertifikası Matbaa:</u>	رقم شهادة المطبعة:	47843

مقدمة

عُقد مؤتمر القرن الدولي الأول برعاية جامعة إغدير الحكومية التركية وجامعة ماردين أرتوكلو الحكومية التركية بالتعاون مع أكاديمية ريمار التركية، في الفترة بين 27 و 29 كانون الأول-ديسمبر 2023 في مدينة إسطنبول.

وهدف المؤتمر إلى تقديم رؤى وتصورات علمية جديدة تستجيب للحاجة الملحة التي فرضتها القضايا المستحدثة في المجتمع الإنساني المعاصر، وهذا لا يتحقق إلا في إطار علاقة تشابكية تفاعلية يقودها عقل الفريق البحثي الذي تحاول إدارة المؤتمر المساهمة في صناعته.

تم إعداد كتاب وقائع المؤتمر بهدف نقل الإنتاج العلمي إلى المستقبل كمساهمة مستدامة ومثرية.

تجاوز إجمالي عدد المشاركين في المؤتمر 100 باحث من الدول الآتية: (المملكة العربية السعودية - العراق - فلسطين - المغرب - الجزائر - الأردن - قطر - تركيا) وبلغت نسبة المشاركين من خارج تركيا 90 بالمئة.

حيث تم قبول 70 منهم بعد تقييم دقيق من قبل اللجنة العلمية للمؤتمر، وشارك 40 منهم حضورياً، في حين شارك 30 آخرون عن بعد.

وقد تم قبول 26 بحث للنشر في كتاب الوقائع، في حين قررت اللجنة العلمية نشر المقالات الباقية في مجلتي IJHER و RIMAK.

وأخيراً نتوجه بالشكر والامتنان لجميع الأكاديميين والباحثين على مساهماتهم القيمة في هذا المؤتمر.

رئيس التحرير

Dr. Osman TURK

الفهرس

1

المرجعيات والتضمين بين المثاقفة وإنتاج النص في رواية هاء وأسفار عشتار "لعز الدين جلاوي"
أ.د. مخصز وردة

10

الفحص الطبي السابق للزواج:
استجابة قانونية لمتغيرات اجتماعية
- دراسة مقارنة -
أ.د. أحمد داود رقية

23

دور ورشتي الرسم والرياضة في تعليم الطفل التوحيدي
أ.د. محمد بلقاسم
أ.د. إيمان فاطمة الزهراء بلقاسم

39

ساباط الحوت بالأمرالية من المظاهر العمرانية و السياسية بمدينة الجزائر في العهد العثماني
أ.د. مكي حياة

67

دور القضاء الدولي في حل النزاعات الدولية
أ.د. فليج غزلان

79

الطمأنينة النفسية وعلاقتها بالشخصية الاستباقية
أ.د. فيصل خليل الربيع

91

دور التقييم التربوي في تجويد العملية التعليمية التعلمية
د. تواتي صباح
د. ساعد وردية

107

التعليم العالي والبحث العلمي بالجامعة الجزائرية، وانعكاساتها على المجتمع
د. جميلة غريب

114

مفردات أمراض الخطاب في معجم مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني، دراسة دلالية
د. حياة أحمد الضيد

الفهرس

133

القيادة الإدارية وحوكمة الأمن السيبراني
د. فاطمة قوال

149

الإرهاب الدولي أسبابه وسبل مكافحته
د. قاسم محجوبة

165

علم النفس الإيجابي رؤية جديدة للسعادة
د. فريدة قادري

175

آليات مواجهة عصابات الأحياء كإحدى مستجدات العدالة الجنائية
د. كلانمر أسماء

193

النزعة الميثولوجية عند المؤرخين العرب
د. بلعربي محمد

200

تقنية الذكاء الاصطناعي في المجال الأمني والشرطي
د. فوزية عياد

211

تحول دراسات الترجمة
من المقاربات التقليدية إلى النظريات الحديثة
د. سهام والي

226

الجسد وتجانبات الهوية الاجتماعية في الرواية الجزائرية المعاصرة: قراءة
جندرية في رواية "شغف أنوثة شرقية" لفاطمة
الزهراء بطوش
الباحثة نوال ابراهيمي
د. ناديا موات

237

شركات المساهمة البسيطة كآلية جديدة لتعزيز دور المؤسسات الناشئة في الجزائر
د. رزيق وسيلة

الفهرس

248

شعرية الحوار في رائية أبي فراس الحمداني
د. راضية لرقم

265

الأبعاد الدلالية للحوار القصصي في سورة مريم
د. رشيدة كلاء

280

الأزهار في المجتمع
أهميتها، تبادلها، دلالاتها
الباحثة أليسار نايف الشامي

296

معالم السياسة الشرعية في بناء الدولة المعاصرة
الباحث عبيد عبدالرحمن

313

التربية البيئية سبيل لتدبير المجال وخدمة قضايا التنمية المستدامة
الباحث عبدالعزيز حمدي
الباحث محمد كلاء

331

الهجرة من جنوب الصحراء الكبرى، التحديات والفرص في عالم متغير:
التجربة المغربية أنموذجاً
الباحث حمزة تجاني

353

TEACHING EFL TO PRIMARY SCHOOL PUPILS IN PRIVATE- SUPPLEMENTARY
SESSIONS: WHAT AFTER UNIVERSITY DIDACTICS?

Dr. Assia BENETTAYEB

366

THE DIGITAL ECONOMY IN DEVELOPING CONTRIES : COMPARATIVE STUDY

Dr. DEHKAL Asmaa

**REFERENCES AND THE IMPLICATION BETWEEN ACCULTURATION AND TEXT
PRODUCTION IN THE NOVEL HAA AND THE ASHTAR'S BOOKS BY AZZEDINE
JALAWJI**

Prof. Dr. MAHCER Ouarda

<http://dx.doi.org/10.47832/soci.con1-1>

Abstract:

This research discusses the novel “Haa and the Ashtar’s books” by the Algerian writer Azzedine Jalouji, as it is a narrative text that combines creativity and acculturation which questions the reader and calls upon his cultural references.

We will also try to study the creative components of the text and the narrative techniques that were able to tightly blend reality and imagination on one hand, and creativity and culture on the other hand.

In this study we try to highlight the interactive relationship between the writer’s cultural references and the creation of artistic and aesthetic astonishment through the dialogue of the text

Keywords: Acculturation, References, Inclusion, Production, Narrative Text.

المرجعيات والتضمين بين المثاقفة وإنتاج النص في رواية هاء وأسفار عشتار "لعز الدين جلاوجي"

أ.د. مَحْصَرُ وردة¹

الملخص:

تتناول هذه المحاضرة رواية "هاء وأسفار عشتار" للكاتب الجزائري عز الدين جلاوجي من حيث هي نص سردي يجمع بين الإبداع والمثاقفة التي يقدمها لنا الكاتب انطلاقاً من العنوان الذي يسائل المتلقي ويستدعي مرجعياته الثقافية. يبدو العنوان أو العتبة النصية، محتملاً بمضمون أسطوري يحيل على معين ثقافي استوحى منه الكاتب رمزية الأسطورة التي تعد إحدى مرجعيات النص الثقافية.

كما سنحاول دراسة المكونات الإبداعية للنص والتي مكنت للمؤلف أن يحافظ على وحدته الجمالية والفنية. ولعل ما يغري النقد في هذه الرواية هو توظيفه لمجموعة من التقنيات السردية التي استطاعت أن تمتاز بإحكام بين الواقع والمختل من وجهة، وبين الإبداع والثقافة من وجهة أخرى، وذلك بتضمين نصوص من خارج النص، ضمنها نصه الأصلي، ومن ثم يصبح التضمين ركيزة أساسية وظفها الروائي كآلية تقدم للنص السردي انفتاحاً على ما يسمى بأيقونات التحفيز ومؤشراته للفعل الإبداعي، ونوعاً من السرد المتواصل وهو ما يعرف بالتوالد السردي داخل النص الواحد، وهو ما يفضي إلى المثاقفة والتفاعل بين ثقافة الكاتب ونصه وبين الرواية والمتلقي. وقد شكل التناسل فضاء حوارياً لهذا النص الذي اتخذ طابع التنوع والشمولية الثقافية.

إن دراسة رواية هاء وأسفار عشتار، هو البحث في إشكالية العلاقة التفاعلية بين المرجعيات الثقافية لدى الروائي وخلق الدهشة الفنية والجمالية من خلال حوارية النص والمتعاليات التي تشكل أطراس الكتابة، وهو ما يعني التحكم في الأسس الحكائية وتقنيات السرد.

الكلمات المفتاحية: مثاقفة، المرجعيات، التضمين، إنتاج، النص الروائي .

¹ جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر

mahcerouarda@gmail.com

المقدمة:

التّضمين المفهوم والمصطلح: يقوم البناء السّردى في معظم الكتابات الإبداعية على نسق التّضمين الذي يفيد وجود مستويات سردية متضمّنة ومستويات سردية متضمّنة، وليس لفظ التّضمين جديدا عن التقّد العربي، فقد عُرف كأحد الأسس المميّزة للسّرد العربي القديم ومكوّنًا جماليًا لتلك النّصوص السّردية التي احتفظت بها الذاكرة العربية قبل أن يظهر التّدوين وجمع التّراث السّردى العربي.

والتّضمين هو ظاهرة لغوية تتفرّع بأنواعها المختلفة والمتعدّدة تعدّد علوم اللّغة العربية وفنونها، وليس يهّمنا منها في هذا المقام غير ما تعلّق بالإبداع الأدبي الذي يؤدّي وظيفة تتناسق داخل النصّ الأدبي، ثمّ يجعله يتنامى ويستمرّ تفاعلًا وجماليًا بشكل لا متناهي.

والتّضمين البلاغي هو الذي يدلّ على أخذ الشّاعر لبيت أو أبيات من شعر غيره فيضمّنها قصيدته، وقد ذكر ابن رشيق: "... أمّا التّضمين، فهو قصدك إلى البيت من الشّعر أو القسم، فيأتي به في أواخر شعره أو في وسطه كالمثل²." وقد يكون التّضمين من قبيل الإيجاز والإيماء، فيكتفي الشّاعر بتضمين مثل أو بيت ليشير إلى المعنى المراد تبليغه، لأنّ العرب كانت تميل إلى الإيجاز والإيحاء "ومن التّضمين ما يحيل الشّاعر فيه إحالة، ويشير به إشارة فيأتي به كأنّه نظم الأخبار أو شبيهه به"³.

وبذلك يكون التّضمين مفهوماً "ينتمي إلى ثنائية لغوية متكاملة غير متضادّة التّعيين والتّضمين، الذي يدلّ على ما تعلّق بهذا المعنى من تصوّرات فردية وجماعية"⁴، وهو ما يدلّ على أنّ للتّضمين دلالات متعدّدة "فالمضمن من البيت ما لا يتمّ معناه إلّا بالذي يليه، وفهمتُ ما تضمّنه كتابك أي ما اشتمل عليه وكان ضمنه"⁵.

ولا يأخذ التّضمين معناه الدّقيق إلّا من سياق الكلام، فقد ورد مقترنا بالاقْتباس ليدلّ على مفهوم الأخذ من القرآن الكريم، ممّا ألفيناه مرادفاً للإبداع، وهو يعني قدرة الشّاعر على الأخذ من شعر غيره، وتضمين مأخوذه في إبداعه بطريقة متماسكة، حتّى ليُصبح المأخوذ جزءاً من الإبداع، فيصعب تحديد الأبيات المضمّنة من المبتدعة.

أمّا مصطلح التّضمين السّردى، فهو تضمين بالقصّة على القصّة، باعتباره أحد المستويات السّردية الذي وجدناه في السّرديات العربية القديمة، وأهمّ خصائصه الجمالية، فكثيراً ما تتداخل الحكايات في النصّ السّردى الواحد، وهو تضمين أكثر من حكاية جزئية أو فرعية داخل الحكاية الأساس، وبذلك يكون التّضمين آلية سردية تُسهّم في استمرار النصّ وتلاحمه وتوازي مستوياته، حتّى يتحقّق للرّواية تناسلاً حكايتياً يضمن لها الخلود.

بهذا يمكن القول إنّ آلية التّضمين تقدّم للنصّ السّردى انفتاحاً على ما يسمّى بأيقونات التّحفيز ومؤشّراته للفعل الإبداعي، فينتقل العمل الرّوائى من خلال مستويات السّرد، من السّارد الأوّل إلى السّارد الثّاني الذي بدوره يتوالد إلى عدد لا نهائى من المكوّنات التي تشكّل صورة عنقودية من الحكايات المتداخلة، تتطلّب ملاحظة مجموعة من العلاقات التي تربط نصّاً واحداً بعدد من النّصوص الأخرى بسمات مشتركة متعدّدة وغير متماثلة، تعمل على تعميق أثر النصّ السّابق

² - ابن رشيق، العمدة في محاسن الشّعر وآدابه، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط 5، 1981، ج 2، ص 84.

³ - المصدر نفسه، ص 84.

⁴ - أحمد حسن حامد، التّضمين في اللّغة العربية، دار الشّروق للنّشر والتّوزيع، ط 1، 2001م، ص 20.

⁵ - محمد بن أبي بكر الرّازي، مختار الصّحاح، مادة (ض م ن)، مكتبة لبنان، بيروت، د ط، 1986م، ص 161.

وتكثيف لذته وجماليتها من خلال أبعاد دلالية متنامية مفتوحة على الاحتمال والتأويل، فيكون التضمين آلية تنوع وإمتاع ضمن نسق حكائي متماسك.

إن خاصية التضمين أو ما كان يسمى بالسرد المتواصل، تعني المقدرة على التحكم في التقنيات الحكائية وامتلاك خيوط الحكاية، ومركزية السارد الذي يقوم بترتيب النصوص المتضمنة بما يضمن شد القارئ أو المروي له إليه وسيطرته عليه نفسيًا وفكريًا، فهو يحرك انفعالاته ويرهنها بإرادته، مما يضمن انجذاب المتلقي وإشراكه في عملية إنتاج النصّ وعندها ليست الأحداث التي تهمّ النصّ الزوائي وإنما طريقة السارد في بناء نصّه وهندسته.

التضمين في رواية هاء وأسفار عشطار:

إن التقاطعات النصية التي رسمها "عز الدين جلاوي" في رواية "هاء وأسفار عشطار" محكمة البناء والتأسيس ولعلّ مردّ ذلك هو اعتماده على سارد واحد هي بداية النصّ إلى نهايته؛ حيث جعل المتلقي في حالة من الأسر والخضوع له، وهو ما سمّاه "تودروف" بالتضمين الذاتي، لم يشرك الكاتب شخصيات أخرى في تقنية الحكاية، بل إنّها لم تكن إلّا خاضعة لهيمنة الزاوي الذي ظلّ يصنع الحدث بوسائط متعدّدة ومختلفة، كانت جميعها في قبضته، وذلك انطلاقاً من الشخصية الرئيسية التي شاركت السارد في تأنيث الرواية تقنيًا وجماليًا، والتي اختار منها "عز الدين جلاوي" اسم "طفلي المدللة" ولن نحتار في إدراك تبعية هذه الشخصية للزاوي وياء النسبة، خير دليل على هيمنة الزاوي على مكونات السرد التي أسست لهذه الرواية وشكّلت عمرانها السردية؛ حيث ظلّ الزاوي وحده هو من يربط جسور الانتقالات الممكنة بسلاسة وانسجام بين قصّة الرواية الإطار التي تدور أحداثها أساساً حول سؤال الحرية، وبين القصص المتضمنة، التي تمثّلت في كثير من المحاورات النصية من خلال الاسترجاع أو الاستدعاء.

التضمين من خلال الاسترجاع:

لقد وُظف الاسترجاع في الخطاب السردية عموماً والخطاب الزوائي بوجه خاص، باعتباره من أهمّ خصائصه البنائية والجمالية وذلك بقطع زمن السرد الحاضر، من أجل استدعاء الماضي وتوظيفه في الحاضر السردية، حتّى يصبح الماضي جزءاً من الحاضر ومن بنائه الحكائي، بإحالة المتلقي خلاله على أحداث سابقة في زمن السرد، وهو ما يعرف بتداخل الزمن بين الماضي والآني، لإمتاع المتلقي وخلق فضاءات جديدة للسرد، من ذلك ما جاء في الصفحة 12: "وابتسمت وقد تردّد صدى جدّي مصباح يصيح بالعبرة مبتسماً، وهو يعبر المكان أمامي، نعم أمامي مباشرة على ظهر سفينة قديمة يصارع أمواجاً عاتية، وقد كادت عمامته البيضاء تنزلق من فوق شعره الحالك الأملس الذي يغطّي رقبته... امتزجت في ذاكرتي صورة جدّي مصباح وصورة السندباد"⁶.

لقد استطاع الكاتب أن ينتقل بنا من زمن السرد إلى الزمن الماضي، مستدعياً شخصية جدّه مصباح عن طريق التخيل، وهو ما يقارب حلم اليقظة، باستحضار مشهد جدّه الذي استدعاه من الذاكرة وأدخله في أحداث جديدة وهو

⁶- عز الدين جلاوي، رواية هاء وأسفار عشطار، دار المنتهى للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2022م، ص 12.

يصارع أمواجاً عاتية على ظهر سفينة قديمة، هذه الصورة التي استدعت شخصية أسطورية، أحالتنا على حكاية ألف ليلة وليلة ورحلة السندباد البحري.

إن هذه التعلقات النصية التي تحققت بانتقال السارد من الزمن السردى (الحاضر) إلى زمن الماضي (الاسترجاع) ثم الانتقال إلى زمن ماض أبعد من ذكرياته بكثير وهو زمن السرد في ألف ليلة وليلة.

وما هذا النص إلا واحداً من تلك النصوص بشخصياتها الكثيرة التي وظفها "عز الدين جلاوي" في روايته هذه، قصد تجديد إيقاع السرد وسد ثغراته التي توقفت عليها تجربة الكاتب وقدرته الإبداعية في تقديم شخصية جديدة ولجت عوالم السرد وهي شخصية الجدّ مصباح التي ترافق السارد من حين لآخر، يستدعيها من الماضي، لتظهر على مسرح الأحداث ثم تختفي ثم تعود للظهور.

وينتقل بالقارئ عن طريق الحلم إلى تضمين حكاية عجائبية تتشكل من هلامية أطرافه ونمطها وتغير شكله إلى أن يصير شبيهاً بمجلة مطاطية ضخمة مكنته من تجاوز سور السجن الشاهق الارتفاع ورؤية شوارع المدينة وعيوناً متلصبة، "خيل إليّ أنّها عيون عزيبي... وخيل إليّ أنّ يمانه تجرّ طفلي المدللة، يخنقها بقوة، بأصابعه الطويلة، كانت أشبه بدمية قماشية".⁷

ويكثر الكاتب من تضمين القصّة الفرعية في هذه الرواية، فلا يكاد السارد يرح قصة ويعود لإطاره السردى وقاعة السجن وحدث تلقى خبر الإفراج حتى يبني جسراً عبر الحلم والاسترجاع في المتن الحكائي إلى زمن الطفولة البريئة وقصّة دفن خاتمي زواج والديه في الحديقة، ظلنا منه أنه قد استطاع أن يحزّرها، "فعلتي التي ستحرّر والديّ من هذين القيدتين المقيتين".⁸

ثم ينتقل عبر الاسترجاع إلى قصّته مع جدّه مصباح، هذه الشخصية التي تمثّل الحكمة والعقل؛ حيث يجسده الكاتب كمثل أعلى لشخصيته المركزية التي تمارس فعل السرد وتستحوذ على مسرح الأحداث دون منازع أو منافس.

في النصّ تتجلّى شخصية الجدّ برمزية ضاربة في عمق التاريخ والثقافة فهي الحكمة والنقاء، "وقد تلقّيت جلّ دروسي منه في حضان الطبيعة... ونتوغّل فيها إلى أعماق الأعماق، نستمتع إليها، نحدّثها، نسألها، نأكل منها، تحتضنها، تحضننا... حتى إذا خلدنا للراحة تدفق عليّ حكايا لا تنضب، وهو؛ أي الجدّ مصباح؛ مولع بالحديث عن مغامرات السندباد، يراه النموذج الأرقى في إدراك كنه الحرية التي مارسها تمرّداً".⁹

ثم يستمرّ في قصّته مع الجدّ مصباح الذي يأخذ حيزاً كبيراً من الرواية، لأنّ شخصية الجدّ مصباح الذي يوجي اسمه بأنّه كان مرجعية إشعاعية بالنسبة للسارد المتمرّد الباحث عن الحرية المنشودة، ونفهم من ذلك كلّه بأنّ "جلاوي" اتخذ من شخصية الجدّ مرجعية رامزة للتاريخ والأصالة والنقاء، فضلاً عن تمثيله لمرجعية الانتماء والهوية.

لا يمكن لشخصية مثل الجدّ مصباح أن تختفي حتى وإن قضى نحبها، ويمضن السارد نصّاً آخر لتظهر شخصية جديدة على مسرح الأحداث شخصية غير بشرية، إنّه القبط مصباح الذي يكاد يكون الجدّ ذاته، ينطلق السارد من الحاضر ومن زمن السرد بتوظيف شخصية حيوانية التي هي القبط ليستدعي جدّه مصباح من خلال القبط الذي يشبهه كثيراً، ثم ينطلق من خلال الحلم إلى التضمين والعودة إلى الطفولة ولكن هذه المرّة يوظف منبهاً مختلفاً هو عواء الدئاب وقصّة

7- الرواية، ص 14.

8- الرواية، ص 18.

9- الرواية، ص 24.

البحث عن خاتمي الزواج بمساعدة العزاف الذي يمارس طقوس السحر وهو يعوي مثل الذئاب، وبذلك يقطع السارد مسافات زمنية مترابطة في انسجام محكم عبر مستويات السرد، من المستوى الأول إلى مستويات عديدة يتناسل خلالها النص ويتوالد من نص لآخر، ينتقل إلى قصته مع طفله المدللة واقعتين هامتين في طفولة الشخصية الرئيسية، تمثلت الأولى في قصة حبه لرفيقته الصغيرة، أما الثانية فكانت العبت بحقل والده ومحضنة الدواجن التي كانت سببا في تعرضه للضرب هو وطفله المدللة.

وقد اعتمد الكاتب على تقنية التضمين في سرد أحداث روايته فجاءت هذه النصوص متعاقبة متواصلة مشكّلة نسيجا سرديا متناسقا، وبتوظيف تقنية الاسترجاع، إما لسرد أحداث عاشها السارد ليستدعي من خلالها شخصيات كان لها الدور الأساس في تنامي الأحداث في المتن الحكائي.

وظل سؤال الحرية مطروحا بإلحاح طيلة زمن السرد الحاضر، كان يبحر في الماضي مستدعيا نصوصا أخرى لتفسير ما استعصى فهمه وصعب إدراكه من مواقف الحياة، فهو لا يكاد يفهم موت والديه في ذات صباح إلا من خلال ما حدث إثر دفنه لخاتمي زواجهما في الحديقة، "لقد توفي والدي في حادث مرور مروّع ذات صباح مضطرب جليدي متجمّد، تدرجت بهما السيارة وهما يسرعان للحاق بالعمل".¹⁰

لقد شكّل هذا التقاطع النصي امتدادا دلاليًا استطاع أن يضيء زوايا النص المظلمة، وهي إضاءة غطت المسار الحدّي للقصة الإطار التي انبنت على حدثية رئيسة؛ المتمثلة في البحث عن الحرية التي من خلالها يحقق السارد التجدد والخلود "كطائر الفينيق الذي ينتفض دوما من تحت الرماد ليعبث من جديد خلقا آخر لا تزيده النار إلا توجّها وتألّقا وقوة، حتى تنتفض البشرية من تحت الركام؟... متى يتمرد سيزيف على الآلهة التي حكمت عليه بالشقاء؟ يكفي أن يفلت الصخرة لتهوي في الوادي السحيق، ويندفع هو إلى القمة".¹¹

من خلال هذا التضمين المضاعف الذي جمع فيه الروائي بين أسطورة طائر الفينيق الذي كان قد غادر الجنة وبعدهما حلق فوق بلدان كثيرة انجذب لرائحة بخور التوابل بعد أن أقام عشه على شجرة الأزر في بلاد الفينيقين وراح ينتظر الموت مع بزوغ فجر جديد الذي يؤذن بموته، فاحترق في عشه بالنيران التي تطايرت من أحصنة إله الشمس، غير أنه خرج من رماده طائر فينيق صغير، سرعان ما نفص جناحيه من الرماد وطار صوب الشرق.

لقد وظّف "جلاوي" هذه الأسطورة لرمزيتها في الميثولوجية الإنسانية بوجه عام، لأن طائر الفينيق يمثل الشمس التي تموت في كل غروب، وتعود لتولد من جديد عند بزوغ كل فجر.

إن احتراق الطائر وبعثه مجددا من رماده هو ما أراد الروائي من تضمينه لهذه الأسطورة. مقاومة الفناء، والحياة من الموت.

ويكتف الروائي التضمين بأسطورة سيزيف الإغريقية، ومقاومته لعقاب الآلهة حينما حكمت عليه بحمل الصخور من الوادي السحيق إلى القمة الشاهقة للجبل، "إنه زيوس كبير الآلهة الذي حكم على سيزيف بالشقاء الأبدي جزاء تمزده على الأقدار التي رسمتها جزاء تطلّعه إلى الخلود والأبدية جزاء خبئه ومكره في أن يغتصب المطلق من الآلهة".¹²

¹⁰- الزوايا، ص 57.

¹¹- الزوايا، ص 69.

¹²- الزوايا، ص 69.

هذه حكاية سيزيف الذي استعملها الكاتب كمفتاح لأسئلته الكثيرة "فمتى تنتفض البشرية من تحت الركام؟ من تحت أطنان الرماد؟ متى يتمرد سيزيف على الآلهة التي حكمت عليه بالشقاء؟ يكفي أن يفلت الصخرة لتهوي في الوادي السحيق ويندفع هو إلى القمة، قمة الجبل صارخا في مسمع الكون أنا حر"، ولم يميز هذا التضمين بين الأسطورة الإغريقية وبين القصة الأولى حين اندفع السارد قائلا: "أنا حر، أنا الإنسان المتمرد على سجونكم وقضبانكم وآلهتكم التي تعبدون"¹³

يخيل للقارئ للوهلة الأولى أن سيزيف من يقول ذلك، غير أن كلمة إنسان وما جاء بعدها هو ما يقطع الشك باليقين في فهم المتلقي بأن الكاتب يعود بنا إلى زمن السرد الذي عطله بتضمين أسطوري طائر الرماد وسيزيف.

إن هذه القصص المتضمنة التي تداخلت مع القصة الأولى جعلنا لا نكاد نفرق بين القصة الأولى والقصص المتتاليات؛ حيث انغلقت دائرة الإسناد السردية حتى بدت الرواية أشبه باستطرادات مدمجة مع القصة الإطار.

فجاءت مستويات السرد المتعددة تنسيقا للتضمين التقليدي الذي جاءنا في السرديات العربية القديمة مثل ألف ليلة وليلة، وهو ما ذهب إليه "جيرار جينيت" حين تحدّث عن إلغاء العتبات السردية وانغلاق دائرة الإسناد "العتبة نمثلها واقعة" أن القصة الثانية تتولاها وحكاية تحكي في القصة الأولى"¹⁴، مما يفضي إلى أن التضمين هو إدخال قصة أخرى في القصة الأولى وتكون تابعة لها وتتولاها سرديا، ويعني ذلك أن السارد يحدث بتر للحكاية الأولى وتأجيل نهايتها. ومزية ذلك؛ تكثيف التخييل مما يجعل التضمين يتقاطع مع عرف عند "جيرار جينيت" بالمتعاليات النصية التي هي كل ما يجعل النص الأدبي في علاقة ظاهرة أو ضمنية مع نصوص أخرى، حيث يهرب من ذاته متعاليا للبحث عن شيء آخر، قد يكون نصا أدبيا أو حكاية أسطوريا ليحيا حياة أخرى بمحاورته أو الاستقرار في أعماقه إياه أو مهيمنا عليه.

وقد تجلّت انتقالات السارد المتعددة مضطربة بين رواية حدث القصة الأولى وقصة الجدّ مصباح وكثيرا ما ضمّن أحداث قصص أخرى مع طفله المدلّلة، وسرد وقائع القصة الأولى بوصف فضاء الكتابة الذي جاء وسيلة لتقديم أفكاره وفلسفته في موضوعه الحرية التي كانت هاجس السارد من بداية الرواية إلى نهايتها، فالكتابة هاهنا قد مثّلت فعلا ثقافيا كان سببا في تعقيد الأحداث وتصاعد وتيرة السرد، وانفتاحه على آفاق بلغت حدّ التفكير الوجودي أحيانا كثيرا.

وبقدر ما كانت حياة السارد شاقّة، إلا أنه لم يثقل على المتلقي بما كان يعانيه من اضطهاد وظلم، أو بالأحرى لم يشأ أن يشارك بعض تفاصيلها مع القارئ، وظلّ يناوش طفولته من حين لآخر، مضمنا بعض قصصها التي حفرت في ذاكرته حتى صارت مشاهد تقتحم المتن الحكائي في متتاليات تتراحم أحيانا وتتباعد أحيين أخرى، دون إغفال قصة الإطار التي كان موضوعها الأساس هو حقيقة الحرية والبحث عن التجدد والخلود، فحاور نصّه مجموعة من الأساطير والحكايات، التي كانت تصوّر شقاء الإنسان وعبوديته، التي لم يجد مخلصا منها غير المسخ الأسطوري.

حيث يقوم باستدعاء الإلهة عشتار مستهدفا الخلاص من العبودية والبحث عن الخلود، فتحولّه إلى ذئب يقطع الجبال والفيافي دونما قيد أو خوف يتحرر إلى المطلق بخروجه من بوتقة الإنسان والابتعاد عن ذاته. حولته ذئبا كما حوّلت فوكيس حبيبها لوكيوس حمارا، "وفجأة بدأ النور يللم أطرافه، يتجمع رويدا رويدا في الزاوية التي أقبل منها، وبدأ الظلام يقمط المكان بأرديته الحالكة... وقد تسللت أصابع الإلهة عشتار حتى كادت تلامسني، مستني صعقة كهربائية.

¹³- الزواية، ص 69.

¹⁴- جيرار جينيت، عودة إلى خطاب الحكاية، تح: محمد معتمد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 2000م، ص 111.

ثم انسحبت تلك الأصابع ومعها ذلك النور... لم يدم بقائي طويلا حيث أنا أفترش الأرض سريعا بدأ التحول يمتد إلى كل بدني، ووجدت نفسي قد صرت ذنبا."

عشار والمسوخ هي القصة التي ضمّنها السارد في نصه الأول معتمدا على إثارة الدهشة والعجائبية لرفع مستوى السرد بما يناسب الانعتاق من العبودية المطلقة، التي لم ينح السارد من براثنها حتى وهو يحب أو يحاول دفن كل شيء يرمز إلى القيد مثل خاتمي والديه.

إنّ هذا التناول لمفهوم التحرر هو بمثابة آخر فتيلة لتبديد الظلام، فاستحضر لذلك كلّ أيقونات الغواية والألوهية في أسطورة عشتار التي غدت رمز الحرية والانطلاق.

إنه التحول الذي يختصر كل نضاله السابق عندما كان طالبا في الجامعة من خلال سجلاته مع أساتذته، وعبر رقعة الكتابة التي كانت سببا في اعتقاله والتنكيل به في غياهب السجن.

وليس من شك في أنّ استدعاء شخصية عشتار الأسطورية واقحامها في مسرح الأحداث وانتقال السارد من حاضر الحكى إلى ماضيه، ومن ماضي إلى حاضر زمن السرد، قد أدى إلى تراكم أزمنة السرد وامتداد فضاءاتها المتنوعة وتكثيف زوايا الرؤية والسرد.

لقد مكنت هذه الانتقالات من نص إلى آخر، أو من النص الأول إلى نصوص متتالية حوارية متفرعة هاهنا من مضمون محاكاة.

نصّ أسطورة عشتار والمسوخ في حضارات بلاد الرافدين التي دوّنها "قلقامش" في ألواح الصخرية، وعقاب الأنوثة الإلهية لإنكيديو صديق "قلقامش". وبذلك كان التضمين في هذه الرواية توليفة لحكايات متباينة داخل نسيج سردي متعلق، فهو "تألف من المتواليات السردية أو المروية بنفس الصوت أو بأصوات أخرى، بحيث يتم إدراج إحدى المتتاليات في متتالية واحدة"¹⁵.

وهو ما ميّز رواية "هاء وأسفار عشتار" التي جاءت مشهدا تزامنت فيه الكثير من المشاهد الثانوية أو المرجعية المضمنة التي تحاورت فيما بينها منتجة نص الرواية.

وقد استندت آلية التضمين في هذه الرواية إلى مرجعيات أسطورية وعجائبية بالدرجة الأولى؛ حيث إنّ الحكاية الخرافية عادة ما تشتغل على فعالية سردية تسمح باندماج أفعال قصصية بمفهوم "تودروف" الذي يقصد به مفهوما محددًا "إنّها القصّة التي تتصل بواقع مثبت أو بأحداث وقعت"¹⁶.

تكون هذه الأفعال ثانوية في هيمنتها وسلطتها الحكائية، غير أنّها تتوالد باستمرار وتغذي الاحتمالات السردية الممكنة للحكاية الإطار، التي هي نواة العمل الروائي وجوهره الأساس، وهي تمدّ النصّ بأسباب البقاء والحياة المستمرة، ذلك ما شكّله التضمين السردية في هذه الرواية؛ حيث قدّم "عز الدين جلاوي" نسيجا حكايتيا متناميا، لا تكاد تخلو كلّ قصّة فيه من وجود حكاية إطار سرعان ما تتفرّع عنها حكاية أخرى أو أكثر ليعود المسار السردية في كلّ فصل من فصولها إلى التعلالي النصّي أو عتبة الإطار الحكائي من خلال فعالية القصّة بمفهومها العام، لتكون قادرة على استيعاب المروي.

¹⁵- جerald برنس، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميراث للنشر، القاهرة، ط 1، 2003م، ص 56.
¹⁶- ترفيتان تودروف، الناس الحكايات ألف ليلة وليلة كما ينظر إليها التحليل البنوي، تر: مورييس أبو ناصر، مجلة مواقف، العدد 16، يوليو 1971م، ص 142.

I. International Century Congress for Social Sciences

واتخذ التّضمين في هذه الرّواية فعل التّشويق والإبهار بصفة ثابتة، وبوتيرة متواصلة ضمن استراتيجية نصية متعدّدة الأبعاد تجلّت بوضوح في آلية تحضيرية لتؤدي الوظيفة الانتباهية، التي أقحمت في المتن الروائي، من خلال فضاءات تخيلية شكلت ردّ فعل جعل الرّوائي يطمح للوصول إلى عوالم السّؤال المُلحّ حتّى يكون التناسل النصي فعلا مشروعاً برغبة المتلقي في ذلك بوعي شارك من به في العمل السردي.

**PREMARITAL MEDICAL EXAMINATION:
LEGAL RESPONSE TO SOCIAL VARIABLES
- COMPARATIVE STUDY -**

Prof. Dr. AHMED DAOUD Orkeia

<http://dx.doi.org/10.47832/soci.con1-2>

Abstract:

The premarital medical examination is considered a very important preventive measure, in order to protect all family members in all aspects, especially health and social, by preventing diseases, detecting them, and then preventing the deterioration of the health situation if infection is proven, In addition to presenting the available alternatives for coexistence between the parties to the marital relationship, including striving to complete the marriage while undergoing periodic health oversight, childlessness, avoiding consanguineous marriage...etc.

Some countries have taken serious steps towards obligating this medical examination, including Algeria through Order No. 05-02 amending and supplementing the Family Law, as well as Executive Decree No. 06-154 specifying the conditions and methods for applying Article 07 bis regarding the medical certificate, in addition to its approval under Law No. 18-11 related to health

Keywords: Examination, Certificate, Medical, Marriage, Prevention, Diseases, Family, Society .

**الفحص الطبي السابق للزواج:
استجابة قانونية لمتغيرات اجتماعية
- دراسة مقارنة -**

أ. د. أحمد داود رقية¹

الملخص:

يعتبر الفحص الطبي قبل الزواج تدييرا وقائيا بالغ الأهمية، في سبيل وقاية الأسرة ومن كل الجوانب، خاصة منها الصحية والاجتماعية، من خلال الوقاية والكشف ثم الحيلولة دون تردي الوضعية الصحية حال ثبوت الإصابة بالأمراض، إضافة إلى طرح البدائل المتاحة للتعايش بين أطراف العلاقة الزوجية، منها المضي في إتمام الزواج مع الخضوع للمراقبة الصحية الدورية، عدم الإنجاب، تفادي زواج الأقارب... الخ.

ولقد خطت بعض الدول خطوات حثيثة نحو الإلزام بهذا الفحص، ومنها الجزائر من خلال الأمر رقم 02-05 المعدل والمتمم لقانون الأسرة، وكذا المرسوم التنفيذي رقم 06-154 المحدد لشروط وكيفيات تطبيق المادة 07 مكرر بخصوص الشهادة الطبية، ناهيك عن إقراره بمقتضى القانون رقم 18-11 المتعلق بالصحة.

الكلمات المفتاحية: الفحص، الشهادة، الطبية، الزواج، وقاية، الأمراض، الأسرة، المجتمع.

¹ ID جامعة تلمسان، الجزائر

orkeia.ahmeddaoud@univ-tlemcen.dz
<https://orcid.org/0009-0006-3004-8242>

المقدمة:

تعتبر الأسرة الخلية الأساسية في تكوين أي مجتمع، حيث وكلما استجمعت الأسر عناصر تكوينها وفق الأركان والشروط المطلوبة، أنتجت حتما مجتمعات متكاملة وقوية، وبتخلف وضعف تلك العناصر، أنتجت مجتمعا ضعيفا معرضا للاندثار، بسبب عدم الأخذ بالأسباب والاحتياط في تكوين الأسرة.

لذلك بات من الضروري أن يتوقى المقبلون على الزواج، التريث والتحري عن المكامن والخبايا بالفحص الطبي قبل الزواج، كتدبير احترازي لا يمنع الاقتران، بل يكرس سياسة صحية وقائية تقلل من المتاعب الصحية المنعكسة سلبا على العلاقات الأسرية(علاق، 2013، ص 23)، كطلب فك الرابطة الزوجية بسبب الإصابة أو المرض-المعدي، الوراثي أو المنفر-، الذي لا تتحقق معه مقاصد الزواج ومنها الإعفاف والتناسل، زد على ذلك اضطراب العلاقات الأسرية واختلالها حالة إنجاب طفل أو أكثر مشوه، معوق أو مريض بسبب وراثي من أحد الزوجين أو كلاهما، إنه أمر سيلقي بظلاله الحزينة على كل أفراد الأسرة.

وتفاديا لذلك، انخرطت بعض الدول في مسعى سياسة الفحص الطبي السابق للزواج، باعتباره آلية طبية تسمح بكشف المعطيات الصحية لدى المقبلين على الزواج، بالتالي تحقيق مبدأ الوقاية واتخاذ الأسباب في الحفاظ على الصحة العامة، من خلال حرص السلطة العامة على حماية صحة الأسرة كنواة رئيسية في المجتمع، الذي تسهر على سلامته الصحية.

واقناعا بذلك، سارع المشرع الجزائري إلى تنظيمه قانونا ملزما، من خلال الأمر رقم 05-02 المؤرخ في 27 فبراير 2005 المعدل والمتمم لقانون الأسرة، وكذا المرسوم التنفيذي رقم 06-154 المحدد لشروط وكيفيات تطبيق المادة 07 مكرر بخصوص الشهادة الطبية الصادر سنة 2006، ناهيك عن الالتزام به بمقتضى المادة 72 من القانون رقم 18-11 المؤرخ في 2 يوليو 2018 المتعلق بالصحة، بهدف الحفاظ على صحة كل أفراد الأسرة.

وتتضمن هذه الدراسة العديد من الفوائد لاسيما وأنها ستكشف النقاب عن عدة نقاط أساسية، أهمها:

✓ توضيح أهمية الكشف الطبي قبل الزواج باعتباره وسيلة وقائية هامة، بشأن الحرص على وقاية وصحة جميع أفراد الأسرة، بالتالي الصحة العامة للمجتمع الفحص الطبي قبل الزواج.

✓ الوقوف على موقف المشرع الجزائري من الفحص الطبي قبل الزواج، لاسيما في ظل التعديل الأخير لكل من قانون الأسرة سنة 2005 وقانون الصحة سنة 2018.

✓ نظرا لكون الفحص قبل الزواج مسألة مستجدة في القانون، وذات ارتباط وثيق بواقع الحياة، وتخص كافة أفراد المجتمع في حياتهم الشخصية والأسرية، فمن الواجب علميا التمهيد والتدقيق فيها للوصول إلى الحقائق المتعلقة بها، حتى يستفيد غيرنا من الباحثين في هذا المجال، أو أن تكون هذه الدراسة محطة لبحوث مستفيضة تبدي الآراء والملاحظات بشأنها.

كما يهدف هذا البحث إلى ما يلي:

✓ تسليط الضوء على مضمون الفحص الطبي قبل الزواج من حيث المقصود به، المراحل التي يمر بها، وكذا أنواع الفحوصات الطبية قبل الزواج.

✓ تبيان كل من ايجابيات الفحص الطبي قبل الزواج ومحاذيره.

✓ توضيح لنطاق إجراء الفحص الطبي قبل الزواج، سواء تعلق الأمر بالإطار الزمني أو المكاني لإجراءه.

✓ تحديد أثر عدم إجراءه على عقد الزواج قبل إبرامه، بالإضافة إلى حكم عقد الزواج المبرم دون إجراء الفحص الطبي.

ويثير موضوع الفحص الطبي قبل الزواج، العديد من التساؤلات أهمها: ما المقصود بالكشف الطبي قبل الزواج؟ ما دوره في وقاية أفراد الأسرة وحماية صحتهم؟

الأسئلة التي ستحاول هذه الدراسة الإجابة عليها من خلال النقاط التالية:

المبحث الأول: مضمون الفحص الطبي قبل الزواج

المبحث الثاني: أثر الإخلال بالفحص الطبي على عقد الزواج:

المبحث الثالث: مدى تأثير الفحص الطبي قبل الزواج على قيام العلاقة الزوجية:

سائلين الله تعالى أن يلهمنا الصواب، ويعصمنا من الزلل والخلل في العقيدة والقول والعمل، إنه حسبنا ومولانا، فنعم المولى ونعم الموفق والنصير.

المبحث الأول: مضمون الفحص الطبي قبل الزواج:

يتطلب ذلك تسليط الضوء على المقصود بالفحص الطبي قبل الزواج (المطلب الأول)، ثم توضيح نطاق إجراءه (المطلب الثاني).

المطلب الأول: مدخل مفاهيمي بشأن الفحص الطبي قبل الزواج:

من حيث التطرق لمفهوم الكشف الطبي السابق للزواج (الفرع الأول)، ثم لفوائده ومحاذيره (الفرع الثاني).

الفرع الأول: مفهوم الكشف الطبي السابق للزواج:

أولاً: مقاصد الكشف الطبي السابق للزواج:

يهدف الكشف الطبي قبل الزواج إلى تحقيق أحد الغرضين:

1- الكشف عن الأمراض الواقعة:

وهي الأمراض التي أصابت جسم الإنسان فعلاً، بحيث يمكن للطبيب اكتشاف أعراضها على جسد المصاب بها، ويمكن تسمية هذه الفحوصات بالعادة (كنعان، 2000، ص 763)، والتي تنقسم إلى:

أ- فحص طبي تمهيدي وعام: يمكن الأكتفاء به، كما يطلق عليها تسمية الكشف الطبي الظاهري.

ب- كشف طبي تكميلي: لاحق، يتميز بالدقة والتعمق كطلب تحليل الدم.

كما يقسمها البعض على المنوال التالي:

1- فحوصات طبية أساسية: تتضمن فحص سريري عام، فحص مخبري لعينات الدم، تحليل لعينات من البول

والبراز وكذا تصوير الصدر بالأشعة.

2- فحوصات طبية اختيارية: كتحليل السكر وفحص القلب، مناط البحث في مسألة الكشف الطبي قبل

الزواج، يدور فقط حول الأمراض الفيروسية الوبائية المعدية الثابت إمكانية انتقالها إلى الغير، كالفيروس المسبب لمرض التهاب الكبد الوبائي، بالإضافة إلى بعض الأمراض العضوية كالتناسلية منها والأمراض المنفرة كالجدام والسيلان.

يتوسع فيها البعض ويضيق البعض الآخر، ومن الممكن وضع معيار لهذا النوع من الأمراض بأنها كل مرض معد، منفر أو لا يتحقق معه القصد من الزواج وخصوصاً الإعفاف والتناسل، إنها في جملة القول الأمراض والعيوب التي تجعل للطرف الآخر الحق في فسخ عقد الزواج عند اطلاعه عليها، أي الأمراض التي تؤثر على العلاقة الزوجية وينبغي الابتعاد عن صاحبها، كالتنقل إلى الطرف الآخر مثل السل والتهاب الكبد الوبائي، وكذا الأمراض التي تؤثر على قدرة أحد الزوجين في القيام بدوره بالشكل المطلوب، وتشمل الأمراض النفسية الخطيرة كمرض انفصام الشخصية، وإن لم يصل إلى حد الجنون، والاكنتاب المزمن ونحو ذلك، علاوة على الأمراض العضوية ما يتعلق بالأعضاء التناسلية للطرفين (علاق، 2013، ص 166).

ويخرج عن هذا المعيار الأمراض العادية التي لا تمثل خطورة على أي أحد، بل هي مجرد علل عارضة يتغلب

عليها بالأدوية والمضادات (الأشقر، 2000، ص 84).

2- الكشف عن الأمراض المتوقعة:

وهي الأمراض الوراثية لأنها متوقعة، الفحص الذي يكشف عن حمل المفحوص للجين المسئول عنها، على نحو يتوقع معه ظهور هذا المرض على النسل بنسب معينة (عبد السلام، 2001، ص 99)، وهي كثيرة جدا يصعب حصرها، مثل متلازمة داون (الطفل المنغولي) أو الشفة الأرنبية وأمراض فقر الدم التحلي الوراثي، ومن أشهرها مرض الثلاسيميا والأنييميا المنجلية (النجيمي، 2006، ص 91، عثمان، 2000، ص 799).

ثانيا: الإطار الإجرائي للفحص الطبي قبل الزواج:

لقد جاء اهتمام المشرع الوطني بالفحص الطبي قبل الزواج واضحا، من خلال الأمر رقم 02-05 المعدل والمتمم لقانون الأسرة، وكذا المرسوم التنفيذي رقم 154-06 السابق الإشارة إليهما.

1- زمان إجراء الفحص: تنص المادة 07 مكرر من الأمر رقم 02-05 على ما يلي: "يجب على طالبي الزواج أن يقدموا وثيقة طبية، لا يزيد تاريخها عن ثلاثة (3) أشهر، تثبت خلوهما من أي مرض أو أي عامل قد يشكل خطرا يتعارض مع الزواج، ويؤشر بذلك في عقد الزواج".

مما يتضح منه، أن المشرع اشترط على المقبلين على الزواج تقديم شهادة طبية لا يزيد تاريخها عن ثلاثة (3) أشهر، بغية منح فسحة زمنية للمقبلين على الزواج لاتخاذ القرار المناسب والحاسم بشأن مشروع الزواج حتى تكون الخطوات ثابتة نحو ارساء دعائم هذا العقد على أسس سليمة (علاق، 2013، ص 245).

2- تكاليف الفحص قبل الزواج: تتغير تكاليف الفحوصات الطبية بتغير الزمان والمكان، وحسب الجهة التي تقوم باجراءه، فإما أن تتحمل الدولة كقطاع عام تكاليف هذا الفحص، فيكون مجاني أو مقابل مبلغ نقدي رمزي متى تم اجراءه في الهياكل الصحية التابعة لها.

وإما أن يتحمل الشخص المعني تلك الأتعاب لدى القطاع الخاص، مما قد ينجم عنه التكلفة المادية الباهظة أحيانا، والتي يتعذر على كثير من الناس الاضطلاع بها.

الفرع الثاني: فوائد الفحص الطبي قبل الزواج ومحاذيره (الايجابيات والسلبيات):

للفحص الطبي السابق للزواج ايجابيات كثيرة، لكن له بالمقابل سلبيات عديدة:

أولا: فوائد الفحص الطبي قبل الزواج:

لقد عدد العلماء والباحثون جوانب أهميته وعلى المستويين الفردي والجماعي، فذكروا منها ما يلي:

✓ الكشف الطبي سبيل للوقاية والحد من الأمراض المعدية الخطيرة (عبد الله، 2007، ص 21)، ففيه محافظة على سلامة الزوجين من الأمراض الوبائية المتنقلة بالمعايشة الزوجية (جاسم، 1996، ص 483).

✓ الفحص وسيلة لتجنب وكذا القضاء على الأمراض الوراثية المنتشرة، وخاصة في بعض المناطق وبعض الأسر (عبد السلام، 2001، ص 100).

✓ الكشف عن أمراض لا تمنع، ولكن تؤثر في الحمل والولادة والذرية، مثل عامل الريسوس Rh (الأشقر، 2000، ص 85).

✓ التأكد من سلامة كلا الخطيبين من الأمراض الجنسية والعيوب العضوية، التي تحول دون ممارسة العلاقة بطريقة عادية وعلى نحو سليم مثل الجب(بفتح الجيم)، وهو قطع عضو التناسل بالنسبة للرجل ويسمى مجبوبا، أو الرتق (بفتح التاء) وهو انسداد في فرج المرأة بحيث لا تصلح للزواج وتسمى رتقاء(التكروري، 2004، ص 218).

وكذا الأمراض المعدية والوبائية، حيث يعتبر الزواج عقد قوامه الدوام والاستقرار، فإذا تبين أن أحد طرفيه مصاب بمرض معد، منفر أو خطير، فقد يكون ذلك سببا لإنهاء العلاقة الزوجية لعدم قبول الطرف الثاني بالوضع، أو على الأقل سببا لاضطراب هذه العلاقة واختلالها، أما إذا تبين خلوهما عن هذه الأمراض فإنهما يكونان أكثر اطمئناناً.

✓ علم المقدمين على الزواج بالأمراض والإصابات المحتملة للذرية إن وجدت، فتتسع الخيارات لديهم في عدم إتمام الزواج مثلاً أو عدم الإنجاب(الأنصاري، 2000، ص 163).

✓ المحافظة على صحة النسل وعلى صحة الذرية.

✓ اتساع الخيارات والبدائل أمام المقبلين على الزواج، منها السعي للعلاج قبل الإقدام على خطوة الزواج، العدول والتراجع عن اتمام الزواج أو الاصرار عليه مع البحث عن السبل الممكنة لاستمراره كاتخاذ الاجراءات الوقائية(علاق، 2013، ص 109).

ثانياً: محاذير الفحص الطبي قبل الزواج:

على الرغم من الأهمية البالغة لهذا الفحص وعلى المستويين الفردي والجماعي، إلا أن الكثير من المحاذير تكتنفه وتعكر صفوه، منها:

❖ أنه وفي ظل تخوف كثير من الناس من نتيجة الفحوص، من المحتمل أن يؤدي الإلزام على الاختبار الوراثي إلى التردد في إتمامه، لعدم التقبل النفسي لدى الكثير منهم لهذا الاختبار وتخوفاً من النتيجة التي يفصح عنها(عارف، 2001، ص 795).

❖ عدم خروج نتائج الفحص مهما بلغت دقتها عن دائرة الاحتمال، خاصة وأن إجراءه لا يعني وقاية الناس من كل الأمراض الوراثية، لأنه لا يبحث في الغالب إلا عن مرضين أو ثلاثة منتشرة في مجتمع معين، وسيبقى احتمال الإصابة بأمراض أخرى غير معروفة قائماً.

❖ قد يحمل الإلزام على الفحص الكثير من المتخوفين أو المرضى فعلا على التزوير في نتيجة الفحوص بالحصول على شهادات تثبت سلامتهم من العيوب الوراثية والصحية، بطريق الرشوة، المجاملات أو غيرها، مما سيفرغ المسألة من مضمونها ويعدم جدواها.

❖ قد يحدث تسريب لنتائج الفحص، وهذا ما يضر بأصحابها، مما يؤدي إلى التصادم مع الحق في الخصوصية، حيث أن السرية وعدم كشف النتائج لا يلتزم به الناس في كثير من الحالات.

❖ كثيراً ما يساء فهم حالة الفحص الوراثي، حيث أن الشخص الحامل للمرض ليس شخصاً مريضاً بل سليم، ولكنه يحمل صفات وراثية يمكن أن ينقلها لذريته، إذا حدثت وكانت زوجته أو كان زوجها أيضاً يحمل ذات المرض، من ثم تطرح المشكلة فقط إذا كان كلا الطرفين حاملين للمرض(عثمان، 2005، ص 03).

❖ التكلفة المادية التي قد تتطلبها بعض الفحوصات والتحليل الطبية الباهظة، والتي قد يتعذر على كثير من المقبلين على الزواج تحملها، لاسيما إذا تعذر اجراء بعضها مجانا على مستوى مخابر العيادات والمستشفيات العامة، فيلجأ حينئذ إلى نظيرتها في القطاع الخاص، وفي ذلك عبء مالي آخر مضاف إلى تلك الأعباء المتعلقة بالزواج، مما يقضي إلى عزوف الشباب عن الزواج أصلا(علاق، 2013، ص 123).

المطلب الثاني: أثر الإخلال بالفحص الطبي قبل الزواج على عقد الزواج:

سواء قبل إبرام عقد الزواج(الفرع الأول) وكذا حكم عقد الزواج المبرم دون إجراء الفحص الطبي(الفرع الثاني).

الفرع الأول: الأثر قبل إبرام عقد الزواج:

تشرط الفقرة الثالثة من المادة 07 مكرر من الأمر رقم 05-02 السالف الذكر أن تكون نتيجة الفحص الطبي ايجابية(+)، بالتالي خلو كلا الطرفين من أي مرض، إصابة أو عامل قد يشكل خطرا يتعارض مع الزواج. في حين جاء نص المادة 1/02 من من المرسوم رقم 06-154 الصادر سنة 2006 السالف الإشارة إليه كما يلي: "... تثبت خضوعه للفحوصات الطبية..."، من ثم اشتراط ثبوت إجراء الكشف في حد ذاته دون اكتراث بنتيجته، طالما أنها مسألة تتعلق برغبة وإرادة الخطيبين فقط.

لذلك منع المشرع الجزائري بمقتضى الفقرة الأخيرة من المادة 07 من ذات المرسوم، الموثق أو ضابط الحالة المدنية حين إبرام عقد الزواج، من التدخل في قرار الخطيبين بالتأثير عليهما أو رفض إبرام عقد الزواج، إذا رغبا في إتمامه، رغم علمهما بكل نتائج الفحوصات الطبية، الذي يتم تحت إشرافه من خلال اجتماعهم في آن واحد. من ثم فإن دور الموثق أو ضابط الحالة المدنية يتعلق بالمسائل الإجرائية فقط، أي التأكد من إجراء الفحوصات أيا كانت نتيجتها، على أن يؤشر بذلك في عقد الزواج، ليكون الأمر حجة على الجميع تحت طائلة المسؤولية، حيث نصت المادة 06 من ذات المرسوم على أنه: "لا يجوز للموثق أو ضابط الحالة المدنية تحرير عقد الزواج، إلا بعد أن يقدم طالبا الزواج الشهادة الطبية المنصوص عليها في هذا المرسوم".

في حين اعتبرت المادة 01 من القانون الكويتي رقم 31 المؤرخ في 25 نوفمبر 2008 المتعلق بالفحص السابق للزواج، أنه أمر وجوبي، وذلك بشأن الأمراض المعدية والوراثية التي يصدر قرار من وزير الصحة بتحديدتها، حيث يتحتم على كل المقبلين على الزواج، تقديم الشهادة الطبية التي لا يجب أن تتعدى فترة صلاحيتها ستة(06) أشهر، حسب ما جاء في الفقرة الثانية من نفس المادة.

كما يتعين على كل المقبلين على الزواج إرفاق هذه الشهادة بإقرار بشأن علمهما وموافقتهما، متى كانت نتيجة الكشف سلبية(-)، الحالة التي يطلق عليها "الزواج غير الآمن".

أما من كان من الطرفين دون سن الرشد فلا يعتد برضاه، ولا يحق لولي المرأة تمثيلها في هذه الحالة، وفقا لما ورد في نص المادة 02 من ذات القانون.

ناهيك عن أنه لا يجوز للمأذون الشرعي، إبرام عقد الزواج دون الشهادة الطبية المشار إليها آنفا، تحت طائلة المسؤولية الجنائية.

وبذلك يكون المشرع الكويتي قد أحسن فعلا، لما قيد طرفي العلاقة الزوجية في حال ثبوت الإصابة، بأن يقرأ علما بذلك وقبولاً بإتمام عقد الزواج، نظرا لخطورة وأهمية الحالة الصحية للمقبلين على الزواج واتخاذ القرار الأنسب بشأنها بكل حرية وإرادة واعية (علاق، 2013، ص 230).

وتجدر الإشارة إلى أنه يتجلى من النصوص الوطنية السالف الإشارة إليها، وخاصة المادة 7 مكرر/1، المادة 1/02 وكذا المادة 03 من المرسوم رقم 06-154 لسنة 2006، أن الإلزام يشمل فقط الفحص أو الكشف العادي، الذي ينطوي على فحص عيادي شامل إضافة إلى تحليل فصيلة الدم ABO + rhésus، في حين أن فحص المحتوى الوراثي وكذا فحص الأمراض البوائية و المعدية جوازي فقط، على أن الكشف إنما يتعلق ببعضها فقط.

ما أشارت إليه المادة 04 من ذات المرسوم التي تنص على أنه: "يمكن أن ينصب الفحص الطبي على السوابق الوراثية والعائلية قصد الكشف عن بعض العيوب و/أو القابلية للإصابة ببعض الأمراض، وزيادة على ذلك، يمكن أن يقترح الطبيب على المعني إجراء فحوصات للكشف عن بعض الأمراض التي يمكن أن تشكل خطر الانتقال إلى الزواج و/أو الذرية، وذلك بعد إعلامه بمخاطر العدوى منها".

الملاحظ إذن بخصوص هذه المسألة، أن المشرع لم يقيد الطبيب ولم يوجهه بخصوص نوع معين من الأمراض والعوامل التي يجب عليه إعطاؤها عناية خاصة، ما عدا ما تعلق بالفحص الشامل.

أما الأمراض الوراثية وكذا السوابق العائلية، فالأمر جوازي، للطبيب حرية إجراءه أو التغاضي عنه (حرية التوسع في الفحص بناء على عدة معطيات أهمها الإستعداد الوراثي ودرجة القرابة بين الخطيبين)، طالما أنه مخير في ذلك بموجب السلطة التقديرية الممنوحة له في هذا الشأن، التي تخوله مكنة اقتراح على المعني بالأمر الخضوع لفحوصات أخرى يراها مناسبة وضرورية.

لكن هل يحق للطبيب الامتناع عن تسليم الشهادة الطبية في حالة ثبوت الإصابة بعدوى معينة- علما أن المشرع الجزائري قد حدد قائمة الأمراض التي يجب على الطبيب الإبلاغ عنها إجباريا وفوريا، وذلك بموجب قرار وزارة الصحة رقم 176 لسنة 1990، وحصرها في 31 مرض معد-لحين زوال خطر العدوى من المرض أو التأكد من تلاشي أي احتمال لإنتقاله إلى الذرية؟

إن نص المادة 07 مكرر وكذا نصوص المرسوم السالف الذكر واضحة في هذا الشأن، حيث لا يحق للطبيب ذلك- على خلاف ما ذهب إليه المشرع التونسي من خلال القانون رقم 64/46 لسنة 1964-، إنه ملزم بتسليمها دون قيد أو شرط، وتنحصر صلاحياته في إبلاغ المعني بالنتائج وتقديم النصح والمشورة لا غير، إنه لا يتدخل في القرار النهائي للطرفين.

لقد كان على المشرع وبخصوص تدخله هذا أن يجعل من الفحص أمرا ملزما، على أن يتعلق الأمر بكل الأمراض البوائية، المعدية، الفيروسية، المنفرة، الخطيرة المتعارضة مع مقاصد الزواج، وكذا ببعض الأمراض الوراثية المعروفة بانتشارها في الجزائر وكذا في مناطق وأسر معينة، طالما أن عدم التحديد سيفتح مجالا للتلاعب والتفسير الذي يفرغ الفحص من جدواه.

بالتالي فالتصنيف والتحديد مهم ليكون كل طرف على بنية من أمره، بغية حماية الطرفين من الوقوع في الغش، التدليس أو التحايل بعد الزواج، حيث تقوم مسؤولية الطرف الذي صدر منه أحد هذه العيوب بتعويض الطرف الثاني عن الضرر الحاصل له جراء نقل العدوى مثلا، بالإضافة إلى إعطاء هذا الطرف المتضرر الحق في طلب التفريق كما قد

يصل الأمر إلى إمكانية المساءلة الجنائية إذا تم التزوير في الشهادة الطبية، خاصة وأن الزواج قوامه المصارحة والشفافية، فإنه بالمقابل لم يلب بمفردات النصوص وأسلوبها الحاجة في طلب هذه الحماية، حيث أن واقع المحاكم ومبررات الأطراف في فك العلاقة الزوجية، يتعدى ما هو منوه عنه في تلك النصوص.

الفرع الثاني: حكم عقد الزواج المبرم دون إجراء الفحص الطبي:

إن تدخل المشرع للإلزام بالفحص الطبي قبل الزواج، جعل من هذا الفحص شرط لزوم (الشرباصي والشافعي، 2007، ص 168) في عقد الزواج بالنسبة للزوجين، ولا يملك القانون التفريق بينهما حالة عدم إجراءه، إلا أن ذلك سيرتب عدم أحقية أي منهما في طلب التفريق، عند ظهور المرض أو تفاقمه على أي منهما.

أما عن طبيعة عقد الزواج المبرم دون هذه الشهادة، فلا يترتب عليه البطلان إذا استوفى جميع أركانه وشروط صحته.

لكن ماذا لو خالف الخطيبين الالتزام بإجراء الفحص الطبي قبل الزواج، وثبت أن أحدهما أو كلاهما مصاب مثلاً بمرض وراثي خطير أو معدي، ومع ذلك تزوجا وقررا الإنجاب، وهم على علم بالمخاطر التي قد تصيب النسل، ألن يشكل ذلك مسلماً خاطئاً من الناحيتين الأخلاقية والقانونية؟ وهل من حقهما أن يحملوا لذريتهما "حيلة بائسة"؟

رغم أنه ليس بإمكان أحد أن يضمن للذرية حياة سعيدة وكاملة، إلا أنه يجب السعي وبذل الجهد لذلك، ما يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار وما ينبغي أن يكون في الحساب عند الإقدام على الزواج، باعتباره عقداً تنصرف آثاره إلى طرفيه في الدرجة الأولى، وإلى النسل في الدرجة الثانية، لذلك ينبغي على الخطيبين وضع الأمور في نصابها وإعطاء كل خطوة الاهتمام الجدي والكافي، بعد الوقوف على نتائجها وعلى المستويين القريب والبعيد (عبد الله، 2007، ص 24).

وعليه يمكن مساءلة الوالدين المتسببين في إنجاب طفل مريض بمرض خطير، مشوه أو معوق، إذا لم يجريا الفحص الطبي قبل الزواج، أو إذا قررا الإنجاب رغم الإصابة ومن ثم مخاطر العدوى المتنقلة إلى النسل دون أي متابعة أو مراقبة طبية، إنه خطأ يستوجب المسؤولية ومن ثم التعويض (خليفة، 2003، ص 119) بموجب المادة 124 من القانون المدني الجزائري لسنة 2007 التي تنص على أنه: "كل فعل أيا كان يرتكبه الشخص بخطئه، ويسبب ضرراً للغير يلزم من كان سبباً في حدوثه بالتعويض".

لاشك في أنها مسألة ستأخذ وقتاً من الزمن، حتى يصبح الأمر عادياً وبديهيها على نحو يصير معه الكشف الطبي ما قبل الزواج، بمثابة التزام أخلاقي وليس مجرد التزام قانوني.

المبحث الثاني: مدى تأثير الفحص الطبي قبل الزواج على قيام العلاقة الزوجية:

حيث سيتم تسليط الضوء على تأثير هذا الفحص على العلاقة الزوجية في طور التكوين، أي مدى الإقدام عليها من عدمه (عثمان، 2000، ص 799).

فبعيدا عن الإلزام القانوني، يثور التساؤل هل من الأفضل تجنب إتمام الزواج في حالة كشف الفحص عن وجود مرض معد أو عن احتمال مرض وراثي، أو إتمامه مع اتخاذ التدابير الوقائية؟
إن الإجابة عن هذا التساؤل تستدعي الحديث عن الأمراض الوبائية أو المعدية (المطلب الأول) ثم الأمراض الوراثة (المطلب الثاني).

المطلب الأول: حالة الأمراض الوبائية أو المعدية:

والتي تتراوح بين المرض المعدي أو الوباء الممكن علاجه (الفرع الأول)، وذلك المزمّن (الفرع الثاني).

الفرع الأول: حالة المرض الممكن علاجه:

حيث من المفضل حينئذ، تأجيل إتمام الزواج إلى حين تمام العلاج من هذا المرض.

الفرع الثاني: حالة المرض المزمّن:

الذي لم يتوصل العلم إلى علاج له، وورغب الطرفان في إتمام العقد معه فالواجب اتخاذ التدابير التي تحول دون انتقال المرض إلى الطرف الآخر أو إلى الذرية، وإن كان الأمر ينطوي على صعوبة بالغة من الناحية العملية، لأن الزواج يقتضي المخالطة الطويلة على نحو قد لا تراعى فيه التدابير الوقائية بصورة ناجحة.

ثم إنه من النادر أن يرضى أحد الارتباط بشخص تبت إصابته بمرض معدّي خطير ومزمّن، ومع ذلك فالمرض في حد ذاته وإن كان معدّيًا ومزمّنًا ليس مانعًا شرعيًا من موانع الزواج، شرط اتخاذ التدابير التي تحول دون انتقال المرض إلى الطرف الآخر (عبد الله، 2007، ص 130).

المطلب الثاني: الأمراض الوراثة:

وهي تلك الأمراض التي يحتمل انتقالها إلى الذرية، حيث يجب التمييز بشأنها بين حالتين هما:

الفرع الأول: توقع حصول المرض الوراثي بالنسل مرتبطًا بزواج شخصين معينين دون غيرهما: مثل حالة زواج الأقارب، حيث أن الفحص الطبي مهم للأقارب وغير الأقارب، وتكون أكثر أهمية للأقارب إذا كان هناك أمراض وراثية، حيث إن احتمال الإصابة عندهم أعلى مقارنة بالمتزوجين من غير أقاربهم، وتزداد نسبة الإصابة كلما زادت درجة القرابة (عثمان، 2000، ص 788)، على نحو لا يتوقع معه حصول المرض في حالة ارتباط أحدهما بشخص آخر غير قريب، الحالة التي يكره فيها إتمام الزواج والأولى الإعراض عنه دفعا للضرر المتوقع.

الفرع الثاني: توقع حصول المرض الوراثي في النسل مرتبط بزواج الرجل أو المرأة بأي شخص آخر:

أي توقعه على أي حال بالارتباط بأي أحد، وكانت حياة النسل لا تستقيم مع هذا المرض المتوقع كالتخلف العقلي أو التشوه البدني الحاد، فإنه يجوز في هذه الحالة إتمام الزواج إذا رغب فيه الطرفان بعد علمهما بذلك، مع تجنب

الإنجاب مؤقتاً أو الفحص الوراثي المبكر للأجنة في مراحلها الأولى بعد فحصها، مع تجنب التدابير غير الشرعية كقطع النسل أو الإجهاض حتى إذا زالت أسباب توقع المرض بعلاج أو غيره أمكن الإنجاب (الشريف، د ت، ص 335).
وأما المرض الوراثي المتوقع الذي تستقيم معه حياة النسل كالتشوه البسيط، فلا يحول دون إتمام الزواج والإنجاب لأنه يمكن علاجه بجراحة بسيطة (مهران، 2001، ص 228).

الخاتمة: من خلال ما تيسر لنا بحثه والنظر في مما أثارته وتثيره مسألة الفحص الطبي قبل الزواج، يمكن أن نخلص إلى بعض النتائج، أهمها على الإطلاق:

➤ أن البحث في مسألة الإلزام بالفحص الطبي قبل الزواج، أمر استدعته وألحت عليه الرغبة في وقاية وحماية العلاقات الأسرية منذ نشأتها، حتى يكون كل طرف فيها على بينة من أمره.
➤ أن الإلزام بالفحص السابق للزواج، على ضوء الواقع المعاش والاكتشافات العلمية الطبية، لا يحمل أي مساس بمصلحة الفرد، ما دام أنه يمثل رعاية لمصلحة الشخص نفسه قبل أن يكون رعاية لمصلحة المجتمع.
➤ أن الفحص الطبي وإن كان قيدياً على حق الشخص في الزواج واعفاف نفسه، إلا أنه قيد في صالحه هو، إنه مطلب شرعي، قانوني واجتماعي.

لذلك ولغيره يقترح الباحث:

➤ تكثيف حملات التوعية والتثقيف الصحي باستخدام الوسائل المتاحة، كوسائل الإعلام والاتصال المختلفة، بضرورة الفحص وأهميته قبل الزواج وبعده، لاسيما بالنسبة لزوج الأقارب.
➤ أن يبقى الأمر مقيد بضوابط قانونية وأخلاقية صارمة، تحول دون إفشاء السر أو تحطيم أي من المقبلين على الزواج من الناحية النفسية.

من هذه الضوابط ما يلي:

● تيسير إجراءاته ومجانيته على نفقة الدولة أو على الأقل دعم نفقات إجراءه، للتغلب على سلبية العائق المادي أو التكلفة المادية الباهظة أحياناً، التي قد تحمل الكثيرين على التهرب من إجراءه أو التحايل عليه بصورة أو بأخرى.
الأمر وإن كان سيكلف الدولة أعباء مالية، إلا أنه سيعفيها من أعباء أكثر ونفقات باهظة في سبيل علاج، رعاية وتأهيل المرضى.

● الرقابة الحازمة والصارمة على المؤسسات التي سيناط بها إجراء الفحص، على نحو يكفل سلامة الفحوص من ناحية، وعلى الحفاظ على سرية النتائج إلا عن ذويها أو برضاها، كما يحول دون التلاعب أو التزوير في النتائج أو الشهادات، في ظل انتشار المجاملات والمحاباة للأصدقاء والأقارب.

المراجع

- الأشقر، أسامة عمر سليمان. (2000). *مستجدات فقهية في الزواج والطلاق*. دار النفائس.
- الأنصاري، عبد الحميد إسماعيل. (2000). *قضايا المرأة بين تعاليم الإسلام وتقاليد المجتمع*. دار الفكر العربي.
- التكروري، عثمان. (2004). *شرح قانون الأحوال الشخصية*. مكتبة دار الثقافة.
- النجيمي، محمد بن يحيى بن حسن. (2006). *الفحص الطبي قبل الزواج بين الطب والفقه*. مجلة البحوث الفقهية المعاصرة (ع 71).
- الشريف، محمد عبد الغفار. (د ت). *الكشف الإيجاري عن الأمراض الوراثية، دراسة فقهية مقارنة*. مجلة كلية الشريعة والقانون، جامعة القاهرة (ع 22، ج 01)
- الشرنباصي، رياض علي السيد، والشافعي، جابر عبد الهادي سالم. (2007). *أحكام الأسرة في الفقه الإسلامي والقانون والقضاء*. منشورات الحلبي الحقوقية.
- خليفة، محمد سعد. (2003). *المسؤولية المدنية عن الممارسات الطبية الماسة بالجنين، دراسة لحق الجنين في التعويض*. دار النهضة العربية.
- سالم، جاسم علي. (1996). *الأسرة ومرض الإيدز*. مجلة مجمع الفقه الإسلامي (الدورة التاسعة، ع 09، ج 04).
- عبد الله، حسن صلاح الصغير. (2007). *مدى مشروعية الإلزام بالفحص الطبي قبل الزواج، دراسة مقارنة*. دار الجامعة الجديدة.
- علاق، عبد القادر. (2013). *الفحص الطبي للمقبلين على الزواج، دراسة مقارنة [أطروحة دكتوراه في القانون الخاص]*. كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة تلمسان.
- عبد السلام، إكرام. (2001). *الوراثة بين الصحة والمرض*. دار المعارف.
- عارف، عارف علي. (2001). *الاختبار الجيني من الأمراض الوراثية من منظور إسلامي، دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة*.
- عثمان، محمد رأفت. (2000). *نظرة فقهية في الأمراض محل الاختبار الجيني*. مجلة المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية (الجزء 2).
- عثمان، محمد رأفت. (2005). *الفحص الطبي قبل الزواج*. جريدة اللواء الإسلامي (ع 1702).
- كنعان، أحمد محمد. (2000). *الموسوعة الطبية الفقهية*. دار النفائس.
- مهران، محمود عبد الرحيم. (2001). *الأحكام الشرعية والقانونية للتدخل في عوامل الوراثة والتكاثر*. دار النهضة الحديثة.

**THE ROLE OF DRAWING AND SPORTS WORKSHOPS IN EDUCATING
THE AUTISTIC CHILD**

Prof. Dr. BELKACEM Mohammed

Prof. Dr. BELKACEM Imane Fatima Zahra

<http://dx.doi.org/10.47832/soci.con1-3>

Abstract:

Several studies have attempted to provide solutions in order to push the autistic child to adapt to his social surroundings through what is called behavioral intervention or therapeutic educational programs such as artistic and sports workshops, etc., which aim to teach skills of various kinds in order to obtain a positive impact in the lives of these children. From this point ,this study came to shed light on the skills of drawing and sports and clarify their effective role in educating an autistic child.

Keywords: Workshop.Autism. The Drawing . Sports.

دور ورشتي الرسم والرياضة في تعليم الطفل التوحيدي


أ.د. محمد بلقاسم¹

أ.د. إيمان فاطمة الزهراء بلقاسم²


الملخص:

حاولت عدّة دراسات أن تقدّم حلولاً من أجل دفع الطفل التّوحيدي للتّأقلم مع محيطه الاجتماعي بما سمي بالتّدخل السلوكي أو البرامج التّربوية العلاجية كالورشات الفنّية والرياضية وغيرها التي تهدف إلى تعليم المهارات بمختلف أنواعها بغية الحصول على الانعكاس الإيجابي في حياة هؤلاء الأطفال. ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتسلّط الضوء على مهارتي الرسم والرياضة وتوضيح دورهما الفعّال في تعليم الطفل التوحيدي.

الكلمات المفتاحية: الورشة . التوحد . الرسم . الرياضة.

¹ جامعة أوبوكر بلقايد تلمسان ، الجزائر 

Kacem62@gmail.com

² جامعة أوبوكر بلقايد تلمسان ، الجزائر 

imane13b@gmail.com

1-1. مفهوم الورشة :

هي "مكان مُعدّ لصناعة الأشياء أو اصلاحها يدويًا : وَرْشَة إصلاح السَّيَّارات/ حِدادَة، وَرْش المعهد الفَئِّي الصَّنَاعِي" (أحمد مختار عمر، 2008، صفحة 24) "جماعة من النَّاس يشتغلون في عمل معيّن: وَرْشَة تعليم اللُّغات الأجنبيّة، وَرْشَة عمَل: حلقة دراسيّة أو سلسلة من الاجتماعات لمجموعة صغيرة من النَّاس تُؤكِّد على التَّفَاعُل والتَّعاوُن" (عمر , معجم اللُّغة العربيّة المعاصرة, 2008).

فالورشة هي اجتماع يشارك فيه مجموعة من الأشخاص محدودة الوقت، يتم من خلاله تدريس شيء ما، أو تعلم مهارات، أو تقنيات معينة، ويتم تجهيزها من قبل أشخاص لديهم خبرة والهدف منها تنمية المهارات.

2-1. أنواعها:

تعددت الورشات الخاصة المتكفلة بطفل التّوحد التي تسعى لتدريب وعلاج هذه الفئة من المجتمع وهي: ورشة الرياضة ، ورشة الفن ، ورشة القراءة والكتابة والمطالعة ، ورشة الطبخ .

سنحاول في هذا البحث الحديث عن ورشتي الرياضة والرسم وأثرهما على الطفل التوحيدي.

1-2-1. الرياضة:

تعرّف الرياضة بأنها القيام بحركات تكسب البدن قوة ومرونة. (أنيس، 2001، صفحة 282) وهي نظام إجتماعي ذو عمق تاريخي وأصل أنثروبولوجي داخل مكنون الفطرة الإنسانية، سواء كان في شكل اللعب أو النشاط المسلي أو أيّ دافع فطري مرتبط بالحركة، الرياضة داخل نواة ثقافة المجتمع. وتعني كلمة رياضة في اللغة الإنجليزية والفرنسية (Sport) في اللغة اللاتينية لفظ (Disport) أما أصل هذا اللفظ وفقاً لعلم اللغويات (Etymology) فهو (Dis port) وتعني التّحويل والتّغيير واكتسب مضمونها بين الناس من تحولهم من حالة العمل إلى حالة التسلية من خلال الرياضة.

2-2-1. أهداف ممارسة الرياضة:

تختلف أهداف كل رياضة عن الأخرى نظراً لاختلاف شكل الممارسة ففي رياضة البطولات نجد الهدف الأساسي هو تحقيق الفوز والتمثيل المشرف، وفي الرياضة الترويحية نجد أن الهدف هو استثمار وقت الفراغ في نشاط ذي قيمة أما أهداف الرياضة المدرسية فهي ذات طبيعة تربية تهدف إلى تنمية الشخصية المتكاملة والمتوازنة من الجوانب البدنية والنفسية والعقلية والاجتماعية والجمالية والخلقية. كما أنّ الرياضة تساعد أطفال التّوحد في تسهيل عملية التفاعل، ومزاولة الأنشطة البدنية والحركية مع العاديين يتيح له فرص التّعرف على خبرة وسلوك كل من المعاقين والعادين مما يساعد المعاقين في التغلب على الإعاقة وكل ذلك يساهم في تقبل المجتمع للمعاقين وتغيير نظرة المجتمع إليهم مما يساهم في انخراطهم بسهولة في المجتمع ويوفر لهم الجوفي التفاعل مع العاديين ومع غيرهم من ذوي الإعاقة (عسكر، 2019، صفحة 148).

3-2-1. أهمية الرياضة في علاج طفل التّوحد:

دائماً اللعب ما يخرج الكثير من الانفعالات والصراعات التي عادة ما تكون داخل الطفل التّوحيدي وتعمل على توتره. وهو الوسيلة التي توفر الفرصة للأطفال المعاقين لكي يشعروا بالكفاءة والفاعلية والسرور والرضا على أنفسهم

"والعلاج باللعب يهتم بحاجة الطفل للمساعدة لأنه يجد نفسه من خلال علاقته بالمعالج حيث تعتبر ساعة العلاج خبرة نمو مركزة للطفل فقد يدرك الطفل تدريجياً كيانه الشخصي المستقل ويدرك ماله من قدرات خاصة به (الشرقاوي، 2018، صفحة 393)

ويعدّ العلاج باللعب احد أهمّ مناهج العلاج النفسي للأطفال ويتم استخدامه في دراسة وتشخيص وعلاج مشكلات الأطفال باعتبار أن اللعب أداة علاجية نفسية هامة للأطفال المصابين باضطرابات سلوكية مما يساعد الطفل على فهم نفسه وفهم العالم من حوله وإقامة علاقات اجتماعية فعالة مع غيره سواء من الرفاق أو الإخوة أو الوالدين "والعلاج باللعب يعتبر فرصة آمنة غير مهددة وفي اللعب يعبر الطفل عن مشكلاته وصراعاته ومن خلالها يخرج مشاعره المتراكمة من ضغوط الإحباط وعدم الأمان مما يساعد على التّمو العقلي والاجتماعي. حيث أن اللعب هو عمل الطفل ووسيلته التي ينمو بها ويرتقي (الشرقاوي، التوحد ووسائل علاجه، 2018).

قرر (Rimland, 1988) أنّ الإثارة العقلية النشطة لعدّة ساعات يومياً يمكن أن تصلح الشبكة العصبية التي لا تعمل وظيفياً وأن التدريب الجسماني العنيف له تأثيرات إيجابية على المشكلات السلوكية، حيث أنّ 1286 من 9048 من الآباء قد أقرّوا التحسينات الناتجة عن التمارين الرياضيّة. حيث لاحظ الآباء نقص في السلوك النمطي وفرط الحركة واضطراب النوم والعدوان والقلق وإيذاء الذات كما أنه يحسن مدى الانتباه والمهارات الإجتماعية كما يقلل من سلوكيات إثارة الذات ومن الدراسات التي أشارت إلى أهميّة استخدام التمرينات البدنية دراسة التي هدفت إلى اختبار تأثير مستويين من التمارين (المشي مقابل العدو المتأني) وذلك من تقليل سلوك إثارة الذات وكشف النتائج أن نقص إثارة الذات يكون فقط في العدو المتمهل وأن هذا النقص لفترة استمر تزيد عن 21 دقيقة بعد انتهاء التدريب (الشرقاوي، التوحد ووسائل علاجه، 2018).

وللألعاب الحركيّة فوائد عديدة نذكر منها:

- تعلم القيام بحركات موحدة تساعد على بناء أجسامهم ولياقتهم.
- تعلم الاستجابة للإشارات الصوتية أو الضوئية والتمييز بينهما.
- التّدرب على تنفيذ الحركات الجسمية المرتبطة بقواعد معينة.
- إكتساب القدرة على تنفيذ لعبة فردية في وقت قصير.

1-2-4. أنواع الرياضة:

■ ألعاب القوى: هي ألعاب متعدّدة المسابقات تعتمد على السّعة والتّحمل والمرونة والرشاقة، وتشتمل على مسابقات المضمار (الجري والحواجز والتتابع)، والميدان (الرمي والوثب والقفز)، والمشي والجري على الطرق واختراق الضاحية، والمسابقات المركبة. (المؤلفين، 2001، صفحة 292)

■ ألعاب القوة: هي مجموعة من الألعاب الرياضية تعتمد على قوة الجسم في صرع إنسان آخر أو إلقائه على الأرض أو دفعه إلى الاستسلام في منافسة رياضية، وتشمل ألعاب القوة: الملاكمة، والجودو، والكراتيه، التايكوندو (المؤلفين، 2001، صفحة 289).

■ ألعاب الكرات: من أكثر الألعاب الرياضية شعبية في العالم ويمكن تصنيفها تحت اسم ألعاب الكرات أو الألعاب الجماعية أو ألعاب الخطوط والهدف وتمارس من الجنسين كباراً وصغاراً وتشمل (رياضة كرة القدم، رياضة كرة السلة، رياضة كرة القدم الأمريكية، رياضة كرة اليد، رياضة الهوكي). (المؤلفين، 2001، صفحة 297)

▪ ألعاب مائية: هي الألعاب التي يمارسها الرياضيون في وسط مائي وهي ذات اهمية لقيمتها الصحية والاقتصادية والرياضة وتشمل : الغوص، السباحة. (المؤلفين، 2001، صفحة 300)
1-4-2-1 السباحة:

عرّفها "عبد الله محمود رابعه": «هي نوع من النشاط الرياضي يتضمن التحرك في الماء باستخدام الذراعين والرجلين. والسباحة نمط شائع للترويح، ورياضة عالمية مهمة فضلا عن كونها رياضة صحية». (رباعية، 2013، صفحة 17)

اتفق كثيرون على أنّ رياضة السباحة هي رياضة الرياضات؛ فهي تعمل على تشغيل جميع المجموعات العضلية العاملة في الجسم التي نحن في أمس الحاجة إلى تحريكها بعد أن أصبحت الآلة تسيطر على الإنسان وحركته وحتى تفكيره في أحيان كثيرة، هو في حاجة ماسة إلى خلق لحظات يبتعد فيها عما يشغله ويحرك جسمه وعقله بعيدا وهمومه في هذا العصر الذي خلق كثيرا من الأمراض (راتب، 1990، صفحة 37).

- 1-4-2-2 فوائد السباحة لطفل التوحد:

ممارسة الرياضة والسباحة كلها أمور تساهم في تقدم الطفل لذا نستنتج الفوائد التالية:

- تجبر الطفل على الطاعة وتنفيذ الأوامر.
- تزود التواصل البصري تواصل الطفل مع مدربه لأخذ التعليمات.
- اكتساب المهارات الإجتماعية المنافسة المشاركة ضبط النفس وانتظار الدور الحد من الاندفاعية والتهور.
- تقليل الضغط النفسي والنشاط الزائد.
- تحسين أداء الأطفال الحركية وتنشيط القدرات الذهنية، خلق فرص تواصل وتفاعل مع المجتمع، تحسين العلاقات الإجتماعية بين الأطفال وأسرهم والآخرين الترفية والرياضة تحسين الحالة الصحية والبدنية والنفسية لهذه الفئة كما أنها تساهم في تمكين الأفراد وتعزيز تنمية المجتمعات المختلفة. (محمد، صفحة 151)

2-2. أهمية ورشة الفن في علاج طفل التوحد:

العلاج بالفن من أهم أنواع العلاج المتبع مع الأطفال التوحديين حيث يساعد على تنمية إدراكهم الحسي وذلك من خلال تنمية الإدراك البصري لديهم عن طريق الإحساس باللون والخط والمسافة والبعد والحجم، وأيضاً الإدراك اللمسي عن طريق ملامسة السطوح مثل الطفل العادي « وقد اعتبر "أرسطو" أنّ الفن وسيلة يعبر بها الأفراد عن أنفسهم أي يمكن عن طريق الفن التنفيس عن الانفعالات والمكتوبات الداخلية « ومن هنا يعتبر الفن البسيط الناجح في علاج الإضطرابات المختلفة التي يعاني منها الأفراد سواءً كبيراً أو صغاراً أو عاديين أو غير عاديين. (الشرقاوي، التوحد ووسائل علاجه، صفحة 450). وتعرّف الرابطة الأمريكية العلاج بالفن بأنه الاستعمال العلاجي للإنتاج الفني وفي حدود علاقة مهنية من قبل أفراد يعانون من مرض أو صدمة أو مصاعب في الحياة. "ومن قبل أفراد يسعون للنمو الشخصي. ومن خلال ابتكار الفن والتمتع في أنتاجه وعملياته يستطيع الأفراد أن يرفعوا من درجة إدراكهم لأنفسهم وللآخرين والتأقلم مع أعراضهم المرضية والضغط التي تنتابهم والصددمات التي يمرون بهاء فيحسنون من قدراتهم المعرفية ويستمتعون بمتعة الحياة الأكيدة من خلال عمل الفن (الشرقاوي، التوحد ووسائل علاجه، 2018).

2-2-1. أنواع الفنون:

تتمثل أنواع الفنون في الرسم ، الموسيقى والغناء ، المسرح ، الرقص.

2-2-1-1 ورشة الرّسم:

1. تعريف الرّسم: جاء في معجم الوجيز: "يقال ترسم خطأ فلأن أي قلده، والرّسام من يرسم أشكالاً، أو الصور، أو خطوطاً". (العربية، 1990، صفحة 264)

وهو نقل لمجموعة من التّعبير، والأشكال الخاصة بشيء معين عن طريق إستخدام لون واحد أو مجموعة من الألوان. فالرّسم يعد من الفنون المشهورة في جميع أنحاء العالم لذلك تحتوي معظم الدول على مدارس وأكاديميات خاصة بتعليم الرّسم وتقام سنويا العديد من المعارض التي تهتم بعرض مختلف أنواع اللوحات لرسام أو لمجموعة من الرسامين، كما تحتوي المتاحف العالمية على لوحات تعتبر ذات قيمة مادية وفنية كبيرة جداً، فالرّسم هو تعبير عن الأحاسيس والأفكار والأشياء والمواضيع بواسطة الأشكال، فالخطوط والألوان وسيلة من وسائل وأساليب التعبير لكنه يكون في بعض الأحيان عمالاً فنيا قائماً بذاته لذلك يتم تدريس الرّسم في المدارس والمعاهد الفنّية فأن الحقائق العلمية تثبت أنّ رسوم الأطفال أنماط فنية متباينة ومتعددة وأن كل نمط من هذه الأنماط يعد التعبير الحقيقي لنمط شخصية عقلية معينة عند الأطفال، (جود، 1997، صفحة 36). فهو يعكس الصورة الداخلية للفنان وفضاء للتعبير والإبداع.

2. الرّسم عند أطفال التّوحد:

الرّسم فضاء للتّعبير وماهية للتّواصل فهو مجال يمكن لأطفال التّوحد أن يبدعوا فيه لكنهم بحاجة للاستمرارية والرعاية الخاصة لإخراج هذه المواهب وتوظيفها بشكل احترافي، فالرّسم فن تعبير عن الداخل بالدرجة الأولى ويعتبر مساعد للأطفال لإخراج الأفكار الداخلية والتعبير عن الذات، فارسم كذلك وسيلة للعلاج وتطوير الموهبة المكبوتة داخل الطّفل. ومن الضروري إشراك الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة في الأمور الفنّية والثقافية لما لها من أثر عظيم على حياة هذه الفئة فيشعر الفرد أنه مرغوب فيه وقد يظهر لدى الشخص بعض الاهتمامات والهموم التي قد تضعه في أول طريق الإبداع والتطور ومن الممكن أن يكون من هذه الفئة الرسام أو المطرب أو المؤلف وغيرها من المهن التي تساعد في المستقبل علي كسب العيش علاوة علي ذلك زيادة ثقته بنفسه وشعوره أنه من الأشخاص المؤثرين في المجتمع. (محمد، ذوي الإعاقة الحركية المشاركة الوالدية والبرامج التأهيلي المجتمعي، صفحة 151).

لقد تمّ ابتكار العديد من الوسائل التّعليمية المستخدمة في تعليم الرسم لأطفال التّوحد لجذب انتباهه بهذه الوسائل، علاوة على ذلك جعله سعيداً لتلقى المعلومة، والتخفيف من القلق والاكتئاب والإحباط الذي يسيطر على الطّفل، وسوف نقوم بعرض مجموعة من الوسائل المستخدمة في تعليم أطفال التّوحد بالصور ومنها:

ملاحظة: هذه اللّعب لها علاقة وطيدة بالرّسم لأنها تحتوي على رسومات وألوان.

❖ لعبة صياد الحروف: تُسهّل تعليم حروف الهجاء والألوان في اللّغة العربيّة للأطفال، فاللعبة تجعل الطّفل يكافح من أجل صيد الحروف الصحيحة بعد سماع صوت الحرف. . وهنا الطّفل يتعلم مهارة الاستماع والتي تعدّ أوّل وأهم مهارة يتعلمها الطّفل .



الكاريكاتير يستخدم أيضا للتعبير مع كلام قليل أو دونه، عند المفارقات الفكهية والجوانب الضاحكة من حياة البشر ك نماذج عامة أو كأفراد معينين، وبذلك يتكون من الرّسم وما قد يصحبه من كلام «نكتة كاملة واضحة القسمات» (الغباشي، 2002، صفحة 363).

وغيرها من الأنواع كالرّسم التنقيطي، الكرتوني، التجريدي.

رابعًا: دور الرّسم: يكمن دور الرسم في:

- زيادة الإبداع، وتنشيط الدّماغ.

- الوصول إلى أمور لا شعورية غير ظاهرة، والتّعرّف على مشكلاته وما يعانيه الطّفل، وكذلك التّعرّف على ميوله واتجاهاته.

- معرّفة اهتمامات بموضوعات معينة في البيئة التي يعيش فيها، وعلاقته بالآخرين سواء في الأسرة أو الرفاق أو الكبار (الغباشي، 2002، صفحة 22).

- تسهيل عملية التعلم.

- طريقة لتعبير عن المشاعر والخواطر.

- تنمية الحس الإبداعي وتحسين الذاكرة.

- تنمية التفكير وتطوير الإنتاجية.

- وسيلة للتّواصل.

- تطوير مهارات الكتابة.

- الإفصاح والتّعبير عن الجمال.

وعلى هذا يكون الرّسم أداة مناسبة لإقامة الحوار وتحقيق التّواصل مع كل الأشخاص على حد سواء،،لذا يوصي بعض علماء النفس باستخدام الرّسم للأطفال المتأخرين دراسيا والذين يعانون من سوء التوافق الاجتماعي والانفعالي ومن لديهم مشكلات سلوكية، إضافة إلى ذوي الاحتياجات الخاصة الذين هم في حاجة أكبر للتعبير الفني من الأطفال غير المعاقين، خاصة ممن لديهم مشكلات لغوية. ومن ثم فيمكن أن يكون الرّسم أداة قيمة لفهم حالاتهم، وليس مضيعة للوقت والجهد كما يعتقد البعض (الغباشي، 2002، صفحة 22).

1- أدوات المعالجة الإحصائية:

اعتمدنا في هذه الدراسة على الاحصاء و على استخراج النسب المئوية: ضرب التكرار في 100 وقسمته على المجموع (25).

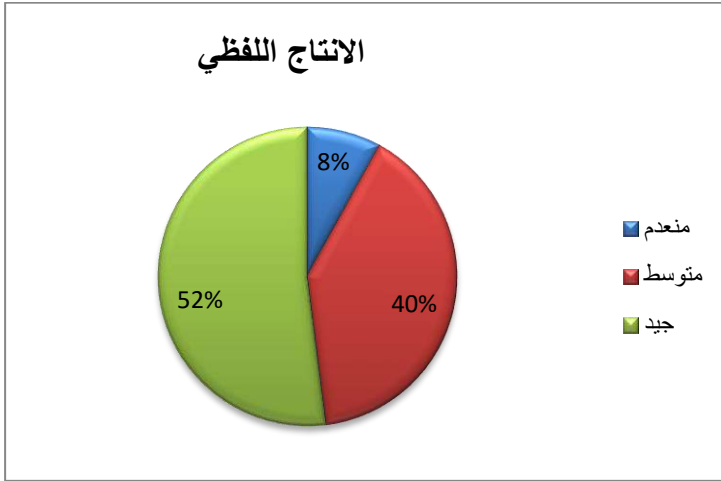
$$ت \times 100 = \frac{\text{النسبة المئوية}}{\text{المجموع}}$$

1-3. تحليل نتائج الاستبيان:

ففي الرّسم قمنا بعمليات إحصائية عن طريق مجموعة من العناصر التي تضمن نجاح وتحقيق عملية تعليم اللّغة العربيّة لطفل التّوحد، بحيث يتضمّن كل عنصر منها على نسب مئويّة تحضّلنا عليها وفق للمعلومات التي أخذت من المركز على 25 طفل.

ملاحظة: يجب الأخذ في الاعتبار أنّ كلّ حالة تختلف عن الأخرى من حيث مدّة التّعليم وسنّ الطّفل التّوحد التكرار في هذه الحالة يحدد نسبة الأطفال القادرة على الإنتاج اللفظي.

1. كم يبلغ عدد الأطفال القادرة على الإنتاج اللفظي في المركز؟



النسبة المئوية	التكرار	الدرجة
8%	2	منعدم
40%	10	متوسط
52%	13	جيد

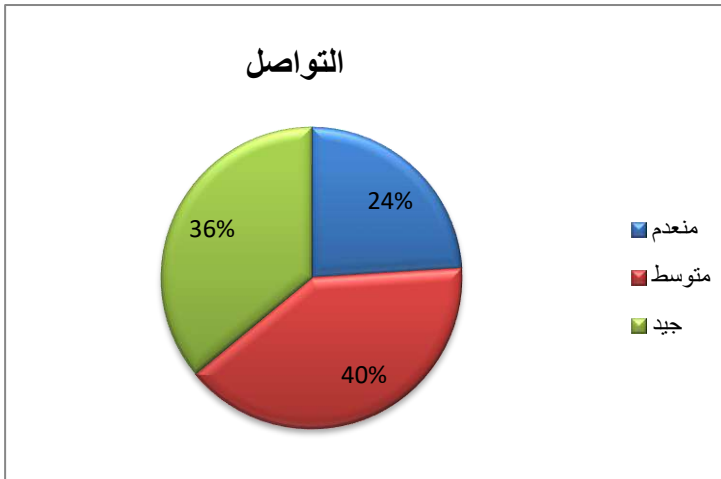
الجدول رقم (1)

الشكل رقم (01):

التعليق:

إنّ الإنتاج اللفظي مهم جدا لأنّه يعتبر أحد طرق التّعلم الصّحيح والقدرة على الكلام والتّواصل لذا قمنا في هذا السؤال بمعرفة إذا ما كانت عملية التعليم في طريقها الصحيح وتمحورت أغلبية الإجابات على أنّ القدرة الكلامية لدى الأطفال تعتبر جيدة إلى حدٍ ما وذلك رجوعا للحالة الأصليّة للأطفال فهذا يعتبر تطورا كبيرا وواضحا.

2. ما هي قدرة التّواصل لدى الأطفال؟



النسبة المئوية	التكرار	الدرجة
24%	6	منعدم
40%	10	متوسط
36%	9	جيد

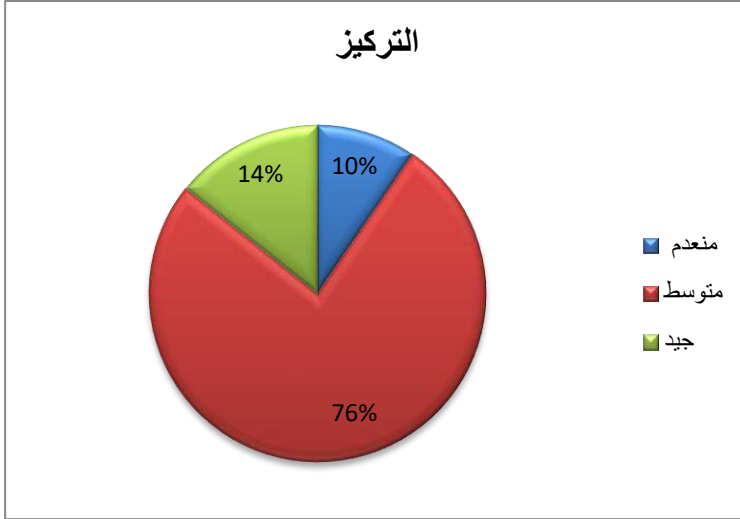
الجدول رقم (02)

الشكل رقم (02):

التعليق:

لقد تطرقنا في الفصل النظري لقدرة بعض حالات التوحد على التّواصل وعلى أهمّية هذا العنصر في التّعلم واستقبال المحصول العلمي. لذلك قمنا بسؤال العاملين في المركز على نسبة الأطفال القادرين على التّواصل ووجدنا أن نسبة المتوسط 40% والجيد 36% وأكبر وبهذا نستنتج مدى تأثير وفاعلية الورشات في نسبة نجاح العملية التعليمية، فكما ذكرنا سابقا الورشات تخلق التّواصل بين الأطفال والمختصين وتمكن فئة التوحد من تواصلهم مع محيطهم وتحسن عملية تواصلهم.

3. ما مستوى التركيز عند أطفال التوحد؟



النسبة المئوية	التكرار	
10%	2	منعدم
76%	16	متوسط
14%	3	جيد

الجدول رقم (03)

الشكل رقم (03):

التعليق:

نرى أن نسبة التّركيز جيدة إلى حد ما فاعلمت الإجابات كانت متوسطة وجيدة لكن ما يمكنني تأكيده بعد حضوري الحصص مع الأطفال أنّ معدل التركيز متوسط لأن الطفل التوحد يركز على الأشياء والمواضيع التي يحبها فهو بحاجة إلى المحقّز و المعزز التعزيز مثل حلوى أو شكولاتة.

4. ما هي نسبة التّعرف على الحروف؟



النسبة المئوية	التكرار	
8%	4	بعضها
52%	13	بعضها
40%	8	كلها

الجدول رقم (04)

الشكل رقم (04):

التعليق:

أولى الخطوات لتعلّم اللغة العربيّة تعلم حروفها عن طريق المهارات لتمكّن الطفل من القراءة والكتابة وتحصيل المعرفة، لذا وضعنا هذا السؤال وحاولنا التّعرف على مدى قدرة الأطفال على معرفة الحروف فلاحظنا أنّ نسبة تعلم نصفها أخذ نسبة أكبر وهذا يعتبر نجاحاً فتعلّم كل الحروف يأخذ وقتاً للأطفال العاديين أيضاً في مشوارهم الدّراسي.




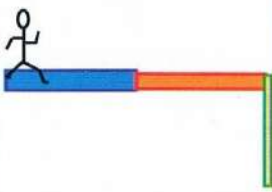
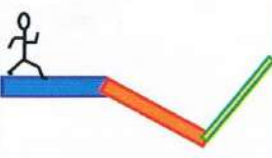

2-3.دراسة الحالات:

أولاً: الرياضة:

أهم النصائح لتعليم الرياضة:

لتعليم الرياضة لطفل التّوحد ما يلي: (البيداغوجي)

- الايجابية: وهي من أهم طرق لكسب ثقة الطفل وتحقيق عملية التّواصل بين طفل التّوحد والمختص ويكون ذلك مع التّعامل مع الطفل بحماس وإيجابية وصبر، وتواصل بطريقة محبة.
- فهم اهتمامات الطفل وقدراته وملاحظة ما يستمتع به الطفل وما يجيده. والقيام بتخصيص الأنشطة الرياضيّة وفقاً لتفضيلات الطفل ونقاط قوته، وتجنب إجبار الطفل وعدم إغراقه بالعديد من المتطلبات الجديدة في وقت واحد.
- تقسيم المهارات الرياضيّة إلى خطوات متناقلة وسلسلة صغيرة بحيث يستطيع الطفل الفهم
- والمتابعة لأن طفل التّوحد حالة خاصة.
- التكرار والعروض التوضيحية والرسومات التي تجعل الطفل مهتم بالحصص لتحقيق نتيجة ايجابية وتعزيز المفاهيم بطريقة سلسلة.
- جعل الأنشطة الرياضيّة ممتعة والاحتفال بانجازات الطفل وتوطيد العلاقة بين الطفل والمختص.
- مدح جهود الطفل وتقديمه كجيد، أحسنت، التصفيق، ومكافئة بطرق بسيطة وتجنب الانتقاد أو العقاب.
- اختيار مكان هادئ ومألوفاً للجلسات الرياضيّة، ومساحة كافية، والابتعاد عن الضوضاء العالية أو الأضواء الساطعة أو الملابس غير المريحة.
- الاتصال بالعائلة ومشاركتهم الملاحظات والتطور الذي حققه الطفل.

المربي	المدة	النشاط	المقر	الحصة	الفئة المستهدفة
	30 د	التوازن		التعليمية 01	طفيف التوحد إعاقة ذهنية
swiss ball + لعبة الفقاعات + تريبولين + الألواح					الوسائل
التوازن - تنمية وتحسين الجهاز الدهليزي -					الهدف العام
التحكم في الجسم في فضاء محدد					الهدف الخاص
مؤشرات النجاح	التشكيلات	المدة	التمارين	المراحل	
لمس الطفل للفقاعات عدم الخروج من التربولين		05 د	تدليك عام لأعضاء الجسم. لعبة الفقاعات. Trampoline التريبولين	المرحلة التحضيرية	
عدم الخروج من مسار اللوح		05 د	التمرين الأول: عارضه بطول 3م وعرض 40سم موضوعة على الأرض. المطلوب المشي عليها. المربي خلف الطفل.	المرحلة الرئيسية	
		05 د	التمرين الثاني: عارضه بطول 3م وعرض 40سم وعلى امتدادها عارضه أخرى بنفس الطول وعرض 30سم. المطلوب المشي عليهما. المربي خلف الطفل.		
		05 د	التمرين الثالث: عارضه بطول 3م وعرض 40سم وعلى امتدادها عارضه أخرى بنفس الطول وعرض 30سم وثالثة بجانبيها منحرفة بزاوية قائمة طولها 3م وعرضها 20سم . المطلوب المشي عليهما. المربي خلف الطفل.		
		05 د	التمرين الرابع: 3 عارضات بنفس الطول 3م الأولى بعرض 40سم والثانية 30سم والثالثة 20سم في مسار منكسر. المطلوب المشي عليهما. المربي خلف الطفل.		
لمس الفقاعات + عدم السقوط من swiss Ball		05 د	لعبة الفقاعات - الاسترخاء على swiss Ball	المرحلة النهائية	

خطوات تعليم الرياضة: الملاحظات المستخلصة من مقابلة الأخصائية النفسية ب. أمينة.)

- العمل على حاسة اللمس (كالتفريق بين الساخن والبارد)، أي التّمو الحسيّ الحركي بحيث يقوم الأخصائي بحركات بسيطة كتعليم الطفل المشي، الدوران، الجري والقفز مع الأخصائي للتفريق بين هذه النشاطات.
- نشاطات رياضية أولية كمشايط صور الأقدام المخالفة، أو وضع أشكال وتتبعهم للعمل على التركيز والانتباه.
- العمل على الحركات الدقيقة كوضع اللؤلؤ في الخيط للعمل على حركات الأصابع (التفريق بينهم).

❖ **الحالة الأولى:** الحالة (ج) صاحب اثني عشرة سنة 12 سنة هذه الحالة صنفت في ورشة الرياضة، استمرت مدة العلاج 5 أشهر، فمن السلوكيات قبل ممارسة الرياضة ما يلي: صعوبة في التواصل اللفظي وغير اللفظي، التكرار الحركي كتأرجح الجسم، صعوبة في إقامة العلاقات الاجتماعية مع الآخرين والمشاركة في الأنشطة، التركيز المحدود. فمبدئيًا حاولوا في المركز التأكد

من أن الطفل صحيح ويمكنه ممارسة الرياضة، والتأكد من عدم وجود مشاكل صحية، واختيار نوع الرياضة المناسب، البدء بممارسة تدريبات بسيطة وسهلة وزيادة الصعوبة تدريجيًا، حتى يتمكن الطفل من التأقلم والتكيف مع مستوى النشاط الحركي الذي يشارك في كما يستخدم المدرب الأوامر البسيطة لتوجيه حركة الطفل للمتابعة ف التدريبات، فمن المهارات المكتسبة من الرياضة: الرياضة فعالة في تحسين سلوك الأطفال التّوحد وأداة إضافية لتعزيز العلاج اللغوي وتحسين نتائجه.

وهناك العديد من السلوكيات التي اكتسبها: تحسن القدرة على التركيز فالرياضة تحتاج إلى تركيز وانتباه للأداء الجيد، تنظيم الحركة بشكل جيد، تحسن اللياقة البدنية مما يؤثر إيجابيًا على الصحة ومما يساعد على تحسين النوم والتغذية والتحمل العام.

لذلك يمكن تصنيف المهارات المكتسبة كالتالي:

المهارات التّواصلية	المهارات اللّغوية	المهارات الحركية
- تعزيز الثقة والتّواصل الاجتماعي. - تعزيز المهارات اللفظية وغير اللفظية.	- تعزيز المهارات المتعلقة بالرّسم والكتابة. - تنمية الذاكرة. - التمييز بين الأشكال. - معرفة الألوان.	- تحسن في اللياقة البدنية. - ضبط فرط الحركة. - تطور في المهارات الحركية. - المرونة الحركية.

ثانياً: الرّسم:

نصائح عامة حول تعليم الرّسم: الملاحظات المستخلصة من مقابلة الأخصائية النفسية ب. أمينة.)

- تقييم المستوى الحالي لمهارات الرّسم لدى الطفل وذلك بقياس العقلي والنفسي للطفل: مستوى الذكاء، القدرة على التذكر، الانتباه، التفكير، المواهب الخاصة، سمات الشخصية (الثقة بالنفس، الاستقلال الذاتي، القلق، الشعور بالدونية) والمهارات الحركية وذلك لتخطيط لأي خطوة قبل البدء في أي تعليمات.
- تقسيم عملية إلى خطوات سلسلة بسيطة كالأشكال والخطوط والتنقيط بحيث يستطيع الطفل الفهم والمتابعة.
- استعمال الصور ومقاطع الفيديو لتوضيح كيفية الرّسم واختيار الألوان التي يفضلها الطفل لتسهيل عملية تعليم الرّسم وضمان فهم الطفل.
- تقديم تعليمات واضحة: كن محددًا وواضحًا في تعليماتك، استخدام لغة بسيطة ولغة يستطيع الطفل فهمها وتجنب مصطلحات صعبة.
- العمل على تنظيم الوقت والحصص وتجنب انقطاع الطفل أو التغيب إلا في الحالات الخاصة لأنقد يؤدي ذلك إلى نسيان الطفل واختلاط الأمور لديه.

- تشجيع الطفل على التعبير وإعطائه أحيانا الحرية في اختيار الرّسم الذي يريده للتعبير عن ذاته ودواخلها.
- مدح جهودَ الطفل وتقديمه وإعطائه المكافآت الصغيرة، لتشجيع الطفل على الرّسم.

- طرق تعليم الرّسم:

- في البداية مساعدة الطفل في الحركة الجسدية وذلك في استخدام أجسام ورسومات ويقوم الطفل على المشي على خطوط أو دوائر مرسومة على الأرض وذلك عن طريق القفز.
- الرّسم على الرمال أو تتبع الأحرف الخشنة وذلك لتدريب كل مسار على جهة والعمل على النحو الحسيّ الحركي.
- رسم خطوط ومحاولة الاتصال بينهم.
- الرّسم باللوح الكبير للعمل على تكييف المهارات الحركية. تقليد ما يفعله الأخصائي.
- تفكيك مراحل الرّسم والعمل على وضع أصوات في نفس وقت الرّسم للتعبير عما نقوم به لتوجيه وتحفيز الطفل ك: أووووه، بلوو بلوو، بيك بيك بيك، فمثلا: دلالة صوت: بلوو بلوو ← صوت المطر.
- التشجيع، التحفيز، الإيجابية، كسب ثقة الطفل.

❖ الحالة الثانية:

حالة (أ) صاحب 20 سنة استعملت الأخصائية برنامج Teach استقبلته في ورشة الرّسم استمرت مدة العلاج من 22 سبتمبر 2022 إلى الوقت الحالي ومن المشاكل التي واجهتها الأخصائية أثناء تقديم الأنشطة: قلة التركيز، نقص الإدراك، نقص في تنفيذ الأوامر، فرط الحركة، نقص على المستوى الشفهي والكتابي، قلة التّواصل السمعي والبصري، نقص المهارات فأولا تابعت أخصائية نفسية لضبط السلوك لمدة خمس حصص وعملت في هذه الحصص على تمارين تركيز الانتباه، العمل على المهارات المعرفيّة (الإدراك، التركيز، والذاكرة). فلقد اكتسب الطّفل سلوكيات جديدة بعد متابعة الأخصائية مثل اللفظية وغير اللفظية: كالّتواصل، الإدراك، الانتباه، فهم المعاني، أما الحركيّة: كمسك القلم. فمن التمارين التي اعتمدها الأخصائية: تمارين الأشكال، الرسومات، حركات اليدين، تنسيق الأشكال وترتيبها لتحسين المهارات التّواصلية، البصرية والحركيّة.

❖ الحالة الثالثة:

الحالة (ب) صاحب 14 سنة استقبلت هذه الحالة في ورشة الرّسم للحالة بحيث استمرت مدة العلاج 5 أشهر ومن المشاكل التي واجهتها الأخصائية أثناء تقديم الأنشطة: نوبات بكاء، فرط في الحركة، قلة التركيز، نقص الإدراك، نقص في تنفيذ الأوامر، فرط الحركة، نقص المهارات المعرفيّة والتّواصلية لذلك استخدمت المختصة طرقها في التحكم في تصرفات الطّفل كالتعزيز الإيجابي، تقديم ملاحظات حول ما فعله بشكل جيد، والتحفيز على التعلم. فمبدئيا حاولوا في المركز على تنمية القدرات الأولية والضرورية للتعلم كالعمل على المهارات المعرفيّة (الإدراك، التركيز، الذاكرة). فلقد اكتسب الحالة (ب) سلوكيات جديدة بعد متابعة الأخصائية: التحكم ففرط الحركة، وتحسين التنسيق والقدرات الجسدية. كما لوحظ أيضا تحسن واضح في المهارات التّواصلية والحركيّة واللّغوية .

لذلك يمكن تصنيف المهارات المكتسبة للحالة (أ) والحالة (ب) كالتالي:

المهارات الحركية	المهارات لغوية	المهارات تواصلية
<ul style="list-style-type: none"> - رفع القلم. - تحريك الأصابع. - الإشارات. - تنسيق وتحسين القدرات الجسدية والحركية للأصابع. - تقليل مستويات القلق والتوتر. - تحسن في السلوك والاحتكاك الاجتماعي. 	<ul style="list-style-type: none"> - التّعرف على الحروف. - كتابة الحروف. - التّعرف على الأشكال والرسومات. - القدرة على القراءات البسيطة. - كتابة الاسم. - تعلم التنقيط والربط بينها. - القدرة على الكتابة والرّسم. - التّعرف على الألوان. - تحسن في المهارات اللغوية (القدرة على الاستماع والتحدث والقراءة). - التّواصل مع المختصة والتفاعل الاجتماعي مع ممّن حوله. 	<ul style="list-style-type: none"> - استعمال الإشارات من أجل طلب الأشياء. - الاحتكاك مع الأطفال. - القدرة على التّواصل. - قدرة الفهم. - التّواصل وطرح الأسئلة. - التحية والسلام. - تّواصل بصري. - زيادة الثقة بالنفس. - تحسن في المهارات الإجتماعية.

استنتاج:

التركيز والانتباه هما عاملان أساسيان في تعلم اللغة وتحسين التناسق الحركي فرمي الكرة، القفز والركض يمكن أن يساعد على تحسين التناسق الحركي. كما تساعد التمارين الرياضيّة على تحسين المزاج والتخفيف من التوتر وتحسين التّواصل والتفاعل الاجتماعي، الذي يعززه الرياضة. حيث يتطلب التّواصل والتفاعل الاجتماعي استخدام اللغة بشكل فعال، وتطبيق المهارات اللغوية المكتسبة.

الخاتمة :

خلص البحث إلى النتائج التالية :

- ورشتي الرّسم والرياضة فضاء للتعبير وماهية للتّواصل وإخراج الإحباطات الداخلية.
- ورشتي الرّسم والرياضة تهيئ طفل التّوحد وتبسط له عملية التعلم بالرغم من صعوبته عليه ويمكن أن يكون فرصة للتعرف على أطفال آخرين والتفاعل مما يعزز في التّواصل والتفاعل الاجتماعي.
- ورشتي الرّسم والرياضة تعمل على تنمية المهارات بكل أنواعها من تواصلية ولغوية وحركية.
- للرسم والرياضة طرق خاصة لتعليمها لذا لا يمكن لأي شخص أن يعتمد في تعليمها دون الرجوع إلى مختّصين وأهل المجال.

قائمة المصادر والمراجع :

- إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط (ج2)، تحقيق: عبد الحلیم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الأحمد، دار الفكر، ط1، 2001.
- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008.
- أسامة كامل راتب، التّمو الحركي، دار الفكر العربي، القاهرة مصر، (د.ط)، 1990.
- شعيب الغباشي، صحافة الأطفال في الوطن العربي، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2002.
- طارق عامر، الطّفل التّوحيدي، دار اليازوري العلمية، ط1، 2008.
- مجمع اللغة العربية، معجم الوجيز، مصر، (د.ط)، 1411هـ-1990م.
- محمود عبد الرحمان الشرقاوي، التّوحد ووسائل علاجه، دار العلم والإيمان، ط1، 2018.
- مجموعة مؤلفين، الموسوعة العربية العالمية مجلد الثالث، دار الشريعة الموسوعة العربية، ط1، 2001.
- محمد عسكر، علم النفس الرياضي، ماستر للنشر والتوزيع، ط1، 2019.
- إسلام عبد الرحمان محمد، ذوي الإعاقة الحركية المشاركة الوالية والبرامج التأهيلي المجتمعي، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ط)، (د.ت).

**SABBAT AL HOUT WITH IMPERIALISM IS ONE OF THE URBAN AND POLITICAL
FEATURES OF ALGERIA IN THE OTTMAN ERA**

Prof. Dr. Hayet MEKKI

<http://dx.doi.org/10.47832/soci.con1-4>

Abstract:

Sabbat eh hour is considered one of the sabbat's that were occurred as a result of purely political factors as it holds the critical agent's hall in the ottman period.

Therefor sabbat is the only example that contains a memorial inscription as well as a vegetarianism and geometric décoration « ornaments » ;and it attracts people to drink from a fountain that was a created in a wall.

This sabbat has a political and a security role in protecting the critical agent and preserving the interest of the naval's officers.

Keywords: Al Sabbat , Shed ,The Normal Permissible , Covered Corridor,Limestone.

ساباط الحوت بالأميرالية من المظاهر العمرانية و السياسية بمدينة الجزائر في العهد العثماني

أ.د. مكي حياة¹

الملخص:

يعتبر ساباط الحوت من الساباطات التي أحدثت نتيجة عوامل سياسية بحتة كونه يحمل قاعة وكيل الحرج في الفترة العثمانية، حيث انه يقع على شاطئ البحر بالاميرالية، وبداخله يتجمع السجناء، ويقام بتعذيبهم. هذا والساباط النموذج الوحيد الذي يحتوي على كتابة تذكارية، كما احتوى على زخارف نباتية وهندسية، وبجنب هذا الساباط وجدت عين للشرب، أحدثت بالجدار. أدى هذا الساباط دورا سياسيا وامنيا في حماية وكيل الحرج والحفاظ على مصالح افراد الضباط بالبحرية آنذاك .

الكلمات المفتاحية: الساباط ، السقيفة، الجائز العادي، الممر المسقوف، الحجر الكسي.

¹ ID جامعة زيان الجلفة ، الجزائر
cham.hayet@gmail.com

1- مدينة الجزائر خلال العهد العثماني:

كان لظهور العثمانيين بالجزائر دور فعال في إنقاذ البلاد من احتلال إسباني، لذا قبل السكان بالانطواء تحت لواء الخلافة العثمانية بإسطنبول بعد أن استنجدوا بالأخوين عروج وخير الدين (عبد القادر (نور الدين)، 2006م، صفحة 234)، فرابطة الدين هي الدافع الرئيسي لهذا الانضواء، خاصة أن الصراع آنذاك كان قائما بين المسلمين والصلبيين، فقد بدل العثمانيون جهودا تحفظ لهم في التاريخ من اجل حماية الجزائر من التهديدات الاستعمارية طوال ثلاث قرون (نور الدين (عبد القادر)، 2006م، صفحة 47)، فتعتبر الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر الحديث فترة مهمة، فهي بغض النظر عن المدة الزمنية التي إستغرقتها والتي تزيد عن ثلاثة قرون (1516-1833م)، إلا أنها قسمت إلى عدة مراحل (صالح (فركوس)، صفحة 104) بدايتها كانت عند قدوم عروج إلى الجزائر بعد استنجد أهالي البلاد به لطرد الأسبان، ومن حسن حظهم انه في الوقت الذي طلبوا فيه النجدة من عروج وصلته إغانات وإمدادات عسكرية ضخمة من السلطان سليم العثماني تتمثل في أربعة عشر سفينة حربية محملة بالمقاتلين وأسلحة وذخائر وتجهيزات حربية متنوعة. (ناصر الدين (سعيدوني)، 1984م، صفحة 9)

فدخل العثمانيون مدينة الجزائر في مطلع القرن السادس عشر للميلاد وهي فترة حرجة كان مسلموا الجزائر منقسمين إلى أحزاب وشيع، والخطر الإسباني الذي كان يهدمهم من جهة أخرى، حيث لبي عروج نداء الأهالي وصل البلاد أواسط سنة 1516م إلى المدينة عن طريق البحر مع أول شحنة عثمانية تدخل الجزائر، حيث كانت المدينة تحت حكم سالم التومي المنحدر من قبيلة الثعالبة، ثم لحقه أخوه خير الدين رفقة 280 عثمانيا، بمعدات حربية حديثة و سفن أخرى تحت قيادة أخيها إسحاق (علي (خنوف)، 2007م، صفحة 62)، فاستقبلهما الأهالي وأعيان البلاد، و بقيا في ضيافتهم عشرين (20) يوما لدرس الخطة التي تمكنهما من الهجوم على العدو، وبعد أن حددا وقت الهجوم توجهوا إلى القلعة واستولوا عليها، وأخذوا جميع ما بها من مراكب وقتلوا جميع الجنود الأسبان و بعدها اختلفا مع حاكم الجزائر أدى إلى قتله (حليبي (عبد القادر علي)، 1972م)، وقيل أن عروج خنقه في حمام داره ثم نصب نفسه ملكا على الجزائر، وأعلن توليه الحكم، ولم يلق معارضة من جانب الأهالي. (مسعود (مجاهد)، 1963، صفحة 79).

و أصبحت الجزائر عاصمة المغرب الأوسط عام (1518م) تحت قيادة "عروج" وأخوه "خير الدين" والذي انضوت الجزائر في عهده تحت لواء الدولة العثمانية وهكذا أصبحت الجزائر تمثل الإمبراطورية العثمانية في حوض البحر الأبيض المتوسط (michelle nadia dib, 1985, page 7) مقابل ضريبة معينة تدفعها سنويا إلى الباب العالي في إسطنبول، فازدهرت المدينة في فترة ازدهار الدولة العثمانية، و ضعفت المدينة بضعف الإمبراطورية العثمانية. (عبد القادر (حليبي)، ص170)

و بعد أن استقر عروج بمدينة الجزائر بايعه أهلها أميرا على الجهاد، فاتفق المسيحيون على القضاء عليه، فعزمت إسبانيا الهجوم على المدينة، لكن انتصر الجيش العثماني، ما أدى إلى توسيع رقعة الدولة وإنهاء عصر الفتن والاضطراب (أحمد توفيق، 1976، صفحة 183، 179)، فكان العثمانيون يمثلون الجيش والسلطة المركزية أما الجزائريين فيجمعون الضرائب. (Ravéreau, 1970, page 39)

و قد توفي عروج في معركة بتلمسان بعد مؤامرة من طرف حاموا رابي وإسبانيا من اجل الجزائريين، ورغم ما كان لهذه الوفاة من أثر على الجزائريين إلا أنهم لم يستسلموا واصلوا المعركة بعده إدراكا منهم بان القائد عروج لم يكن يريد السلطة وإنما كان يريد جزائر قوية.(علي أجقو،2003، صفحة 18،21).

و كان خير الدين بعد استشهاد أخيه عروج قد أعلن تبعيته للسلطان العثماني ليس لأنه كان من اصل عثماني، و لكن لان الخلافة كانت تعتبر أكبر دولة إسلامية تحمي المسلمين (صالح فركوس، 2005، صفحة 105)، كما تعرض خير الدين إلى العديد من الصعاب و خاصة عند مقتل أخيه سنة (924هـ/1518م)، فتودد إلى أعيان و علماء الجزائر من أجل استقرار البلاد (زكية راجعي،2007، صفحة 13)، و كان عروج يوم استشهاده يبلغ الخمسين من عمره، و لم يترك من بعده ذرية، و بقي

خير الدين هذا البطل العظيم الذي كان أسطورة في البحر، فانشأ دولة قوية و عظيمة.(أحمد توفيق ، صفحة 193،194).

فبتعيين خير الدين كأول حاكم عثماني على الجزائر من طرف السلطان العثماني صار يلقب "بايلرباي" و أصبحت الجزائر إحدى ولايات الخلافة العثمانية و يحسب لها ألف حساب.(صالح فركوس،2005، صفحة 105)

فمنذ أن فتح العثمانيون شمال إفريقيا في القرن السادس عشر و الجزائر خاضعة لحكام إقليميين يحملون ألقاب "باشا" و "بأي" و "داي" و يتمتعون بقسط من الاستقلال عن الحكومة المركزية بإسطنبول.(كارل بروكمان، 1986، صفحة 619)

أول عهد هو عهد البيلربايات (1518-1587م) فبعد إلحاق الجزائر بالخلافة العثمانية أصبح خير الدين يلقب بالبيلرباي أي باي البايات "خير الدين بك"، و لقد تميزت هذه المرحلة بالتفوق و الانتصارات السياسية، و استطاع بايلربايات الجزائر تحقيق الوحدة الإقليمية و السياسية امتدت إلى كل الجهات و القضاء على الإمارات المحلية مثل المتواجدة بتلمسان....(صالح فركوس،2005، صفحة 109،107) ، و كان الحكام في هذا العهد تحت طاعة السلطان العثماني (نور الدين (عبد القادر)،2006م، صفحة 99)، و استطاعت الجزائر بفضل أسطولها البحري القوي أن تفرض نفسها على الدول الأوروبية و ترغمها على دفع إتاوات مقابل الأمن و السلام في حوض البحر المتوسط، و أثناء هذه الفترة تم تقسيم الجزائر إلى عدة بايلكات.(صالح فركوس،2005، صفحة 115،109)

أما العهد الثاني فهو عهد الباشاوات(1587- 1659م) و في هذه الأثناء كانت الدولة العثمانية تعاني من حروب الإمبراطورية الإسبانية، و لقد كان لأبناء خير الدين: حسن باشا و علج علي آفاق سياسية واسعة فغيرت الدولة العثمانية منصب بايلرباي إلى وظيفة باشا، و جعلت مدة حكم الباشا ثلاثة سنوات (نور الدين (عبد القادر)،2006، صفحة 112)، و لقد تزايدت الصراعات على الحكم فازدادت مخاوف الدولة العثمانية من انفصال الجزائر عنها، و تميزت هذه الفترة باشتداد الصراع بين القوة العسكرية و طائفة الحكام لان القوات الانكشارية كانت تتطلع إلى الحكم و السيطرة.

عهد الآغاوات و هو العهد الثالث (1659- 1671م)، ازداد في هذه الفترة الوضع سوءا و تمادى إلى الاغتيالات و التآمرات في أوساط الحكام و هذا ما أدى إلى خسائر جسيمة تعرضت لها الجزائر خاصة تلك الخسارة التي تكبدتها في أساطيلها بسبب هجمات الأوروبيين عليها، و لقد كانت مهمة الآغا هي محاولة الانفصال عن الدولة العثمانية و الاستقلال

I. International Century Congress for Social Sciences

بالجزائر، و لقد ألغى هذا العهد بمقتضى قرار الديوان و قام باستبداله بنظام جديد و هذا بعد اغتيال علي آغا عام 1671م فكان هذا العهد قصيرا توالى عليه أربع أغوات.

عهد الدايات (1671-1830م) و الدايا يضل دايا طوال حياته دون أن يعين خليفة من بعده و كان هذا العصر هو الآخر مليئا بالثورات و المؤامرات رغم أن خزينة الدولة استطاعت أن تسد العجز الذي كانت تعاني منه.(صالح فركوس، 2005، صفحة 126، 132)

بعد جهاد و حكم شاقين داما طويلا كانت خاتمة الدولة العثمانية بمدينة الجزائر هي الاحتلال الفرنسي لها عام 1830م رغم ثبات حكماها و الدفاع عنها و عن كرامتهم، إلا أن هذا الاحتلال كان قاسيا لأنه لم يكن مرتقبا.(محمد فريد بك، 1981م، صفحة 721)

فلا شك أن دخول مدينة الجزائر تحت حكم العثمانيين، كان بمثابة إنقاذ لها من الاحتلال الاسباني، و قد تمتعت البلاد في ظل هذا الحكم و لفترة طويلة بمكانة مرموقة و هيبية، و أدى تدهور الحال و تفاقم الأوضاع و الصراعات و النزاعات إلى سقوط الدولة و ضعفها و استغلت فرنسا ذلك الوضع لإقامة علاقات دبلوماسية مع الجزائر بهدف احتلالها (إبن منظور، صفحة 747)، و حدث ذلك بالفعل و أصبحت المدينة بيد الفرنسيين يوم 05 جويلية 1830م بعد توقيع معاهدة الاستسلام من طرف الدايا حسين، آخر حكام الجزائر في الفترة العثمانية.

2- الدراسة الوصفية:

2-1- ساباط الحوت: (أنظر اللوحة رقم (01)).

2-1-1- الموقع: يقع بالأمرالية، بالقصبة السفلى.

2-1-2- المقاسات:

الطول: 18.37 م، العرض: 7.10 م، الارتفاع: 4.70 م

● مقاسات المدخل الأول من الجهة الشمالية و الذي يمتد لبرج السردين:

- العرض: 4.47 م؛

- الارتفاع: 4.80 م.

● مقاسات المدخلان الشرقيان المطلان على البحر: (أنظر الشكل رقم (01))

1- مقاسات المدخل الجنوبي:

- الارتفاع: 5 م؛

- العرض: 7.70 م.

2- مقاسات المدخل الشمالي:

- الارتفاع: 5 م؛

- العرض: 4.25 م.

● مقاسات المدخل الفرعي من الجهة الجنوبية:

- الارتفاع: 4.75 م؛

- العرض: 6.90 م.

● مقاسات المدخل الثاني من الجهة الشمالية الشرقية و الذي يمد للرصيف الشمالي:

(أنظر الشكل رقم (02))

- الارتفاع: 4.95 م؛

- العرض: 5 م.

2-1-3- التسمية:

سمي بساباط الحوت لأنه نقشت عليه أسماك. (A.), Devoulx, 1865, page 448).

2-1-4- وصف المراجع الأجنبية:

يصف كلاين ساباط الحوت حيث يعرفنا بتاريخ مقر القبطان راييس إلى 1826م، حيث بني الساباط بأعمدة ضخمة، كانت تدعم مبنى مقر القبطان، بني الساباط بأحجار رومانية، كما بنيت المخازن المجاورة له في سنة 1814م، تحت إشراف الحاج علي، كما تدل الكتابة المنقوشة الموجودة فوق باب مدخل مصلى هذا الحي في عهد الحكم "حسين"، ساحتها ذات الأعمدة كانت تحتوي على أربعة عيون و الكشك حيث كانت تنعقد الجلسات مع القنصل كان محاطا بشباك، بالقرب من هذا المبنى فوق عين علي بابا، كان يقع منزل و كيل الحرج، أو وزير البحرية أما المحل فهو يشكل بنفس الوقت المخزن و المطبخ و المقهى، هناك حيث يقف الأسرى الصغار، أما الغرفة العلوية فهي مزينة بزراي و أرائك (وسادات)، كما يوجد هناك البعض من تبغ الغليون، يدير الوزير الأعمال حيث يعطي الأوامر لتوزيع المواد اللازمة للبناء، و للتسليم و للحفاظ على النظام بين العبيد، الذين يضربهم التركي حتى الإغماء، كما تحتل مقرات القبطان راييس و وكيل الحرج الذي أعطى للمبنى داخله و خارجه منذ ثلاثين سنة، حيث نلاحظ أعمدة من رخام، سقف من خشب منقوش و مزخرف، جبس منحوت، و القبة المزخرفة بالفندق الكبير، حيث تظهر باللغة العربية أسماء الأميرالات: دي كاسن، تورفيل، ديستري و دي بري (Klein, 1937, page 119)، كما وضعت بمدخل الساباط كتابة تحت شرف حسين و الذي أعطى للساباط قواعد رباعية الزوايا مع تقويسات مرتبطة ببعضها البعض، نوافذ هذا المبنى تقابل البحر، و قبة مرتفعة نحو السماء، و لذلك فالمبنى محل للأميرالات أبطال الغزوات حيث الفندق الذي يعجز اللسان عن وصفه، و تصميمه لوحة فنية تفوق كل مدح و تاريخ اكتماله سنة 1242هـ (1826-1827م)، (Ibid, page 120). (أنظر اللوحة رقم (02)).

كما قام كولان بترجمة الكتابة الموجودة بمدخل الساباط، إلى اللغة العربية هذا نصها:

إن الحاكم سلطان الجزائر هو الذي أقام هذا البناء، إن حسين باشا وجه الرحمة قد أولى عنايته لهذا البناء، أن الله يحب الجهاد المتواصل من أجل مقاصد صافية صفاء اللؤلؤ لينصرن الله لواء الحق دائما، لقد أعطى لهذا البناء

أساسا مربعا بأقواس متصلة بعضها ببعض و رغبة في أن يبقى هذا البناء صرحا أقامه هذا الرجل الكريم بنوافذ مواجهة للبحر و قبة تشق عناء السماء، إن هذه هي دار أمراء البحر: أبطال الجهاد الفاتحين، و بما أنه تم ابتكار نموذج جديد فقد تم تشييد هذا الجناح يعجز اللسان عن وصفه و الذي يعتبر تصميمه تحفه تفوق كل ثناء، اذكر تاريخه ما أجمل شيء أراد الله و الله هو الذي أكمله سنة 1242 هـ "الموافق لسنة 1826-1827 م"

(Colin, 1901, page 232)

2-1-5- الساباط من خلال الوثائق الشرعية: (انظر الوثيقة رقم 01)

تشير وثيقة شرعية عثمانية (وثائق المحاكم الشرعية، علبة 56، وثيقة رقم 1/39)، إلى إيجار دار موجودة بساباط الحوت و أشارت الوثيقة إلى موقع هذا الساباط بالبنيون، كما ذكر مبلغ الإيجار و الذي قدر ب 140 فرنك، كما ذكر التاريخ بربيع الثاني سنة 1258 هـ، و الوثيقة بخط مغربي متوسط.

2-1-6- الوصف:

يقابلنا ساباط الحوت مباشرة بعد اجتياز رصيف خير الدين بالاميرالية، (أنظر المخطط رقم 03)، و شكل الساباط مستطيل، حيث أنه يحمل طابق واحد، المتمثل في فندق و وكيل الحرج (وزير البحرية) أو وزير المالية، كما ذكره إسكرو حيث كان داي الجزائر و المعين من طرف الوجود، يدفع الجزية مقابل التنصيب، و كانت سلطته تتميز بالانقلابات، و كان يعمل مرفوقا بديوان يتشكل من وزير البحرية أو وكيل الحرج، فهذا الأخير كانت له سلطة، و كان رياس البحر أو قادة السفن يشكلون إتحاد قوي يمكن للداي أن يعتمد عليهم، و الفوائد المالية التي تعود من بيع السلع و التجارة و سوق العبيد يتقاسمها الرياس و الدولة، و الداي لايمكنه التخلي عن هذه العائدات. (Esquer , 2008, p. 9.10)

و بذلك تكون الناحية المالية بيد هذا الوكيل بشكل كبير بالإضافة إلى أن وكيل الحرج كان مدعما بصلاحيات هامة تمس صناعات السفن و الأسلحة و غنائم البحر حيث كانت جميع القضايا التي لها علاقة بالتجارة الخارجية، كانت ترفع و تحاكم أمامه، و بعد ذلك يصعد إلى قصر الباشا ليقدم تقرير إخباري للداي بما يخص جميع نشاطات اليوم، كما كانت البحرية نقطة دفاع ضد الهجمات المتعددة البحرية ضد الجزائر، حيث كانت المهام المسندة للبحرية متعددة وخطيرة، و بذلك كانت القاعدة الدائمة للجيش. (Moulay Belhamissi, 1986, page 91, 107)، هذه الأهمية التي يشكها و وكيل الحرج من حيث الدفاع و الصناعة التجارية، من صناعة السفن و تحكمه بالناحية المالية، سنرى ضرورة كل ذلك في الفصل الآتي و مدى تأثير هذا على تطور الساباط، و كيف أنه كان مختلفا عن باقي الساباطات الأخرى.

يقوم الساباط على أعمدة ضخمة مبنية بحجارة رملية مصقولة مستطيلة الشكل، صلبة جدا، على شكل حدود الفرس (أنظر مخطط رقم 04)، السقف متقاطع الأقبية، يستند على تسعة أعمدة، تتراوح أضلاعها ما بين 0.90 مترا و 4.40 مترا، و يصل ارتفاعها ما بين 4.50 مترا إلى 5.20 مترا، أما البعد بين هاته الأعمدة يقدر ما بين 4.10 مترا إلى 7.70 مترا، عند أعلى المدخل الجنوبي الساباط و من جهة اليسار نجد كتابة تذكارية تاريخية، هذه الكتابة تشير أن هذا الساباط كان قائما على أعمدة مربعة، و هذا ماكان يتنافى مع ما ذكره كلاين عند وصفه للساباط، و بعد أخذ المقاييس تبين أن

الأعمدة ذات شكل شبه منحرف، و لا يكاد يكون مربعاً إلا بعضاً منها، فعند قياس العمود الأول عند المدخل الجنوبي للسباط أين و جدت الكتابة، و جدنا القياسات كالتالي:

-مقاسات العمود الأول للمدخل يقدر ما بين 0.90 متراً و 1.25 متراً؛

-مقاسات العمود الثاني للمدخل يقدر ما بين 0.90 متراً و 2.12 متراً؛

-مقاسات العمود الثالث للمدخل يقدر ما بين 1.15 متراً و 2.25 متراً.

-هاته الأعمدة الثلاثة في نفس الجهة لمدخل السباط من الجهة الجنوبية.

-بالنسبة لمقاسات الأعمدة الثلاثة و التي نجدها بوسط السباط:

-مقاسات العمود الأول ما بين 1.40 متر و 4.40 متراً.

-أما بالنسبة لمقاسات العمود الثاني و الذي يتوسط السباط، تقدر أضلاعه ما بين 1.30 متراً و 3.65 متراً.

- أما فيما يخص مقاسات الأعمدة الثلاثة للسباط و التي تكون بجهة محاذية للبحر فمقياس العمود الأول و الذي يشكل المدخل الأول من جهة الشمال و الذي يؤدي بدوره للرصيف الشمالي أضلاعه تتراوح ما بين 1.72 متراً و 2.49 متراً، أما أضلاع العمود الثاني فتتراوح ما بين 2.15 متراً و 2.55 متراً.

- بالنسبة لأضلاع العمود الثالث فتتراوح ما بين 2.20 متراً و 2.40 متراً.

- و على يمين هذا اللوح الرخامي و الذي يحمل بداخله الكتابة التذكارية و التاريخية نجد لوحاً اصغر بدوره ينقسم إلى أقسام ثلاثة:

- القسم الأوسط منه نجد به الهلال رمز و شعار الدولة العثمانية، داخله نجد زهرة البنفسج أو زهرة "الللة" و هي من زخارف متواجدة بكثرة في العهد العثماني.

- و القسم الأيمن و الأيسر بهما يد مفتوحة أو يطلق عليها بالعامية "الخامسة" و التي تقي من العين و الحسد حسب المعتقدات التركية.

- أعلى هذا اللوح نجد نجم سداسي بداخل دائرة و المتكون من مثلثين متداخلين يشكلان نجمة ذات ستة رؤوس، كما نجد على يمين المدخل الجنوبي للسباط لوح مماثل للوح الأصغر و الذي وجدناه يسار نفس المدخل للسباط، عليه نفس الأشكال التي وجدناها باللوح الأول، يختلف عنه فقط في وجود النجمة السداسية.

- يحمل السباط طباقاً واحداً و المتمثل في فندق و كيل الحرج و هو مسكن مربع الشكل فتحت بجداره الجنوبي أربعة نوافذ تطل على البحر، أما بجداره الغربي فقد فتحت نافذتان على يمين الباب، و على السطح قبة مثمثة الشكل، بها أربعة نوافذ صغيرة بها زجاج ملون يختلف من نافذة لأخرى، و بالجدار الشرقي نلاحظ نافذتين بالجنوب من دار و كبا الحرج، و الذي تغيرت كل معالمه و لم يبق على حاله دون تغيير العين الجدارية التي توجد بالجدار الجنوبي و التي تسمى العين البحرية (أنظر المخطط رقم (05))، حيث كانت النساء تتبركن بها للإنجاب و التي شيدها علي باشا سنة 1764 م (انظر اللوحة رقم (03))، القسم العلوي به مربعات خزفية باللون الأزرق و الأصفر، بوسط المربعات نجد لوح رخامي بها كتابة تذكارية طمست جميع أحرفها، يحيط بالعين عمودين من الرخام ارتفاع كل واحد 1.20 متراً، يقول البكري عن هذه العين: "مرساها مأمون و له عين عذبة يقصد إليها أهل السفن من إفريقيا و الأندلس و غيرها" (البكري،

1857، صفحة 66)، وكان لهذه العين دور كبير في صمود الأسبان أمام المدفعية و الحصار المضروب من طرف خير الدين وهذا لتوفر المياه (علي خلاصي، 1985م، صفحة 55)، بالنسبة للكتابة، تحصلت عليها من قيادة البحرية بالاميرالية و قد جاءت:

" إن علي باشا بعد أن تأمل بإمعان في هذه الدنيا الفانية فكر في أن يعمل من اجل آخرته بأن يسخر ثرواته لعمل الخير و أن يشيد البناء و هكذا أقام هذه العيون التي تمنح في نفس الوقت الحياة و الطهارة، و كان يأمل في قرارة نفسه أن ينال جزءا صادقا، رحمه الله و أسكنه أعلى درجات الجنة بدون حساب سنة 1178هـ الموافق لسنة 1764 - 1765م".

-البهوه: يقع فوق الساباط و هو أهم جزء من مبنى الفندق، وهو عبارة عن غرفة كبيرة، تعلوه قبة مثمثة الشكل، نجد الباب الرئيسي الذي كان يربط بين البهوه و الرواق الممتد من الباب الخارجي.

- في الجهة الغربية نجد بابان يمدان إلى الرواق المستحدث و الذي بنيت عليه قبة صغيرة مماثلة للقبة الشرقية.

- كما فتح بابان تتوسطهما نافذة بالجدار الشرقي، الأول يمد إلى الشرفة المستحدثة، يقع في الجنوب، أما الباب الشمالي فأغلب الظن انه اصلي كان يربط بين دار و كيل الحرج و دار أمير البحر. (علي خلاصي، 1985م، صفحة 51).

(أنظر المخطط رقم (06))

- المداخل: لساباط الحوت خمسة مداخل.

أ- المدخل الرئيسي: نجده محاذيا لرصيف خير الدين، هذا المخل من الجهة الجنوبية، و هو عبارة عن عمودين بحجارة مستطيلة ضخمة. (أنظر اللوحة رقم (04))

ب- المداخل الفرعية: نجد مدخلين من الجهة الشمالية:

● المدخل الأول: و المحاذي للبحر من الجهة الشمالية الشرقية و الذي يمد للرصيف الشمالي.

● المدخل الثاني: من الجهة الشمالية يمد إلى برج السردين. (أنظر اللوحة رقم (05))

هذا البرج الذي انشأ سنة 1616 م، و أعيد ترتيبه من قبل محمد ابن عثمان باشا، يملك مدفعيتان متراكبتان، و راءهم 32 مدفع (Moulay Belhamissi, 1996, page 91)

- كما و جدت كتابات ببرج السردين، نقشت على لوح رخامي، و نصها بعد ترجمة كولان إلى اللغة العربية مايلي:

" تم إضافة مدفعية هائلة لتحصين الجزائر الذي و اصل بناءها هو أحمد باشا قام به جيش النصر بإقدام و شجاعة لقد أكملت لحسن الحظ حدد جرمي لها تاريخيا تلحق ضريات تصل الهدف جيد، يالها من مدفعية على يد المتواضع إبراهيم بن موسى عام ألف و سبعة و سبعين 1077". (Colin, 1901, page 60)

- هذا البرج مدخله من الساباط حيث نمر عبره من الاميرالية إلى المول الذي تحميه مدفعية أخرى تسمى برج راس المول، و من الجهة الأخرى من الكتابة المنقوشة، مسجد له مئذنة تخرج من شجرتان كل واحدة منهما تحمل في قمته طائر مقابل آخر في الشجرة المقابلة، فوقه نجد لوحة رخامية، منقوش عليها سمكتين متقابلتين (حوت) فوجود الأسماك بالزخرفة أعطى اسم برج السردين. (Ibid, page 63)

● المداخل الأخرى لساباط الحوت: مدخلان آخران الأول من الجهة الجنوبية باتجاه الجنوب بجانب المدخل المحاذي للبحر و المخل الثاني من الجهة الشرقية و الذي يمد للبحر مباشرة.

- الأبواب: بالنسبة للأبواب نجد بابان داخل الساباط فتحت على نفس الجدار أين نجدهما يفتحان على قبو خير الدين أين كانت ذخيرة الأسلحة، مقاسات الباب الأول عرضه 1.82 مترا أما ارتفاعه فيقدر ب 2.40 مترا، بالنسبة لمقاسات الباب الثاني، عرضه 1.30 مترا وارتفاعه 2.35 مترا.

- نجد سلم بسبعة درجات ارتفاع السلم بلغ 1.57 مترا.

و الساباط بحالته الجيدة.

3-الدراسة التحليلية:

3-1- العوامل السياسية و علاقتها بظهور الساباطات:

حافظت الفرق الإنكشارية بمدينة الجزائر على طابعها التقليدي حتى القرن الثامن عشر، حيث كان يتم تجنيد الأوجاق من الأناضول، هذا ما أدى إلى المحافظة على الروابط السياسية بين الجزائر و السلطان، كما ساهم بشدة في المحافظة على الطابع " التركي " لدولة الجزائر (أندريه (ريمون)، 1986، صفحة 56، 57)، هذا ما وفر الاستقرار للمدينة، فعندما استقرت مدينة الجزائر أصبحت مقرا لحكم مركزي قوي و عاصمة للبلاد طيلة الفترة العثمانية (1518 – 1830م) (عبد الله بن محمد (الشويهد)، بيروت، 2006، صفحة 24، 25).

، فبفضل السياسة المهتمة بالقوى البحرية للعالم المسيحي بالسماح لهم بالتمتع بالميزة المربحة، و الإفلات من الضرائب، و هذا لانشغال الأتراك بجمع الثروة و المال، و عليه تحالفوا مع المغاربة لجمع ثروة طائلة، سمحت بذلك للمغاربة بامتيازات شريطة عدم التدخل بالسياسة. (Guianchain,1905, page 5)

فبوصول الأتراك و الوصول الهائل للأندلسيين، و الذين ساهموا في جعل الجزائر مدينة مهمة و مزدهرة اقتصاديا بسبب المنافسة (Ravéreau,1970, page 38)، كما ميز ارتفاع الكثافة السكانية في مدينة الجزائر بسبب انضغاط المدينة داخل أسوارها (أندريه (ريمون)، 1986، صفحة 44). هذه الكثافة السكانية بسبب تعدد الزوجات (عائشة (غطاس)، 2000، صفحة 253) ، لقد كانت الهجرة الأندلسية عام 1492م، و تلتها هجرة موريسكية، ثم ارتبطت الجزائر بالدولة العثمانية، و صنف السكان، الأتراك و الكراغلة و الحضر و الوافدين " البرانية "، و هناك اليهود حيث يشتغلون فيها في الجهة السفلية (Chevallier,1510-1541, page 17,19)

3-2- توزع الساباطات بمدينة الجزائر:

تنقسم المدينة إلى ست مناطق حسب الترتيب: شارع باب الوادي، شارع القصبة، شارع باب الجديد، شارع باب عزون، مركز المدينة و شارع البحر.

المنطقة السادسة: و تضم شارع لامارين، حيث ينطلق من حي القيسارية و ينتهي إلى باب الجهاد أو باب البحر، يقع به ساباط الكشكول، و ساباط الحوت، (Klein,1937, page 62) (أنظر الجدول رقم 01).

الجدول رقم (01)

توزع ساباتات مدينة الجزائر

الرقم	اسم السابات	موقع السابات	الملاحظة
01	السابات الأحمر	باب الوادي	مازال قائما
02	السابات القصير	باب الوادي	مازال قائما
03	سابات الريح	القصبة	مازال قائما
04	سابات بيالة	القصبة	مازال قائما
05	سابات القطط	القصبة	مازال قائما
06	سابات العرص	القصبة	مازال قائما
07	سابات بائع الملح	القصبة	مندثر
08	سابات الترز	القصبة	مندثر
09	سابات الذهب	القصبة	مندثر
10	سابات لم يرد إسمه	الباب الجديد	مندثر
11	سابات الديوان	القصبة السفلى	مازال قائما
12	سابات رجم باي	القصبة السفلى	مازال قائما
13	سابات الكتانية	القصبة السفلى	مندثر
14	سابات كشكول	الاميرالية	مندثر
15	سابات الحوت	القيسارية	مازال قائما

الجدول رقم (02)

إحصاء الساباطات بمدينة الجزائر

الرقم	إسم الساباط	موقع الساباط	عدد الساباطات
01	الساباط الأحمر	باب الوادي	ساباطان
02	الساباط القصير		
01	ساباط الريح	القصبة	سبعة ساباطات
02	ساباط بيالة		
03	ساباط القطط		
04	ساباط العرص		
05	ساباط بائع الملح		
06	ساباط الترز		
07	ساباط الذهب		
01	ساباط لم يرد اسمه حسب ديفولكس	الباب الجديد	ساباط واحد
01	ساباط الديوان	القصبة السفلى	خمسة ساباطات
02	ساباط رجم باي		
03	ساباط الكتانية		
04	ساباط كشكول		
05	ساباط الحوت		

3-3- الساباطات المحدثة فوق محاور حركة الشوارع:

يمكن استنتاج مجموعة من الميزات الخاصة بالساباطات المحدثة فوق محاور الشوارع و من خلال الدراسة الميدانية، نستنتج أن الشوارع بالمدينة تكون في طريق نافذة، و يطلق عليها طريق المسلمين، و بالتالي تتفرع عنها الدروب فالأزقة، هذه الاستنتاجات هي كما يلي:

- 1- إن عرض محاور حركة الشوارع يكون أكبر من عرض محاور حركة الدروب و الأزقة، حيث يتراوح بين (4م - 10م).
- 2- إن عرض الساباطات المحدثة فوق محاور حركة الشوارع يتراوح بين (1.77م - 7.10م)

3- إن طول الساباطات المحدثّة فوق محاور حركة الشوارع يكون أكبر بكثير من طول الساباطات المحدثّة فوق محاور حركة الدروب و الأزقة، حيث يتراوح ما بين (16.74م – 26.70م) حيث أن الساباطات المحدثّة فوق محاور الشوارع تكون أكثر إنارة.

4- إن ارتفاع الساباطات المحدثّة على محاور حركة الشوارع يتراوح بين (2م – 10م)، هذا تحمل هذه الساباطات طابق في الغالب أو طابقين أحيانا، فهي محدثة فوق القصور مثل قصر مصطفى باشا، أو محدثة فوق منازل الأعيان مثل منزل القناعي، فالساباط هنا يؤدي وظيفة مرور الحاكم، فليس بالضرورة إحداث ساباط بطابقين فطابق علوي واحد كفيل بتأدية وظيفة التنقل أو الجلوس و مثل هذه الوظيفة يؤديها ساباط الديوان بقصر مصطفى باشا فهو عبارة عن قاعة عرش لاجتماع الحاكم بأعوانه؛

5- ارتفاع الساباطات المحدثّة فوق محاور حركة الشوارع تختلف من ساباط لآخر، نلاحظ هذا الاختلاف واضحا في الساباطات المحدثّة فوق محاور حركة الشوارع بمدينة الجزائر و هي: ساباط الديوان، ساباط رجم باي و ساباط الحوت.

6- الساباطات المحدثّة فوق محاور حركة الشوارع لها نوافذ عادة ما تكون أكبر من نوافذ الساباطات المحدثّة فوق محاور الدروب و الأزقة، يوضع عليها شبك خشبي محاط بشباك معدني، يعطي مظهر جمالي، و يحمي الغرف، ففي ساباط الحوت مثلا يحمل فندق الحرج بالأميرالية و بذلك نجد نوافذه مزخرفة بعناية شديدة، و لهذا نجد أن هذا النوع من الساباطات المحدثّة فوق محاور حركة الشوارع أحدثت بطريقة روعيت فيها كل الجوانب الجمالية، و مواد البناء، مثل ساباط الحوت حيث بني بالأحجار الرملية المصقولة، و هذا لأن الساباط بطرف البحر من جهة وهذه المادة تقاوم أكثر عوامل الرطوبة، و لتوفر هذه المادة على شاطئ البحر من جهة أخرى، كما نلاحظ أن ساباط الحوت كان يؤدي دور سياسي حيث نجده يحمل فندق الحرج و الذي فيه كانت تتم المبادلات التجارية الخاصة بالبحرية.

7- لقد أدت الساباطات المحدثّة فوق محاور حركة الشوارع وظيفة سياسية و هي حماية الحاكم أو أعيان المدينة من جهة، و الاجتماع في قاعات العرش الموضوعة فوق الساباطات بالمعاونين لحل المشاكل من جهة أخرى، هذا ما لا حظناه بالنسبة لساباط الديوان و ساباط رجم باي بمدينة الجزائر، و كذلك بالنسبة لساباط سوق العصر بمدينة قسنطينة، و قد تؤدي هذه الساباطات المحدثّة فوق الشوارع وظائف اقتصادية و سياسية معا مثل ما لاحظناه بساباط الحوت حيث يؤدي وظيفة اقتصادية و ذلك للتبادل التجاري عبر البحر، و بداخله كانت تتواجد الزوارق، و تباع الأسماك أيضا، كما كان فوقه فندق وكيل الحرج و هو بمثابة وزير البحرية، هذا الساباط بأبعاده و مقاساته، و بمواد البناء المستخدمة في بنائه خير مثال على تطور الساباط من بسيط سقيفة تجمع بين دارين أو جدارين يحمل طابق أو طابقين أو ثلاثة بسقف مسطح أو مقبب، لساباط مختلف الأبعاد و المقاييس ذو سقف متقاطع الأقبية مبني بحجارة رملية أو كلسية، يربط بين حي القيسارية و الشاطئ، و يربط الرصيفين الشمالي و رصيف خير الدين ببرج السردين، بالإضافة إلى الوظائف التي يؤديها، كان يحمل كتابة و هذا ما لم أجده على أي ساباط بمدينة الجزائر و قسنطينة .

إن تسقيف ساباط الحوت بمادة الحجر الرملي أو الكلسي وطريقة بنائه مختلفتين عن الساباطات الأخرى، حيث كان التسقيف بطريقة الأقبية المتقاطعة، هذا سببه أن هذه المادة كانت بالإضافة إلى دورها في كونها مقاومة للرطوبة فإنها كذلك مضادة لأنواع من الأسلحة و المدفعية، بحيث أن الرصاص لا يخرقها.

وكان تسقيف الساباط بهذه المادة لكون نوع المبنى الذي يحمله، حيث أنه يحمل فندق وكييل الحرج أي أن المبنى واسعاً حيث أن الفندق بكل مرافقه، وتظهر نوافذه كبيرة بعكس نوافذ الساباطات الأخرى حيث كانت النوافذ صغيرة، بعكس الساباطات التي رأيناها بمدينة الجزائر و قسنطينة، حيث كانت تحمل غرفاً أو ورشاً صغيرة لصناعات متواضعة، أو تحمل بيت صلاة، وهذا التطور في مادة و طريقة البناء و التسقيف و حتى المقاسات من طول، عرض و ارتفاع وعدد المداخل التي كان عددها خمسة مداخل بعكس الساباطات الأخرى و التي كان عددها لا يتعدى مدخلين، باستثناء ساباط بيالة بمدينة الجزائر كانت له ثلاثة المداخل، و ساباط الكورة بمدينة قسنطينة كانت له كذلك ثلاثة مداخل و باقي الساباطات كان لها مدخلين فقط.

هذا التطور ربما كان له مبرره، و هو الحالة الاقتصادية المزدهرة جدا لرياس البحر، و الذين كانوا بساباط الحوت، حيث كان وكييل الحرج (وزير البحرية)، يقيم بالفندق الذي بني فوق ساباط الحوت و كان يسمى كذلك خوجة الخيل. (Gabriel, Esquer, 1923, page 9

كانت قوات الجيش تعتمد على القوات البرية و البحرية الحربية حيث كانت هذه الأخيرة تحتوي على أربعة عشرة سفينة كبيرة حاملة ل (350) مدفع و ذلك سنة (1825 م)، كما كانت هناك الجزية التي تدفعها البلدان الأوروبية كجزية ضد القرصنة، و الهدايا التي يدفعها القنصليون و المرسولة من طرف الشركات التجارية، بالإضافة إلى إنتاج الصيد البحري كانت القرصنة صناعة مربحة من قبل قراصنة نشطين و غالبا ما كانوا مسيحيون مرتدون، كما أن الرياس كانوا يشكلون إتحاد قوي، و يتكل عليهم الداى، كل هذه الفوائد و التي تأتي عن طريق بيع السلع، التجارة و سوق العبيد تقتسم بين السفن الحربية، القراصنة و الدولة. (Ibid, page 10,11)

و مما لاشك فيه أن أكثر البحارة، القراصنة ثروة و شهرة هم رياس البحر، و منهم علي بتشين الذي كان يملك قصرين في مدينة الجزائر و ثروة طائلة، و قد بنى حماما عظيما إلى جانب مسجدا كبيرا كهدياً لمدينة الجزائر، و آخر الضباط العظام للبحرية هو الرايس حميدو و الذي كان على خلاف بقية البحارة كان جزائرياً. (جون وولف، (1407 هـ/1987م)، صفحة 61، 63)

وكما لاحظنا فإن رياس البحر كانوا يتمتعون بسلطة و ثروة طائلة، و هذا ربما ما جعلهم يبذلون في بناء أسطولهم بقلعه و مرافقه، و حتى بفندق وكييل الحرج و الذي كان فوق ساباط الحوت، و لهذا رأينا هذا التطور في مادة و طريقة البناء، و في الأبعاد المختلفة تماما عن باقي الساباطات الأخرى بمدينة الجزائر و قسنطينة، وكذلك احتواء المبنى على كتابة هذا ما ميز الساباط، فعادة ما نجد الكتابة بمسجد أو قلعة أو قصر و لكن أن نجد الكتابة على ساباط فهذا ربما المثال الفريد بالمغرب الإسلامي كله، فلقد كان لي الحظ أن اطلعت على رسالة لهيثم أحمد (حمزة، (2001/2000م). تناولت ساباطات مدينة تونس بالعهد العثماني لكنني لم أجد هذه الظاهرة، و هي توفر ساباط على كتابة بلوحة رخامية و هذا لما كان يشكله هذا الساباط من ربط بين مختلف الاتجاهات بالشاطى و لما كان يحمله من فندق مهم لوكييل الحرج، و من تعدد المداخل به و هذا للوظيفة التي كان يؤديها من ربط، و حمله للفندق بالإضافة إلى أن الزوارق الصغيرة كانت تعلق بسقف هذا الساباط ليلاً أو أثناء الراحة، كما كانت السفن ترسى أمام هذا الساباط.

8- بالنسبة للطرق العامة، فقد كان الغرض من إحداث الساباطات فوقها لحل مشكلة المناخ و توسيع المنزل بإضافة طوابق علوية، لكن هذا الإحداث كان يتم وفق شروط يكون متفق عليها، وهذا مراعاة لحق الطريق و الجوار.(سعد عبد الكريم (شهاب)، صفحة 88).

9- كما تؤدي الساباطات المحدثه فوق محاور حركة الشوارع وظيفه تنشيط حركة الهواء باستمرار نتيجة لفرق ضغط الجو الناتج عن اختلاف درجة الحرارة بين الفراغ الصغير المظلل و الفراغ الكبير المكشوف(المرجع السابق، صفحة 91).

كما ورد اسم ساباط أقطانية بالوثائق الشرعية حيث ورد تاريخ الوثيقة(وثائق المحاكم الشرعية بالمركز الوطني للأرشيف ببئر خادم – الجزائر، علبة 49، وثيقة رقم 36). بربيع الأول (1112 هـ)، تحت اسم نسخة رسم دار كائنة بساباط أقطانية، بها خمسة مخان وطابقين فوق، الساباط و على المذهب الحنفي و هذا يعني أن معاملة الحبس كانت بين أتراك، بخط مغربي متوسط الوضوح، هذا الساباط لم يذكر بالمراجع الأجنبية التي اعتمدت عليها في معرفة مكان تواجد الساباطات بمدينة الجزائر. (أنظر الوثيقة رقم (02))

4- مواد و أساليب البناء:

4-1- مواد البناء و الزخرفة:

لقد ساعد تنوع مواد البناء و الزخرفة في مدينتي الجزائر و قسنطينة إلى استخدامها حسب طبيعتها و أهميتها، هذه المواد التي نجدها في إنشاء الساباطات من حجر و رخام و جص و مواد طينية كالطوب و الآجر و القرميد، و مواد خشبية و مواد معدنية كالحديد.

4-1-1- الحجر:

استخدمت مادة الحجر في البناء منذ العصور القديمة، في الجدران و الأرضيات، ثم أخذ يتطور استعمالها في الأسقف و ذلك لتوفرها و سهولة نقلها ثم صقلها، أما الحجارة الكبيرة فتستخرج منها الصخور، و يقطعها و يقصها لتشكيلها الشكل المناسب (إبراهيم (عميري)، 2010م، صفحة 41)، و استعمال الصخور لأنها عازلة للحرارة و النار، كما أنها عازلة للماء و الرطوبة، و لها خصوصية عدم نفادية المواد و الغازات، و كمظهر خارجي (مسعود (حميان)، 2009م، صفحة 17، 16)، كما يعتبر الحجر من المواد الأكثر مقاومة للعوامل الطبيعية كالزلازل و لهذا كان يستعمل في أساس أو قاعدة المبنى (حميدات عبد الكريم (فيصل)، 2008-2009م، صفحة 125)، و الجدران المبنية بالحجارة تكون ثقيلة لذلك يتطلب قوة أسسها، لكي تقوى على حمل الثقل العلوي، كما كان تحول المغاربة عن البناء بالحجارة و استبداله بالطابية و الآجر أو هما معا في منشآتهم الدفاعية بتأثير أندلسي. (عبد العزيز (لعرج)، 1987، صفحة 637، 635).

و يذكر جورج مارسيه أن إفريقيا كان بها جسور مبنية بالحجارة خلال القرن التاسع، حيث يعطينا معلومات عن جسر يبعد عن مدينة سوسة ب (10 كلم)، و يصف شكله بأنه محدب النتوءات قاعدته من الحجر الكبير وأن به متراس أو حاجز من الحجارة (42 سم) في رباط.(G.), Marçais 1954, page 39. و هذا يعني أن الحجارة من صلابتها كانت تؤدي الأدوار الدفاعية في وجه المدفعية أو أي هجوم من أي نوع آنذاك، كما نجد الصخور الرسوبية أو الحجر الرملي،

والذي يتألف من حبيبات الرمل المترابطة بالكس، وتصل صلابة هذا الحجر إلى (2000 كلغ/سم²)¹ إبراهيم (عميري)، صفحة 45)، وهذا النوع من الحجر نجده بساباط الحوت كون المادة الأولية من الشاطئ، وكونه صلبا لمقاومة الرطوبة من جهة و يلعب دور دفاعي ضد الهجمات الخارجية التي تكون عن طريق البحر من جهة أخرى.

استخدم في بناء الساباطات بمدينة الجزائر الحجارة المصقولة، و غير المصقولة، فنجدها في ساباط الديوان و ساباط رجم باي و ساباط القطط، كما نجد ساباط الحوت مبني بالحجر الرملي، أما في مدينة قسنطينة نجد ساباط الكورة و ساباط شيخ العرب، و ساباط بن البوشيبي، و ساباط سوق العصر (أنظر اللوحة رقم (19)) و ساباط بن جندارلي براهم كلها مبنية بالحجارة.

4-1-2- الرخام:

يعد مادة بناء و زخرفة رفيعة، فهو كثير الاستعمال بمنازل الحكام و الأمراء، و من أهم مراكز استخراجها بمدينة الجزائر، مقلع " تيبازة " و مقلع " فليفله " قرب سكيكدة، و كانت الجزائر تسترد هذه المادة من إيطاليا و استخدم في أطر الأبواب و الأعمدة، و قد اختلفت قصور و منازل مدينة الجزائر في العهد العثماني من حيث استعمال هذه المادة (حميدات عبد الكريم (فيصل)، 2009، صفحة 128)، و قلة استعماله كان بسبب ندرته، كما عرف المغرب و الأندلس استعمال الأعمدة و اللوحات و نحتها و زخرفتها منذ فترة مبكرة (عبد العزيز (لعرج)، 1987، صفحة 634)، كما استعمل خصوصا في القصور كدعامات، و نجدها على اطر الأبواب و الأعمدة و التيجان، كما أن دوره لا يقتصر على هذا بل وجد بالسقائف، و ذلك ليؤدي وظيفة تزيين مثلما نجده بسقيفة قصر مصطفى باشا فوجوده كان بقاعة استقبال الضيوف، و كذلك و جوده يجعل المكان نظيفا لسهولة تنظيفه، كما يستغل في جمع مياه الأمطار، كما انه يضفي ظاهرة التجانس للمبنى. (محمد الطيب (عقاب)، 2007، صفحة 156، 157).

كما أن تنظيم الرخام يعتمد في الغالب على الضرورة الإنشائية التي يفرضها المبنى، حيث أن التغطية بالرخام تتماشى و الهندسة المعمارية، حيث اقتصر على العقود و أطر النوافذ بشكل أقل من استعماله في التيجان و الدعامات (أرنست كونل، 1966م، صفحة 170)، و استعمال الرخام كأطر للأبواب يكون حجم عتبة المدخل متطابقا مع صفيحة الرخام المستعملة لإحداث التوازن لوزن و حمولة أرضية الرواق بوزن و حمولة الجدار الداخلي لغرفة الطابق العلوي، كما يساعد على عملية انحدار مياه الأمطار من السطح الخارجي إلى الداخل بغاية جمعه (Sakina Missoum, page 235) نجد هذه المادة عبارة عن عمودين لباب قصر مصطفى باشا تحت ساباط الديوان، كذلك نجده عبارة عن لوحة تذكارية بساباط الحوت الاميرالية، كما بمدينة قسنطينة نجده كإطار لباب دار صالح باي (أنظر اللوحة رقم (21)) تحت ساباط سوق العصر، وهذا يفسر ندرة المادة من جهة، و قلة مجالات استعمالها من جهة أخرى.

4-1-3- الحديد:

أكتشف في الأناضول في القرن 12 قبل الميلاد، و منه انتشر في مناطق شمال و شرق البحر المتوسط، و من ثم في بلاد البلقان، و في بلاد فارس عرف في النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد، أما إفريقيا فوصل إليها في القرون

الأولى الميلادية من خلال التجارة مع السودان، انتشر الحديد انتشارا واسعا في الألف الأول قبل الميلاد، ويتميز بصلاية و سهولة في الاستخراج و العمل معا (إبراهيم عميري)، 2010، صفحة 170، 171 .)، استعمل الحديد في قصور و منازل مدينة الجزائر، في تسييج النوافذ و قضبان الأبواب بحيث يضاف إلى السياج الحديدي للنافذة من الخارج ثلاث أعمدة ممتدة أفقيا ثم عموديا، بحيث تكون بارزة عن الجدار و هذا الأسلوب موجود إلى حد الآن بمنازل القصبية، كما استعمل الحديد كمسامير للأبواب (محمد الطيب (عقاب)، 2007، صفحة 165، 166)، نجد الحديد بباب قصر مصطفى باشا كمسامير كبيرة تحت ساباط الديوان، و كشبابيك لنوافذ بالجدار الأول لهذا الساباط (انظر اللوحة رقم (25))، و بباب دار رجم باي تحت الساباط، كما و جد بسقف ساباط الحوت بالاميرالية كحلقات من الحديد معلقة بالسقف، و كل نوافذ الطوابق التي تعلو الساباطات أو تحتها بمدينة الجزائر، أما بمدينة قسنطينة فكانت مادة الحديد متوفرة كما كان يستورد، و كان يستخدم بنطاق ضيق لا يتعدى بعض المسامير التي تزين الأبواب الخشبية، و في أقفالها، و بعض الشبابيك (عبد القادر (دحدوح)، 2010، صفحة 671، 674)

حيث نجد هذه المادة بباب دار صالح باي تحت ساباط سوق العصر كمسامير، و بمئذنة جامع سيدي لخضر فوق ساباط الكورة، كما نجد هذه المادة بالأبواب و شبابيك نوافذ الغرف التي تعلو كل الساباطات أو تحتها بمدينة الجزائر و قسنطينة، و هذا يخدم الجانب الأمني.

2-4- تقنية البناء:

1-2-4- النظام الإنشائي لجدران الساباط المحدث فوق الشارع (السكة النافذة):

استعملت في بناء جدران هذه الساباطات مادة الحجارة غير المصقولة و التالي كانت تغطي بالجص لإضفاء المظهر الجمالي، هذا ما يدل على أهمية الساباط حيث بالإضافة إلى الوظائف التي يقوم بها اهتم البناء بالمظهر الجمالي، قد تبين في بعض الحالات تنسيق من الآجر المسطح على شكل دعامة و مغطاة بطبقة من الجص. (Sakina Missoumt, 2003, page 234)

و قد نلاحظ بالإضافة إلى الأعمدة تيجان، هذا ما نجده بساباط الديوان بمدينة الجزائر، و ساباط سوق العصر بمدينة قسنطينة، و هذا لأهمية هذين الساباطين فالأول بقصر مصطفى باشا، و الثاني بدار صالح باي، و قد يتبين لنا من ذلك أن الأعمدة التي كانت مزينة بالتيجان من مادة الرخام كانت تقتصر فقط على قصور و منازل الأعيان، و هذا ما وجدناه بالمدينتين.

2-2-4- النظام الإنشائي لسقف الساباط المحدث فوق الشارع:

نفس نظام الأقبية الموجودة بالساباطات المحدثه فوق الدروب، ماعدا اختلاف و هو أن الأقبية بالساباطات المحدثه فوق الدروب تكون خشبية بينما بالشارع تكون من الحجر، و مثلنا ساباط الحوت و ساباط الديوان و ساباط رجم باي بمدينة الجزائر، كانت هذه الساباطات كلها مسقوفة بطريقة الأقبية من مادة الحجارة، أما ساباط سوق العصر فكان يجمع بين نظامي التسقيف المسطح بمادة الخشب و نظام الأقبية من مادة الحجارة.

5- طريقة بناء الأجزاء المقوسية:

5-1- العقود:

يعد أقدم عقد نصف دائري في قبة الصخرة، ثم ظهر عقد حدوة الفرس بالمسجد الأموي بدمشق، حيث أصبح من ميزات العمارة الإسلامية (فريد (الشافعي)، 1970، صفحة 201، 203)، و هي تحفظ توازن المبنى كما تخفف الضغط العلوي و توزع الثقل، و مقاومة لعوامل الزمن و يرجع هذا للمادة المستخدمة في بناء العقود بحد ذاتها، فالمبنية بالحجارة أكثر صلابة و متانة من التي بنيت بالآجر و التي تحقق المظهر الجمالي أكثر منه صلابة للمبنى (عبد العزيز (لعرج)، 1987، صفحة 666، 667)، و إذا كانت هذه العقود مرتفعة و ذلك لتزويد المبنى بالإضاءة مباشرة (جوميت (مورينو)، صفحة 120)، و العقد يعتمد على نقطة ارتكاز واحدة أو أكثر، و يشكل عدة فتحات، و يتألف من أحجار تسمى كل واحدة صنجة، و نجد أن العمارة بالأندلس و المغرب شاع استخدام عقد حدوة الفرس. (يحي (وزيري)، 1990م، صفحة 61).

بالنسبة للعقود نجدها بساباط الحوت (أنظر اللوحة رقم (32)) و ساباط الريح و ساباط العرص و ساباط القطط بمدينة الجزائر، و ساباط الكورة و ساباط بن جندارلي براهم، و ساباط الخليفة بمدينة قسنطينة.

5-2- الأقبية المتقاطعة أو المتقابلة بالرأس:

تبنى في الأجزاء السفلية بنفس طريقة بناء الأقبية، و تأخذ في الضيق أو الانفراج و حين تقترب صفوف المداميك من الزوايا من جهة من نقاط الالتقاء في قمة القبو تأخذ في الانحناء التدريجي، و لكن بميل أقل حدة على حسب القبو المتقاطع (عبد العزيز (لعرج)، 1987، صفحة 669، 670). هذا ما نجده بساباط الحوت، و ساباط الديوان و ساباط رجم باي بمدينة الجزائر، و ساباط الكورة و ساباط بن جندارلي براهم بمدينة قسنطينة. (أنظر اللوحة رقم (33))

6- تبليط الأرضيات:

نجد نوع واحد من تبليط أرضية الساباطات بالمدينتين حيث نجد التبليط بالحجارة، سواء الكبيرة أو الصغيرة المصقولة. (أنظر اللوحة رقم (34)).

7- الزخرفة الكتابية:

ازدهر الخط كفن في القرن (7هـ/13م) على يد الفنان الخطاط المستعصي الملقب بقبلة الكتاب، كما تنوعت الخطوط العربية تنوعا كبيرا، كما أن لكل نوع خصائص جمالية ميزته عن الخط الآخر، فنجد الخط الكوفي و النسخي (عبد العزيز (لعرج)، (1407هـ/1987م)، صفحة 23)، و خط الثلث و خط التعليق، و خط الرقعة (عفيف (البهنسي)، 1995م)، حيث و جدت كتابة تاريخية بخط الثلث العثماني على لوح من الرخام بمدخل ساباط الحوت بمدينة الجزائر، و هي الكتابة الوحيدة التي وجدت من بين كل الساباطات بمدينتي الجزائر و قسنطينة.

7-1-خط الثلث:

كان هذا الخط نتاج إبداع الخطاطين: المحرر إسحق بن إبراهيم و قبله كان ابن مقلة (ت:328هـ/940م)، و المهلهل ثم اليزيدي (ت:922هـ/1516م)، و ابن سعد ثم ابن البوب (ت:413هـ/1022م)، يعتبر هذا الخط أصعب الخطوط و أجملها، حيث يتميز بالمرونة و متانة التركيب و البراعة و حسن التوزيع، و نجد هذا الخط بالمصاحف، ثم حل محله الخط النسخي.(نفس المرجع السابق) (أنظر اللوحة رقم (35)).

و ترجمة الكتابة التركية: " إن الحاكم سلطان الجزائر هو الذي أقام هذا البناء، إن حسين باشا وجه الرحمة قد أولى عنايته لهذا البناء، إن الله يحب الجهاد المتواصل من اجل مقاصد صافية صفاء اللؤلؤ، لينصر الله لواء الحق دائما، لقد أعطى لهذا البناء أساسا مربعا بأقواس متصلة بعضها ببعض، رغبة في أن يبقى هذا البناء صرحا أقامه هذا الرجل الكريم بنوافذ مواجهة للبحر و قبة تشق عنان السماء، إن هذه هي دار أمراء البحر: أبطال الجهاد الفاتحين، و بما انه تم ابتكار نموذج جديد، فقد تم تشييد هذا الجناح الذي يعجز اللسان عن وصفه و الذي يعتبر تصميمه تحفة تفوق كل الثناء، ذكر تاريخه أجمل شيء أراد الله، و الله هو الذي أكمله سنة 1242هـ الموافق لسنة 1826-1927م "، و لقد قام بترجمتها كولان.(G.), Colint,1901, page 232)

8- الزخرفة النباتية:

لقد أولى الناس اهتماما بزخرفة المباني، و بصفة خاصة الحكام اهتموا بزخرفة مبانيهم بمختلف الطرز كالعناصر النباتية مثلا (محمد الطيب (عقاب)، صفحة 174) حيث نجد لوحا على يمين اللوح الرخامي الذي كتبت عليه الكتابة التذكارية لساباط الحوت، هذا اللوح أصغر من اللوح الرخامي ينقسم إلى ثلاثة أقسام، القسمان الأيمن و الأيسر بكل منهما يد مفتوحة، و القسم الأوسط به هلال و بداخله نجد زهرة البنفسج أو " اللالة "، زهرة البنفسج أو اللالة: تعرف عند العثمانيين بزهرة اللالة، كما يطلق عليها اسم شقائق النعمان أو زهرة السوسن و هي باللغة الفرنسية (La tulipe) (سعاد محمد (ماهر)، 2005م، صفحة 121)، و أكثر استعمالها في عهد السلطان أحمد الثالث (1703-1730م)، حتى أصبحت هذه الفترة تدعى بعصر اللالة، و العثمانيون جعلوا لها دلالة روحية حيث أن أحرفها نفس أحرف اسم الجلالة (الله). (C.E), Arseven, 1985, page 58) (أنظر اللوحة رقم (36))

9- الزخرفة الهندسية:

لقد شملت الزخرفة الهندسية و التي وجدت على ساباط الحوت بمدينة الجزائر، دائرة بداخلها خاتم سليمان أو النجم السداسي و الذي يتكون من مثلثين متساوي الأضلاع بوضعية حيث يشكلان شكل نجمة.

9-1- الشكل الدائري:

أو الشكل المستدير، يتواجد عادة في واجهات العمائر بطريقة نوافذ من الجص المفرغ. (حسن (باشا)،

صفحة 99.)

9-2- النجمة السداسية: (أنظر اللوحة رقم (37))

شكل هندسي له خمسة رؤوس أو ستة أو ثمانية أو أكثر و تعتبر من العناصر المعمارية الزخرفية (عبد الرحيم (غالب)، 1988، صفحة 430)، و يمكن تصنيفه مع الأشكال الرمزية، بسبب المعاني الصوفية التي يحملها، نظرا لعدد أذرعها الخمسة لذلك تعتبر كرمز للمناطق الخمسة مع التي تتواجد في الوسط، حيث يشير الصينيون إلى هذه المناطق الخمسة بألوان مختلفة و هي: الأسود، الأحمر، الأزرق، الأخضر، الأبيض و الأصفر، و من هذا نرى أن العثمانيين و الصينيين كانوا يستعملون نفس الألوان للإشارة على المناطق المختلفة للعالم، و أعطوا أسماء الملوك الروحانيين لهذه المناطق، باستعمال اسم اللون الذي ينتمي لكل جهة، فمثلا للإشارة إلى الشمال يعطى اللون الأسود، الجنوب باللون الأحمر، كما نلاحظ أن عدد أذرع هذه النجمة يتوافق مع المخالب الخمسة للثنتين إحدى خاصيات هذه النجمة هي طريقة رسمها بخط واحد، و بدون توقف، هذا ما يعطي فكرة الأبدية (Arseven,1985, page 25). (C.E.)

10- الزخرفة الرمزية:

تشتمل على الهلال، و اليد المفتوحة.

10-1- الهلال:

خرج أو ظهر، و الهلال اكتمال القمر إلى سبع ليال من الشهر، و هو جمع أهلة، شعار لبعض الدول الإسلامية، يقابله الصليب عند المسيحيين و هلال الرجل تلفظ بالشهادة، و قد ظهر كعنصر زخرفي مع نجمة خماسية مضروبة على الدراهم في عهد معاوية و عبد الملك بن مروان (عاصم محمد (رزق)، 2000، صفحة 317) و قد يرمز الهلال كذلك إلى الشمس و القمر (محمد الصغير (غانم) وآخرون، 2006م، صفحة 50)، بالإضافة إلى كون التوقيت الإسلامي يعتمد على الأشهر القمرية إلى جانب ارتباط مواقيت بعض العبادات كالصيام و الحج بالأهلة، و قد يكون لظهور الهلال أول الشهر العربي ينير الأرض و هذا ربما يرمز لظهور الإسلام (يحي (وزيري)، 1990، صفحة 121) و وجود الهلال على مدخل الساباط أعطاه أهمية لرمزه للدولة و قوتها، حيث وجد بساباط الحوت و ساباط الديوان و ساباط رجم باي بمدينة الجزائر و بساباط سوق العصر بمدينة قسنطينة.

10-2- اليد: (أنظر اللوحة رقم (38))

تعتبر كحز ضد العين الشريرة، و الدليل وشم نساء شمال إفريقيا بوشم على وسط الجبهة أربعة نقاط موزعة على شكل صليب و الخامسة في الوسط، و هي بذلك توضع للحماية من العين و الحسد (Arseven,1985, p.30)، أو أن اليد رمز لقوة الإنسان و أن المعتدي سوف ينال عقابه، أو ربما وضعها يرمز لكون صاحب المكان شخص مسلم، و يجب حفظ حرمة (محمد الطيب (عقاب)، 2007، صفحة 187)، حيث و جدت بمدخل ساباط الحوت و على جدار ساباط الديوان و ساباط رجم باي بمدينة الجزائر.

تستعمل للتزيين، على شكل مثلث بداخله نقطة سوداء كبيرة، وهذا الشكل رمز للثالوث، وعند العثمانيين الشكل المثلث له علاقة بالرمز الصوفي (C.E), Arseven,1985, page 31) و جدت على مدخل ساباط الحوت و بجدار ساباط الديوان بمدينة الجزائر.

الخاتمة :

استطعت من خلال الدراسة الميدانية و جمع المعلومات المتعلقة بالاستمارات الإحصائية، من معرفة خصائص و مميزات كل ساباط.

كما حاولت جمع المعلومات الخاصة بالاستمارات الإحصائية من خلال الدراسة التحليلية، للوصول لمعرفة معطيات كل النماذج ، و استطعت تصنيف الساباط حسب محاور الحركة ، حيث أن الحالة السياسية، الاقتصادية و الاجتماعية كان لها التأثير المباشر في ظهور الساباطات ، و بالتالي انعكس هذا على ترابط و تجاور الأسر الجزائرية ضمن نسيج عمراني موحد، و ذلك للسعي على تماسك الأسرة و بقاءها مع بعضها، الشيء الذي دفع البحث على مساحات سكنية إضافية للتوسع من جهة، و لبقاء أفراد الأسرة الواحدة مع بعضها البعض من جهة ثانية، هذا ما أدى إلى انتشار الساباطات، حيث كانت تربط الدور و الأحياء و بالتالي كان لها أثرها الإيجابي بالنسيج العمراني و الذي أثر بشكل واضح على الحالة الاجتماعية للناس، لما يوفره من ظل بالأماكن التي يلتقي و يجتمع بها الناس، كما يحمي من العوامل المناخية المتغيرة.

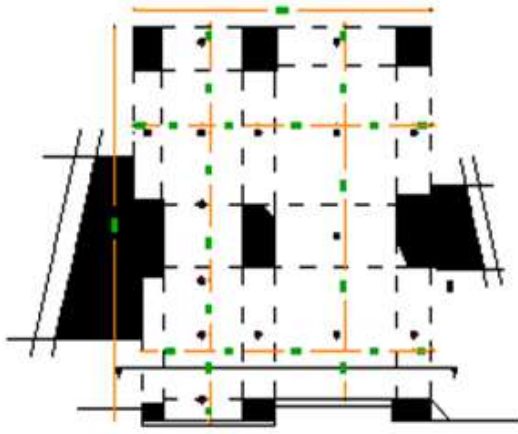
أثرت الساباطات بشكل مباشر على محاور الحركة رغم تواجدها القليل حيث نجد (20) عشرون ساباطا بمدينة الجزائر.

تغيرت طبيعة استعمال الساباطات، حيث أن بعض منها كانت تستغل كورش صناعية و أصبحت اليوم تقوم بوظيفة سكنية، هذا راجع ربما لازمة السكن بازدياد عدد الأفراد بالأسرة الواحدة، أو لتناقص امتهان الحرف و الصناعات التقليدية.

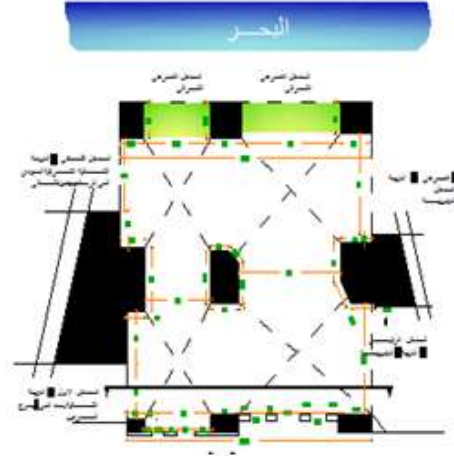
كما كان لوثائق المحاكم الشرعية و سلسلة بيت المال الدليل في معرفة الفترة التي كان بها الساباط يشغل محل للسكن أو التجارة على حد سواء.

كما لاحظنا بعد تتبع ظاهرة الساباطات التطور الذي أصبح بمواد البناء، حيث استعمال الرخام بمدينة الجزائر و قسنطينة بساباطات الحكام، و استعمال الحجر الرملي (الكلسي) بساباط الحوت بمدينة الجزائر، كما أن لتواجد الكتابة التذكارية و التاريخية بهذا الساباط الأمر الذي زاد في أهمية هذه الظاهرة، بالإضافة إلى استخدام مواد بناء ذات خواص مقاومة لعوامل الرطوبة و الزلازل و حتى أنها مضادة لأنواع من الأسلحة، كما كان لاستخدام أنظمة الإنشاء من الأسقف الخشبية المسطحة إلى استخدام الأقبية البرميلية و المتقاطعة بالحجر و الآجر، ما زاد في الاهتمام بالناحية الجمالية من داخل و خارج الساباط.

كما كان لتناول مناطق الضل و النور بالأحياء و اختلاف مواد البناء و النظام الإنشائي للجدران و الأسقف، كل هذا الاختلاف و التنوع المعماري جعل منها للمارة تسلسل لمشاهد معمارية مختلفة تريح المشاهد و تحميه من العوامل المناخية المتغيرة من حر و برد و شتاء.



مخطط رقم (04) // سابات الحوت- العقد.

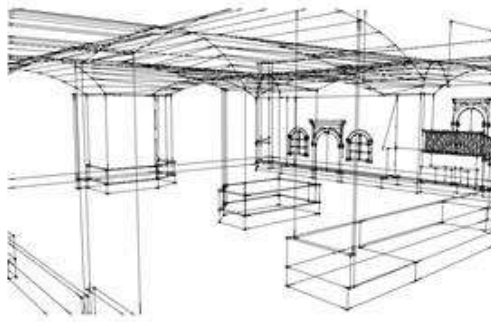


مخطط رقم (03) // سابات الحوت.

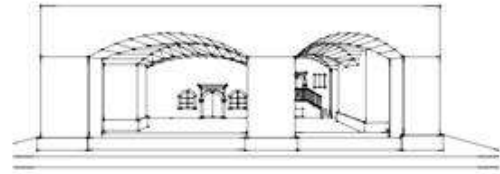


مخطط رقم (06) / ساباط الحوت- مقطع 1.

مخطط رقم (05) / ساباط الحوت- العين البحرية.



شكل رقم (02) / ساباط الحوت- منظر الساباط من الجهة الشمالية الشرقية و الذي يمد للرصيف الشمالي.



شكل رقم (01) / ساباط الحوت- منظر المدخلان الشرقيان المطلان على البحر.



لوحة رقم (02) / ساباط الحوت- المدخل من الجهة الجنوبية.



لوحة رقم (01) / ساباط الحوت خلال سنة 1860م / ع / مسيخ.



لوحة رقم (04)/ سباط الحوت - المدخل الرئيسي من الجهة الجنوبية.



لوحة رقم (03)/ مدخل سباط الحوت من الجهة الشمالية الشرقية (العين البحرية).



لوحة رقم (32)/ سباط الحوت- عقود على شكل حدوة الفرس.



لوحة رقم (05)/ سباط الحوت - المدخل من الجهة الشمالية و التي تمد لبرج السردين.



لوحة رقم (36)/ سباط الحوت - الزخارف النباتية (زهرة اللالة).



لوحة رقم (35)/ سباط الحوت - الكتابة التاريخية بمدخل السباط من الجهة الجنوبية.



لوحة رقم (37) / سباط الحوت - الزخرفة
الرمزية (النجمة السداسية) بمدخل
السباط من الجهة الجنوبية.

المصادر و المراجع :

المصادر و المراجع باللغة العربية :

- عبد القادر (نور الدين)، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006م.
- فركوس (صالح)، تاريخ الجزائر من قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال (المراحل الكبرى)، دار العلوم، الجزائر، 2005م.
- سعيدوني (ناصر الدين)، دراسات و أبحاث في تاريخ جزائر العهد العثماني، سلسلة الدراسات الكبرى، الجزائر.
- خنوف (علي)، تاريخ منطقة جيجل قديما و حديثا، منشورات الأنيس، الجزائر، 2007م.
- حليمي (عبد القادر علي)، مدينة الجزائر- نشأتها و تطورها قبل 1830م، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972م.
- المدني (أحمد توفيق)، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا (1492 - 1792م)، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1976م.
- آجقو (علي)، المغرب الأوسط من مجتمع القبيلة إلى مجتمع الدولة الأمة، ط2، ج1، منشورات باتنيت، 2003م.
- بروكلمان (كارل)، تاريخ الشعوب العربية من 1948م إلى 1968م، ترجمة: بن أمين فارس و البعبيكي منير، دار العلم للملايين، بيروت.
- خلاصي (علي)، العمارة العسكرية العثمانية لمدينة الجزائر، سلسلة الفرسان الجزائريون، الجزائر، 1985م.
- ريمون (أندريه)، العواصم العربية عماراتها و عمرانها في الفترة العثمانية، تعريب: قاسم طوبر، ط1، دار المجد، دمشق، 1986م.
- الشويهد (عبد الله بن محمد)، قانون أسواق الجزائر (1107- 1117هـ/1695-1705م)، تحقيق و تعليق: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006م.
- شهاب (سعيد عبد الكريم)، أنماط العمارة التقليدية الباقية في صحراء مصر العربية، دار الوفاء للطباعة و النشر، الإسكندرية، 2009م.
- عميري (إبراهيم)، مواد و تقنيات العمارة القديمة، منشورات المديرية العامة للآثار و المتاحف، دمشق، 2010م.
- حميات (مسعود)، عموميات حول المواد الأثرية، كلية الهندسة، جامعة بومرداس، 2009م.
- عقاب (محمد الطيب)، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2007م.
- كونل (أرنست)، الفن الإسلامي، ترجمة: أحمد موسى، دار صادر، بيروت، 1966م.
- الشافعي (فريد)، العمارة العربية في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر، القاهرة، 1970م.
- مورينو (مانويل جوميت)، الفن الإسلامي في إسبانيا، ترجمة: لطفي عبد البديع و السيد محمود عبد العزيز سالم، مراجعة جمال محمد محرز، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، د.ت.

I. International Century Congress for Social Sciences

- ماهر (سعاد محمد)، الفنون الإسلامية، هلا للنشر والتوزيع، القاهرة، القاهرة، 2005م؛
- عقاب (محمد الطيب)، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.
- الباشا (حسن)، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، م1، أوراق شرقية، القاهرة، 1999م.
- غالب (عبد الرحيم)، جروس (بروس)، موسوعة العمارة الإسلامية عربي- فرنسي- انجليزي، ط1، ، بيروت، (1408هـ/1988م).
- رزق (عاصم محمد)، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط1، مكتبة مدبولي، 2000م.
- وولف (جون)، رياس البحر، ترجمة: سعد الله أبي القاسم، في مجلة الدراسات التاريخية، المطبوعات الجميلة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، (1407هـ/1987م).
- وزير (يحي)، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990م.
- البهنسي (عفيف)، معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1955م.
- فريد بك المحامي (محمد)، تاريخ الدولة العليا العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، 1981م.
- البكري (أبو عبيد)، المعرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، نشر دوسلان، الجزائر، 1857م.
- لعرج (عبد العزيز)، الكتابات الأثرية في البلاطات الخزفية لضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي، في مجلة الدراسات التاريخية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، (1407هـ/1987م).
- راجعي (زكية)، مساكن فحص مدينة الجزائر في العهد العثماني دراسة أثرية معمارية وفنية، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2007م.
- غطاس (عائشة)، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830م مقارنة اجتماعية- اقتصادية، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2000م.
- حمزة (هيثم أحمد)، الساباطات في مدينة تونس العتيقة، بحث مقدم لنيل شهادة الدراسات المعمقة في الآثار D.E.A، قسم التاريخ، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية (تونس1)، 2000/2001م.
- فيصل (حميدات عبد الكريم)، البلاطات الخزفية في العمارة الإسلامية بالجزائر في العهد العثماني، دراسة عامة للترميم النموذجي، شهادة الدراسات الفنية العليا، المدرسة العليا للفنون الجميلة، (2008/2009م).
- دحدوح (عبد القادر)، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، (2009/2010م).
- وثائق المحاكم الشرعية بالمركز الوطني للأرشيف- بئر خادم، الجزائر.

المصادر والمراجع باللغة الأجنبية :

- Arseven (C.E), les Arts décoratifs turc, Ankara, (s.d).
- Dib (Michelle Nadia) et autres, Casbah Architecture et Urbanisme, office Riad el- Fath, 10 décembre 1984, 1^{ere} édition, janvier 1985, Alger. Bruxelles.

- **Ravéreau (A.)**, La Casbah d'Alger et le site créa la ville, Sindbad, Paris, 1970.
- **Devoulx (A.)**, El-Djazair d'une cité d'Icosuim à Alger, E.N.A.G, Alger, 2003.
- **Colin (G.)**, Corpus des inscriptions Arabes et Turques de l'Algérie, département d'Alger, Ernest Lerousc, Editeur, Paris, 1901;
- **Klein (H.)**, Feuilletts d'El-Djazair, L.chaix Editeur, Alger, 1937.
- **Esquer (G.)**, Histoire de l'Algérie en images ou le XVI^{ème} siècle jusqu'a 1871, bibliothèque des introuvables, Paris, 2008.
- **Esquer (G.)**, La prise d'Alger 1830 avec deux cartes, l'Afrique latine, Alger, 1923.
- **Belhamissi (Moulay)**, Histoire de la marine Algérienne (1516-1830), 2^{ème} édition, E.N.A.L, Alger, 1986.
- **Belhamissi (Moulay)**, Marine et Marins d'Alger (1518-1830), T. 2, B.N.A, Alger, 1996.
- **Guiauchain (G.)**, Alger, édition de l'imprimerie algérienne, Alger, 1905.
- **Chevalier (G.)**, les trente premières Années de l'état d'Algérie (1510-1541), office des publications universitaires, Alger, (s.d).
- **Marçais (G.)**, l'architecture musulmane d'occident, Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne et Sicile, Arts et métiers graphiques, France 2^e trimestre 1954.
- **Missoum (Sakina)**, Alger à l'époque ottomane, I.N.A.S, Alger, 2003.

**THE ROLE OF THE INTERNATIONAL JUDICIARY IN RESOLVING
INTERNATIONAL DISPUTES**

Prof. Dr. FELIDJ Ghizlene

<http://dx.doi.org/10.47832/soci.con1-5>

Abstract:

The peaceful settlement of international disputes has become one of the most important principles affirmed in many international charters and conventions in order to avoid the dangers and tragedies of war.

International arbitration is the most important of these means, given the effective role it plays in maintaining international peace and security, as well as the role played by the International Court of Justice, which hears all international disputes submitted to it.

Both arbitration and the International Court of Justice, through its judgments and advisory opinions, have allowed to avoid many conflicts and crises, which could have turned into wars between States.

Keywords: International Jurisdiction; International Disputes; International Arbitration; International Court of Justice.

دور القضاء الدولي في حل النزاعات الدولية

أ.د. فليج غزلان¹

الملخص:

لقد أصبح الحل السلمي للنزاعات الدولية من أهم المبادئ التي أكدت عليها العديد من المواثيق والاتفاقيات الدولية، تجنباً لأخطار وماسي الحروب، وهو يرمي لتفادي عوامل تفاقم النزاع في المجتمع الدولي، وذلك في إطار قانوني معين بأن يكون أمام محكمة العدل الدولية، أو محكمة تحكيم دولية.

ويعد التحكيم الدولي أهم هذه الوسائل، نظراً للدور الفعال الذي تلعبه بغرض الحفاظ على السلم والأمن الدوليين، إلى جانب الدور الذي تمارسه محكمة العدل الدولية، والتي تنظر في جميع المنازعات الدولية المعروضة عليها.

لقد سمح كل من التحكيم وكذا محكمة العدل الدولية من خلال أحكامها وآراءها الإفتائية، بتجنب الكثير من الصراعات والأزمات، التي كان من الممكن أن تتحول إلى حروب بين الدول.

الكلمات المفتاحية: القضاء الدولي- النزاعات الدولية-التحكيم الدولي-محكمة العدل الدولية .

¹ ID جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، الجزائر

felidighizlene@yahoo.fr

المقدمة:

يعرف النزاع بأنه الادعاءات المتناقضة بين شخصين قانونيين دوليين أو أكثر، كما عرفته محكمة العدل الدائمة في القرار الصادر بتاريخ 3 أوت 1924 في قضية مافروماتيس بأنه: "خلاف بين دولتين حول مسألة قانونية أو حادث معين أو بسبب تعارض وجهات نظرها القانونية أو مصالحهما". (امتيازات مافروماتيس فلسطين، (اليونان ضد بريطانيا)، الحكم الصادر في 30 أوت 1924، 1924، محكمة العدل الدولية الدائمة (السلسلة أ)، رقم 2، ص 11).

كما أشارت محكمة العدل الدولية للنزاع في احدي الحالات بأنه: "موقف يتبادل فيه الجانبان وجهات النظر المعاكسة بشكل واضح فيما يتعلق بمسألة أداء أو عدم أداء بعض التزامات المعاهدات". وعموما ليس كل نزاع قائم على حق مطالب به بقدر ما هو تقدير لمصلحة الدولة. (سهيل حسين الفتلاوي، 1987، تسوية المنازعات الدولية، الطبعة الأولى، الذاكرة للنشر، بغداد).

ويعتبر الحل السلمي للنزاعات الدولية مبدأ سائدا أكدت عليه العديد من المواثيق الدولية والاتفاقيات والذي يرمي لإقرار عقلية تحاشي عوامل تفاقم النزاع في المجتمع الدولي، فتضمنته اتفاقية لاهاي لعام 1899، وكذا ميثاق هيئة الأمم المتحدة وعبر الزمن تطورت الوسائل السلمية لحل النزاعات الدولية وظهرت للوجود العديد من الأجهزة التي تعمل في هذا المجال .

إن حل المنازعات الدولية في الوقت المعاصر يعتمد أساسا على تطبيق قواعد القانون الدولي المنبثقة من التشريعات الدولية والأعراف والمعاهدات الدولية، وذلك في إطار قانوني معين كأن يكون أمام محكمة العدل الدولية أو محكمة تحكيم دولية، غير أن اللجوء إلى هذه الوسائل يتوقف على إرادة الدول، ومن ثم يستوجب أن تنال هذه الأجهزة ثقة الدول سواء كانت كبيرة أم صغيرة، وهذه الثقة يجب أن تكون في الأدوات المستخدمة أكثر منه في الإطار القانوني. (أحمد سي علي، 2014، مبادئ ووسائل حل المنازعات الدولية حول السيادة على الأقاليم في القضاء الدولي والتحكيم الدولي، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 11، ص 107).

إن التطور الملحوظ الذي شهدته العلاقات الدولية أدى إلى ظهور وسائل جديدة لحل النزاعات فيما بينها بعيدا عن الحروب واللجوء للقوة والعنف، من حلول دبلوماسية، وأخرى قضائية، ولعل أبرز الحلول القضائية التحكيم الدولي، واللجوء إلى محكمة العدل الدولية.

أولا: دور التحكيم الدولي في حل النزاعات الدولية

لم يكن التحكيم الدولي ذا أهمية كبيرة كما هو الحال عليه الآن، كون أغلبية المجتمعات القديمة كانت تفضل اللجوء إلى استعمال الحرب، واستقصاء حقا بنفسها، في مختلف نزاعاتها بدلا من اللجوء إلى التحكيم الدولي.

1. تعريف التحكيم الدولي:

يعرف التحكيم بأنه اتفاق على طرح النزاع على شخص معين أو أشخاص معينين ليفصلوا فيه دون المحكمة المختصة، أي تولية الخصمين حاكما يحكم بينهما، أو أنه الاتفاق على إحالة ما ينشأ بين الأفراد من نزاع بخصوص تنفيذ عقد معين أو على واحد أو أكثر من الأفراد يسمون محكمين ليفصلوا في النزاع المذكور، بدلا أن يفصل فيه القضاء المختص. (لزهر بن سعيد، 2012، التحكيم التجاري الدولي، دار هومة للنشر، الجزائر، ص 16).

وحسب الفقه المقارن، فالتحكيم نوع من العدالة الخاصة التي يتم وفقا له إخراج بعض المنازعات من ولاية القضاء العادي، ليعهد بها إلى أشخاص يختارون للفصل فيها (العبادي؛ محمد وليد، 2007، أهمية التحكيم وجواز اللجوء إليه في منازعات العقود الادارية، دراسات مقارنة، العدد الثاني، الأردن، 2007، ص357).

وعليه نجد أن التعريفات التي وضعها فقهاء القانون رغم اختلاف مفاهيمها إلا أنها تنصب على تعريف التحكيم بأنه وسيلة من الوسائل القضائية التي بموجبها يتم الفصل في المنازعات المختلفة التي تنشأ بين المتنازعين عن طريق شخص معين (المحكم)، أو أشخاص معينين (محكمين، هيئة)، أو محكمة، يتم اللجوء إليهم للفصل في النزاع.

يعد أفضل تعريف للتحكيم الدولي هو الوارد في المادة:37 من اتفاقية لاهاي لعام 1907 الخاصة بتسوية المنازعات الدولية سلميا حيث عرفته بأنه: «يهدف التحكيم الدولي إلى حل النزاعات بين الدول بواسطة قضاة يختارهم أطراف النزاع على أساس احترام القانون، واللجوء إلى التحكيم يستتبع التزاما بالرضوخ بحسن نية للقرار الصادر» (المادة 37 من اتفاقية لاهاي لتسوية المنازعات الدولية).

ويتضح من تعريف اتفاقية لاهاي أن للتحكيم الدولي أربع عناصر تميزه عن غيره من وسائل حل النزاعات وتتمثل في ما يلي:

1. أنه وسيلة لحل النزاع على أساس القانون الدولي إذ أنه يخضع لقواعد القانون التي تقرر حقوقا وتفرض التزامات على الدول، بمعنى أن القانون يبلور التزامات دولية منها اللجوء للتحكيم، وللإشارة أن كلمة (الحق والقانون) المتداولة في التعريفات وفي قرارات التحكيم يقصد بها القانون الدولي ولا تعني القانون الداخلي.

2. أنه يحل النزاع بواسطة قضاة من اختيار الأطراف.

3. أنه يجري بموجب اتفاق أو بمقتضى معاهدة بين الأطراف تظهر فيها إرادة الدول والتزامها بأسلوب التحكيم ونتائجه، ويتخذ هذا الاتفاق صورة شرط التحكيم أو مشاركة التحكيم.

4. أن أحكامه ملزمة لجميع الأطراف وهو ما يميزه عن الوساطة والتفاوض.

(جاويد؛ سمير، نوفمبر 2014، ماهية التحكيم وعلاقته بالقانون الدولي، قانون العرب، العدد 07، ص63).

في حقيقة الأمر أنه ظهر خلاف بين فقهاء القانون الدولي حول المدلول الذي ينطوي عليه كل من التحكيم والقضاء الدولي، وانقسموا بذلك إلى اتجاهين: (أحمد بلقاسم، 2006، التحكيم الدولي، طبعة ثانية، دار هومة، الجزائر، ص77، ص82).

الاتجاه الأول (أنصار الازدواجية): حيث يعتبر أن التحكيم يختلف عن القضاء ويطلب بالإبقاء على الازدواجية.

أما الاتجاه الثاني (أنصار وحدة النظامين): فيرى أنه ليس هناك خلاف كبير بين التحكيم والقضاء الدولي إلا من حيث بعض الإجراءات، وأن عوامل التقارب بينهما كبيرة إلى درجة الدمج بينهما.

ويرى الأستاذ الغنيمي: أنه بالنظر إلى ظروف المجتمع الدولي واتسامه بضعف التنظيم لا يوجد في نظره فرق بين القضاء والتحكيم من حيث الطبيعة، ولكن الفرق يكمن في طريقة التنظيم من حيث ولاية القاضي، وتشكيل المحكمة والإجراءات التي تقتضيها. حيث يتولى القانون الدولي تحديدها قبل نشوء النزاع وقبل اتفاق الأطراف على عرضها على المحكمة الدولية: (عبد الكريم عوض خليفة، 2012، القانون الدولي العام، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ص341).

- فمن حيث التشكيلة نجد أن محكمة التحكيم تتشكل من محكم واحد يتم تعيينه أو الإنفاق عليه من قبل أطراف النزاع أو من ثلاث محكمتين ويتم اختبار المحكم الأعلى بإنفاق الطرفين أو بواسطة طرف ثالث، أو من محكمتين مثل ما حدث في قضية طابا بين مصر وإسرائيل.

أما بالنسبة لتشكيلة محكمة العدل الدولية فإنها تتشكل من 15 قاضيا "عضوا" ويتحلون بصفات خلقية عالية بالإضافة إلى المؤهلات العلمية وتمتعهم بكفاءة عالية في مجال القانون الدولي.

- ومن حيث الأحكام الصادرة نجد: أن حكم محكمة التحكيم يتخذ بأغلبية أصوات أعضائها في مداوات سرية، ويكون له قوة الأحكام القضائية، ويعتبر ملزم لأطراف النزاع بشكل قاطع وغير قابل للاستئناف، ما لم يوجد نص في اتفاق التحكيم يقضي بخلاف ذلك. وفي هذا تجده يتفق وطريقة صدور الأحكام في الأنظمة القضائية. (عمر سعد الله؛ أحمد بن ناصر، 2005، قانون المجتمع الدولي المعاصر، الطبعة الثالثة، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 207).

وعليه فإرادة أطراف النزاع هي التي تتحكم في تشكيل الهيئة التحكيمية، أما القضاء الدولي فهو عبارة عن هيئة تضم قضاة دائمين.

كما نجد اختلاف آخر يكمن في أن القضاء الدولي قد يكون معقد ومرهق ويستمر لفترة طويلة، وهذا عكس التحكيم الدولي الذي يتميز بالسرعة في الفصل في المنازعة المعروضة عليه. (عبد الكريم علوان، 2010، القانون الدولي العام، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، ص 202).

ومن سمات التحكيم أيضا قلة التكاليف مقارنة بإجراءات التقاضي أمام المحاكم الدولية أو الوطنية كما أن التحكيم الدولي لا يلعب دور كبير في إرساء السوابق والقواعد القانونية، فهو لا يساهم في إرساء الكثير من قواعد القانون الدولي العام وذلك مقارنة بالقضاء الدولي الذي يكون أكثر بكثير من ذلك. (خالد محمد القاضي، 2002، موسوعة التحكيم التجاري الدولي، الطبعة الأولى، دار الشروق، مصر، ص 126).

2. تطور التحكيم الدولي:

شهد منتصف القرن الثامن عشر انتعاش التحكيم الدولي، ولقي رعاية معتبرة من جانب أولى المعاهدات في العصر الحديث، حيث على نصوص تقضي باللجوء إلى صور مختلفة للتحكيم، مثل معاهدة الرابع من نوفمبر 1796 بين طرابلس (ليبيا) والولايات المتحدة الأمريكية، والتي تنص على تحكيم داي حسين الجزائري، واتفاقية 17 أبريل 1866 بين تونس وسردينيا، التي تنص على تحكيم ملك بريطانيا لعام 1872، ولعل أبرز مثال على التحكيم الدولي الحديث قضية الألاباما، وهذه القضية كانت بين الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا. (محمد بوسلطان، 2010، مبادئ القانون الدولي العام، الجزء الثاني، دار العرب للنشر والتوزيع، ص 228).

والألاباما سفينة انجليزية أغرقت عدة سفن أمريكية، وفي 08/05/1871 اتفقت الدولتان على عرض نزاعهما على محكمة تحكيم دولية، ثم كان النص على مبدأ التحكيم في معاهدة واشنطن الخاصة بهذه القضية، وفي 14/09/1872 أصدرت المحكمة حكمها لصالح لصالح الولايات المتحدة الأمريكية، حيث ألزمت إنجلترا بدفع تعويض قدره 15,5 مليون دولار، مع العلم أن المحكمة قد تشكلت من 5 أعضاء أمريكي، وإنجليزي، وثلاث أعضاء محايدين، وعقدت كل

جلساتها في عاصمة دولة محايدة "جنيف"، وصدر الحكم بإدانة بريطانيا. (عمر صدوق، 1995، محاضرات في القانون الدولي العام، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ص 89).

كما نصت المادة 12 من عهد عصبة الأمم لعام 1919 على وجوب حل خلافات الأعضاء عن طريق التحكيم والقضاء أو مجلس العصبة، وأن يتعهدوا بعدم اللجوء الى الحرب قبل مضي ثلاثة أشهر من تاريخ صدور الحكم أو تقرير مجلس العصبة، كما نصت على نفس الوسائل في المادة 13 في حالة فشل الحلول الدبلوماسية.

وفي كل حال من الأحوال بموجب هذه المادة يصدر حكما لمحكمين أو الحكم القضائي في غضون فترة زمنية معقولة، ويجب أن يتم تقرير المجلس في غضون ستة أشهر بعد تقديم النزاع" (عهد عصبة الأمم، المادة 13 فقرة 1: "يتفق أعضاء العصبة على أنه كلما نشأ أي نزاع بينهم يعتبرون أنه مناسب للخضوع للتحكيم أو التسوية القضائية، ولا يمكن تسويته بشكل مرض بالدبلوماسية، فإنهم سيقدمون الموضوع بأكمله للتحكيم أو التسوية القضائية").

وبعد الحرب العالمية الثانية سعت دول العالم إلى إقامة منظمة الأمم المتحدة بهدف تحقيق السلم والأمن في العالم، بعدما فشلت عصبة الأمم في تحقيق ذلك، وكان أبرز أهداف هذه المنظمة هو تحقيق السلام العالمي وذلك بتسوية الخلافات الدولية بالوسائل السلمية، وهو ما نصت عليه المادة الأولى من الميثاق. (مفتاح عمر درباش، دون سنة نشر، المنازعات الدولية وطرق تسويتها، دراسة وفق قواعد وأحكام الفقه والقانون الدولي العام، شركة موسى الحديث للكتاب، لبنان، ص 71).

وفي سنة 1949 أعادت الجمعية العامة بناء على مبادرة من الوفد البلجيكي لائحة بإعادة النظر في الميثاق العام للتحكيم حتى يمكنه التكيف مع الأوضاع الدولية الجديدة، لذا كان موضوع التحكيم الدولي من الموضوعات التي حظيت بعناية واهتمام اللجنة إلى أن انتهت اللجنة في عام 1958 إلى وضع نموذج لقواعد إجراءات التحكيم ليكون دليلا ومرشدا للدول عند التوقيع على تعهدات باللجوء إلى التحكيم وقد نص ميثاق الأمم المتحدة في المادة 33 فقرة 1 منه على التحكيم. (أحمد بلقاسم، 2006، التحكيم الدولي، الطبعة الثانية، دار هومة، الجزائر، ص 61).

وقد تضمن ميثاق هيئة الأمم المتحدة في عدة مواضع التأكيد على وجوب الحل السلمي للنزاعات الدولية، وكذا على حرية اختيار الوسيلة المناسبة وتضمنت المادة 33 من الميثاق سلسلة من الوسائل السلمية من جملتها: التفاوض، التوفيق، الوساطة، التحقيق، التحكيم والتسوية القضائية وأيضا الوكالات والتنظيمات الإقليمية.

وفي هذا السياق تنص المادة 33 من ميثاق الأمم المتحدة: (الفصل السادس المتعلق بحل المنازعات حلا سلميا) على أنه: "يجب على أطراف أي نزاع من شأنه استمراره أن يعرض فقط السلم والأمن الدولي للحظر أن يلتمسوا حله بادئ ذي بدء بطريق المفاوضة، والتحقيق والوساطة والتوفيق، والتحكيم...".

وبالرجوع إلى ميثاق جامعة الدول العربية نجد المادة الخامسة منه قد أشارت إلى التحكيم كوسيلة قضائية مع تأكيدها على التحكيم الاختياري وليس الإجباري، وهذا يعني أن الأخذ به بدون رضا الأطراف المعنية.

أما منظمة الدول الأمريكية (وهي منظمة إقليمية تضم دول الأمريكيتين الشمالية والجنوبية، وتسعى إلى خلق نوع من التضامن والتقارب والتعاون بين دول الأعضاء فيها) تضمنت إجراءات تسوية نزاعات دولية بالطرق السلمية، وتنص معاهدة بوغوتا على ضرورة حل الخلافات بين البلدان الأعضاء فيها بالطرق السلمية وذلك من خلال الوساطة والتحقيق والمصالحة والمبادرات الحسنة والتحكيم، وفي حال فشل هذه الوسائل يتم اللجوء إلى محكمة العدل

الدولية بلاهاي. (توري؛ يخلف، 2008، تسوية النزاعات الدولية بطرق سلمية، مجلة اجتهاد الدراسات القانونية والاقتصادية، المجلد 7، العدد2، ص 135).

3. أسس التحكيم الدولي:

يقوم التحكيم الدولي على مجموعة من الأسس نذكر منها:

- أن الدول المتنازعة لا تلجأ إلى التحكيم إلا بعد التأكد من عدم جدوى الطرق الدبلوماسية لتسوية النزاع.
- المسائل التي يمكن إحالتها على التحكيم هي المسائل ذات الطابع القانوني كتغيير أو تطبيق معاهدة دولية أو عرف دولي أو انتهاك قاعدة قانونية دولية آمرة. (سهيل حسين الفتلاوي؛ غالب عواد حوامدة، 2009، القانون الدولي، الجزء الثاني، دار الثقافة لنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص 187-188).
- تتفق الدول المتنازعة مباشرة على إحالة نزاعها إلى التحكيم الدولي، أو قبل حصوله، وذلك بالاتفاق، أو بموجب معاهدة، على إحالة أي نزاع ينشأ من جراء تطبيق المعاهدة إلى التحكيم.
- إن الدول المتنازعة هي التي تختار الأشخاص الذين يقومون بالتحكيم لحسم النزاع بينهما، ويطلق عليه "هيئة التحكيم"، أو "محكمة التحكيم"، ويجوز أن يشترك في هيئة التحكيم أعضاء من الدول المتنازعة، ويترأس هيئة التحكيم في الغالب شخص أجنبي يتم الاتفاق عليه من قبل الدول المتنازعة ويجوز أن يكون قاضياً أو رئيس دولة.
- يصدر قرار التحكيم طبقاً لقواعد القانون الدولي، وليس ترضية للأطراف المتنازعة، وهذا بخلاف الوسائل السياسية التي هي في الغالب ترضية لهم.
- تتبع محكمة التحكيم الإجراءات التي تتبعها محكمة العدل الدولية وتستمع وتطلع على طلبات الأطراف المتنازعة ووكلائهم، ويجري مرافعة علنية وتستمع لشهادات الشهود والأدلة الأخرى، وتنتقل إلى الموقع المتنازع عليه.
- تصدر محكمة التحكيم قرار الحكم بصورة علنية، وتبلغ الأطراف المتنازعة به، ويعتبر قرارها قطعياً لا يجوز الطعن فيه أمام أية جهة، وتلتزم الدول المتنازعة بتنفيذ قرار هيئة التحكيم، والتحكيم على نوعين إجباري واختياري. (سهيل حسين الفتلاوي، غالب عواد حوامدة، المرجع السابق، ص 187-188).
- يتضح مما تقدم أنه لا توجد قواعد خاصة بالتحكيم الذي تكون المنظمة الدولية طرفاً فيه، وأن الأمر يخضع بصفة أساسية لاتفاق الأطراف، فإذا ما تم الاتفاق على قواعد وإجراءات معينة، وجب الالتزام بذلك، وفي حالة عدم وجود مثل هذا الاتفاق أو تعذر حصوله، فوجب الرجوع إلى أحكام القانون الدولي. (عبد الملك يونس محمد، 2009، مسؤولية المنظمات الدولية، الطبعة الأولى، دار الثقافة للنشر، عمان، ص 259).

ثانياً: محكمة العدل الدولية

تشكل محكمة العدل الدولية الآلية القضائية الرئيسية للأمم المتحدة (المادة 92 من الميثاق)، وقد اشترط الميثاق أن للدول وحدها حق التقاضي أمام المحكمة، إلا أنه وبالإضافة لحلها النزاعات بين الدول، تلعب المحكمة دوراً استشارياً في القضايا المتعلقة بحقوق الإنسان. (المادة 34 من النظام الأساسي للمحكمة).

-إن شعور المجتمع الدولي بحاجته الى ايجاد نظام يضمن له حقوقه ويحسن العلاقات بين الدول ويجنبها اللجوء الى استعمال القوة في تسوية النزاعات ، عجل من ظهور فكرة التحكيم الدولي لأول مرة في معاهدة مايو عام 1794 بين بريطانيا والولايات المتحدة التي قررت انشاء لجنة مختلطة للفصل في النزاعات القائمة بينهما.

لقد تم انشاء المحكمة الدائمة للتحكيم سنة 1899 بموجب مؤتمر لاهاي الا انها لم تحقق ما تصبو له البشرية من اقامة نظام قضائي دولي دائم وثابت، واعمالا لنص المادة 14 من عهد العصبة تم اعداد لجنة قصد صياغة مشروع خاص بالنظام الاساسي لمحكمة العدل الدولية، ومع بداية سنة 1922 تم تشكيل المحكمة ومقرها لاهاي، إلا انها تعطلت عن العمل بسبب الحرب العالمية الثانية، إلى أن قدم قضاتها استقالتهم للأمين العام للعصبة سنة 1946، وقد بدأت أول جلسة لها في 18 أبريل من نفس السنة. (عبد السلام صالح عرفة، 1997، التنظيم الدولي، الطبعة الثانية، منشورات الجامعة المفتوحة، الإسكندرية، مصر، ص 120).

ويقوم نشاط المحكمة أساسا على عمل قانوني وقضائي مركب، يعتمد على جملة من الاجراءات القضائية المتتالية، يتبعها ممثلو الدول المتقاضية والقضاة واعوانهم على حد سواء، اعتمادا على الوثائق القانونية المعدة كأساس لضبط مسار التقاضي، ويعبر عن هذا المسلك بقواعد المنازعات. (وسيلة شابو، 2011، الوجيز في قواعد المنازعات أمام محكمة العدل الدولية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص 05).

نصت المادة 36 في فقرتها الثانية من النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية على ولايتها الجبرية في النظر في جميع المنازعات القانونية، والتي تكون هي طرفا فيها مع دولة تقبل الالتزام نفسه وكذا بموجب الفقرة الخامسة منه اذا كان هناك تصريح بقبول ولاية المحكمة وهذا بإعطاء الدولة تعهدا واسعا في اي وقت تشاء بإعلانات قبول الاختصاص الالزامي ل(د.ع.م). تجاه اي دولة تقبل بنفس التعهد في المسائل المتعلقة بتفسير معاهدة أو اية مسألة من مسائل القانون الدولي او بما يتعلق بأية واقعة تكون من جراء وجودها نشوء خرق لالتزام دولي وأخيرا بصدد طبيعة ومدى التعويض الناجم عن مثل هذا الخرق، كما أن هذه التصريحات يمكن أن تكون مرفوقة بشروط وتودع لدى الامين العام للأمم المتحدة وهذا الأخير عليه ان يرسل صورا منها إلى الدول التي هي أطراف في هذا النظام الاساسي وإلى مسجل المحكمة. (عز الدين الطيب آدم، 2008، الاختصاص الموضوعي لمحكمة العدل الدولية، المرجع السابق، ص: 30 وما يليها).

وتجدر الإشارة إلى أن إنشاء محكمة العدل الدولية، لا يعد مانعا من إنشاء محاكم أخرى تنظر في منازعات الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، وهذا ما أشارت إليه صراحة المادة (95) من الميثاق: "ليس في هذا الميثاق ما يمنع أعضاء الأمم المتحدة من أن يعهدوا بحل ما نشأ بينهم من خلافات إلى محاكم أخرى بمقتضى اتفاقيات قائمة من قبل أو يمكن أن تعقد بينهم في المستقبل". (جمال عبد الناصر مانع، بدون تاريخ نشر، التنظيم الدولي، دار العلوم للنشر والتوزيع، بدون تاريخ نشر، ص 200).

إن محكمة العدل الدولية، هي في الأصل هيئة "قضائية دولية" بمعنى أنها أنشئت لحل المنازعات بين الدول بالطرق السلمية، فالدول إن قبلت باختصاص المحكمة، فإن أحكامها تصبح ملزمة ونهائية بشروط معينة بغض النظر عن رغبة أي من الطرفين المتنازعين، حيث تنص المادة 94 من ميثاق منظمة الأمم المتحدة على أنه إذا امتنع أحد أطراف النزاع عن تنفيذ التزامه طبقا للحكم، فإنه على الطرف الآخر اللجوء إلى مجلس الأمن.

يتضح من نص هذه المادة الإقرار بالطبيعة الملزمة التي تتصف بها الأحكام التي تصدرها محكمة العدل الدولية لذلك فإن الدول كثيرا ما تلجأ إليها لحل نزاعاتها، وقد أصدرت بشأنها الكثير من الأحكام معتمدة في تأسيسها على الاتفاقيات الدولية والعرف الدولي والمبادئ العامة للقانون المعترف بها من قبل الأمم المتحدة التي تشكل في مجموعها المبادئ والقواعد القانونية العامة السائدة.

2. اختصاص محكمة العدل الدولية:

لكي تختص المحكمة، يجب أن تتعلق المنازعة بإحدى المسائل التالية: (الفقرة 4 من المادة 36 من النظام الأساسي للمحكمة)

1. تفسير معاهدة من المعاهدات.
2. أية مسألة من مسائل القانون الدولي.
3. تحقيق واقعة من الوقائع التي إذا ثبتت أنها كانت خرقا للالتزام قانوني.
4. تحديد نزع التعويض المترتب على خرق التزام دولي، ومدى هذا التعويض. (إن أي انتهاك للالتزام تفرضه أحكام القانون الدولي يؤدي إلى نشوء المسؤولية الدولية، وقد ترسخ هذا المبدأ في المادة 19 من مشروع لجنة القانون الدولي بشأن مسؤولية الدول كالتالي:

أ. "...يكون فعل الدولة التي يشكل انتهاك الالتزام الدولي غير مشروع دوليا أي كان محل الالتزام المنتهك

ب. يشكل الفعل غير المشروع دوليا جريمة حين ينجم عن انتهاك الدولة التزاما دوليا... بالنسبة لصيانة مصالح أساسية للمجتمع الدولي...).

إلا أن لجنة القانون حذفت المادة سنة 2001، واكتفت بأحكام المسؤولية الدولية الواردة في الفصل الثالث من الباب الثاني والذي حمل عنوان "الإخلال الخطير بالالتزامات الناجمة عن القواعد القطعية للقانون الدولي"، والذي جاءت المادة 40 منه بما يلي: "يكون الإخلال بهذا الالتزام خطيرا إذا كان ينطوي على امتناع جسيم ومنتظم من جانب الدولة عن أداء الالتزام". (تقرير لجنة القانون الدولي عن أعمال دورتها 53، وثيقة الجمعية العامة للأمم المتحدة، A/56/589 الصادرة في 26 نوفمبر 2001، الدورة 56، ص 6 وما يليها).

وفي الأخير تجدر الإشارة إلى أن قيام محكمة العدل الدولية في فض المنازعات الدولية عن طريق القضاء الدولي لا يتعارض مع قيام محاكم أخرى تعرض عليها الدول منازعاتها، وقد جاء ذلك في المادة 95 من الميثاق التي نصت على أنه ليس في هذا الميثاق ما يمنع أعضاء الأمم المتحدة من أن يعهدوا بحل ما ينشأ بينهم من خلاف إلى محاكم أخرى بمقتضى اتفاقات قائمة من قبل أو يمكن أن تعقد بينهم في المستقبل.

الخاتمة:

بعد حصيلة حريين عالميتين برزت الحاجة لوجود وسائل بديلة عن استعمال القوة في العلاقات الدولية، وضرورة حل المنازعات القائمة بين الدول بالوسائل السلمية، سواء عن طريق الطرق الدبلوماسية أو القضائية.

ويعد التحكيم الدولي إحدى الوسائل السلمية لتسوية المنازعات الدولية، وهو طريق استثنائي يقوم على إرادة الأطراف، حيث تلجأ إليه الخصوم لحل نزاعاتهم دون اللجوء إلى المحكمة المختصة،

حيث يعطي القانون الدولي أهمية كبيرة لموضوع تسوية النزاعات الدولية بالطرق القضائية، والذي يعد التحكيم الدولي أهم هذه الوسائل، وذلك لدور الفعال الذي قام به في الحفاظ على السلم والأمن الدوليين إلى جانب القضاء.

أما بالنسبة للقضاء الدولي، فتمارسه محكمة العدل الدولية، ويتمثل في النظر في جميع المنازعات الدولية، سواء الواردة في نص الميثاق أو الاتفاقيات الدولية أم خارجة عنهما. واللجوء إلى المحكمة في هذه الحالة غير إلزامي، إلا بالنسبة للمسائل الواردة في الميثاق وتصريح الدولة بقبول هذا الاختصاص وذلك بصدد تفسير المعاهدات، أي مسألة من مسائل القانون الدولي، تحقيق في واقعة خرق التزام دولي، نوع التعويض على خرق الالتزام الدولي...

لقد سمح كل من التحكيم وكذا محكمة العدل الدولية من خلال أحكامها وآراءها الإفتائية، بتجنب الكثير من الصراعات والأزمات، التي كان من الممكن أن تتحول إلى حروب بين الدول، فمن خلال آرائها الإفتائية أقرت في كل مرة بأهمية إحلال السلم في العلاقات الدولية، وتحريم اللجوء للقوة، أما من خلال أحكامها فقد ساهمت في حل النزاعات - خاصة الحدودية- والتي لطالما كانت السبب في الحروب بين الدول المتجاورة.

المراجع:

أولاً: الكتب

- أحمد بلقاسم، 2006، التحكيم الدولي، طبعة ثانية، دار هومة، الجزائر.
- توري؛ يخلف، 2008، تسوية النزاعات الدولية بطرق سلمية، مجلة اجتهاد الدراسات القانونية والاقتصادية، المجلد 7، العدد 2.
- جمال عبد الناصر مانع، بدون تاريخ نشر، التنظيم الدولي، دار العلوم للنشر والتوزيع، بدون تاريخ نشر.
- خالد محمد القاضي، 2002، موسوعة التحكيم التجاري الدولي، الطبعة الأولى، دار الشروق، مصر.
- سهيل حسين الفتلاوي، 1987، تسوية المنازعات الدولية، الطبعة الأولى، الذاكرة للنشر، بغداد.
- سهيل حسين الفتلاوي؛ غالب عواد حوامدة، 2009، القانون الدولي، الجزء الثاني، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- عبد السلام صالح عرفة، 1997، التنظيم الدولي، الطبعة الثانية، منشورات الجامعة المفتوحة، الإسكندرية، مصر.
- عبد الكريم علوان، 2010، القانون الدولي العام، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن.
- عبد الكريم عوض خليفة، 2012، القانون الدولي العام، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية.
- عبد الملك يونس محمد، 2009، مسؤولية المنظمات الدولية، الطبعة الأولى، دار الثقافة للنشر، عمان.
- عمر سعد الله؛ أحمد بن ناصر، 2005، قانون المجتمع الدولي المعاصر، الطبعة الثالثة، ديوان المطبوعات الجامعية.
- عمر صدوق، 1995، محاضرات في القانون الدولي العام، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.
- زهرة بن سعيد، 2012، التحكيم التجاري الدولي، دار هومة للنشر، الجزائر.
- محمد بوسلطان، 2010، مبادئ القانون الدولي العام، الجزء الثاني، دار العرب للنشر والتوزيع.
- مفتاح عمر درباش، دون سنة نشر، المنازعات الدولية وطرق تسويتها، دراسة وفق قواعد وأحكام الفقه والقانون الدولي العام، شركة موسى الحديث للكتاب، لبنان.
- الوجيز في قواعد المنازعات أمام محكمة العدل الدولية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.
- وسيلة شابو، 2011، الوجيز في قواعد المنازعات أمام محكمة العدل الدولية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.

ثانياً: المجالات

أحمد سي علي، 2014، مبادئ ووسائل حل المنازعات الدولية حول السيادة على الأقاليم في القضاء الدولي والتحكيم الدولي، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 11.
جاويد؛ سمير، نوفمبر 2014، ماهية التحكيم وعلاقته بالقانون الدولي، قانون العرب، العدد 07.
العبادي؛ محمد وليد، 2007، أهمية التحكيم وجواز اللجوء إليه في منازعات العقود الادارية، دراسات مقارنة، العدد الثاني، الأردن، 2007.

ثالثاً: الوثائق الدولية

اتفاقية لاهاي لتسوية المنازعات الدولية لعام 1907.
امتيازات مافروماتيس فلسطين، (اليونان ضد بريطانيا)، الحكم الصادر في 30 أوت 1924، 1924، محكمة العدل الدولية الدائمة (السلسلة أ)، رقم 2، ص 11).
تقرير لجنة القانون الدولي عن أعمال دورتها 53، وثيقة الجمعية العامة للأمم المتحدة، A/56/589 الصادرة في 26 نوفمبر 2001، الدورة 56.

**PSYCHOLOGICAL REASSURANCE AND ITS RELATIONSHIP TO THE
PROACTIVE PERSONALITY**

Prof. Dr. Faisal ALRABEE

<http://dx.doi.org/10.47832/soci.con1-6>

Abstract:

The study aimed to know the relative contribution of psychological reassurance to the proactive personality. The study sample consisted of (288) male and female students from the Faculty of Education at the bachelor's, master's and doctoral levels at Yarmouk University. Two scales were used. One of them is for psychological reassurance, and the other is for the proactive personality after confirming their sincerity and stability. The study reached a number of results. Including: The level of psychological reassurance and the proactive personality was high, and there were differences in the level of reassurance attributed to the variable of the stage of study in favor of doctoral students, and there were no differences in the level of psychological reassurance and the proactive personality attributed to the variables of sex and school stage. The study also showed that there is a positive relationship between reassurance and proactive personality. Finally, the study concluded that psychological reassurance matters (48.9%) in explaining the variation in the level of proactive personality.

Keywords: Psychological Reassurance, Proactive Personality, Yarmouk University.

الطمأنينة النفسية وعلاقتها بالشخصية الاستباقية

أ.د. فيصل خليل الربيع¹

الملخص:

هدفت الدراسة إلى معرفة الاسهام النسبي للطمأنينة النفسية بالشخصية الاستباقية، كما هدفت إلى معرفة مستوى الطمأنينة النفسية، والشخصية الاستباقية لدى افراد الدراسة، وهل يختلف باختلاف متغيري الجنس والمرحلة. تكونت عينة الدراسة من (288) طالباً وطالبة من طلبة كلية التربية بمراحل البكالوريوس والماجستير والدكتوراه في جامعة اليرموك. تم استخدام مقياسين؛ أحدهما للطمأنينة النفسية، والآخر للشخصية الاستباقية بعد التأكد من صدقهما وثباتهما. توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج؛ منها: أن مستوى الطمأنينة النفسية والشخصية الاستباقية كان مرتفعاً، ووجود فروق في مستوى الطمأنينة تعزى إلى متغير المرحلة الدراسة لصالح طلبة الدكتوراه، وعدم وجود فروق في مستوى الطمأنينة النفسية والشخصية الاستباقية تعزى إلى متغيري الجنس والمرحلة الدراسية. كما بينت الدراسة وجود علاقة موجبة بين الطمأنينة والشخصية الاستباقية. وأخيراً توصلت الدراسة إلى أن الطمأنينة النفسية تهم بما نسبته (48.9%) في تفسير التباين بمستوى الشخصية الاستباقية.

الكلمات المفتاحية: الطمأنينة النفسية، الشخصية الاستباقية، جامعة اليرموك.

¹ ID جامعة اليرموك، الأردن

faisalalrabee@yahoo.co.uk

<https://orcid.org/0000-0002-7283-5993>

يمكن النظر إلى دراسة الشخصية على اعتبار أنها من أهم المواضيع التي تشغل الباحثين خلال العقود الماضية؛ حيث ظهرت نماذج متعددة لدراستها، ومن هذه النماذج نموذج العوامل الخمس الكبرى، والعوامل الستة الكبرى، وحديثاً ظهر نموذجاً جديداً يسمى الشخصية الاستباقية؛ التي يؤثر بها العديد من العوامل؛ منها الطمأنينة النفسية.

يستخدم مفهوم الطمأنينة النفسية كمرادف لمفهوم الأمن النفسي؛ إذ أشارت الدليم (2005) إلى أن مفهوم الطمأنينة يعد مرادفاً لمفهوم الأمن النفسي الذي استخدمه ماسلو. معظم تعريفات الطمأنينة النفسية تركز على تعريف ماسلو الذي بين أنها شعور الفرد بأنه مقبول من الآخرين، وأنهم يبادلونه الحب (الخطاب، 2001). فيما عرفها إبراهيم (2010) بأنها الرضا عن الذات والآخرين والاقبال على الحياة.. أما زهران (2003) فيرى أن الطمأنينة النفسية هي حالة يكون فيها الفرد شاعراً بأن حاجاته مضمونة وغير معرضة لخطر.

يرى أدلر المشار إليه في جبل (2000) أن عدم شعور الفرد بالأمن والطمأنينة ينشأ نتيجة الشعور بالدونية الذي ينشأ من الولادة بسبب قصور عضوي أو معنوي . فيما ينظر أدلر وسوليفان إلى الطمأنينة النفسية ببعدها الاجتماعي؛ حيث الإنسان كائن اجتماعي يحاول إشباع حاجاته النفسية والاجتماعية وبالتالي تحقيق طمأنينته النفسية (الخصري، 2003).

النظرية الإنسانية لماسلو تنظر إلى الطمأنينة النفسية على أنها ضمن الحاجات الأساسية؛ حيث يسعى الفرد إلى تحقيق بيئة آمنة، تحميه من المخاطر، وتوفر له الشعور بالأمن والسلامة (كفافي والنيال، 2011). أما نظرية العلاج العقلاني فترى أن الأفكار العقلانية تزيد من مشاعر الطمأنينة النفسية، وترفع بالتالي من مستوى الصحة النفسية الإسي(2014). فيما ينظر أريكسون إلى الطمأنينة النفسية على أنها الحجر الأساس لبناء الشخصية السوية، وجوهر الطمأنينة هو إشباع الحاجات الأساسية (الريماوي، 2003).

أنواع الطمأنينة النفسية

الروحية؛ حيث يبث الإيمان الشعور بالأمن والطمأنينة في حياة الفرد (رياض، 2001)، والاقتصادية؛ وتعني توفير مستوى معين من المعيشة، وحمايتهم من الأخطار الاقتصادية (Misra & Misra, 2009). والانفعالية فشعور الإنسان بالسعادة يحقق له شعوراً بالسلامة، وبأنه محبوب ومقبول من الآخرين (شقيير، 2005). فيما ينظر ريف (Ryff, 1995) إلى نموذج الطمأنينة النفسية على أنه يتكون من عدة عناصر تشكل في مجملها مفهوم الطمأنينة هي: تقبل الذات، والعلاقات الإيجابية مع الآخرين، والاستقلالية، والسيطرة على البيئة الذاتية، ووضع أهداف محددة، والتطور الذاتي.

لذا نرى مما سبق أن حاجات الفرد النفسية متعددة، وتختلف في أهميتها تبعاً للفرد، ونرى اتفاقاً كبيراً على أن الحاجة إلى الطمأنينة النفسية باتت تشكل عاملاً مهماً من عوامل تحقيق الصحة الإيجابية. كما ويعد إشباع حاجة الفرد إلى الطمأنينة في مختلف مراحل الحياة ضرورياً، ليكون النمو سليماً، فالأفراد الذين يشعرون بالطمأنينة النفسية يتصفون بالتفاؤل، والابداع، والنجاح، والتوافق مع المجتمع (مرسي، 1986).

ينظر البعض للطمأنينة النفسية على أنها تتكون من مكونين رئيسيين: مادي؛ حيث يميل الفرد إلى إشباع حاجاته الأولية، وبالتالي يحافظ على حياته، والمكون الثاني معنوي؛ ويتمثل بإحساس الفرد بالرضا، وعدم القلق، والإحساس بالسعادة (عبد المجيد، 2004). فيما يرى زهران (1989) أن الطمأنينة النفسية تشمل ابعاد أساسية؛ كالشعور بالمحبة، والمودة مع الآخرين وبالانتماء للجماعة، وغياب مهددات الأمن، وابعادا فرعية؛ كالشعور بالعدل، وبالهدوء، والاستقرار، والتحرر والانطلاق، والتفاؤل.

أما التصور الإسلامي للطمأنينة النفسية فهو قائم على أساس الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره؛ حيث ترتبط درجة الإيمان بهذه الأركان ارتباطاً موجباً بالقدرة على مواجهة الأخطار. فالقرآن الكريم سبق علماء النفس عندما أوضح لنا أهمية الإيمان في تحقيق الأمن والطمأنينة، لأن الإيمان يزيد من الثقة بالنفس ومن القدرة على الصبر، الشعور بالسعادة (الشرقاوي، 1984).

مفهوم الشخصية الاستباقية

ظهرت العديد من المفاهيم التي أثرت على نمط حياة الفرد، وكيف يتعامل مع العالم المحيط وكيف يخطط للمستقبل. أحد هذه المفاهيم هو الشخصية الاستباقية (Ozkurt & Alpay, 2018) تم تقديم الشخصية الاستباقية لأول مرة بواسطة (Bateman & Krant, 1993)؛ وعرفاها على أنها اتجاه مستقر نسبياً لإحداث تغيير بيئي يميز الناس بناء على مدى اتخاذهم إجراءات للتأثير على بيئاتهم. كما يمكن تعريف الشخصية الاستباقية بأنه الشخص الذي يشارك بنشاط في الأحداث، ويخرج بحلول مناسبة من خلال توقع المشاكل المحتملة قبل ظهورها بالفعل (Siebert et al., 1999). كما يشير مصطلح الاستباقية إلى قدرة الأفراد ورغبتهم في التعامل مع أدوار عملهم بطريقة نشطة ومستقبلية والبحث عن فرص للتحسين وتأثير واضح على بيئاتهم (Crant, 2000). تشير الاستباقية إلى سمات الشخصية أو السلوكيات أو سلسلة من الإجراءات التي تهدف إلى إحداث التغيير، وهناك ثلاثة عناصر مهمة على الأقل تحدد النشاط الاستباقي (التركيز على المستقبل، والتوجه نحو التغيير، والاستعداد الذاتي (Bindle et al., 2013).

افترض أوزكورت وألبي (Ozkurt & Alpay, 2018) أن الشخصية الاستباقية تتميز بالآتي 1. تتميز الشخصية الاستباقية بنمط من السلوك يقوم على احترام الذات واحترام الذات العالي. 2. الأفراد ذوو الشخصية الاستباقية يؤدون كل سلوك اختياري كوحدة واحدة كنتيجة للتفكير وتحليل المخاطر. 3. يستخدم الأفراد الاستباقيون مشاعرهم وقدراتهم ومعرفتهم الفكرية في مواجهة الصعوبات والمعوقات. 4. يتسم الأفراد الاستباقيون بالانسجام بين ذكائهم الروحي وذكائهم المعرفي وذكائهم العاطفي، ويواجهون مخاوفهم بواقعية. 5. يحول الأفراد الاستباقيون مشاكلهم وأخطائهم إلى تجربة تعليمية وأسلوب حياة. 6. أعمالهم جيدة للمشاركة في الأنشطة المختلفة.

وفقاً لكامل (Chample, 2000) ، تحتوي الشخصية الاستباقية على خمس خصائص أساسية: الكفاءة الوظيفية العالية ؛ الكفاءة الشخصية والقيادة والجدارة بالثقة ؛ مستوى عال من الالتزام التنظيمي والمسؤولية ؛ الصفات الاستباقية مثل المبادرة والحكم المستقل ؛ وجودة النزاهة والسعي لتحقيق قيمة أعلى. أما بهاو وجوبتا (Bhawe & Gupta, 2007) فيشيران إلى أن تمتع الأشخاص بالشخصية الاستباقية يمكنهم من اتخاذ زمام المبادرة للتعامل مع الأحداث، والبحث عن فرص التطوير، ويتميزون بمستويات عالية من تقرير المصير. وهم على استعداد للذهاب بعيداً من أجل تحقيق الأهداف المحددة (Parker et al., 2010). أما الأشخاص غير الاستباقيين فيفشلون

في تحديد الفرص، ويفشلون في اغتنام الفرص لتغيير الأشياء، وهم أقل نشاطاً، وسلبيون، ويفضلون التكيف مع الظروف بدلاً من تغييرها (Crant, 2000).

الدراسات السابقة

أجرى أبو هدروس والفرا (2017) دراسة تهدف لبناء نموذج نظري يتكون من الطمأنينة النفسية كمتغير وسيط في العلاقة بين الانتماء الوطني والتضحية، وسلوك حماية الذات لدى حفظة القرآن الكريم. تكونت العينة من (265) حافظاً للقرآن الكريم. بينت النتائج أن الطمأنينة النفسية تؤدي دوراً وسيطاً بين الانتماء وكل من التضحية وسلوك حماية الذات.

أجرى السعيد (2021) دراسة بهدف التعرف إلى علاقة المساندة الاجتماعية، والطمأنينة النفسية، والهوية الذاتية، لدى عينة تكونت من (300) من طلبة جامعة الكويت. بينت نتائج هذه الدراسة عدم وجود فروق في مستوى الطمأنينة النفسية، والمساندة الاجتماعية تعزى إلى متغير الجنس.

هدفت دراسة العبيدي (2019) إلى الكشف عن الطمأنينة النفسية لدى طلبة كلية التربية في جامعة الموصل في العراق. تكونت عينة الدراسة من (200) طالباً وطالبة. توصلت الدراسة إلى وجود فروق في مستوى الطمأنينة تعزى إلى متغير الجنس؛ حيث كان مستوى الطمأنينة النفسية لدى الإناث أعلى مما هو لدى الذكور. كما وبينت النتائج ارتفاع مستوى الطمأنينة النفسية.

كان من بين أهداف دراسة النجار (2022) التعرف إلى مستوى الطمأنينة النفسية لدى عينة تكونت من (920) طالباً وطالبة من طلبة جامعة مؤتة. بينت نتائج الدراسة وجود فروق في الطمأنينة تعزى إلى متغير الجنس، حيث تفوقت الإناث على الذكور. كما بينت النتائج أن أفراد عينة الدراسة يتمتعون بمستوى متوسطاً من الطمأنينة النفسية.

فيما أجرت الزغير (2022) دراسة بعنوان الطمأنينة النفسية كمتغير وسيط في العلاقة بين التفكير الإيجابي والرضا عن الحياة لدى عينة تكونت من (253) طالباً وطالبة من حفظة القرآن الكريم من طلبة كلية الشريعة، جامعة الخليل. بينت نتائج الدراسة أن الإناث يتفوقن على الذكور بمستوى الطمأنينة النفسية بدرجة دالة إحصائية، وأن مستوى الطمأنينة النفسية لمن يحملون درجة الماجستير فأعلى أعلى ممن سواهم، وجود مستوى مرتفع من الطمأنينة لدى أفراد عينة الدراسة.

سعت دراسة حميد ومظلوم (2019) إلى التعرف على العلاقة بين الشخصية الاستباقية والتفاؤل المتعلم لدى طلبة الدراسات العليا. على عينة قوامها (411) طالب دراسات عليا في جامعات الفرات الأوسط حسب متغيرات الجنس والتخصص، بينت نتائج الدراسة تمتع طلاب الدراسات العليا بشخصية استباقية وبدرجة أعلى من الوسط الفرضي، ووجود علاقة ارتباط موجبة بين الشخصية الاستباقية والتفاؤل المتعلم لدى طلبة الدراسات العليا.

فيما هدفت دراسة جاسم ونافل (2021) لقياس الشخصية الاستباقية لدى موظفي الدولة وفق متغيري الجنس، وسنوات الخدمة. تكونت عينة تتألف من (400) من الموظفين العراقيين، بينت النتائج أن موظفي الدولة بالعراق يتمتعون بدرجة عالية من الشخصية الاستباقية، كما بينت النتائج عدم وجود فروق في الشخصية الاستباقية تعزى إلى متغيري الجنس وسنوات الخدمة.

يلحظ من الدراسات السابقة أن الدراسات التي تناولت الشخصية الاستباقية في البيئة العربية هي قليلة، كما ويلحظ عدم وجود دراسات تناولت العلاقة بين الشخصية الاستباقية والطمأنينة النفسية، وهذا ما يميز هذا البحث.

مشكلة الدراسة

من خلال خبرة الباحث المتواضعة في تدريسه الجامعي لاحظ أن الطلبة يظهر عليهم سلوكيات تشير إلى عدم وجود الطمأنينة النفسية لديهم، فهم يسألون عن المدرس، وطبيعة أسئلته وطريقة تعامله، كما ويظهر عليهم التردد في اتخاذ القرار، ونقص بالقدرة على أحداث تغيير، أو توقع الأحداث قبل حدوثها، لذا جاءت هذه الدراسة للبحث في الطمأنينة النفسية والشخصية الاستباقية من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما مستوى كل من الشخصية الاستباقية، والطمأنينة النفسية لدى طلبة كلية التربية في جامعة اليرموك؟
- ما القدرة التنبؤية للطمأنينة النفسية بالشخصية الاستباقية؟

أهمية الدراسة: تتمثل أهمية الدراسة بتناولها لمتغير يعد جديدا نوعا ما على الساحة العربية وهو وضوح الشخصية الاستباقية، كما وتتمثل الأهمية في البحث في مدى إسهام الطمأنينة النفسية بالشخصية الاستباقية، الأمر الذي قد يتيح المجال أمام المهتمين لعمل برامج ارشادية للتعامل مع هذين المتغيرين.

مصطلحات الدراسة:

الطمأنينة النفسية: يرى إبراهيم (2010) بأنها الرضا عن الذات والآخرين، والإقبال على الحياة. وتعرف إجرائياً بالدرجة التي يحصل عليها المستجيب على المقياس المعد لهذه الغاية.

الشخصية الاستباقية: هي قدرة الأفراد ورغبتهم في التعامل مع أدوار عملهم بطريقة نشطة ومستقبلية والبحث عن فرص للتحسين وتأثير واضح على بيئاتهم (Crant, 2000). وتعرف إجرائياً بالدرجة التي يحصل عليها المستجيب على المقياس المعد لهذه الغاية.

محددات الدراسة: تقتصر محددات الدراسة على طبيعة الأدوات المستخدمة، من حيث درجة صدقها وثباتها.

الطريقة والإجراءات

المنهج: استخدم في الدراسة المنهج الوصفي.

مجتمع الدراسة وعينتها: تكون مجتمع الدراسة من جميع طلبة كلية التربية المسجلين خلال الفصل الأول من العام الدراسي 2022-2023، مختلف المراحل الدراسية؛ حيث تكونت عينة الدراسة من (288) طالبا وطالبة.

أداتا الدراسة:

مقياس الطمأنينة النفسية:

تم استخدام مقياس بعد الطمأنينة النفسية في مقياس الأمن النفسي (نعيسة، 2014)، وقد استخرجت ناعسة خصائصه السيكومترية من صدق وثبات، حيث تمتع المقياس بمعامل ثبات (0.81). أما في الدراسة الحالية، فقام البحث بإيجاد صدق المحكمين من خلال توزيعه على عشرة محكمين من أساتذة كلية التربية بجامعة اليرموك للأخذ بآرائهم حول هذا المقياس، كما تم إيجاد معامل الارتباط بين كل فقرة والدرجة الكلية للمقياس حيث تراوحت ما بين (0.416-0.762) أما الثبات فتم إيجاد كرونباخ الفا حيث كان (0.873).

مقياس الشخصية الاستباقية:

تم استخدام النسخة المختصرة من مقياس كرانن وباتمان (Crant & Bateman, 1993)، ويتمتع هذا المقياس بدرجة ثبات (0.86)، أما صدق البناء فقد تم استخراج معامل ارتباط ما بين الفقرة والدرجة الكلية للمقياس حيث تراوحت (0.52-0.66). أما في الدراسة الحالية، فقام البحث بعد ترجمة فقرات المقياس بتوزيعها على عدد من المحكمين، لإبداء آرائهم حول المقياس. كما قام الباحث بإيجاد معامل ارتباط الفقرة مع الدرجة الكلية للمقياس حيث تراوحت بين (0.480-0.752) للشخصية الاستباقية. ومعامل الثبات كان (0.868).

متغيرات الدراسة:

المتغير المتنبئ: الطمأنينة النفسية.

المتغير المتنبأ به: الشخصية الاستباقية.

الأساليب الإحصائية: للإجابة عن السؤال الأول تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، فيما تم استخدام تحليل الانحدار (Stepwise) للإجابة عن السؤال الثاني.

النتائج ومناقشتها:

للإجابة عن هذا السؤال الأول تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، والجدول (1) يبين

ذلك

جدول (1): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى استجابات افراد عينة الدراسة على مقياسي الطمأنينة النفسية والشخصية الاستباقية

المتغير	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المستوى
الطمأنينة النفسية	3.953	0.632	مرتفع
الشخصية الاستباقية	3.985	0.590	مرتفع

يلحظ من الجدول (1) أن افراد عينة الدراسة يتمتعون بمستوى مرتفع من الطمأنينة النفسية؛ بمتوسط حسابي (3.953)، بانحراف معياري (0.632)؛ يمكن تفسير هذه النتيجة في ضوء أن افراد هذه الدراسة يعيشون في مجتمع يسوده التكافل والمحبة والاحترام، وفي مجتمع يشعر الفرد فيه أن الأفراد المحيطين به كالأب والأم والأقارب قرييون منه، حريصون عليه، يوفرون له الرعاية والأمان، ويحمونه من أي خطر خارجي؛ الأمر الذي يرفع من مستوى الطمأنينة لديهم. كما يمكن تفسير هذه النتيجة في ضوء ما أشار إليه (أبو هدروس والفرا، 2017) من أفراد العينة كونهم مسلمون لديهم إحساساً بانعدام الخوف، والتهديد، مما يعزز ثقتهم بالله وحسن ظنهم به، وإيمانهم بأن كل ما يصيبهم من خير أو شر هو في النهاية خيرا لهم.

كما يتضح من الجدول (1) أن افراد عينة الدراسة يتمتعون بمستوى مرتفع من الشخصية الاستباقية؛ حيث كان الوسط الحسابي (0.985) وبانحراف معياري (0.590)، يمكن تفسير هذه النتيجة في ضوء طبيعة تكوين المجتمع الأردني الذي يتيح لأبنائه مجالاً واسعاً من حرية الرأي أمام أفرادهم، كما قد يعود لطبيعة التنشئة الأسرية؛ حيث تحاول الأسرة غرس مبادئ معينة في أبنائها كالقدرة على التحمل، والمثابرة، وتحمل المخاطر، والمبادأة، والتشجيع على اتخاذ القرار.

• السؤال الثاني: ما القدرة التنبؤية للطمأنينة النفسية بالشخصية الاستباقية؟

للإجابة عن هذا السؤال تم استخدام أسلوب تحليل الانحدار (Enter)، والجدول (2) يبين ذلك

جدول (2): نتائج تحليل الانحدار (Enter) للتنبؤ بمستوى الشخصية الاستباقية من خلال الطمأنينة النفسية

النموذج	R	R2	R Adjusted	دلالة F	Beta	B	T	دلالة T
الحد الثابت						1.366	8.399	000
الطمأنينة	.699a	.489	.487	000b	.699	.663	16.310	.000

يتضح من الجدول (2) أن القدرة التنبؤية للطمأنينة النفسية بالشخصية الاستباقية بلغت (48.7%)، يمكن تفسير هذه النتيجة في ضوء ارتفاع مستوى الطمأنينة، فمن يمتلك مستوى مرتفع من الطمأنينة، فهو يتميز بالثقة بالنفس، والجرأة، وعدم الخوف أو القلق، والجرأة في اتخاذ القرار، وهذا بالضبط ما يشكل عناصر رئيسة من عناصر الشخصية الاستباقية، فالمطمئن نفسياً؛ يستشرف المستقبل دون خوف ودون تردد، ويبادر إلى اقتناص الفرص لإحداث التغيير.

التوصيات والاستنتاجات: ضرورة المحافظة على مثل هذه المعايير المرتفعة من الطمأنينة النفسية، والشخصية الاستباقية، عن طريق مراعاة المدرسين، وحرصهم في التعامل مع الطلبة. كما يمكن إجراء دراسات أخرى تتناول الشخصية الاستباقية مع متغيرات أخرى؛ كالاحتراق النفسي للمعلمين.

المراجع:

- إبراهيم، الشافعي. (2010). إدمان الانترنت وعلاقته بالوحدة النفسية والطمأنينة النفسية لدى طلاب وطالبات جامعة الملك خالد بالسعودية على ضوء بعض المتغيرات الديموغرافية، *مجلة دراسات نفسية*، 20(3)، 437-464.
- الإسي، هدير. (2014). *العلاج المعرفي السلوكي لاضطراب القلق العام- دراسة اكلينيكية- رسالة ماجستير غير منشورة*، الجامعة الاسلامية، غزة.
- الدليم، فهد. (2005). الطمأنينة النفسية وعلاقتها بالوحدة النفسية لدى عينة من طلبة الجامعة، *مجلة جامعة الملك سعود، سلسلة العلوم التربوية والدراسات الإسلامية*. 18(1)، 329-362.
- جاسم، ماهر ونافل، علي. (2021). قياس الشخصية الاستباقية لدى موظفي الدولة. *مجلة الآداب ملحق (3)* 139: 172-157.
- جبل، فوزي. (2000). *الصحة النفسية وسيكولوجية الشخصية*. مصر: المكتبة العربية.
- الخطاب، سهام. (2001). القيم الدينية وعلاقتها بالطمأنينة النفسية والدافع للإنجاز لدى طلبة وطالبات الجامعة، *مجلة كلية التربية ببناها، أكتوبر*، 12(49) 166 - 199.
- الخطري، جهاد. (2003). *الأمن النفسي لدى العاملين بمراكز الإسعاف بمحافظة غزة وعلاقته ببعض سمات الشخصية ومتغيرات أخرى*. رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة.
- عبد المجيد، السيد. (2004). *إساءة المعاملة والأمن النفسي لدى تلاميذ المدرسة الابتدائية*. *مجلة دراسات نفسية*، 4(23)، 25-53.
- كفافي، علاء الدين والنيال، مايسة. (2011). *نظريات الشخصية*. عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع.
- النجار، نبيل. (2022). *الاضطراب الانفعالي وعلاقته بالطمأنينة النفسية والطموح لدى طلبة جامعة مؤتة*. *مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية*، 37(5)، 117-164.
- رياض، سعد. (2008). *موسوعة علم النفس والعلاج النفسي*. مصر: دار ابن الجوزي.
- الريماوي، محمد. (2003). *علم نفس النمو، الطفولة والمراهقة*. عمان: دار المسيرة.
- الزغير، هديل. (2021). *الطمأنينة النفسية كمتغير وسيط في العلاقة بين التفكير الإيجابي والرضا عن الحياة لدى حفظة القرآن الكريم من طلبة كلية الشريعة في جامعة الخليل*. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة الخليل.
- زهران، حامد. (1989). *الأمن النفسي وعلاقته بالأمن القومي*. *مجلة دراسات تربوية*، 4(19)، 65-99.
- زهران، حامد. (2003). *دراسات في الصحة النفسية والإرشاد النفسي*. القاهرة: عالم الكتاب.
- الشرقاوي، حسن. (1984). *نحو علم نفس إسلامي*. مؤسسة شباب الجامعة.
- شقيير، زينب. (2005). *الشخصية السوية والمضطربة*. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

I. International Century Congress for Social Sciences

حميد، زينب ومظلوم، علي. (2019). الشخصية الاستباقية وعلاقتها بالتفاؤل المتعلم لدى طلبة الدراسات العليا. *مجلة التربية للعلوم الإنسانية*، 26 (2) 1-20.

نعيسة، رغداء. (2012). الاغتراب النفسي وعلاقته بالأمن النفسي: دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة دمشق القاطنين بالمدينة الجامعية. *مجلة جامعة دمشق* (3)، 113-158.

Bateman, T. S. & Crant, J. M. (1993). The proactive component of organizational behavior: A measure and correlates. *Journal of Organizational Behavior*, 14(2), 103–118. <https://doi.org/10.1002/job.4030140202>

Bindl, U. K. & Parker, S. K. (2010). *Proactive work behavior: Forward-thinking and changeoriented action in organizations*. In S. Zedeck (Ed.), *APA handbook of industrial and organizational psychology*, Vol 2: Selecting and developing members for the organization. (pp. 567–598). American Psychological Association. <https://doi.org/10.1037/12170-019>

Campbell, D. (2000). The proactive employee: Managing workplace initiative. *The Academy of Management Executive* 14: 52–66.

Crant, J. M. (2000). Proactive Behavior in Organizations. *Journal of Management*, 26(3), 435–462. <https://doi.org/10.1177/014920630002600304>

Misra, R & Misra, J (2009). *Towards Social Security Systems in Japan* .Lessons for India.

Ozkurt, B.& Alpay,C.B., (2018), Investigation of Proactive personality Characteristics of the Students of High School of physical Education and Sports though Various Variables

Parker, S. K., Bindl, U. K. & Strauss, K. (2010). Making Things Happen: A Model of Proactive Motivation. *Journal of Management*, 36(4), 827–856. <https://doi.org/10.1177/0149206310363732>

Ryff, E. M. (1995). Exploring children’s emotional security as a mediator of the link between marital relationships and child adjustment. *Child Development*, 69, 70- 98.

Seibert, S. E., Kraimer, M. L. & Crant, J. M. (2001). What do proactive people do? A longitudinal model linking proactive personality and career success. *Personnel Psychology*, 54(4), 845–874. <https://doi.org/10.1111/j.1744-6570.2001.tb00234.x>

Seibert, S. E., Crant, J. M. & Kraimer, M. L. (1999). Proactive personality and career success. *Journal of Applied Psychology, 84*(3), 416–427. <https://doi.org/10.1037/0021-9010.84.3.416>

THE ROLE OF PEDAGOGY IN ENHANCING THE EDUCATIONAL PROCESS

Dr. TOUATI Sabah

Dr. SAAD Wardia

<http://dx.doi.org/10.47832/soci.con1-7>

Abstract:

Pedagogical evaluation is extremely important in all of the world's educational systems, as it has an effective impact on the continuity, effectiveness and quality of the learning process.

The multi-dimensional appraisal process is complementary, far from being an abstract judgment of pupils' outcomes and routinely without moving their wishes for self-correction.

The three types of educational assessment (diagnostic, formative, and final) has a formative dimension, and the other is a fundamental driver of the pupil's motivation for learning, especially if it uses its gifts to support the doctrinal dialogue between the teacher and his pupils.

The Educational Evaluation seeks to improve the learning process by having the pupil adopt highly competent educational goals that help him develop himself and his creativity, as well as solidify the idea that the evaluation is a constructive adjustment corrective process and not just a standard selective process.

So achieving quality education has become an imperative based on diverse strategies that need to intensify the efforts of all those involved in the success of the educational process with all its components.

The current study therefore aims to highlight the role of pedagogical evaluation in the refinement of the educational process

Keywords: Education - Learning Process - Learning Quality.

دور التّقييم التّربوي في تجويد العمليّة التّعليميّة التّعلّميّة

د . تواتي صباح¹

د . ساعد وردية²

الملخص:

يحتلّ التّقييم التّربوي أهميّة بالغة في جميع الأنظمة التّربويّة في العالم وذلك لما له من تأثير فعّال في سيرورة العمليّة التّعليميّة التّعلّميّة ونجاحاتها وتجويد مخرجاتها .
وعليه فإنّ عمليّة التّقييم متعدّدة الأبعاد متكاملة العناصر، و هي أبعد من أن تكون مجرد حكم نصدره على نتائج التّلاميذ وبشكل روتيني دون أن نحرك في نفوسهم رغبة في التّصحيح الدّاتي للأخطاء .
وللتّقييم التّربوي بأنواعه الثلاثة (التّشخيصي، التّكويني، الختامي) بُعدا تكوينيّا و الآخر مُحركا أساسيا للتّلميذ يستثير دافعيّته للتّعلّم خاصة إذا استغلّت معطياته في دعم الحوار الدّيداكتيكي بين المعلّم وتلاميذه .
ويسعى التّقييم التّربوي إلى تجويد عمليّة التّعلّم من خلال جعل التّلميذ يتبنى أهدافا تعليميّة ذات كفاءة عالية تساعد على التّطوير الدّاتي والقدرة على الابداع، بالإضافة إلى ترسيخ فكرة أنّ التّقييم عمليّة تصحيحية تعديليّة بنائيّة و ليس مجرد عمليّة انتقائيّة معيارية .
إذن تحقيق جودة التّعليم أصبح ضرورة حتمية تعتمد على استراتيجيات متنوّعة تحتاج إلى تكاتف جهود كلّ القائمين على نجاح العمليّة التّعليميّة بكلّ عناصرها .
وعليه تهدف الدّراسة الحاليّة إلى تسليط الضوء على دور التّقييم التّربوي في تجويد العمليّة التّعليميّة التّعلّميّة.
الكلمات المفتاحية: التّقييم التّربوي، العمليّة التّعليميّة التّعلّميّة، جودة التّعليم .

¹ جامعة البويرة، الجزائر

touatisbah@gmail.com

<https://orcid.org/0009-0005-0004-696X>

² جامعة البويرة، الجزائر

rachi_saad@yahoo.f

<https://orcid.org/0009-0005-3691-5426>

إن من أبرز التوجهات المعاصرة في عمليات التعليم و التعلم اعتبار جميع المتعلمين على أنهم قادرون على التعلم إذا توفرت لهم العناية الكافية أثناء عملية التعلم و في مقدمتها تحويل المتغيرات و العوامل القابلة للتعديل و توجيهها لصالح المتعلمين، و هذا حتى تراعى الفروق الفردية فنأخذ بيد المتعلم البطيء في انجازه و نثري حصيلة المتعلم المتفوق إن هذا التوجه يستلزم معاملة التلميذ معاملة تكوينية بنائية و يستوجب مساعدته على تحسين أدائه من بداية المشوار الدراسي حتى بلوغ الأهداف المرجوة باتفاق و تفوق .

و تؤكد النظرية الحديثة على أن العملية التعليمية منظومة شاملة ترتبط مكوناتها المختلفة ارتباطا عضويا في وحدة متكاملة، و التقويم كأحد هذه المكونات الأساسية المنظومة التربوية له علاقة كبيرة بمختلف جوانب العملية التعليمية، لما يقدمه من تشخيص و علاج و تغذية راجعة لتوجيه مسارها و زيادة فعاليتها لتحقيق الأهداف المسطرة .

تهدف سيكولوجية التعلم إلى نقل التدريس من طابعه التقليدي إلى تدريس يتبنى النظرية النفسية التي تفترض أن المعلم و المتعلم و المادة التعليمية متغيرات تسير مع بعضها البعض بصورة متألفة في الموقف التعليمي لتحقيق الاندماج المعرفي .

ومن بين الأساليب المتبعة من طرف المعلم لتحقيق هذه العلاقة التفاعلية : التقويم الذي يعد وسيلة للإصلاح و التطوير و التعديل بهدف تحسين تعلم التلاميذ، و تبين الكثير من الدراسات و البحوث أن العملية التعليمية لا يمكن أن تكون فعالة و ناجحة إلا إذا أعطي الاهتمام الكافي و اللازم لعملية التقويم .

وقد اهتمت الكثير من الدول المتطورة بإحداث تحولات جوهرية في نظم القياس و التقويم لديها بحيث لا يقتصر تقويم التلميذ على الامتحانات الكلاسيكية التي تُجرى في منتصف العام الدراسي أو في نهايته، وإنما يتضمن أيضا الواجبات المنزلية و المشاريع الفردية أو الجماعية و العروض و البحوث، و الأنشطة المدرسية المختلفة ... و قد أصبحت عملية التقويم عملية ملازمة و مواكبة لعملية التعلم، و هو الوسيلة الوحيدة التي يمكن من خلالها التعرف على تحقيق الأهداف التعليمية، و مدى ملاءمة البرامج الدراسية و الكشف عن فاعلية النظم التربوية و الوقوف على مدى نجاح القرارات و الاصلاحات التربوية، لذلك يمكن القول أن التقويم التربوي هو تعليم في حد ذاته .

إن التقويم كغيره من الأنشطة التربوية له أهداف يسعى لتحقيقها و يمكن حصر هذه الأهداف في هدفين رئيسيين أحدهما تصحيحي تعديلي و الآخر تحفيزي دافعي يسعى لاستثارة دافعية المتعلمين .

ولكي يساهم التقويم التربوي في إنجاح العملية التعليمية يجب أن يُمارس وفق معايير واضحة و دقيقة تتسم بالجودة . فلا يمكن أن نسعى إلى تحقيق جودة التعليم دون أن نعلم على تقويم تربوي قائم على معايير الجودة، و جودة العملية التعليمية مرهونة بجودة العملية التقييمية. إذن ضبط معايير مناسبة لعملية التقويم تجعل المعلم يتدخل في الوقت المناسب ليوجه المتعلم إلى المسار الصحيح، مع الحرص على أن يجعله واعيا بأخطائه و مشاركا في تعديلها مما يعزز ثقته بنفسه .

و عليه تهدف الدراسة الحالية إلى تسليط الضوء على دور التقويم التربوي في إنجاح العملية التعليمية و في جودتها و من خلال تقديم تغذية راجعة مستمرة حول مخرجات التعلم و فق معايير تقييمية مناسبة .

1 – تحديد المفاهيم :

1-1 . التّقيوم التّربوي :

يرى (Tyler 1990) (كما ورد عن الصّانع وآخرون، 2007) أنّ التّقيوم هو عملية تقرير مدى تحقيق الأهداف التّربويّة في البرنامج .

أمّا (Bloom 1983) (كما ورد عن قلادة، 2005) فيرى أنّ التّقيوم هو إصدار دعم لغرض ما، على قيمة الأفكار، أو الأعمال أو الحلول أو الطّرق أو المواد، وأنّه يتضمّن استخدام المحكّات والمستويّات والمعايير لتقدير مدى كفايّة الأشياء ودقّتها وفعاليتها، ويكون التّقيوم كمّيّاً أو كيفيّاً .

في حين يرى (Deketele,1991) أنّ التّقيوم مجموعة معلومات وجيهة صالحة وكافية لبحث درجة المطابقة بين هذه المجموعة من المعلومات و مجموعة مقاييس مطبقة للأهداف المحدّدة في البداية أو معدّلة خلال العملية من أجل أخذ القرار .

يرى (Cardinet, 1988) أنّ التّقيوم التّربوي عملية ملاحظة وتأويل آثار التّعليم لأجل اتخاذ القرارات الصّوريّة الضّامنة لحسن سير العملية التّعليميّة وتطويرها.

أمّا (Decorte, 1979) فيرى أنّ التّقيوم عملية جمع معلومات حول قيمة مختلف مكونات فعل التّعليم والتّعلّم، تمكّن من اتخاذ القرارات المتعلّقة بالتّعديلات، التي يجب إدخالها لتحسين وتطوير العملية التّعليميّة .

بينما يرى (صادق و أبو حطب، 1988) أنّ التّقيوم عملية إصدار الحكم على قيمة الأشياء أو الأشخاص أو الموضوعات وهو بهذا المعنى يتطلّب استخدام المعايير أو المستويّات أو المحكّات، لتقدير هذه القيمة، كما يتضمّن أيضا معنى التّحسن أو التّعديل أو التّطوير الذي يعتمد على هذه الأحكام .

كما يعرف (يوسف و محمود، 1999) التّقيوم بأنّه عملية منهجيّة تقوم على أسس علميّة تستهدف إصدار الحكم بدقّة و موضوعيّة على مدخلات و مخرجات أي نظام تربوي ومن ثمّ تحديد جوانب القوّة و القصور في كلّ منهما، تمهيداً لاتخاذ قرارات مناسبة لإصلاح وتعديل النّقص .

من خلال العرض المقدم لمجموعة التعاريف المختلفة يمكن القول أنّ التّقيوم هو مجموعة عمليّات منهجيّة تقوم بإصدار حكم في ضوء محك أو معيار محدّد مسبقاً على جانب من جوانب العملية التّربويّة، للتأكد من مدى اقترابها أو ابتعادها عن الأهداف المسطرة و ذلك لدعم و تعزيز الجوانب الإيجابية والوقوف على النّقص و الجوانب السّلبية بهدف اتخاذ قرارات تربويّة ملائمة .

1 – 2 . جودة التّعليم :

تعرف الجودة في التّعليم كلّ ما يؤدّي إلى تطوير القدرات الفكرية و الخياليّة عند المتعلّمين و تحسين مستوى الفهم والاستيعاب لديهم .

وهي عملية استراتيجية تركز على مجموعة من القيم التي تستمد طاقتها من المعلومات و البيانات التي تستثمر قدرات التلاميذ و تستثمر مواهبهم بطريقة ابداعية لضمان التّقدّم المستمر للعملية التّعليميّة و كذلك الوصول إلى تحقيق الأهداف بإتقان .

إذن جودة التّعليم هي تطوير شامل مستمر في أداء المؤسسة التّعليميّة (المدرسة) يشمل كافة مجالات العمليّة التّعليميّة .

2 - أهداف التّقويم : للتّقويم هدفان : هدف تصحيحي والآخر دافعي

الهدف التّصحيحي : يسلط الصّوء على مواطن القوّة من أجل تعزيزها وإصلاح وتعديل ما هو سلبي . فهو يجعل المعلّم يعالج الصّعوبات الّتي تعيق فهم التّلميذ في وقت مبكّر قبل استفحالها .

أما الهدف الدّافعي : فيتمثّل في التّغذية الرّاجعة الّتي تقدّم المعلّم والمتعلّم لأنّ هذه الأخيرة تمكن التّلاميذ من معرفة مدى التّقدّم الّذي أحرزوه في مجال معيّن أو في مادة ما .

فهذا من شأنه أن يحفّز التّلاميذ ويزيد من دافعيتهم في بذل المزيد من الجهد .

إنّ التّلميذ الّذي يعتقد أنّ الهدف النهائي للتّقويم هو التّصحيح و التّعديل يكون اعتقاده مبنياً على قدراته و التّحكم في أسباب نجاحه و فشله والعكس بالنّسبة للتّلميذ الّذي يعتقد أنّ الهدف النهائي للتّقويم هو الانتقاء وفق معايير محدّدة سلفاً و يعزو نجاحه أو فشله إلى أسباب غير متحكّم فيها .

3 - مراحل عمليّة التّقويم

تعتمد التّربيّة الحديثة في أساليبها التّقويميّة على أسس منطقيّة و موضوعيّة هادفة، ذات ارتباط وثيق بكلّ ما يتصل بعمليّة التّعلم و التّعليم، و يمكن إيجاز أهم مراحل التّقويم كالآتي:

1-3. مرحلة التّخطيط : تبدأ هذه المرحلة قبل القيام بعمليّة التّقويم، وتتطلّب اتخاذ قرارات عن كفيّة إجراء عمليّة التّقويم و ذلك بتحديد الموقف التّقويمي، و تحديد أهدافه واختيار الأدوات المناسبة، و تحديد الاستراتيجيات و اختيار نوع التّصميم المناسب وإعداد جدول زمني لتنفيذ البرنامج التّقويمي.

2-3. تحليل الموقف التّقويمي : تتضمّن هذه الخطوة جمع معلومات عن موضوع التّقويم وذلك لتحديد أبعاد الجهد المطلوب بذله لإجراء عمليّة التّقويم.

3 - 3. تحديد الأهداف: يتمّ في هذه الخطوة تحديد الأهداف العامّة وتحليلها إلى أهداف سلوكيّة قابلة للقياس، توضح الأهداف للتّلاميذ ما هو متوقّع منهم بشكل دقيق.

3-4. تحديد المتطلّبات: و هي خطوة ضروريّة يتمّ فيها تحديد مستوى الفرد قبل بدء البرنامج، للتّعرف على المتطلّبات الأساسيّة اللازمة له حتّى يمكن تحقيق الأهداف التّعليميّة المسطرّة، أي التّعرف على ما يجب على المتعلّمين معرفته قبل الشّروع في عمليّة التّعليم ودراسة برنامج معيّن حتّى يتمكنوا من الاستفادة من دراسته و تحقيق أهدافه.

3-5. اختيار أدوات القياس : إنّ عمليّة جمع البيانات لتحقيق الأهداف تتطلب أدوات قياس مناسبة، سواء كانت هذه الأدوات اختبار تحصيل أو مقياس اتجاهات أو استمارة ملاحظة، فلا بد أن نختار أداة مناسبة من الأدوات المتوقّرة، وإذا لم تتوفّر مثل هذه الأدوات فإنّه ينبغي علينا إعدادها وفق شروط القياس الجيّد .

3-6. تحديد الاستراتيجيات : الاستراتيجيات هي بمثابة مداخل عامة لتحقيق هدف أو أكثر وكل استراتيجية تستلزم عدّة أنشطة نوعيّة، وتوجد عدّة استراتيجيات تعليميّة مثل تدريب الخبرة التعليميّة والمراجعة والتغذية الراجعة والممارسة، وهذه الاستراتيجية العامة تصلح لتقويم المقررات الدراسيّة المختلفة وقياس مدى تحقيق الأهداف المتنوّعة .

3-7. إعداد جدول زمني : يعتبر إعداد جدول زمني لعملية التقويم شرط ضروريّ في عملية التقويم، ويتطلّب هذا الإعداد وضع قائمة بالأنشطة الأساسيّة للجهد التقويمي، ونقطة البداية زمنيًا لكلّ نشاط ونقطة النهاية ومثل هذا الجدول يساعد الذي يقوم بعملية التقويم على تقدير مدى صلاحية الخطط البديلة، والالتزام بالجدول الزمنيّ سهل الآخر عملية التقويم (قاسم، 2003)

4 - أنواع التقويم و دورها في تحسين عملية التعلّم :

يعتبر التقويم التربوي من أهم الأركان الأساسيّة في العملية التربويّة، وهو حجر الزاوية لإجراء أي تطوير تربوي يهدف إلى تحسين عملية التعلّم في أي مجتمع، بالإضافة إلى أنّ التقويم التربويّ بكل أنواعه ينظر إليه من قبل جميع متخذي القرارات التربويّة على أنّه الدافع الأساسي، الذي يقود العاملين على اختلاف مواقعهم إلى العمل المستمر، لتحسين أدائهم وممارساتهم وبالتالي مخرجاتهم، ويمكن تقسيم التقويم التربوي إلى ثلاثة أنواع وهي :

4 - 1 . التقويم التشخيصي

يهتم هذا النوع من التقويم بالتعرف على التلاميذ الذين يعانون من صعوبات تعليميّة متكررة، وتحديد مجال هذه الصعوبات ومحاولة الكشف عن أسبابها وبعبارة أخرى فإنّ أسلوب التقويم التشخيصي أسلوب تعلّم وتعليم يتمّ على فقرات منتظمة خلال عملية تطبيق البرنامج التعليمي، وذلك بتطبيق اختبارات تقيس مدى اكتساب التلميذ للأهداف المسطرة. و التقويم التشخيصي في جوهره ينقسم إلى عمليتين رئيسيتين الأولى تجرى قبل بدأ عملية التدريس وتهدف إلى التعرف على مقدار امتلاك الفرد للخبرات أو المهارات الأساسيّة اللازمة للشروع في تطبيق برنامج دراسي معيّن، واستنادا على نتائج هذا التقويم يمكن تحديد النقطة التي ينطلق منها المتعلّم في نشاطه التعليمي.

أمّا العملية الثانیة : تحدث أثناء عملية التعليم والتعلّم، وتسعى إلى الكشف عن الصعوبات الفعلية التي يواجهها المتعلّم أثناء الدرس ومدى قدرته على تجاوز العقاقيل التي تقف كموانع أمام تقدّمه الدراسي، والبحث عن أسباب هذه الصعوبات التي قد تتصل مباشرة بالمعلّم أو المتعلّم أو بالظروف البيئية أو بالمادة الدراسيّة في حدّ ذاتها، ثمّ بعد اكتشاف مصادر وأسباب هذه الصعوبات يسعى القائم بالتقويم التشخيصي إلى تذليلها لتحسين عملية التعلّم والتعليم (ربيع، 2008)

4-2 . التقويم البنائي (المستمر)

يتمّ إجراء التقويم البنائي أثناء العملية التعليميّة ويستمر معها ويعدّ شرطا ضروريًا وجزء لا يتجزأ منها، فهو لا يهدف إلى إصدار حكم نهائيّ على المتعلّم ولا على أيّ عنصر من عناصر العملية التربويّة، بل هدفه الأساسي هو تحسين هذه العملية وزيادة فاعليتها من خلال تحديده لمواطن القوّة ومواطن الضعف .

وتكمن أهمية التّقييم البنائي بصورة خاصة في عملية بناء المناهج الدّراسية، و ذلك بإمداد القائمين عليها بمعلومات وبيانات عن نتائج تجريبها وتطبيقها وكلّ ما يتعلق بسير تنفيذها ومدى فاعليتها و ملاءمتها للمتعلّمين، أي بمعنى آخر يبين لمخططي و واضعي المناهج جوانب الإيجاب من أجل تدعيمها، و جوانب النّقص من أجل معالجتها و الاستفادة من الأخطاء، و تفادياً للوقوع فيها مستقبلاً، أمّا أهمية التّقييم البنائي بالنّسبة للمتعلّم فتكمن في تقديم التّغذية الرّاجعة بشكل مستمر، و تزويده بمعلومات عن كيفية سير تعلّمه بصورة منتظمة، وهذه المعلومات تمكّن المتعلّم من تقويم نفسه بنفسه (تقويم ذاتي)، أي هل توصل إلى مستوى الكفاءة أو الإتقان للوحدة التّعليمية أم لا، وهذا ما يكون له بمثابة تعزيز ودافع لمواصلة التّعلّم، بالإضافة إلى أنّ التّقييم البنائي يقوم بتشخيص الصّعوبات الدّراسية ومعالجتها في الوقت المناسب (ملحم، 2005).

3-4. التّقييم الختامي (الإجمالي) النّهائي

يأتي هذا النوع من التّقييم في نهاية دراسة برنامج تعليمي معيّن بهدف التّعرف على ما تحقّق من نتائج، وقد يأتي التّقييم الختامي في نهاية دراسة وحدة دراسية أو مقرر دراسي أو فصل أو مرحلة دراسة، ولا يركّز التّقييم الختامي على التّفاصيل أو الأهداف الفرعية مثل التّقييم البنائي و إنّما يهتم بقياس الأهداف النّهائية .

و يهدف هذا النوع من التّقييم إلى إعطاء تقديرات للمتعلّمين تبين كفاءتهم في تحصيل دراسي ما، بالإضافة إلى إصدار أحكام إدارية تتعلّق دائماً بالمتعلّم سواء بنجاحه أو رسوبه، والانتقال من مستوى إلى مستوى أعلى أو نيل شهادة التّخرج . كما يهدف هذا التّقييم إلى الحكم على مدى فاعلية المعلّم والمناهج المستخدمة وطرق التّدرّيس (منسي، 1998) .

يختلف التّقييم النّهائي عن التّقييم التكويني من حيث أنّ التّقييم البنائي يعتمد على العديد من المصادر مثل الاختبارات الموضوعية و الاختبارات الشّفوية، و الواجبات المنزلية وملاحظات في القسم ... بينما نجد أنّ التّقييم النّهائي يركّز على الاختبارات النّهائية فقط في نهاية الفصل الدّراسي أو في نهاية العام الدّراسي مع الاستفادة بجزء من نتائج التّقييم البنائي في إصدار حكم فيما يخص انتقال التّلميذ إلى الصّف الأعلى (الكبيسي، 2007).

يمكن أن نحدد عدّة وظائف لعملية التّقييم وهي:

5-1. تصنيف المواقف التّعليميّة : تساهم عملية التّقييم في تصنيف المواقف التّعليميّة تبعاً للفروق الفرديّة الموجودة بين التّلاميذ (المتعلّمين) سواء من حيث الجنس، العمر الذّكاء، القدرات العقلية، السّمات الشّخصيّة و الاتجاهات، والتّباين في التّحصيل الدّراسي و وسائل التّقييم تكشف عن هذه الفروقات.

5-2. اتخاذ القرارات التّربويّة (إصدار الأحكام) : تستخدم نتائج التّقييم في تصنيف التّلاميذ حسب المستوى الدّراسي، و تسمح بإصدار الأحكام للالتحاق بالمراحل التّعليميّة العليا أو إعادة السّنة .

كما يمكن أن تستخدم هذه التّائج في المساعدة في رفع مستوى العملية التّعليميّة عن طريق تحديد مدى تقدّم التّلاميذ نحو الأهداف المقرّرة، و اتخاذ القرارات اللازمة لتمكينهم من تحصيل تلك الأهداف و بالمستوى المطلوب .

كما تمكن هذه التّائج صانعي القرار من اتخاذ قرارات مناسبة حول عملية الأداء التّربوي من خلال تزويدهم بمعلومات عن مستوى الأداء و الطّروف و الإمكانيات المتاحة للمدرسة، سواء إمكانيات ماديّة أو بشريّة و غير ذلك من المعلومات التي تساهم في صنع القرارات التّربويّة و التي تهدف إلى تحسين و تطوير العملية التّربويّة .

5-3. التّشخيص و العلاج : تقوم عملية التّقييم بتزويد التّلاميذ بمعلومات محددة عن مدى التّقدم الذي أحرزوه اتجاه بلوغ الأهداف المسطّرة، ممّا يساعد التّلاميذ على تشخيص جوانب القوّة و الضّعف في تحصيلهم فيعمل على تثبيت الاستجابات الصّحيحة، و السّلك المرغوب و العمل على علاج الضّعف و تصحيح الأخطاء (عقل، 2001).

5-4. زيادة دافعيّة المتعلّمين : يساعد التّقييم في زيادة نشاط التّلاميذ، حيث يعمل التّقييم على إثارة دافعيّة التّلاميذ و بالتّالي تحسين أدائهم . بالإضافة إلى توجيه سلوك المتعلّم ونشاطه نحو المسار المرغوب فيه، كما أضاف (Louanchi,1987) كما ورد عن (بوسنة، 2008) بأنّه مهما كانت النتيجة سلبية فما هي إلاّ جانب مؤقّت و ظاهري للقدرات وإنّ الخطأ المدرسي يمكن دائماً إصلاحه .

و عليه فإنّ التّقييم يعتبر من أهمّ المثيرات التي تساعد على الرّفح من دافعيّة التّلاميذ، فبناء على عملية التّقييم يتمكّن المتعلّم من التّعرف على التّقدّم و التّحسن الذي توصل إليهما من جهة و الصّعوبات التي تعترضه في تحقيق الأهداف المرجوّة من جهة أخرى، ممّا يزيد من إقباله على التّعلّم.

5-5. الإرشاد النّفسي و التّوجيه التّربوي : للتّقييم دور هام في عمليتي الإرشاد النّفسي و التّربوي، من خلال تنظيم و عرض المعلومات الخاصّة بالتّلميذ على نحو يساعد في الوصول إلى حلول فعّالة لمشكلات التّكيف التي ربّما قد يعاني منها التّلاميذ .

بالإضافة إلى الكشف عن حاجات التّلاميذ وميولهم وقدراتهم و استعداداتهم، مما يساعد على التّنبؤ بالنّجاح في المستقبل بالنّسبة للدّراسة أو لمهنة معيّنة .

5-6. بناء علاقة إيجابيّة بين البيت و المدرسة : للتّقييم دور هام في تمّتين العلاقة وتقويّتها بين البيت و المدرسة، من خلال تزويد أسر التّلاميذ بنتائج أبنائهم، ليكونوا على دراية حقيقية بمستوى الأبناء، الأمر الذي يجعل أولياء الأمور يساهمون في نجاح أبنائهم و ذلك بتحفيّزهم المستمر، وتهيئة الطّروف المناسبة للمذاكرة في البيت،

ومساعدتهم على حلّ المشاكل والصّعوبات الّتي قد تواجه الأبناء في البيت قد تؤثّر سلباً على أدائهم المدرسي (ربيع، 2008)

6 - خصائص التّقييم الجيد

يستند التّقييم التّربويّ على جمع معطيات وبيانات كميّة وكيفيّة أثناء عمليّة التّدرّيس تؤدّي بالمعلّم إلى إصدار أحكام واتخاذ قرارات مناسبة تتعلق بالتّلميذ أو بالوسائل التّعليميّة أو بالبرنامج الدّراسي كما تهدف هذه القرارات إلى تطوير وتحسين العمليّة التّعليميّة، و حتّى يحدث ذلك فعلاً ينبغي أن يتميّز التّقييم التّربوي بخصائص هامة، كما أوردها (عقل، 2001).

التّناسق مع الأهداف : من الضّروري أن تتماشى عمليّة التّقييم مع مفهوم المنهج و فلسفته و أهدافه فإذا كان المنهج يهدف إلى مساعدة المتعلّم في كل جانب من جوانب شخصيّته وإذا كان يهدف إلى تدريب التّلميذ على التّفكير وحل المشكلات، وجب فعلاً أن يقيس هذه النّواحي وإذا تحققت هذه الأهداف في نهاية العمليّة التّعليميّة نحكم على هذه الأخيرة بالنّجاح .

الاستمراريّة : إنّ عمليّة التّقييم عمليّة مصاحبة لعمليّة التّعلّم، أي أنّ العمليّتين تسيران معاً جنباً إلى جنب، من بداية التّدرّيس إلى نهايته، فيبدأ منذ تحديد الأهداف و وضع الخطط و يستمر مع التّنفّيز، ممثلاً إلى جميع أوجه النّشاطات المختلفة في المدرسة و أعمال المعلّمين، فلا يقتصر التّقييم على امتحان آخر الفصل الدّراسي أو منتصف الفصل أو نهاية العام الدّراسي، بل يجب أن يكون عمليّة مستمرة تلازم التّلميذ في كلّ مراحل نموّه .

الاقتصاديّة : بمعنى أن يكون التّقييم اقتصاديًّا في الوقت و الجهد و التّكاليف، فبالنسبة للوقت يجب أن لا يضيّع المعلّم وقتاً طويلاً في إعداد و إجراء و تصحيح و رصد نتائج الاختبارات، و بالنّسبة للجهد فلا يرهق كاهل المتعلّمين بالاختبارات المتتاليّة والواجبات المنزليّة الّتي تبعدهم عن الاستذكار أو الاطّلاع الخارجيّ أو النّشاط الرّياضي، و بالنّسبة للتّكاليف يجب عدم المبالغة في الإنفاق على عمليّة التّقييم، حتّى لا تكون عبءاً على الميزانيّة المخصصة للتّعليم.

التّنوع و التّكامل : فكلّما كان التّقييم متنوّعاً و متكاملًا كلّما كانت نتائجه أحسن و أفضل فيجب ألاّ يعتمد التّقييم على أسلوب واحد فقط، بل يجب أن يعتمد على وسائل وأساليب متنوّعة، حتّى تعطي صورة واضحة و متكاملة عن مدى نمو التّلاميذ من جميع النّواحي.

و يضيف (الكبيسي، 2007) الخصائص التّاليّة:

التّعاون: لا بدّ أن يشارك في عمليّة التّقييم جميع الأطراف المعنيّة من معلّم، ومدير، ومشرف تربوي، وأولياء الأمور، وكلّ من له صلة بالعمليّة التّعليميّة.

الحداثة والمعاصرة : أن تواكب عمليّة التّقييم المستجدات التّربويّة الحديثة.

أن يبني التّقييم على أساس علمي: أي يجب أن تكون الأدوات الّتي تستعمل في التّقييم تتميّز بالصدّق والموضوعيّة والثّبات و الشّموليّة .

7 - معايير جودة العملية التعليمية :

1 - كفاءة المعلم (الأستاذ) : لنجاح المعلم في أداء مهامه يجب أن يتمتع بكفاءة تدريسية تمكنه من تنفيذ النشاط التعليمي بكل مهارة و إتقان و جودة . و الكفاءة التدريسية بجوانبها المختلفة المعرفية و الأدائية و الوجدانية تجعل المعلم قادرا على إنجاز العملية التعليمية لأن دور المعلم لم يبق محصورا في ذلك الدور الكلاسيكي القائم على تلقين و حشو دماغ التلميذ بالمعلومات قصد حفظها و استرجاعها في الامتحانات بل أصبح المعلم هو المخطط و المنفذ و المقوم للعملية التعليمية .

فالمعلم الكفء يستطيع أن يعوّض بكفاءته و حنكته ما ينقص المدرسة من الوسائل التعليمية . و قد أشار (كمال الناقه، 1977) إلى مجموعة من خصائص الكفاءة التدريسية نذكر منها :

- تقوم الكفاءة التدريسية على التعلّم الذاتي و على التّقويم الذاتي .
- تركيزها على الأهداف المحقّقة و النتائج المتوصل إليها .
- اعتمادها على التنوّيع في طرق و استراتيجيات التدريس .
- اعتمادها على أساليب تقويمية متنوّعة .
- صياغة الكفاءات التدريسية على شكل أهداف إجرائية قابلة للتطبيق و القياس .
- تحديد معايير و مستويات التّقويم المناسبة .
- الاعتماد على التّغذية الرّاجعة و الاستفادة منها في سيرورة العملية التعليمية .

2 - جودة الأهداف :

من معايير العملية التعليمية جودة الأهداف التي تقتضي تحديدها تحديدا واضحا و دقيقا . و يجب أن تشمل هذه الأهداف كلّ جوانب شخصيّة المتعلّم المتمثلة في الجانب المعرفي، المهاري الأدائي، الوجداني.

و يجب أن تكون هذه الأهداف إجرائية قابلة للملاحظة و القياس، ممّا يسهل تعديلها و تطويرها باستمرار في ضوء متطلبات العملية التعليمية .

و للمتعلّم نوعين من الأهداف :

- أهداف تعليمية : أهداف الكفاءة
- أهداف أدائية : أهداف تحصيلية

و لإنجاح العملية التعليمية نُحَفِّز التلميذ (المتعلّم) على أن يتبنى أهدافا تعلّمية و يسعى إلى تحقيق النّجاح و حبّ العلم و المثابرة و الاجتهاد باستمرار و في هذا النّوع من الأهداف ينظر المتعلّم إلى التّقويم على أنّه عملية تكوينية بنائية تصحيحية تعديلية من أجل تحقيق أهدافه الدّراسية .

و النّوع الآخر من الأهداف التي يتبناها التلميذ هي أهداف أدائية تحصيلية حيث يهتمّ التلميذ في هذه الحالة بتحقيق النّجاح و تجنب الفشل و لا يهتمّ بتحقيق الكفاءة فيقارن نتائجه بنتائج زملائه و يبحث عن مكانته في نظر

الزملاء و المعلمين، و ينظر إلى عملية التقييم على أنها عملية معيارية انتقائية يُصنّف وفقها التلاميذ إلى ناجحين و فاشلين .

إذن نوع الأهداف و جودتها التي يتبناها التلميذ لها علاقة بجودة العملية التعليمية و له علاقة بالدافعية المدرسية

3- جودة الوسائل التعليمية :

إنّ الوسائل التعليمية الحديثة لها علاقة قوية بتحقيق عملية التعلّم بمهارة و اتقان، فالوسائل التعليمية من شأنها تذليل صعوبات التعلّم التي تعيق فهم التلميذ، كما تُؤدّي إلى إثارة دافعية التعلّم من خلال التنوع و التوضيح في أساليب الشرح ممّا يؤدّي إلى ترسيخ المعلومات و القدرة على استرجاعها أثناء المذاكرة و المراجعة .

فالوسائل التعليمية الجيدة تساعد التلميذ على الانتقال من الجانب النظري إلى الجانب الحسي فتكتمل لديه الصورة (الفكرة) من الناحية البصرية و السمعية و يسهل فهمها و تعلّمها .

4 - جودة المنهاج الدراسي : و يقتضي ذلك :

- التنوع في عملية التقييم تقويم تشخيصي، تقويم بنائي، تقويم نهائي تحصيلي .
- القيام باستمرار بتعديل مسار التعلّم وفق نتائج التقييم .
- الاعتماد على نتائج التقييم في وضع خطط علاجية لتحسين عملية التعلّم .
- العدالة في التقييم يثير دافعية التلاميذ .
- الشفافية في التقييم و اطلاع التلاميذ على جوانب ضعفهم و العمل على تعديلها و تصحيحها .
- و اطلاعهم على النقاط (الجوانب) الايجابية من أجل تعزيزها .
- الاعتماد على نتائج التقييم و استغلالها في وضع خطط علاجية لتحسين تعلّم التلاميذ .
- جعل التقييم عملية مساندة لعملية التعلّم و ليس عملية نهائية لمجرد إصدار الأحكام .
- التنوع في أساليب التقييم من أسئلة شفوية و كتابية، تمارين متنوعة، إعداد بحوث، بطاقات قراءة، إعداد مشاريع مدرسية ...

5 - جودة البيئة المدرسية : (البيئة التعليمية)

- الاهتمام بالبيئة المدرسية و تزويدها بالتجهيزات الحديثة .
- المساحة الواسعة و فناء للعب .
- تزويد الأقسام بإنارة جيدة و التهوية و التدفئة .
- إبعاد المدارس عن مراكز الضوضاء .
- الاهتمام بالارغونوميا المدرسية و ملاءمة الطاولات و الكراسي لأجسام التلاميذ .
- نظافة دورة المياه
- الاهتمام بجمال المدرسة و الأقسام .

6 – الإدارة الجيدة :

الإدارة حلقة وصل بين التلاميذ و المعلمين و الأولياء لذلك يسهر المدير و كلّ الطاقم الإداري على انجاح عملية التعلّم و تحقيق جودتها من خلال السّهر على راحة المعلمين و التلاميذ و النّظر في المشاكل و العراقيل التي قد يعاني منها التلميذ و المعلم .

- يسهر المدير على التّسيير الجيّد للمؤسسة التربويّة .
- عقد ندوات تكوينيّة للمعلمين لتحسين المستوى حول مواضيع مختلفة تهتمّ التلميذ و المعلم .
- تشجيع الرّحلات المدرسيّة للقضاء على الملل و الرّوتين .
- السّهر على تحقيق النّظام الدّاخل للمؤسسة .
- توزيع المهام على المشرفين للقيام بعملهم على أحسن وجه : من مرافقة التلاميذ في السّاحة و المطعم و المكتبة و في دورة المياه .
- إذن في الأخير يمكن القول أنّ نجاح العمليّة التّعليميّة مرهون بنجاح كلّ عناصرها، كذ من موقعه و مسؤوليته.

خاتمة

هناك حقيقة لا مراء فيها و هي أنّ نجاح المعلم متوقف على مدى فهمه لتلاميذه، ولتحقيق ذلك يجب على المعلم استخدام أساليب متنوّعة لمعرفة التلاميذ من مختلف الجوانب و معرفة مدى توافقهم مع زملائهم في القسم، و كذلك معرفة مستواهم المعرفي، و مدى استعدادهم للمشاركة في أنشطة الفصل .

ولا يمكن تقويم تلك المظاهر السّابقة إلّا بالاعتماد على تقويم تربوي جيّد وسائل تقويميّة مناسبة، و محصلة هذا كلّ أنّ نتائج التّقويم تعطي تغذية راجعة للمعلم حول مدى تحقيق الأهداف المسطرة ممّا يساعده على مراجعة بعض الجوانب و تعديلها إذا لزم الأمر . فقد تكون بعض الأهداف أعلى من مستوى نضج التلاميذ و تحتاج إلى إعادة صياغة أو تبسيط أكثر، و قد يحتاج الأمر إلى تعديل طرق التّدرّيس التي يتبعها المعلم .

وتظهر أهميّة التّقويم التربوي بالنسبة للتلميذ من خلال إمداده بمعلومات عن كفيّة سير تعلّمه بصورة مستمرة و منتظمة، و هذه المعلومات تُمكن المتعلّم من تقويم ذاتي و تصحيح مساره قبل أن يقطع شوطا بعيدا عن الأهداف المسطرة في اتجاه معيّن .

إذن فالتّقويم الجيّد يثير دافعيّة التعلّم للمعلم و المتعلّم في آن واحد

فكما أشار (Skinner 1969) أنّه لا جدوى من العمل على تكثير عدد المدارس المعلمين و تصميم طرق تعليميّة ناجعة، إذا لم يكن للتلميذ رغبة في الدّراسة .

وأضافت الباحثتان أنّ التّقويم الجيّد يعمل بمثابة محرّك للتلميذ يُشجّعه على عادات حسنة مثل : طريقة المذاكرة و مراجعة الدّروس باستمرار، احترام الوقت و الانضباط، أي التّقويم المستمر يُعوّد التلاميذ على العمل و الاجتهاد باستمرار من بداية السنّة إلى نهايتها، و ليس المراجعة و المذاكرة عشية الامتحان .

وكما تجدر الإشارة إلى أنّ أساليب التّقييم المتنوّعة تثير دافعيّة التّلاميذ لأنّ التّقييم لم يعد محصوراً على قياس التّحصيل الدّراسي فقط بل يتعدّاه إلى قياس كلّ جوانب شخصيّة المتعلّم كالاتجاهات الميول والجانب الوجداني. وفي الأخير نأمل أن يرجع الدّور الحقيقي للمدرسة المتمثل في إدراك المدرسة على أنّها مصدر للعلم والمعرفة وليست مجرد مكان للتّقييم من طرف المعلّم والإدارة (الانتقاء وفق معايير معيّنة) . وإنّ التّقييم ماهو إلاّ عمليّة تكوينيّة بنائيّة و جزء من العمليّة التّعليميّة التّعلّميّة يسعى إلى تصحيح وتعديل المسار الدّراسي للتّلميذ .

وتختم الدّراسة الحالية بتقديم مجموعة من التّوصيات :

توصيات :

- النظر في كثافة البرنامج الدّراسي و اصلاحه بإشراك أهل التّخصص من أساتذة و معلّمين أكفاء و مفتشين وخبراء و باحثين في علم النّفس و علوم التّربية و علم الاجتماع .
- تزويد المدرسة ببناء واسع للعب و التّنفيس، و ممارسة الأنشطة اللاصفيّة ..
- عقد ندوات تكوينيّة دوريّة و باستمرار لشرح عمليّة التّقييم و كفيّة تطبيقه و التّعريف بوسائله و أدواته وأهدافه.
- إعداد و تدريب المعلّمين و الأساتذة الأكفاء في مدارس و معاهد متخصصة من أجل جودة العمليّة التّعليميّة .
- تدريب الأساتذة و المعلّمين على الإجراءات التّطبيقيّة لعمليّة التّقييم بكلّ أنواعه التّشخيصي، البنائي، التّهاوي.
- تزويد المدارس بالوسائل التّكنولوجيّة الحديثة التي تستثير اهتمام التّلاميذ و تنمي قدراتهم و تشجّعهم على الإبداع.
- إعادة النّظر في مشكل اكتظاظ الأقسام لتسهيل عمليّة التّقييم و الاستفادة من التّغذية الرّاجعة .
- إعداد برامج إرشاديّة و توجيهيّة لإثارة دافعيّة التّلاميذ و تجويد عمليّة التّعلّم .
- التّنوع في أساليب التّقييم (الشّفوية، الكتابية، الأدائيّة) ووسائله للوصول إلى تجويد الممارسات التّقويميّة .
- عقد ندوات لتبادل الخبرات حول طرق و استراتيجيات التّدرّيس الحديثة للسعي لتحقيق التّعلّم النشط

قائمة المراجع :

المراجع باللغة العربية :

- أبو جلاله، صبيحي حمدان.(1999).اتجاهات معاصرة في التقويم التربوي وبناء الاختبارات وبنوك الأسئلة . ط1 . الكويت : مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع .
- أبو سل، محمد عبد الكريم . (1999) . مناهج التّباضيات و أساليب تدرّسها في الصّفوف الأولى من مرحلة الابتدائية. الأردن : دار الفرقان .
- أرزيل، رمضان و آخرون. (2002). نحو إستراتيجية التّعليم بمقاربة الكفاءات. ج1. الجزائر: دار عاقل.
- باهي، مصطفى حسين والنّمري، فاتن زكريا. (2004). التّقويم في مجال العلوم التّربويّة و التّفسيّة مبادئ ونظريات و تطبيقات. القاهرة : مكتبة الأنجلو المصريّة .
- بركات، محمد خليفة . (1984) . مناهج البحث العلمي في التّربيّة وعلم التّفيس . (ط2) . الكويت : دار القلم.
- بوسنة، محمود. (2008). علم التّفيس القياسي المبادئ الأساسيّة. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعيّة.
- تاج السر، عبد الله الشّيخ و آخرون. (2004) . القياس و التّقويم التّربوي. المملكة العربيّة السّعوديّة: مكتبة الرّشد.
- توق، محي الدّين، قطامي، يوسف وعدس، عبد الرّحمن.(2003). أسس علم التّفيس التّربوي. (ط3). الأردن: دار الفكر للطباعة و النّشر و التّوزيع.
- ربيع، هادي مشعان . (2008) . القياس و التّقويم في التّربيّة و التّعليم . الأردن : دار زهران .
- زبيدي، ناصر الدين. (2007). سيكولوجيّة المدرس الجزائري دراسة وصفيّة تحليليّة .(ط1). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعيّة.
- زهران، حامد عبد السّلام .(2005). علم التّفيس التّموي الطّفولة والمراهقة .(ط2). القاهرة: عالم الكتب .
- الزيّات، فتحي مصطفى.(2004). سيكولوجيّة التّعلّم بين المنظور الارتباطي و المنظور المعرفي. سلسلة علم التّفيس المعرفي 2 . (ط2). القاهرة مصر: دار النشر للجامعات .
- السّعدون، عادل علي ناجي . (2008) . التّغذيّة الرّاجعة و التّقويم التّكويني و أثرهما الفعّال في مادة التّربيّة الإسلاميّة، مجلة جامعة ذي قار، العدد 1 . بغداد العراق .
- سيد علي، و سالم أحمد . (2003) . التّقويم في المنظومة التّربويّة . (ط 2) . الرياض . المملكة العربيّة السّعوديّة: مكتبة الرّشد.
- شحاذة، نعمان .(2009) . التّعلّم و التّقويم الأكاديمي . (ط 1) . عمّان: دار الصّفاء للنّشر.
- عبد الهادي، نبيل . (2002) . المدخل إلى القياس و التّقويم التّربوي و استخدامه في مجال التّدرّس الصّففي. (ط 2) . عمان . الأردن: دار وائل للنّشر.
- عدس، عبد الرّحمان، وقطامي يوسف .(2003) . علم التّفيس التّربوي .النّظريّة والتّطبيق الأساسي . عمّان : دار الفكر .
- عقل، أنور .(2001) . نحو تقويم أفضل . (ط1) . القاهرة . جمهوريّة مصر العربيّة : دار النهضة العربيّة.
- علّام، صلاح الدّين محمود .(2007).القياس و التّقويم في العمليّة التّدرّسيّة .(ط1) . عمان . الأردن: دار المسيرة للنّشر و التّوزيع.
- عودة، أحمد . (2002) . القياس و التّقويم في العمليّة التّدرّسيّة . (ط 5) . إربد . الأردن: دار الأمل.

قاسم ،أنسي محمد أحمد .(2003). الفروق الفردية والتّقييم . (ط1) . عمّان : دار الفكر للنّشر والتّوزيع .
قطامي، يوسف .(1998) . التّعلّم و التّعليم الصّفي . الأردن: دار الشّروق.
الكبيسي، عبد الواحد . (2007) . القياس و التّقييم تجديداً و مناقشات . عمان: دار جريب.
اللّقاني، أحمد حسين . (1989) . المنهج بين النّظرية والتّطبيق . القاهرة : عالم الكتب.
منسي، محمود عبد الحليم .(1998) . التّقييم التّربوي . . د ط . مصر: دار المعرفة الجامعية.
الوقفي، الرّاضي . (2000) . الصّعوبات التّعليمية في الرّاضيات . الرّياض : عمادة شؤون المكتبات جامعة الملك سعود .
المراجع بالّلغة الأجنبيّة :

De Landsheere .(1979) . Dictionnaire du l'évaluation et de la recherche en éducation . Paris :
PUF .
Decorte , E. (1979). les fondements de L'action didactique adaptation Française par . V .
Vancutsen . Bruscelles : De Boeck.
Deketele , J .(1991) .Docimologie L'introduction aux concepts et aux pratique . 2 édit . Cabay
Domincé , p. (1979). la formation enjeu de l'évaluation . Froncfort: Berne .
Gronlund , N .(1990) . Measurement and Evaluation in teaching (6 th ed) New york : Mac
Millan .
Huart, th. (2004). La motivation scolaire, évolution au cours du primaire et piste
d'intervention , service de pédagogie expérimentale.
Scalon, G. (1988). L'évaluation formation des apprentissages. Quebec :Presses de l'université
Laval.
Stuffelbeam .D, et al . (1980). Evaluation en éducation et la prise de décision. Ottawa : N.H.P.
Tagliante, C. (1991). L'évaluation. Paris : Clé internationale.
Tardif, J .(1992). Pour un enseignement stratégique. Canada : les édition logiques.
Unok Marks, Susan & Maniates , Helen .(2003). Formative evaluation of professional
development, How will we Know Success ? Educational Resources Information
Center (ERIC) .

**HIGHER EDUCATION AND SCIENTIFIC RESEARCH AT THE ALGERIAN
UNIVERSITY, AND THEIR IMPACT ON SOCIETY**

Dr. GHRIEB Djamila

<http://dx.doi.org/10.47832/soci.con1-8>

Abstract:

Higher education is an important station for crystallizing scientific thought and developmental awareness for the development of societies. Scientific research is one of the basic factors for laying the foundations for progress, and societal development in various fields. There is no doubt about its importance and the necessity of taking it into account and paying attention to it to achieve the development and well-being of our societies

Keywords: Higher Education, Scientific Research - University - Society.


التعليم العالي والبحث العلمي بالجامعة الجزائرية، وانعكاساتهما على المجتمع

د. جميلة غريب¹

الملخص:

التعليم العالي محطة مهمة لبلورة فكر علمي، ووعي تنموي لتطور المجتمعات. والبحث العلمي إحدى العوامل الأساسية لإرساء دعائم التقدم والتطور المجتمعي في مختلف المجالات. ولا شك في أهميته وضرورة مراعاته، والاهتمام به لتحقيق تنمية مجتمعاتنا، ورفاهيتها.

الكلمات المفتاحية: التعليم العالي - البحث العلمي الجامعة - المجتمع .

¹ جامعة باجي مختار - عنابة، الجزائر 
ghribebdjamila.2015@gmail.com

المقدمة:

الجامعة صومعة كبرى تترصدھا المجتمعات لتتلاقح مع مخرجات البحث العلمي، الذي يشكل سندا علميا ومعرفيا، يؤسس لأرضية متينة، ومرتكز موثوق، لبناء استراتيجيات تنمية للمجتمعات في مجالات عديدة. فلا مناص لأي مجتمع من اختراق مكانة الجامعة، وتجاوره على دور ومخرجات بحوثها العلمية لمعالجة أزماتها، وتجاوز مشاكلها بشكل يضمن بقاءها، ورقبها- في الآن نفسه -

وعليه؛ ينقسم موضوع بحثنا إلى قسمين: نبرز في أولهما أهمية الجامعة، ودور البحث العلمي في التأسيس المعرفي- النظري والتطبيقي- لتسوية أواصر القوة مع المجتمع.

و ثانيهما؛ العقبات التي تحول دون استثمار مخرجات البحث العلمي، والسعي صوب تبني تصور يهدف إلى تعزيز البحث العلمي، ويقدر قيمة الباحثين، على اعتبار أنهم الرأس المال الدائم والأصلي ويثمن مخرجات البحوث العلمية الجادة.

لنصل في آخر المقال إلى نتائج الدراسة، وهي بمثابة اقتراح حلول، وتوضيح رؤية تطويرية.

2- الجامعة، والبحث العلمي:

إن البحث العلمي سبيل ينتهجه الإنسان ليتعرف على ذاته، وعلى كل ما هو كائن حوله. وهو عنصر شريك لا مناص منه في حياة البشرية، لأنه يوضح له تبصر المستقبل، وتقصي الحقائق وحل مشكلاته، وتطوير ذاته وحياته. والبحث لغة : يحمل معنى الطلب، والتفتيش، والسؤال، والتحري، والحفر، والتنقيب. (سلامة أحمد عبد

الكريم، 2017، ص ص 13-14)

أما اصطلاحا:

فهو أسلوب منظم ودقيق في جمع لمعلومات، و تدوينها، وتحليلها، لفض إشكال قائم باتباع منهجية علمية. كما أنه عملية استقصاء منظمة ودقيقة لجمع الشواهد والأدلة، بهدف اكتشاف معلومات أو علاقات جديدة، أو تكميل ناقص، أو تصحيح خطأ. (غانم محمد عبد السيد النبي، ص ص 20 - 19)

فضلا على أنه: " عملية فكرية منظمة، يقوم بها شخص يسمى(الباحث)، من أجل تقصي الحقائق في شأن مسألة أو مشكلة معينة..." (خضر عبد الفتاح، 1992، ص 17) وفق أسلوب منظم في جمع المعلومات، وتدوين الملحوظات، وتحليل المخرجات تحليلا موضوعيا لغرض فك إشكال قائم، أو لبس أشكل، أو تقديم حلول، أو توضيحات لمشكلة ما... كما أنه: " دراسة متخصصة في موضوع معين حسب مناهج وأصول معينة" (أبو سليمان عبد الوهاب إبراهيم، 1986، ص 21) فهو إذ ذاك إحدى الركائز الأساسية في التعليم الجامعي، ودونه لا قيمة للجامعة، فعلاقته بالجامعة كحاجة الإنسان للأكسجين لا تتوقف.. فغدا على إثر ذلك ضرورة لا مناص منها، بل ليس ترفا يمارس لقضاء الوقت و شغل الفراغ، إنه يبحث عن الحقائق، والتفسيرات، والحلول التي تساعد كل إنسان على تطوير حياته (ينظر: عبيدات ذوقان،

كايد عبد الحق وعبد الرحمن عدس، 2001، ص ص 13-14)

والجامعة أدت دورا رياديا في تزويد مجتمعاتها بالإطارات العلمية، والبحث المتخصصين، وقد شكلت جسرا متينا للربط بينها وبين المجتمعات، لتمكينها من اجتياز عقبات الحياة في مختلف المجالات، من خلال بناء تصورات علمية بحثية ترقى إلى مستوى البحث العلمي النفعي.

3- البحث العلمي، وأثره على تنمية المجتمعات:

بعد البحث العلمي قطب الرجى في أي جامعة من الجامعات، وتتحدد على إثر مخرجات دراسات البحث إيجاد الحلول الممكنة، وتحديد السبل الناجعة لتطوير الإنسان في شتى المجالات.

وتعتبر الجامعات معقلاً للعمل، والبحث العلمي؛ فهي التي تربط العلم بالمجتمع، وتنسق الجهود العلمية بهدف تقدّم المعرفة الإنسانية من جهة، ولجعل العلم في تنمية المجتمع ونهضته من جهة أخرى (أية عبد الله أحمد النويهي، 2014، المقدمة) فغدى مقررا أن ينال البحث العلمي مكانته المرموقة لدى المؤسسات الرسمية العليا (الجامعة، وزارة التعليم العالي) وكذا عند المجتمع، بأن ينال البحثة احتراماً وتقديراً لجهودهم الجبارة ونتائج بحوثهم المهمة التي تفتح للمجتمعات سبل التطور والنمو الاقتصادي وكذا الاجتماعي.

وعليه؛ نستشف أهمية البحث العلمي على المجتمع من خلال ما يلي:

- يبت البحث العلمي الثقافة الصحيحة، والمعرفة الجديدة التي يستفيد منها المجتمع.
- يقدم البحث العلمي رؤيا واضحة عن المستقبل، يستقرأ من خلالها الباحث الخطوات الضرورية لتطور المجتمع.
- يساهم البحث العلمي في تطوير الأعمال والمشاريع الاقتصادية.
- يمد البحث العلمي المجتمعات والإنسانية جمعاء آليات التطور، والتقدم التكنولوجي في جميع المجالات.
- يكشف البحث العلمي على حقائق قد تغيب عن الناس. وبالنظر إلى الأهمية البالغة التي يكتسبها البحث العلمي، بالضرورة أن يتحلى الباحث والباحث بمعايير تضمن نجاح كل منهما، ووجود العراقيل والعقبات يحد من التطوير والتقدم.

4- عقبات البحث العلمي:

نعيش في بوتقة عالمية فرضتها علينا التكنولوجيا المعاصرة، التي جعلت من العالم قرية صغيرة وغدت فيها المعلومة أقرب إلينا من ضغطة زر في لوحة المفاتيح. وغدا اللحاق بالركب ضرورة لا مناص منها. ولا سبيل أمامنا إلا مواكبة العالم، والارتقاء بفكرنا، وتطوير أنفسنا بالاعتماد على البحث العلمي الجاد، الذي يحقق لنا معاني التقدم، والقوة، والارتقاء بكل أشكاله. ولا يتحقق ذلك إلا بالاهتمام بالبحث العلمي، وقبل ذلك التمكين للتعليم، وجعله متجاوبا مع متطلبات سوق العمل.

ولنا في اليابان لأكبر مثال على تقدم أمة وتميزها، بناء على تغييرها لنظرتها تجاه التعليم والبحث العلمي الذي جعلت منهما سبيلا " وغيرت نظمها التعليمية لتتجاوب مع سوق العمل والعمالة من جانب، حيث تبنت مكونات نظم التعليم في المجتمع الأمريكي، ورأت أنها إن لم تطبقه فسوف يدق ناقوس الخطر، وأصدرت تقريرها الشهير بعنوان "أمة في خطر" وطورت نظامها البحثي والتعليمي، كما حذت الصين مع بداية الثمانينات نفس الحذو واتخذت نفس

الخطوات بهدف تغيير أساليب اكتساب المعلومات، وتوفير المرونة في مجالات التعليم والبحث العلمي، وها هي الآن تقوم بأكبر غزو اقتصادي، وسياسي، وعلمي في العالم، بل وغزت أمريكا نفسها بعد أن أصبحت هي واليابان من أوائل دول العالم تصديرا للعلم والتكنولوجيا" (محمد علي محمد، 1983).

والفاحص لواقعنا تترسخ لديه تلك الصورة النمطية عن البحث العلمي، الذي تلاحقه العديد من العقبات، والصعوبات على جميع المستويات، بما في ذلك مجال العلوم الإنسانية الذي هو محل بحثنا ودراستنا الجامعية. ويمكن تلخيص المعوقات التي نحوا دون تطور البحث العلمي، وكذا تطور المجتمعات فيما يلي:

عوائق مادية لإجراءات البحوث الميدانية التي تستدعي تمويلا معتبرا.

عوائق إدارية في تسيير وتيسير الدراسة الميدانية على البعثة.

نقص المراجع الحديثة، والمتخصصة في مختلف المجالات البحثية.

غياب المناخ العلمي المناسب للبحث العلمي؛ الذي يسوده التشجيع المستمر للإنتاج العلمي، والدعم الكافي لضمان استمراريته، وتقديمه.

وكما أن الاطمئنان النفسي، الذي يعكسه الاطمئنان الاجتماعي، من أهم الأسباب المساهمة في الأداء الإيجابي للباحث، وللبحث العلمي.

غياب الحرية الأكاديمية التي تؤهل الباحث لخوض غمار البحث العلمي الجاد، الذي يتحدى المشاكل والأزمات لاقتراح الحلول.

سيادة البيروقراطية في التسيير الإداري للجامعات، التي حالت دون التعرف على الطاقات الهائلة للبعثة المجدين، وصعوبة تعريفهم بإنتاجاتهم العلمية، ومنه تقييمها، وتشجيعها، وثميناها، كي يتسنى لهم الاستمرار في العطاء العلمي...

غياب وجود تصور وطني واضح تجاه تطوير البحث العلمي وتشجيعه، واستثماره في تنمية المجتمع، مما أدى إلى توسيع الهوة بينه وبين المجتمعات.

حتى غدت غالبية الأبحاث تسعى إلى النشر من أجل الترقية، بدلا من النشر لأجل البحث الهادف، المدعم والمثمن.

5- أهمية الوعي المعلوماتي في البحث العلمي:

في ظل التطور التقني المتسارع، غدت المعلومة متوفرة في كل مكان، وفي أي زمان، فالمعلومة نجدها بأقل من ضغطة زر على لوحة المفاتيح. وعلى إثر هذه التحولات أصبح الوعي المعلوماتي ضرورة لتمكين الباحث من مواكبة التطور الحاصل في شتى المجالات، ويتأسس وعيه المعلوماتي في مدى معرفته لاستخدام مهارات الوعي المعلوماتي؛ من كيفية التعامل مع المعلومات، ومع مصادرها ومع المكتبات والتقنيات المعاصرة المتجددة في كل حين. وعليه؛ فشبكة الأنترنت (البراق) ضرورة وحسن التعامل معها مأكد.

تشير الدراسات الاقتصادية المعاصرة إلى أهمية استثمار التكنولوجيا في البحث العلمي كي تحقق نتائج تكافئ مطالب الدولة، واحتياجات المجتمعات. وأن تطور المجتمعات مقترن بنتائج البحوث العلمية المتطورة والناجحة التي تنفتح على العالم من خلال استفادتها من تجارب الآخرين، والبداية من حيث انتهى إليه غيرنا. لأن التميز في الإنتاج، والطفرة في المخرجات هي التي تحقق النجاح بكل المقاييس. وبما أن مقاليد التكنولوجيا ليست بأيدينا، فمن الصعب تملكها و تطويرها وفق ما يفيد مجتمعاتنا، لكن الفهم العميق لأهميتها، واستيعاب دورها لدى السلطات العليا، قد يمكننا من إعطاء المشعل لأهل العلم، ولمن هم أهل للتطوير والتحسين، واعتماد استراتيجية لإدارة التكنولوجيا وتطويرها في شتى المجالات.

6- الخاتمة:

من المؤكد أننا نولي اهتماما كبيرا بالبحث العلمي، والتطور التكنولوجي؛ وهذا واضح من خلال الاهتمام بالتعاملات بشتى أنواعها عن طريق التكنولوجيا الحديثة، إقرارا بالرقمنة في جميع المجالات. إلا أن نتائج البحوث، وعلاقتها بالقطاعات الاقتصادية؛ لا يرتقي إلى مستوى آمالنا وطموحاتنا، ذلك أننا نعيش في قرية صغيرة لا مناص فيها للمقارنة وتقييم أنفسنا، في ظل تواجدنا كعناصر ضمن بوتقة الشبكة العالمية.

بناء على ما تم ذكره؛ يتعين أن تتوافق مخرجات البحوث العلمية مع الخطة التنموية للدولة، وأول الخطوات:

ضرورة التصدي لمعوقات البحث العلمي وأهمها:

مشكل التمويل، واثمين جهود الباحثين وعدم توفر المناخ المريح، والمناسب للبحث، وهجرة الأدمغة العالمية للخارج، مما أدت إلى هلهلة القوة البشرية العالمية.

معوقات النشر العلمي التي أفشلت البحوث، وكسرت الثقة بين الباحث ودور النشر.

وعدم تبلور سياسات وطنية للبحث العلمي واضحة الرؤى والمعالم.

والتوجه للبحث النظري على حساب البحوث التطبيقية الميدانية.

بالإضافة إلى عدم ثقة أفراد المجتمع والمؤسسات الاقتصادية في البحوث العلمية.

وعليه؛ من الأهمية بمكان أن يتم توفير مقومات البحث العلمي والجامعة- على وجه العموم- كي تتمكن من القيام

بدورها في عملية التنمية.

قائمة المصادر والمراجع:

- أبو سليمان عبد الوهاب إبراهيم، كتابة البحث العلمي و مصادر الدراسات الإسلامية، دار لشروق، جدة، الطبعة الثالثة، 1986.
- آية عبد الله أحمد النويهي، دور الجامعات في تقدم البحث العلمي وأثره على المجتمع، المركز الديمقراطي العربي، 2014، متاح على الموقع:
- <http://democraticac.de/?p=1905> le : 21/07/2017
- خضر عبد الفتاح، أزمة البحث العلمي في العالم العربي، مكتب صلاح الحجيلان، الرياض الطبعة الثالثة، 1992.
- سلامة أحمد عبد الكريم، الأصول المنهجية لإعداد البحوث العلمية، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2017.
- عبيدات ذوقان، كايد عبد الحق وعبد الرحمن عدس، البحث العلمي، مفهومه، وأدواته وأساليبه، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، 2001.
- غانم محمد عبد السيد النبي، منهجية البحث العلمي، مطبعة الأطلس، القاهرة، 2000.
- محمد على محمد، علم الاجتماع والمنهج العلمي، دراسة في طرائق البحث وأساليبه، الإسكندرية - دار المعرفة الجامعية، 1983.

**VOCABULARY OF DISEASES OF DISCOURSE IN DICTIONARY OF
ALASFAHANI (VOCABULARY OF THE WORDS OF THE QURAN):SEMANTIC
STUDY**

Dr. Hayette Ahmed SEID

<http://dx.doi.org/10.47832/soci.con1-9>

Abstract:

This study aims to find out the rejected (hated) image of human speech in the Islamic perception from the point of view of the great scientist El-Asfahani in his valuable dictionary "vocabulary of the words of the Quran", the general features of that rejected image are deduced from the total vocabulary that indicates the corruption of this practice and its infection with various diseases with multiple causes, manifestations, and effects, and the study is carried out by counting the vocabulary of discursive diseases from the lexicon, classifying them in semantic fields and analyzing their semantics using the theory of semantic analysis, where the meaning of the singular is considered within the context of its use in its lexical definition as the sum of a number of semantic features that enable to identify the relation it has with the vocabulary, and the efforts of the great thinker Taha Abdul Rahman and his definitions in the laws of speech and the conditions of its effectiveness and validity; provided us with important controls that we used as semantic features that we investigate the presence or absence in the vocabulary. So the study concluded that most of the speech diseases are moral diseases, and their roots are difficult psychological diseases, and therefore the Islamic education of the human psyche and respect for Islamic moral values will be the radical cure for all these diseases, and safety from their destructive effects on man and human society.

Keywords: Vocabulary of Diseases of Discourse; Semantic Theories; Dictionary of Alasfahany.

مفردات أمراض الخطاب في معجم مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني، دراسة دلالية

د. حياة أحمد الصّيد¹

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة الصورة المنبوذة للخطاب في التصور الإسلامي من وجهة نظر العالم الكبير الأصفهاني في معجمه القيم "غريب مفردات القرآن"، يجري استنتاج السمات العامة لتلك الصورة من مجموع المفردات التي تدلّ على فساد هذه الممارسة وإصابتها بالأمراض المختلفة متعدّدة الأسباب، والمظاهر، والآثار، وتتمّ الدراسة بإحصاء مفردات الأمراض الخطابية من مادة المعجم وتصنيفها في حقول دلالية وتحليل دلالاتها بالإفادة من نظرية التحليل الدلالي حيث يُنظر إلى دلالة المفردة داخل سياق استعمالها في تعريفها المعجمي على أنّها مجموع عدّد من السمات الدلالية التي تمكّن من تبيين العلاقة التي تربطها بمفردات الحقل ذاته، ووفّرت لنا جهود المفكر الكبير طه عبد الرحمن وتحديداته في قوانين الخطاب و شروط فعاليته وصلاحيه ضوابط مهمّة استعملناها على أنّها السمات الدلالية التي نتحرى وجودها أو عدم وجودها في المفردات، وانتهت الدراسة إلى أنّ أغلب أمراض الخطاب هي أمراض أخلاقية بالأساس، جذورها أمراض نفسية عويصة، وعلى هذا ستكون التربية الإسلامية للنفس الإنسانية واحترام القيم الأخلاقية الإسلامية العلاج الجذري لكلّ هذه الأمراض، والسلامة من آثارها المدمّرة على الإنسان والمجتمع الإنساني .

الكلمات المفتاحية: أمراض الخطاب؛ معجم الأصفهاني؛ دراسة دلالية؛ حقول دلالية.

المقدمة:

ارتبطت نشأة النشاط المعجمي العربي بالأسباب الدينية بالأساس، لما رغب علماء الأوائل في تيسير فهم القرآن الكريم على المتلقين العرب وغيرهم ممن اعتنق الإسلام، وازدادت الحاجة للمعجم بازدياد الوافدين على دين الحق، وابتعاد كثير من العرب عن المعرفة الحقة بالعربية؛ الجسر الآمن الموصول إلى فهم القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين، يدل ذلك على ذلك أنّ المؤلفات المعجمية الأولى قامت على شرح مفردات القرآن الكريم، وموضوعاته، وغريبه مثل غريب القرآن للجريري (141هـ)، وتفسير غريب القرآن لابن مالك (179هـ)، في هذا السياق، يحظى معجم الرزغب الأصفهاني عن غريب مفردات ألفاظ القرآن (الحسين بن محمد 502هـ) بمكانة عظيمة عند العلماء الذين أشادوا بفضلهم في شرح المفردات القرآنية المذكورة في سياقاتها القرآنية الكريمة أو الشعرية أو التداولية العربية الموثوقة، فغريب القرآن هو جزء من علم التفسير يتوجه إلى البحث في دلالات المفردات القرآنية الكريمة بعدها عتبة مهمة لا بد منها لتحقيق فهم الخطاب القرآني الكريم.

نعتقد أنّ شخصيّة الأصفهاني ورؤيته الخاصّة الدينيّة والفكرية واللغوية ستؤثر على جهده المعجمي في معجمه المهمّ في مستويين: أولاً، في مستوى جمع المادة المعجمية، ويظهر هذا التأثير في نوع المداخل المعجمية التي اختارها، فمن المؤكد أنّه لم يجمع كلّ مفردات القرآن الكريم مفردة مفردة، بل خضع الأمر عنده إلى نوع من الاختيار والتقدير المقصودين، وثانياً، في مستوى الوضع لما عرّف تلك المداخل المعجمية بالطرائق التي قدر أنّها تناسب مستعمل المعجم، وفي هذا الجانب أيضاً مدخل شخصي للرجل، لذلك، افترضنا أنّه يمكننا بناء تصوّر عام عن الصورة المنبوذة للممارسة الخطابية إسلامياً من وجهة نظر الأصفهاني بإحصاء المفردات التي تدلّ على الأمراض الخطابية، ومنها نستدلّ على الصورة المحمودة المرادة، فالضدّ يظهر حسنه الضدّ، وأما عن منهجيتنا في العمل فستكون كما يلي:

- تصنيف مفردات أمراض الخطاب في مجموعات تربطها علاقات دلالية معيّنة .
- إحصاء أسباب تلك الأمراض وإرجاعها إلى مصادرها.
- استنتاج مظاهر تلك الأمراض ونتائجها.
- تبيان آليات تولّد المعاني الجديدة لتلك المفردات، وأثر القرآن الكريم في نشأتها.

1- الخطاب واللغة واللسان: مفاهيم وعلاقات:

1-1- اللغة هي ما أنسن الإنسان: اللغة رأس مال ثقافي حضاري مشترك بين أفراد الجماعة اللغوية، يختار المتكلم منه ما يُنتج كلاماً يوافق قدراته ويخدم خياراته ليحقق أغراضه المتعددة في معترك الحياة، واللغة أيضاً ظاهرة اجتماعية بالأساس، فهي شكل من أشكال الممارسة الاجتماعية المحكومة بضوابط اجتماعية وقوانين لغوية، يقول نورمان فيركو Fairch lough: "إنّه كلما نطق الناس، أو أنصتوا، أو كتبوا أو قرؤوا، فإنهم يفعلون ذلك بطرائق تتحدّد اجتماعياً، ولها آثارها الاجتماعية، وحتى عندما يعي الناس فرديتهم، ويحسبون أنّهم في منأى عن المفاعيل الاجتماعية في كنف الأسرة مثلاً، فإنهم على الرُغم من ذلك يستعملون اللغة بطرائق تخضع للأعراف الاجتماعية" (1)، فإذا كان فرديناند دي سوسير قد جعل النظام اللغوي (langue) موضوع الدراسة اللسانية الوحيد مؤسساً بذلك للسانيات الصلبة، فإنّ لسانيات ما بعده أولت الكلام الذي أحره العناية كلّها، من حيث إنّ الكلام ليس عرضياً ناتجاً عن حرية تامة للفرد واختياراته، إنّهُ بالأساس ناتج عن الضغوط الاجتماعية والظروف المقامية التي تضطرّ الفرد إلى تكييف كلامه مع ما يناسب تلك

الظروف والمواقف والمقامات، واللغة هي جماعٌ مكوّنات هوية الإنسان؛ بها يعرف نفسه، ويدرك عالمه، وبها يؤثّر على الآخر بشكلٍ يمكّنه من إعادة صناعة العالم من جديد، ومن أجل هذا، كانت اللغات ميادينَ أثرية للصراع بين الرؤى والأخلاق، فالأفراد، والجماعات، والدول والتكتلات المختلفة تقدّم بضائعها الفكرية بقوة لغاتها الخاصة مُستندة على القوة السياسية والثقافية والاقتصادية والعسكرية والعلمية؛ إنَّها سلطانٌ ملكه مترامي الأطراف، ما دخل فيه أضحى له قيمة، وما لم يدخل ظلّ خارج المعنى، عديم الفائدة، مجهولاً ينتظر الفتح اللغوي، لأنّ وجود الإنسان هو وجودٌ لغوي يؤسّس للوجود الثقافي الحضاري، ومن أجل هذا، لم يتفق المفكّرون طوال التاريخ على اختلاف أديانهم، ولغاتهم، وخلفياتهم المعرفية على شيء كما اتفقوا على حدّ الإنسان بالحيوان الناطق المُتكلّم.

1-2- الخطاب وعلاقته باللغة واللسان: اللسانُ تسميةٌ لعضوٍ صغيرٍ متحرّكٍ داخل الفم، من الناحية العضوية الصوتية هو مهمٌ جدّاً، فهو يتدخّل في نطقٍ عددٍ كبيرٍ من الأصوات التي هي المادّة الخام لنُطق اللغات المتواضع عليها، واللسان عضوياً مسؤولٌ عن تذوّق الطعام، به نقيّم جيّد الطعام من رديئه، وإذا كان اللسان جزءاً هاماً من آلة إنتاج الكلام فوظيفته لا تقتصر على جانب الإنتاج عضوياً، بل تتعدى ذلك إلى إقامة التّواصل بين الناس، وقضاء أغراضهم، لأنّ إنتاج الكلام مُرتبّبٌ بالعقل والقلب، وهو قائمٌ على أسسٍ اجتماعية نفسية مقامية أخلاقية بالأساس، من أجل هذا، ومن باب المجاز المرسل الذي علاقته الآلية أطلق اللسان على ما يُنتجُه من كلامٍ، أو خطاب، أي على ما هو آلةٌ لإنتاجه، قال الأصفهاني: "اللسان الجارحة وقوتها، فقله: "واحلل عقدة من لساني" (طه/27) يعني به قوة اللسان، فإنّ العقدة لم تكن في الجارحة (العضو)، وإنّما كانت في قوته التي هي النطق به، ويُقال لكلّ قومٍ لسانٌ، وليس أي لغة (...) فاختلفت الألسنة إشارة إلى اختلاف اللغات" (2)، في القرآن الكريم، وفي كلّ المواضع التي تدلّ على اللغة (بالمعنى المتعارف عليه حالياً في اللسانيات) وردَ لفظُ اللسان دالاً على مرتبّي الظاهرة اللغوية؛ المرتبة الاجتماعية (langue)، مثال ذلك قوله تعالى: "ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم، إنّ في ذلك لآياتٍ للعالمين" (الروم/22)، وقوله تعالى: "هذا لسانٌ عربيٌّ مبينٌ" (التحل/3)، والمرتبة الإنجازية الأدائية، مثال ذلك قوله تعالى: "يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم" (الفتح/11)، وقوله: "فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنةٍ حدادٍ" (الأحزاب/19). وقوله تعالى: "وأخي هارون هو أفصحُ مني لساناً" (القصص / 34). أي هو "أحسنُ بياناً عمّا يريدُ أن يُبين" (3)، وهذه المرتبة الفردية تُعرّف في المدارس اللسانية الحديثة بمصطلحات عديدة يهمنها منها الكلام والخطاب.

يفضّلُ اللسانُ اللغةَ في الدلالة على المقصود من الناحية المعجمية اللغوية، فمن اشتقاقات اللغة مُفرداتٌ تدلّ على ما لا يُعتدُّ به من الكلام، ومنها ما يقومُ مقابلاً سلبياً للبيان والإعراب، لذلك كان اللسانُ أنفع وأفصح وأقدر على تحقيق الأغراض من مفردة اللغة.

إذا ركّزنا على اللسان بعده دالاً على الأداء الفردي الخاص فسيقصد به إذن الكلام الذي ينطقه/يكتبه الإنسان للإنسان المتلقّي المخصوص وفق الأعراف اللغوية والاجتماعية المتواضع عليها تحقيقاً لمقاصد معينة، بمعنى أنّه خطابٌ، وليس كلّ ما يلفظه اللسان معدوداً في جملة الخطاب، إنّ لهذا النشاط ضوابط نذكر بعضها:

***-حضور المتلقّي المنتهي للتفاعل مع الخطاب،** قال الكفوي: "الخطاب هو الكلام الذي يقصد به الإفهام، إفهامٌ من هو أهلٌ للفهم، والكلام الذي لا يقصدُ به إفهامٌ المستمع (المتلقّي) فإنّه لا يُسمّى خطاباً" (4)، لذلك تفهم إيراد المعاجم التراثية معاني المشاركة والمراجعة في المخاطبة (5) وتفهم مسؤوليّة المتكلّم بمراعاة حال المتلقّي، ووضع العوازل المساعدة له على الوصول إلى معاني الخطاب الصريحة منها والمضمرة والتي هي بالأساس مقاصدُه وأغراضُه.

*-إفهام المتلقي يقتضي أنّ الخطاب عملية معقدة، وأنّ المعنى فيه ليس مرتبطاً بالجانب المعجمي اللغوي المتواضع عليه أولاً، بل هو مرتبطٌ بعناصر أساسية تبني ما نسميه بالمقام أو المقام الذي تمّ فيه الخطاب، قال طه عبد الرحمان: "إنّ الذي يحدّد ماهية الخطاب إنّما هو العلاقة التّخاطبية وليس العلاقة اللفظية" (6)، وعلى هذا يكون المعنى غير لصيق بالمعجم وإنّما هو تابعٌ للمقام يدور حيث يدور.

*-الخطاب نشاطٌ اجتماعي للاعتبارات الاجتماعية المحيطة بالمتخاطبين أدوار رئيسة في إقامته ونجاحه.

مفردة اللسان إذن أكثر فصاحةً من اللّغة مع أنّهما في الاستعمالات العربيّة العامة يمكن تداولهما بالتناوب، واللسان بالأصل انتقل معناه مجازاً للدلالة على ما ينتج من جهاز التّطق من إنجازات لغوية تعكس هوية الإنسان وقدرته على صنع التّصورات والعوالم في أذهان أصحابه والمتخاطبين جميعاً ضمن شروط التّخاطب النّاجح وقوانينه ليكون إذن مرادفاً للخطاب.

1-3- الخطاب في ميزان الأخلاق الإسلامية: نزل القرآن الكريم مقدّمًا تصوّر الإسلام الأصح للإنسان في وجوده على الأرض، تصوّر يحفظ كرامة الإنسان، ويعرّفه بما يرضي الله تعالى من الأقوال والأفعال، ومن أجل هذا، لا يوجد في الإسلام فعلٌ لا يتوشّح رداء الأخلاق الإسلامية، ولا يخضع لضوابط التّعامل في الإسلام، فالخطاب بما هو فعلٌ ينطبق عليه ما ينطبق على كلّ الأفعال الأخرى: "كلُّ نشاطٍ يقوم به شخصٌ معيّن يمكن اعتباره فعلاً إذا كنّا نحدّده انطلاقاً من التّغييرات التي يحدثها أو يريد إحداثها في الواقع" (7).

استفاد المفكّر الكبير طه عبد الرحمان من الرّؤية الإسلامية التّراثية والتّوجّه التّداولي الحديث في صياغة قواعد أساسية تضبط الحدود الأخلاقية التّواصلية لقيام خطابٍ يليق بالإنسان العاقل المسلم الصّالح، هذه القواعد قدّمت قانون التّصديق الذي جمّع عمادته القول: "لا تقلّ لغيرك قولاً لا يصدّقه فعلك" (8)، جمّع قانون التّصديق قواعد لغوية تواصلية وأخرى تعاملية عملية تفصيلهما كما يلي:

*- قواعد التّواصل: أفاد طه عبد الرحمان من كتاب الماوردي أدب الدّين والدّنيا (9) في استخلاص قواعد تشبه جدّاً ما ذكره بول غرايس في قواعد المحادثة في قانون التّعاون الحواري الشّهير:

- أن يكون الكلام لداعٍ؛ اجتلابٌ نفعٍ أو دفعٍ ضررٍ.

- أن يأتي المتكلم بالكلام في موضعه ويتوخّى به إصابة فرضيته.

- أن يقتصر الكلام على قدر حاجته.

- أن يتخيّر اللفظ الذي يتكلم به. (10).

تبرّز في المبادئ السّالفة سماتُ الخطاب المتوقّرة على السّلامة التّواصلية: فإذا لم يكن هناك داعٍ حقيقي صالحٍ للكلام، فالأولى بالإنسان أن يظلّ صامتاً، قال الغزالي: "من تأمّل جميع آفات اللسان علم أنّه إذا أطلق لسانه لم يسلم، وعند ذلك يُعرّف سرُّ قوله صلى الله عليه وسلم: "من صمّت نجاً"، لأنّ هذه الآفات كلّها مهالكٌ، وهي على طريقي التّكلم، فإنّ سكّت سليم من الكلّ، وإنّ تكلم خاطر بنفسه" (11) فمنشأ الكلام لابدّ أن يكون قصداً صالحاً، ثمّ إنّ السّلامة اللّغوية، ومناسبة المقال للمقام مع الاكتفاء بالقدر المناسب من الكلام لقضاء الأغراض يسهم في إنجاز الخطاب، وتحقيق التّفاعل و التّداول المراديين.

- *-قواعد التعامل: يَفْضَلُ قانونُ تصديق طه عبد الرّحمان قانونَ التّعاون الحواري لبول غرايس في ارتكازه على ضوابط أخلاقية عمليّة تربط ممارسة الخطاب بالإنسان وأخلاقه:
-قاعدة القصد: تَفَقَّد قصدك في كلّ قولٍ تُلقِي به إلى الغير .
-قاعدة الصدق: كُن صادقاً فيما تنقله إلى غيرك.
-قاعدة الإخلاص: كُن في تودُّدك لغيرك متجرّداً من أغراضك(12).

وجود القصد الصّالح من النّاحية التّعاملية يُوقِعُ على المتكلّم مسؤوليةً أخلاقيةً تمنعُه من إيذاء المتلقّي بأيّ شكلٍ من أشكال الأذى؛ خداعه أو إيهايمه بشيءٍ على غير حقيقته، أو تعنيفه، أو تحقيره، بل حتّى إذا لم يُصرّح بمقصده تماما - وهذا هو الغالب في المخاطبات- فإنّ عليه وَضْع عناصرٍ مُساعدةٍ مقاليّةٍ ومقاميّةٍ تُعيّن المتلقّي في سيرورة الاستدلال على المقصد، إنّ توفّر القصد الصّالح يُقيم حقيقة الخطاب المنشودة.

وفي قاعدة الصدق نفهم أنّ أقوال الإنسان لا تأخذ قيمتها من ذاتها اللغوية فقط، بل إنّ سلطتها تتأثّر من أخلاق مُنتجيتها ومكانتهم، وفي قاعدة الإخلاص نفهم أنّ انطلاق المتكلّم في خطابه من مقاصد صالحة فعلٌ أخلاقي شاملٌ يظهر أثره في الخطاب على المتلقّي الذي يجد الدافع التداولي الصادق الذي يدفعه إلى المعاملة بالمثل والأحسن.

الضوابط الحاكمة للممارسة الخطابية في الإسلام أكثر من أن تُحصى، لم تتخلّف عن التشديد عنها أيّ سلطةٍ، لا القرآن الكريم ولا السّنة النبوية الشريفة، ولا الخطابات المفسّرة لهما، المساعدة للناس على فهم مقاصدهما وحقائقهما، ومع ذلك وطوال التاريخ الإسلامي والإنساني عامّة نالت هذه الممارسة الخطيرة أمراضاً عويصة، تعددت أسبابها ودوافعها، وتنوّعت مظاهرها، لكنّها التقت في خطورة آثارها على الإنسان الذي استهدفته في: عقله، وقلبه، في مكانته، وفي علاقته بربه وبنفسه، وبأخيه الإنسان.

2-التحليل الدلالي لمفردات أمراض الخطاب في معجم الأصفهاني:

1-2-معجم الأصفهاني: توصيف وتقديم: المعجم كتابٌ يضمُّ بين صفحاته مفردات لغةٍ ما مقرونة بشرحها وتعريفها بعد أن تُرتب ترتيباً معيّنًا، ويُسبق العملُ في العادة بمُقَدِّمةٍ يوضّح فيها المعجمي أهميّة عمله، ومنهج في جمع المادّة المعجمية ووضعها والغاية التي يرنو إليها، ومن منظور الصّناعة المعجمية يُعدُّ معجم الأصفهاني معجمًا كاملاً تتوفّر فيه كلّ شروط الصّناعة المعجمية المنهجية: من توفّر مادّة معجمية مصدرها مفردات من القرآن الكريم، مرتبة ترتيباً ألفبائياً حسب الأوائل مع تعريفها المناسب المُثبت من سياقات موثوقة وردت فيها.

بعد أن مدح الأصفهاني القرآن الكريم كلام الله تعالى، ووصّفه بالكمال والجمال والإعجاز، ذكر أنّ الناس لا يتساوون في فهم مقاصده، وأنهم في ذلك يتفاضلون، وأنّ اكتساب كفاءات عقلية ولغوية بالتعلّم والمران والدربة يُسهّم في تيسير الاقتراب من المعاني القرآنية الكريمة العظيمة، وعلى هذا كان امتلاك ناصية العربية شرطًا لا يُستغنى عنه أبداً لمن يُريدُ قطفَ الفوائد القرآنية العظيمة: " ذكرْتُ أنّ أوّل ما يُحتاجُ أن يُشتغلَ به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة"(13)، فالوحدات المعجمية أو المفردات أو الألفاظ لبنة أساسية في معرفة التصوّرات التي يحتملها كلّ خطابٍ عن الكون، والله، والإنسان، ومعاني الألفاظ تختلفُ من لسانٍ إلى لسانٍ في تأسيسٍ لاختلافٍ ثقافيٍّ حضاريٍّ فكريٍّ جذريٍّ بين الألسنة والثّقافات، وهنا لابدّ لي أن أشير إلى موضوع مهم، هو وجوب التادّب مع الخطاب القرآني، والتحرّز من إطلاق صفاتٍ عليه لا تليقُ به، أو توجّه الدلالة إلى ما لا يُناسبه.

فهناك من يسمُّ مفردات القرآن الكريم "بالألفاظ"، بالعودة إلى أصلها اللغوي العربي نجدها قد تفهِّمُ دلالات غير مناسبة لكلام الله تعالى، قال أبو الحسن الأشعري: "فإن قال قائلٌ: حدَّثونا عن اللَّفْظِ بالقرآن كيف تقولون به؟ قيلَ له: القرآن يُقرأ في الحقيقة ويُتلى ولا يجوز أن يُقالَ يُلفَظُ به... لأنَّ العرب إذا قال قائلهم: لِفِظْتُ بِاللَّقَمَةِ من فمي فمعناه: رميتُ بها، وكلام الله تعالى لا يُقال: يُلفَظُ به، وإنما يُقالُ: يُقرأ، ويُتلى، ويُكتب" (14).

وصَفَ الأصفهاني مفردات القرآن الكريم بأنَّها "لَبَّ كَلام العرب وزيدته" (15)، ولأنَّها لَبَّ كَلام العرب فهي من الأهميَّة بمكان بحيثُ تقدر بمجموعها معًا على نقل تصوُّر الإسلام الَّذي يُقدِّمه القرآن الكريم للوجود، لأنَّ القرآن الكريم أحدثَ زلزالا معرفيًّا فكريًّا شاملاً في المفردات العربية، وبعد نزوله لم تظَلَّ ثابتة على المعاني التي حملتها قبَله، إنَّ هذا الحدثَ العظيم أسهم في إعادة شحنها بدلالات تُناسب مقاصد القرآن الكريم الشريفة، يدلُّك على هذا أنَّ اهتمام الرجل لا يتوجَّه إلى المعاني العامَّة الوضعية لمفردات معجمه، بل إنَّه يُقرئها بالسِّياقات المناسبة للتصوُّر الديني الإسلامي التي استعملت فيها سواء كانت آيات قرآنية، أو أحاديث شريفة، أو أشعار عربية، أو كلام شخصيات عربيَّة هامة، أي أنَّه بيَّن: "المناسبات التي بين الألفاظ المستعارات منها والمشتقات حسب ما يحتملُ التوسُّع في هذا الكتاب" (16).

2-2- الحقل الدلالي التي تبنيها مفردات أمراض الخطاب في معجم الأصفهاني:

يُبنى الحقل الدلالي على مفردات تربطها علاقة دلالية معيَّنة، بحيثُ لا تأخذُ مُفردة فيه قيمتها الدلالية وفائدتها التداولية إلا بالنظر إلى المفردات المشاركة لها الحقل، مع التَّركيز على أخذ المفردات في سياقات استعمالها. تستفيدُ نظرية الحقول الدلالية في دراسة مفردات حقولها الدلالية من نظريات دلالية عدَّة، لعلَّ نظرية التَّحليل الدلالي أو التَّحليل بالسَّمات الدلالية من أشهرها بعد تطوُّر أعمال Fodor و Katz "التي تقوم على تشذير كلِّ معنى إلى سلسلة من العناصر الأولى مرتَّبة بطريقة تسمح لها بأن تتقدَّم من العام إلى الخاص، وكلِّ معنى للكلمة يُحدَّد عن طريق تتبُّع الخط من المحدد النَّحوي إلى الدلالي إلى المميِّز حتى يُحقِّق القدر الضَّروري من التَّوصيف والسَّرح" (17)، فالسِّياقات الاستعماليَّة هي ما يمكن من الوصول إلى المعاني التَّمييزيَّة الفارقة بين كثيرٍ من المفردات التي يعدها غير المتخصِّص مترادفة.

السَّمات الدلالية التي سنصنِّفُ المفردات على أساسها هي:

سماتٌ قواعد التَّواصل: الكيف/الكم/مناسبة المقام/الأداء المناسب.

سمات قواعد التَّعامل: القصد/الصدق/الإخلاص.

سمات آثار الخطاب: نأخذُ المعيار الأخلاقي أساسًا في الحكم على نجاح الخطاب من قسله، ومظاهر ذاك الفشل.

السَّمة الجوهرية: مضمون الظَّاهرة الخطابية المرَضية أو خيرها.

2-2-1-الحقل الدلالي الفرعي لمفردات الكذب:

آثار الخطاب		مضمون المظاهرة	قواعد التعامل			قواعد التواصل			السمات المفردات	
مغالطة	إلحاق أذى		الإخلاص	القصد	الصدق	الأداء المناسب	مناسبة المقام	الكم		الكيف
+	+	كلام خلاف الحقيقة	-	-	-	+	-	+	-	الكذب
+	+	الكذب على الله تعالى	-	-	-	+	-	+	-	الفرى والافتراء
+	+	كلامٌ بغير علم	-	-	-	+	-	+	-	الخرص
+	+		-	-	-	+	-	+	-	الخلق
+	+	الكذب	-	-	-	+	-	+	-	الزور
+	+	الكذب بسرعة	-	-	-	+	-	+	-	الولق
+	+	تنميق الكلام الكاذب	-	-	-	+	-	+	-	الوشى
+	+	كذب بشع	-	-	-	+	-	+	-	الحظر

الشكل 1- الحقل الدلالي لمفردات الكذب.

المفردة الرئيسية في هذا الحقل هي الكذب، وقد أخذت رئاستها من تداولها الكبير في الخطاب القرآني والسنة النبوية الشريفة والاستعمال العربي العام الموثوق، وتبدو دلالتها من السمات السابقات في أنها ممارسةً لسانية أفضيت منها اعتبارات التعامل الصالح كلها، من حيث انطلاق المتكلم الكاذب من قصدٍ فاسدٍ لا يريدُ به أبدًا إقامة تعاونٍ، أو تحقيق فائدة أخلاقية إنسانية ذات قيمة، وهو إذ يفعل ذلك فمن أجل تضخيم مكاسبه على حساب المتلقي بوعي تام منه وإرادة، وفي قواعد التواصل يبرزُ خطر هذه الممارسة في قدرة الكاذب على توظيف طاقات اللغة المتعددة لتحقيق مقاصده الفاسدة، وعلى هذا فإن أداءه اللغوي قد يكون من الناحية الشكلية تامًا ومؤثرًا لكنَّ حملته الفكرية المعرفية الأخلاقية فاسدة تمامًا، من أجل هذا إذا نظرت إلى الكذب من زاوية تداولية محضة عدَدته فعلاً كلاميًا ناجحًا، أما باعتبار الميزان الأخلاقي فهو فعلٌ فاسدٌ مضرٌ يوقعُ أخطارًا على الإنسان تمسُّ فكره، ومشاعره، ودينه، وأخلاقه، إنه مَرَضٌ لساني فكريٌّ قادرٌ على إهلاك الأمة الإسلامية، والإنسانية جمعاء.

مضمون الكذب أنه قولُ المتكلم كلامًا بخلاف الحقيقة، عن قصدٍ ودراية، ويشرح الأصفهاني أنَّ الكذب عدمُ مطابقة القول الضمير والمُخبر عنه معًا، فقولُ الكافر إذا قال من غير اعتقادٍ: محمد رسول الله يصحُّ أن نقول عنه صدقٌ لكون المُخبر عنه كذلك، ويصحُّ أن يُقال كذبٌ لمخالفة قوله ضميره، وبهذا الوجه أكدَّ الله المنافقين حيث قالوا: "نشهدُ إنك لرسولُ الله" (المنافقون/1)(18)، ويُضيفُ الأصفهاني أنَّ الكذب ممتدُّ إلى أبعد من أصوات الكلام، إلى أفعال المتكلم ففي قوله تعالى: "لَيْسَ أَلِ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ" (الأحزاب/8) إقرارٌ بأنَّ صادق اللسان يُسأل عن صدقِ فعّاله، "تنبيهًا أنه لا يكفي الاعترافُ بالحقِّ دون تحرّيه بالفعل" (19).

يفرقُ الخرصُ الكذبَ في كونه: "كلُّ مقولٍ عن ظنٍّ وتخمينٍ سواء كان مطابقًا للشيء أو مخالفًا من حيث إنَّ صاحبه لم يقله عن علمٍ أو سماع" (20)، إنَّ منشأ الخرصِ عدم توقُّر خلفية صاحبه موثوقة هادفة للخير قبل الكلام، أي

أنه مثل الكذب فاسد المنشأ ومنحرف القصد، بل إن الأصفهاني يعدُّ الخرصَ كذباً في قوله تعالى: "وإن هم إلا يخرصون" (الأنعام/116) وقوله تعالى: "قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ" (الدَّارِيَاتُ / 10) قيل: لُعِنَ الْكَذَّابُونَ" (21).

وأما الرُّور: "فقبل للكذب رُورٌ لكونه مائلاً عن جهته" (22)، وصيغَةُ الفعل في الوشاية كما ذكرها الأصفهاني "وَشَى فلانٌ كلامه عبارةً عن الكذب نحو مَوْهَه وزخرفه" (23)، فهو كذبٌ مضافٌ له طاقة لغوية أكبر من حسنِ السَّبكِ وجمالِ التَّعبير.

وأما الولقُ فكذبٌ لكن بسرعة؛ أي بحالٍ أفضل، وفي التَّعبيرِ المرَّكبِ جاء فلانٌ بالحظر المستشبع أي الكذب المستشبع. والفريُّ حسب الأصفهاني تُستعملُ للشرك وللکذب، ولأن الآيات اللواتي ذكرها ربطت الافتراء بالكذب على الله تعالى: " (الأنعام/140)، و(المائدة/103)، و(يونس/60)، و(يونس/37) دل ذلك على اختصاص الافتراء بالجانب الإيماني وبالكذب على العليِّ العظيم في صفاته أو في عظمته، وهذه والله أشنع الأكاذيب وأكثرها استحقاتاً للعقوبة في الدنيا والآخرة.

تبدو مفردات المرض اللساني البانية لحقل "الكذب" متقاربةً في المعنى لدرجة كبيرة، بل إنه يمكنُ عدُّ معاني الكذب الكلية مُتَّصِمَةً لتلك الممارسات الأخرى المرَّضية، على هذا نعدُّ العلاقة الدلالية الجامعة بينها هي علاقة التَّضَمَّن، وفي جوانب منها هي ترادفٌ جزئيٌّ.

2-2-2-الحقل الدلالي الفرعي لمفردات أمراض الخطاب القائمة على تتبُّع عورات الآخرين وفيها:

آثار الظاهرة اللسانية		مضمون الظاهرة		سمات قواعد التعامل			سمات قواعد التواصل			السمات / المفردات	
قطع الصلة	نشر الفتن	إيقاع أذى	/	الإخلاص	الصدق	القصد	الأداء المناسب	مناسبة المقام	الكيف		الكم
+	+	+	النميمة	-	-	-	+	-	+	-	حمل الحطب
+	+	+	غيبية	-	-	-	+	-	+	-	التدابير
+	+	+	الاغتياب	-	-	-	+	-	+	-	اللمز
+	+	+	//	-	-	-	+	-	+	-	الهمز
+	+	+	كشف ما حكمه السَّتر	-	-	-	+	-	+	-	النَّم
+	+	+	//	-	-	-	+	-	+	-	النَّم
+	+	+	//	-	-	-	+	-	+	-	الغيب

الشكل 2-الحقل الدلالي لمفردات تتبُّع عورات النَّاس.

تتفق المفردات السابقة في المعنى العام للمفردة الرِّئيسة "النَّميمة" المأخوذة من الجذر "نَمَ" والتي يعرفها الغزالي بأنها: "إنشاء السر، وهتك السَّتر عما يُكره كشفه" (24)، ويذكر الأصفهاني أنها: "إظهارُ الحديث بالوشاية (25)، والغيبية" أن يذكر الإنسان غيره بما فيه من عيبٍ من غير ما أُحوج إلى ذكره" (26)، والهمز: الاغتياب، وهو اللَّمز: الاغتياب وتتبع المغاب، والنَّمال كالنَّمام، ونهى عليه السلام عن التدابر: "لا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباداً لله إخواناً" (27).

يوظف الأصفهاني تلك المفردات بالتناوب، فيشرح الهمز باللمز، واللمز بالاغتياب الأمر الذي يفهمنا التقارب الدلالي الكبير بينهما، من حيث إن تلك المفردات الدالة على ممارسات لسانية خطابية فاسدة يجمعها وجود قصدٍ فاسدٍ، ودافع سيئٍ للكلام، ولو غالباً صاحبها هو أنه لا تتر الصمت وسليم، ثم إنَّها خلافاً للكذب، لا يخلق المتكلم فيها معانٍ وأفكار غير موجودة، إنه يُصرِّحُ بأشياء حقيقية حُكْمُها الأخلاقي أن تظلَّ مخفيةً، لأنَّ إفشاءها لا يجلبُ أيَّ نفعٍ، وعلى هذا، لا يوجدُ مقامٌ في العموم يجعل الأداء اللغوي الفكري لها مناسباً، -اللهم إلا في حالات شرعية مخصوصة-، فالمقام الذي يتكلم فيه المغتاب أو الهمّاز أو النمام هو مقامٌ اختلقه ليحقق قصده الفاسد المُراد، واعلم أنَّ الأداء اللغوي لها مناسبٌ، وقد يكونُ بليغاً، الأمر الذي يضاعف آثار هذه الأمراض اللسانية ويزيد من فرص نجاحها، وأخيراً، إنَّ منشأ هذه الأمراض اللسانية هي أمراض نفسية خطيرة كالحسد، والحقد، والغيرة والغضب، و آثارها خطيرة على الفرد نفسياً وعقلياً، واجتماعياً على المجتمع الذي تنفصل عرى أبنائه، وتتشتت جموعهم الأمر الذي يوقعهم في قبضة الشيطان، والأعداء معاً.

2-2-3-الحقل الدلالي الفرعي لأمراض الخطاب القائمة على توجيه "السب" للمتلقي وفيه:

السّمات	سمات قواعد التّواصل			سمات قواعد التّعامل			مضمون	آثار الظاهرة
	الكم	الكيف	مناسبة المقام	الأداء المناسب	القصد	الصدق		
المفردات								
السّب	-	-	-	+	-	-	الشتّم	+
القذف	-	-	-	+	-	-	//	+
اللّعن	-	-	-	+	-	-	الدّعاء بالشرّ على الغير	+
الزّمي	-	-	-	+	-	-	الشتّم	+
الفحش	-	-	-	+	-	-	//	+
الظّعن	-	-	-	+	-	-	الوقية	+

الشّكل 3- الحقل الدلالي لمفردات "السب".

عرّف الأصفهاني المفردات السّابقات في الغالب بالإحالة على بعضها البعض، فالسّبُ: "الشتّم" "الوجيع"، والقذف: "استعير للشتّم والعيب كما استعير للزّمي" (28)، والظّعن: "استعير للوقية" (29)، والفحش: "الفحشُ والفاحشة والفحشاء ما قبُح من الأفعال والأقوال" (30)، وفصل فيها الغزالي بأنّها التعبير عن الأمور المُستقبحة بالعبارات الصّريحة" (31)، واللّعن: "الطرْدُ والإبعادُ على سبيل السّخَطِ وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبةً وفي الدُّنيا انقطاعٌ من قبولِ رحمتهِ وتوفيقه، ومن الإنسانِ دُعاءً على غيره... والتّلاعُن والملاعنة أن يلعنَ كلُّ واحدٍ منهما نفسه أو صاحبه" (32).

لم يقف الأصفهاني على الفروق الدّقيقة للمفردات القرآنية، بل إنَّ تقديمه لها ليُوهِمُ بوجودِ ترادفٍ بينها، ربّما لأنّه ترك ذلك التّحقيق في الفروق إلى عملٍ آخر بعد معجمه كما قال: "وأُتبع هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ونَسأُ في الأجلِ بكتابٍ يُنبئُ عن تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينها من الفروق الغامضة، فبذلك يُعرفُ اختصاصُ كلِّ خبرٍ بلفظٍ من الألفاظ المترادفة دون غيره من أخواته" (33).

هذه الممارسات اللسانية التي جانبت الصواب، وبعدت عن الحق حدث فيها انهياراً في قواعد التواصل والتعامل على حد سواء؛ ففي الأول انتفاء قيام تعاون بين "المتكلم والمتلقي المخصوص"، لأن كل قواعد التعاون مختزقة ما عدا قاعدة الأداء اللغوي أو (الجهة) التي كانت قائمة على اختيار مقصود للكلمات والأساليب الواضحة الصريحة المؤدية غرض المتكلم وهو توجيه ضربات / طلقاء لسانية تتفاوت في خطورتها على المتلقي، قد تصل إلى حد القتل النفسي والاجتماعي الذي لا يختلف في النهاية عن القتل الجسدي.

المتكلم في هذا الحقل يتوجّه إلى متلقيه المقصود مباشرة، بخلاف الحال في حقل ألفاظ تتبع عورات الناس، أين يكون المتلقي المعني بالخطاب غائباً ويتوجّه المتكلم المغتاب بخطابه الفاسد إلى من لا يعينهم الأمر، ولو توجه الخطاب إلى أصحابه الحقيقيين المعنيين لاندحرت عديد تلك الأمراض اللسانية وغدت أنشطة لسانية خطابية أخرى أقل خطورة.

في قواعد التعامل نجد انهياراً تاماً لها، ففي قاعدة القصد أوضح ظاهر الكلام - لا مضمرة - غرض صاحبه من إسماع المتلقي كلاماً جارحاً نابياً مهيناً يتعدى على حرمة وكرامته وإنسانيته، إن الكلام في هذه الممارسات سلاح مؤذ يتوجه به المتكلم إلى المتلقي فيؤذيه أذى شاملاً خطيراً، ثم يتعدى الأذى حدود الشخص إلى الجماعة خصوصاً إذا لم يجد ذلك المسيء المتكلم رادعاً يردّه عن ظلمه بعد أن آثر مصلحته الشخصية الآنية للأخلاقية على الصبر، أو الجلم، أو العدل، لقد قضى على أهم خصيصة في الخطاب المنشود؛ الإنسانية الأخلاقية .

إطلاق اللسان من شهوات النفس الأمارة بالسوء، وإيقاع الأذى على الآخرين من أعظم الأعمال الشيطانية، لذلك عد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من أسس صلاح أمر المسلم أن يمسك لسانه عن الناس، ففي ذاك منجأته في الدنيا والآخرة.

يبدو أن علاقة الترادف الجزئي المتضمنة بعض معاني التخصيص هي ما تحكّم مفردات الحقل السابق، فالمعاني الفارقة لها أن السب يكون بعنفٍ لفظي مباشر للمتلقي، والقذف باتهامه في نسبه خصيصاً وله في الشرع حد معروف، والفحش للأقوال والأفعال، فهو أعم من السب إذن، والرمي كالشتم والسب والقذف.

2-2-4- الحقل الدلالي لمفردات أمراض الخطاب القائمة على سوء توظيف اللغة، وعدم إنجازها كما ينبغي لها :

السّمات	سمات قواعد التواصل			سمات قواعد التعامل			مضمون الظاهرة		آثار الظاهرة	
	الكم	الكيف	المقام	الأداء	القصد	الصدق	الإخلاص	خبرها	نجاح الخطاب	فشل الخطاب
حطب(حاط ب ليل)	-	-	-	-	+	+	-	المُخلط في كلامه	-	+
العي	-	-	-	-	+	+	-	العجز عن الكلام	-	+
الرج	-	-	-	-	+	+	-	صعب عليه الكلام	-	+
اللغو	-	-	-	-	+	+	-	كلام لا يُعتدّ به.	-	+
الفرج	-	+	-	+	+	+	+	إفشاء الأسرار	-	+

الشكل 4- الحقل الدلالي لمفردات العجز اللغوي.

تقاربت دلالات مفردات المجموعة السابقة لتُعْظِي جملةً من الممارسات اللسانية التي تَشْتَرِك في عدم القدرة على إنجاز الخطاب فِردِيًا كما ينبغي للمتكلّم العادي، فحاطب اللّيل: "المخلّط في كلامه"، (الأصفهاني، 2010، صفحة 94) سمته الدلالية التمييزية أنّ أداءه اللساني دون المستوى المطلوب لإقامة التّواصل النّاجح، هو غير قادر على نقل مقاصده المعلنة أو المضمره للمتلقّي مع أنّ تلك المقاصد ليست سيّئة، ومع أنّ فعّاله قد تكونُ صالحة، لكنّ الجزء المتعلّق بمسؤوليته الخطابية التّواصلية غير مؤدّى تمامًا، وفي تاريخنا العربي لطالما كان هذا النقص من أعظم المدمّات التي تلحق العربي: أن يكون عيبًا، أو يرتجّ عليه، أو أنّه يخلط في كلامه بما لم يُعرّف عن أهل البيان.

لا ترتبط هذه الأمراض بفساد آلة النطق فقط، فأسبابها تمتدّ إلى جوانب أعمق في شخصيّة الإنسان؛ كالأَسباب العضوية العصبية المرتبطة بأمراض في الدّماغ أو أجزاء من المخ، والأسباب التّفسيّة كالخجل والتوتّر والشّعور بالنقص وعدم الثّقة بالنفس، والأسباب الاجتماعيّة المتعدّدة وحتى الوراثيّة، هذه الأسباب المعقّدة تعطينا إنسانا غير قادرٍ على توظيف اللسان بكفاءة، ويصبح إذن محتاجا للمساعدة الدائمة الطّبية والتّفسيّة والاجتماعيّة.

إذا عرفنا أنّ قطاعا كبيرا من علمائنا الأجلاء كانوا يؤمنون بأنّ الكلام صناعة، ويصنّفه الأساسين: النثر والشعر عَرَفْنَا أنّ المتكلّم المصاب بأمراض العجز اللغوي خصوصا تطلّ له فرصة ذهبية لتعلّم إنجاز لغته على أصولها، وامتلاك ناصية مهاراتها كلّها بالدّربة والمران والبحث فيها بإخلاصٍ واجتهاد.

2-2-5-الحقل الدلالي لأمراض الخطاب القائمة على جعل اللغة آلة حربٍ ووسيلة غلبةٍ في الخصومات والصراعات وفيها:

السّمات	سمات قواعد التّواصل				سمات قواعد التعامل			مضمون الظاهرة	آثار الظاهرة
	الكم	الكيف	المقام	الأداء	القصد	الصّدق	الإخلاص		
المفردات								/	السّلبية
الجدل	+	-	-	+	-	-	-	المغالبة الكلاميّة محمودة أو مذمومة	+
المراء	-	-	-	+	-	-	-	محاكاة في الظن	+
الحجاج	+	-	-	+	-	-	-	جدل مذموم	+

الشكل 5- حقل الدلالي لمفردات الجدل.

التصقّت بالجدل معانٍ سلبية في ثقافتنا الإسلامية، حيثُ رُبِطَ بالمفاوضة على سبيل المنازعة والتّصارع طلبًا للعلّبة بغضّ النّظر عن الحقّ والحقيقة، يدلك على ذلك أنّ الآيات الكريّمات اللّاتي ذكرها الأصفهاني للتدليل على تعريفه السّلي للجدل استغرقت معاني الصّراع الفكريّ الباطل الذي يأتيه المتمردون على الفطرة السّليمة، الرّافضون الرّضوخ للحقّ وصاحبه، قال تعالى: "الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ (غافر/35)، وقال: "وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ" (الحج/68)، وقال أيضا: "وَمَا ضَرِيحُهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا" (الرّزخرف/58)، وقال تعالى: "وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا" (الكهف/54).

خطورة "الجدل" المذموم أنّه لم يتوشّح رداء الأخلاق انطلاقًا من منشئه الفاسد القاصد تحقيق غلبة، أو شهرة أو إخفاء حقّ، وتزييفه، أو إعادة صنع وعي فاسدٍ يخدمُ مصالح لا أخلاقية، ثمّ إنّ القوّة اللسانية التي يتقدّم بها تزيد من تأثيره المُراد على المتلقّين المباشرين وغير المباشرين خصوصًا إذا لم يمتلكوا القوّة الفكرية والعدّة الاستدلالية المناسبة للدّفاع عن قناعاتهم الخاصّة، أو تبين مدى صحّة الدعاوي المعروضة عليهم بعنفٍ فكري واستبدادٍ شديدين.

المُحَاجَّة كما ذكرها الأصفهاني: "أن يطلّب كلّ واحدٍ أن يردّ الآخر عن حُجّته ومَحَجّته"، والسّياقات القرآنية التي ذكرها تقدّم مُمارسَةً فاسدةً لأنّ أصحابها لم يقفوا على حدّ في فسادِ اعتقادهم وانحرافِ إيمانهم وتيهان عقولهم عن قبول الحقّ، انظر مثلاً في قوله تعالى: "وحاجّه قومه قال أنْحَاجُونِي فِي اللَّهِ" الأنعام/80، وقوله تعالى: "هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجِبْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ" (آل عمران/66)، فأبى فسادٍ وانحرافٍ أكبر من المحاجة في الدين، والله، والحق، دون أن يكون القصد من ذلك البحث عن الحقيقة والأخذ بها مهما كان الطرف الذي أظهرها.

والمُماراة: "المحاجة فيما فيه مرية، أي تردّد" (الأصفهاني، 2010، صفحة 353) وذكر من سياقاتها القرآنية قوله تعالى: "قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ" (مريم/34)، و"أَفْتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى". (النجم/12).

إنّ النظر في تفاسير الآيتين الكريمتين ليوضح لنا بشاعة الجدل الذي قام به المُمارون، في عيسى عليه السلام، ومع الحبيب محمد صلّى الله عليه وسلم، ولبيدٌ على تعطلّ الجانب الإيماني في نفوس أصحابه وعقولهم، حيث أظهرت سلوكياتهم اللسانية المهاجمة الحقّ أمراضهم الداخلية الشنيعة من كفرٍ، أو شركٍ، مع غلّ وحقد على الحقّ وأصحابه.

إنّ الأفعال اللسانية السابقة تؤسّس لتقاربٍ دلالي كبير، ركّز فيه الأصفهاني على مساوئها متعدّدة الآثار السلبية على الفرد والمجتمع. وعلى مجموع القيم والأخلاق التي تحمي الإنسان، من حيث إنّها تتخذ من نعمتي العقل واللسان أداتين هدامتين تضريان الأسس الإيمانية.

ومع هذا، نجد في كلام الرّجل بياناً بمشروعية "الجدل" في بعض المقامات، ففي قوله تعالى: "وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" (النحل/125) إقراراً بأهمية الجدل المحمود في الدعوة إلى الله تعالى وطريق الحقّ، بشرط أن يتأسّس على الحكمة والموعظة، فقد فهم ابن عاشور الحكمة على أنّها: "المعرفة المُحكّمة، الصّائبة المجرّدة عن الخطأ، وهي اسمٌ جامعٌ لكلّ كلامٍ أو علمٍ يُراعى فيه إصلاحُ حال النّاس" (34)، والموعظة: "من حيث ما هيّتها بينها وبين الحكمة العموم والخصوص من وجه" (35)، والمجادلة بالطريق الحسّن انبناؤها على الحجج السليمة شكلاً ومعرفةً، المنتجة صدقاً وقيماً يرضاه الدّين والعقل السليم معاً، لأنّ أساسها الذي قامت عليه هو قصدٌ طيّبٌ صالحٌ عاصدته سلامته قواعد التّواصل والتّعامل، فالجدل ومشتقاته الشّبيهة به مصطلحياً ومفهوماً ليس ممّا يُرفَضُ لذاته، بل للغاية والكيفيّة اللتان تَمّظَهَرُ بهما.

2-3- آليات انتقال دلالات مفردات أمراض الخطاب في معجم الأصفهاني:

أخذ موضوع التغيّر الدلالي حصّة الأسد في الأعمال التراثية، يدلّك على ذلك حضور هذا الموضوع -مبحثاً لا تسميةً- في كثيرٍ من الميادين الهامة كالتفسير والفقه، والبلاغة، فظواهرُ الوجوه والنظائر، والعموم والخصوص، والمجاز وغيرها كانت ممّا رَسَخَ في عُرف اللّغويين، والنّحاة، والبلاغيين، والفلاسفة، والفقهاء... إلخ.

لم يشدّ النّشاط المعجمي عن هذا الوضع من حيث ابتداء المعجميين تعريف مادّتهم المعجميّة غالباً بالمعاني الوضعيّة الأصليّة ثمّ إيرادهم تغيّراتها الدلالية النّاتجة عن الاستعمالات التّداولية وهو الأمر الذي يؤدّي إلى توليدٍ دلاليٍّ يُثري اللّغة، ويثبّت مرونتها وقدرتها على مواكبة كلّ تغيّرات حياة أهلها، ولا غرابة، فهي اجتماعيّة في حقيقتها، وأصلٌ وظائفيها أن تقيّم التّواصل النّاجح بين النّاس في كلّ الظروف، ولا ريب في أنّ نزول القرآن الكريم هو من أعظم الأحداث في التّاريخ، وآثاره على دلالات المفردات العربيّة هائلة، إذ نقلها بمجموعها العلائقي من تصوّر "ما قبل إسلامي" إلى تصوّر إسلاميٍّ انتظمت فيه مع بعضها البعض انتظاماً مدهشاً.

وعى الأصفهاني منهجياً حقيقتين رئيسيتين:

- نزول القرآن الكريم نقل المفردات العربية من وضع لغوي دلالي سابق إلى نظام تصوّري جديد، هو التصوّر الإسلامي للوجود في كلّ تفاصيله التي تستغرقها العلامات الكبرى الثلاث: "الله"، "الكون/الطبيعة"، "الإنسان وأحواله"، على هذا، كان السياق القرآني الديني عمومًا والثقافي العربي ممثلًا في الشّعْر خصوصًا دليلًا على المعاني الجديدة المرادة والمقصود تداولها بين المسلمين.

- عملية النقل تلك كما يفهمها الدّارس (أيا كان تخصّصه) تقوم على علاقةٍ ما، أو سيرورة تأويلية استدلالية توجد رابطًا ما بين المعاني الأولى والمعاني الجديدة، ويبدو أنّ علماءنا القُدّامى ذكروا من تلك العلاقات ما يفوق بكثير جهودَ المحدّثين العرب والغرب على السّواء، فالعرب الدّين تأثروا بالدراسات الغربية الدّلالية اللّسانية وجدوا أنّ تطبيق المنهج التاريخي لتحديد التّغيرات التي تطرأ على معاني المفردات بالعموم ثمّ تفسيرها يأخذ الأشكال الكبرى التّالية: التّخصيص والتّعميم والانتقال من مجال دلالي إلى آخر بفضل علاقيتين؛ المشابهة (تشبه فكرة الاستعارة)، وغير المشابهة (تشبه فكرة المجاز المرسل وعلاقاته في بلاغتنا العربية) (36) (أنيس، 1976، الصفحات 135-139) وهذه أمثلة من العمل:

*** - علاقة مشابهة بين المعنى الأول (م1) والمعنى الثاني (م2):**

الخِرس: م1: التقدير الحدسي لكمية ثمر الكروم والنّخل
م2: التكلّم بالظن، والكذب .

علة المشابهة بينهما: التّصرّف على أساس الظن.

اختلف المعنيان في نتائجهما على حياة الإنسان، حيثُ توجه الثاني إلى ميدانٍ خطير هو الكلام في الدّين، والعلم، والأخلاق على غير هدى ولا بينة، واقتصر الأوّل على الجوانب المادية، ومن الواضح أنّه تمّ نقلُ دلالة الخِرس في التصوّر الإسلامي من الأقلّ خطرًا على الأُمَّة وأفرادها إلى الأعظم.

- الرّمي: م1: في الأعيان كالسّهم والحجر .
م2: في المقال .
لإلحاق الضّرر به.

علة المشابهة بين الفعلين: إلقاء شيء مؤدّ على الآخر عن قصدٍ

إنّ رمي السّهم قد يقتل، أو يجرح الجسد، لكنّ رمي الكلام مرضٌ لساني خطير يصيب الجوانب الرّوحية التّفسيّة العقلية للمتلقّي بضررٍ لا يُشفى، ويُلحق به جروحًا مهلكة.

-الجدل:

م1: جدلُ الحبل أي إحكامُ فتله.
م2: الجدل: كأنّ المتجادلين كلُّ واحدٍ الآخر عن رأيه .
يستوي الجدل المذموم والمحمود في إحكامِ بناءِ خطابٍ سليم شكليًا، ويفضّلُ المحمودُ المذمومَ في استقامته الفكرية والمنطقية، وثقله الأخلاقي الذي يجعلُ منه عملاً مشروعًا في مقام الجهاد في سبيل الله.

***-علاقة التّخصيص:** ينتقل فيها المعنى الأوّل إلى الثاني نتيجة إضافة سمات دلالية إلى المعنى الأوّل، فيضيقُ ويدقُّ ويصبحُ خاصًا:

-العي: م1: عجزٌ يلحق من تولى الأمر والكلام .

م2: عيٌّ في منطِقِه فهو عيٌّ.

من المعروف في الثقافة العربية تداول مفردة "العِي" للدلالة على فساد آلة النطق، أو ضعف الإنجاز اللغوي

تخصيص الإسراع بإضافة الفعل "الكذب" له.

العربي.
-الولق: م:1: الإسراع.
م:2: الإسراع في الكذب

إذا كان الكذب مُحَرِّمًا وعقابه شديدًا على صاحبه فبقياس الأكبر على الأصغر يكون الولقُ أعظم خطرًا من الكذب، لأنه يأخذ درجة عالية في درجات الكذب.

*-الاشتراك (ما يسميه علماء التفسير الوجوه والنظائر): ذكر السيوطي أن: "الوجوه اللفظ المشترك الذي يُستعمل في عدّة معانٍ" وقيل: النظائر في اللفظ والوجوه في المعاني" (37)، فالنظائر تعني اللفظ، المفردة الواحدة تُذكر في مواضع عدّة من خطاب، وفي كلّ موضع يكون لها معنى (وجه) خاص، يكون الاشتراك لفظيا، ويكون معنويًا على حسب المعاني التي تحملها المفردة وعلاقاتها ببعضها البعض، وذكر كثيرٌ من العلماء أنّ من شروطه ألا تكون معانيه ناتجة عن نقلٍ أو توسّع.

نذكر مثالاً عند الأصفهاني:

-اللّعن: الطرد والدعاء على سبيل السّخط من الله تعالى في الآخرة عقوبةً.

واللّعن من الإنسان: دعاءٌ على غيره أو على نفسه.

عمومًا: أكثر آيتين اعتمدهما الأصفهاني لتوضيح انتقال دلالات مفردات أمراض اللسان في معجمه هما:

-علاقات مشابهة تكبر أو تصغر سماتها الجامعة، تكون دومًا بانتقالٍ من مجالٍ مادّي محسوس إلى آخر مجرد ديني أخلاقي، تعكس هذه الآلية تناسبًا مع طريقة اشتغال الذهن البشري الذي من أساسياته البديهية محاولة معرفة وفهم المواضيع الجديدة المجردة بإسقاطٍ معارفه حول الموضوعات التي يعرفها ويختبرها حقيقة، وكثرتُها في مفردات القرآن الكريم دليلٌ على إعجاز هذا الخطاب العظيم المتفرد المتوجّه إلى كلّ عاقلٍ، والعارفٍ خصائصه وقدراته، فالكلام دليلٌ على متكلمه العظيم الذي يعلم كلّ شيءٍ، والذي ليس كمثله شيءٌ.

-علاقات التخصيص بدرجة أقلّ كان لها حضورها البارز، وهي أيضًا تتناسبُ والعقل البشري الذي طريقه دومًا

البحث عن المعاني الجديدة وإضافتها إلى رصيده المعرفي ليغدو أكثر تخصصًا ودقةً.

خاتمة:

-ارتباط الدراسات اللغوية التراثية والحديثية الإسلامية، وقدرة هذه الدراسات على التأثير الحقيقي في حياة الإنسان المعاصر.

-الخطاب في الإسلام فعل لا بد أن يلتزم ضوابط الإسلام وأخلاقه جمعها طه عبد الرحمان في قانون التصديق القائم على قواعد التواصل والتعامل، وأي خروج عنها هو انحراف لساني تعاملي أو مَرَضٌ خطايي غير أخلاقي، هذه التحديدات التداولية نجد سندها الموثوق من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف..

- إحصاء مفردات الأمراض الخطابية أعطى حقولاً دلالية فرعية هي حقل الكذب، وحقل السب، وحقل تتبع عورات الآخر، وحقل العجز الأدائي وحقل الحرب الخطابية غير العادلة، كل حقل بنته علاقة دلالية معينة أوضحت سمات فارقة بين مفرداته، يدلنا على هذا أن التفاسير الكثيرة، وكلام الأصفهاني في المقدمة يُثبتان أن كل مفردة قرآنية تؤدي معنى هي الوحيدة الأنفع له في سياقٍ مخصوص مع أن الأصفهاني في مواضع كثيرة لا يذكر الفروق بين عديد المفردات بحيث تبدو لمستعمل معجمه أنها مترادفة.

-نستطيع التأكيد أن معظم أسباب الأمراض الخطابية تعود لأمراضٍ نفسية لأخلاقية يقع الإنسان تحت سطوتها، فعدم وجود ضمير صالح، وفقدان الرقابة الذاتية العادلة مع طاعة النفس الأمارة بالسوء والتمرد على القيم الأخلاقية الإسلامية تجعل الإنسان ضعيفاً أمام شهواتٍ فاسدة، يُطلق معها لسانه في حياة الآخرين وخصوصياتهم ليتهجم أو يسب أو يفترى، الأمر الذي يُثبت أن ما يقيم حقيقة الخطاب ليس الجانب اللغوي السليم فقط، بل بالأساس الجوانب الاجتماعية التفاعلية الأخلاقية.

-تفاوت خطورة الأمراض الخطابية على إنسانية الفرد وسلامة المجتمع لعل حقل الكذب أخطر واحدٍ ضمنها، من حيث احتواء مرض الكذب ومفردات حقله على مجمل الرذائل المهلكة، ومن حيث خطورة نتائجه على القيم والأفكار والثواب التي تترتب عليها الجماعات، وإن نظرة خاطفة على التاريخ الإنساني لتعرفنا خطورة الكذب على الإنسان وأنه من أكبر أسباب الابتعاد عن طريق الله تعالى والضبياع في سبيل الضلال والانحراف والفساد، ولعل خطاب الكيان الإسرائيلي المحتل في معركة طوفان الأقصى أكبر دليل على بشاعة الكذب وقبحه وضرره واحتوائه رذائل لا تُعد.

-قدرة الدراسات اللغوية الإنسانية المبنية على المؤلفات التراثية الإسلامية مثل معجم غريب القرآن للأصفهاني على إعطاء المشتغلين بالخطاب حالياً التوصيات والخطط والإستراتيجيات اللازمة لتحسين الواقع الإنساني، فتستمد المدرسة والجامعة والمسجد والمؤسسة الإعلامية وغيرها روافدها النظرية وإجراءاتها التطبيقية من الزاد النفيس الذي تركه لنا العلماء الأجلاء .

الهوامش:

- 1- عبد القادر دهام. (2011). الدلالات الاجتماعية للغة: مقارنة سوسولوجية. دار نوافذ للنشر. ص 86.
- 2- الأصفهاني، (2010). معجم مفردات ألفاظ القرآن. طبعة منقحة، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، صفحة 342.
- 3- محمد بن جرير الطبري. (2000). جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق أحمد محمد شاكر، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، ص 389.
- 4- الحنفي أبو البقاء الكفوي. (1992). الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق درويش ومحمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة، مادة خطب،
- 5- ابن منظور، د.س، صفحة 361/1
- 6- طه، 2012، صفحة 215
- 7- أبوبكر العزاوي. (2007). الخطاب والحجاج. دار البيضاء، ط1، الأحمديّة للنشر، ص34.
- 8- طه عبد الرحمن، (2012). اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. دار البيضاء بيروت: المركز الثقافي العربي. ص 215.
- 9- الماوردي، د.س، صفحة 266، 267
- 10- طه، اللسان والميزان، مرجع مذکور، ص 249.
- 11 - الغزالي، (2005). إحياء علوم الدين. بيروت: ط1، دار ابن حزم. ص 1100.
- 12- طه عبد الرحمن، مرجع مذکور، ص 250.
- 13- الأصفهاني، ص 8.
- 14- الأشعري، (1996)، الإبانة عن أصول الديانة، حققه وخرّج أحاديثه بشير محمد عيون، ط3، مكتبة دار البيان، دمشق، بيروت، 1996، ص 94.
- 15- الأصفهاني، ص 8.
- 16- المصدر نفسه.
- 17- أحمد مختار عمر (د.س). علم الدلالة. القاهرة: عالم الكتب. ص 114.
- 18- الأصفهاني، مصدر مذکور، ص 218.
- 19- المصدر نفسه، ص 208.
- 20- المصدر نفسه، ص 111.
- 21- المصدر نفسه.
- 22- المصدر نفسه، ص 163.
- 23- المصدر نفسه، ص 407.

- 24- الغزالي، إحياء علوم الدين، ص 1100.
- 25-الأصفهاني، ص 383.
- 26-المصدر نفسه، ص 277.
- 27-المصدر نفسه، ص 125.
- 28- المصدر نفسه، ص 300.
- 29-المصدر نفسه، ص 282.
- 30-المصدر نفسه.
- 31- الغزالي، مرجع مذكور، ص 1011.
- 32-الأصفهاني، مصدر مذكور، ص 342.
- 33-المصدر نفسه، ص 8.
- 34- محمّد الظاهر بن عاشور. (د.س). التّحرير والتنوير. الدّار التونسية للنشر. ص 327.
- 35- الأصفهاني، ص 228.
- 36-إبراهيم أنيس. (1993)، دلالة الألفاظ ، القاهرة ، ط 7 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ص 135-136.
- 37-جلال الدّين السّيوطي. (د.س). الإِتقان في علوم القرآن. تحقيق مصطفى ديب البنا، دار ابن كثير ، 140/1.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- إبراهيم أنيس. (1993)، دلالة الألفاظ ، القاهرة ، ط7 ، مكتبة الأنجلو المصرية .
- 2- إبراهيم أنيس. (1990)، في اللهجات العربية ، القاهرة ، ط8 ، مكتبة الأجلو المصرية .
- 3- أبو بكر العزّاوي. (2007). الخطاب والحجاج . الدار البيضاء، ط1، الأحمدية للنشر.
- 4- أحمد مختار عمر (د.س). علم الدلالة. القاهرة: عالم الكتب.
- 5- جلال الدين السيوطي. (د.س). الإتقان في علوم القرآن. تحقيق مصطفى ديب البنا، دار ابن كثير .
- 6- جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور. (د.س). لسان العرب. بيروت: دار صادر.
- 7- الحسين بن محمد أبو القاسم الأصفهاني. (2010). معجم مفردات ألفاظ القرآن. طبعة منقحة، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- 8- الحنفي أبو البقاء الكفوي. (دون سنة). الكليات. تحقيق درويش ومحمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- 9- الغزالي. (2005). إحياء علوم الدين. بيروت: ط1، دار ابن حزم.
- 10- عبد الرحمن طه. (2012). اللسان والميزان أو التكوثر العقلي . الدار البيضاء بيروت: المركز الثقافي العربي .
- 11- عبد القادر دهام. (2011). الدلالات الاجتماعية للغة: مقارنة سوسولوجية. دار نوافذ للنشر .
- 12- الماوردي. (د.س). أدب الدين والدنيا. بيروت: دار الفكر.
- 13- محمد الطاهر بن عاشور. (د.س). التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر.
- 14- محمد بن جرير الطبري. (2000). جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق أحمد محمد شاكر، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة.

ADMINISTRATIVE LEADERSHIP AND CYBER SECURITY GOUVERNANCE

Dr. Fatima GOUAL

<http://dx.doi.org/10.47832/soci.con1-10>

Abstract:

In light of the digital age we live in and the increasingly complex cyber threats that organizations are constantly facing, many organizations are struggling to implement and enforce effective governance programs for cyber security, which has become essential to thriving in today's digital economy, prompting leaders and managers to understand and deal with it as a strategic risk to their organization level and not just IT risks.

The role of managerial leaders is to provide risk governance, which is a trusted challenge to independent management and oversight. Managers should not manage cyber security risks on a small scale, but rather ensure that management is doing a good job by overseeing their practices. However, if managers lack an understanding of the specifics of cyber issues, they may not understand all the ramifications of what executives tell them. To fulfill their oversight responsibilities, directors must proactively address knowledge gaps and the board must acquire deep cybersecurity expertise to effectively protect organizations' interests.

Accordingly, this pure paper came to address the role of managers-leaders in the governance of cybersecurity by undertaking the task of supervising cyber risks, which were identified in six steps that managers-leaders and the board of directors must take into account.

Keywords: Cyber Security – Governance – Supervision – Cyber Risks.

القيادة الإدارية وحوكمة الأمن السيبراني

د. فاطمة قوال¹

الملخص:

في ظل العصر الرقمي الذي نعيشه والتهديدات السيبرانية متزايدة التعقيد التي تواجهها المؤسسات باستمرار، تكافح العديد من المنظمات في تنفيذ وفرض برامج حوكمة فعالة للأمن السيبراني، الذي أصبح ضروري للازدهار في الاقتصاد الرقمي اليوم، ما دفع القادة المدبرون إلى ضرورة فهمه والتعامل معه باعتباره خطرًا استراتيجيًا على مستوى المنظمة وليس مجرد مخاطر تتعلق بتكنولوجيا المعلومات.

يتمثل دور القادة المدبرين في توفير حوكمة المخاطر، وهو تحدٍ موثوق به للإدارة والرقابة المستقلة. لا ينبغي على المدبرين إدارة مخاطر الأمن السيبراني على نطاق صغير، بل يجب عليهم التأكد من أن الإدارة تقوم بعمل جيد من خلال الإشراف على ممارساتهم. ومع ذلك، إذا كان المدبرون يفتقرون إلى فهم تفاصيل القضايا الإلكترونية، فقد لا يفهمون جميع تداعيات ما يخبرهم به المسؤولون التنفيذيون. للوفاء بمسؤولياتهم الرقابية، يجب على المدبرين معالجة الفجوات المعرفية بشكل استباقي ويجب على مجلس الإدارة اكتساب خبرة عميقة في مجال الأمن السيبراني لحماية مصالح المنظمات بشكل فعال.

وعليه جاءت هذه الورقة البحثية لتعالج دور القادة المدبرين في حوكمة الأمن السيبراني .

الكلمات المفتاحية: الأمن السيبراني- الحوكمة - المخاطر السيبرانية .

¹ جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان، الجزائر

fatima.goual@univ-tlemcen.dz

المقدمة:

يعد الأمن السيبراني جزءًا أساسيًا من الأمن الشامل للمجتمع، فهو عنصر أساسي يقوم عليه تحقيق الأهداف الاجتماعية والاقتصادية للاقتصادات الحديثة. تتطور مجتمعات الرقمنة والمعلومات باستمرار، ولا يزال يتم ابتكار تهديدات إلكترونية جديدة. في هذا التقدم، يجب أن يشكل الأمن السيبراني جزءًا لا يتجزأ وغير قابل للتجزئة من عملية الأمن في الدولة لأن البلدان تحتاج إلى أن تكون على دراية بمستوى قدراتها الحالية في مجال الأمن السيبراني وفي نفس الوقت تحديد المجالات التي يحتاج فيها الأمن السيبراني إلى التعزيز. يمكن القول أن الأمن السيبراني هو "سباق تسلح" مستمر بين البلدان، ولكن أيضًا بين مجتمع الأمن والمتسللين المعادين.

يمثل الأمن السيبراني تحديًا معقدًا يشمل العديد من الجوانب المختلفة للحكومة والسياسات والجوانب التشغيلية والتقنية وغيرها. (Martti & Jarno , 2021, pp. 139-148)

أصبح موضوع حوكمة الأمن السيبراني نقطة محورية للمصالح المحلية والدولية يجدر بالذكر بأن هناك فرق بين الحوكمة والإدارة، حيث تُركز الحوكمة على التخطيط الاستراتيجي، بينما تُركز الإدارة على الإشراف على تنفيذ أعمال الأمن السيبراني اليومية.

الحوكمة حاليا هو مفهوم دارج في قسم الأمن السيبراني وي طرح بشدة في قسم الأمن السيبراني، كما وأصبح يشكل أهمية في الإدارة التنفيذية أو لدى مجلس الإدارة بعد ما كانت هذه الأخيرة تنظر إلى موضوع التقنية بمفهوم المصطلح القيم موضوع ثانوي وتابع ليس بالضرورة أن يكون موجود لأن الحماية لم تكن لها أهمية كبيرة، وحاليا أصبح خط هجوم جديد للأمن السيبراني نظرا لما أضحى يشكله من خطر على المنظمات على مستوى الدول، وأصبح يدخل في صناعة القرارات لذا وجب وجود حوكمة فعالة تعالج من خلالها التجانس والتعقيد بين مختلف عمليات المنظمة.

فالمنظمات في الوقت الحالي تعاني من نقص أشخاص يتحكمون في موضوع الحوكمة، كما أن تحديات إدارة الأمن السيبراني تبرز بشكل خاص على مستوى القيادة الإستراتيجية. وعليه جاءت هذه الورقة البحثية لتجيب على الإشكالية التالية:

ما هي الخطوات التي يجب على القادة المديرين إتباعها لتحقيق حوكمة فعالة للأمن السيبراني؟

ومن هنا نطرح بعض التساؤلات الفرعية:

- ماذا نقصد بحوكمة الأمن السيبراني؟
- كيف يمكن لهذه الحوكمة أن تشكل آلية سليمة تمكن المنظمة من تحقيق أهدافها؟
- كيف يمكن للحوكمة أن تعالج المخاطر السيبرانية للمنظمة؟
- فيما تتجلى أهمية الحوكمة وأهدافها؟ وما هي المبادئ التي تقوم؟

المحور الأول: الإطار المفاهيمي للدراسة

1. مفهوم القيادة:

لقد تعددت تعريفات القيادة إلا أننا سوف نقتصر على ذكر البعض منها:

القيادة هي: "علاقة متبادلة بين أولئك الذين يختارون أن يقودوا وبين أولئك الذين يقررون أن يكونوا أتباعاً.

(Kouzes & Posner, 1987, p. 01)

القيادة هي: "النشاط الإيجابي الذي يباشره شخص معين في مجال الإشراف الإداري على الآخرين لتحقيق غرض معين بوسيلة التأثير الاستمالة أو باستعمال السلطة الرسمية عند الاقتضاء والضرورة." (عبد الشافي ، 1996 ، صفحة 30)

القيادة هي: "تلك العملية التي يتم من خلالها التأثير على سلوك الأفراد والجماعات وذلك من أجل دفعهم للعمل برغبة واضحة لتحقيق أهداف محددة" (الموسوي، 2004، صفحة 183)

وفي تعريف آخر للقيادة، تعرف بأنها تأثير شخصي متبادل يظهر بوضوح في حالات معينة ويوجه من خلال وسائل الاتصال بين الرئيس والمرؤوس نحو تحقيق الأهداف المنشودة. (D, 1960, pp. 182-185)

2. مفهوم الأمن السيبراني:

معنى كلمة سيبراني (cyber): تطلق كلمة "سيبراني" على كل ما يتعلق بالشبكات الإلكترونية الحاسوبية، وشبكة الإنترنت، والفضاء السيبراني يعني الفضاء الإلكتروني (Cyberspace)، وهو يعني كل ما يتعلق بشبكات الحاسوب، والإنترنت، والتطبيقات المختلفة (كالوتسآب، والفيس بوك، وغيرها من مئات التطبيقات)، وكل الخدمات التي تقوم بتنفيذها (كتحويل الأموال عبر النت، والشراء أونلاين، وغيرها من آلاف الخدمات في جميع مجالات الحياة على مستوى العالم.

الأمن السيبراني: يقصد بالأمن السيبراني " Security Cyber " حماية الأشياء من خلال تكنولوجيا المعلومات مثل الأجهزة والبرمجيات ويشار إليها "ICT" وذلك اختصار Information And Communication Technology

الأمن السيبراني لغوياً: الأمن السيبراني مكون من لفظتين: "الأمن"، و"السيبراني"

الأمن: هو نقيض الخوف، أي بمعنى السلامة. والأمن مصدر الفعل أَمِنَ وأَمِنَا وأماناً: أي اطمئنان النفس وسكون القلب وزوال الخوف، ويقال: أَمِنَ من الشر، أي سلم منه.

السيبراني: مصطلح السيبرانية الآن هو واحد من أكثر المصطلحات تردداً في معجم الأمن الدولي، وكلمة "cyber" لفظة يونانية الأصل مشتقة من كلمة "kybernete" بمعنى الشخص الذي يدير دفة السفينة، حيث تستخدم مجازاً للمتحكم. "governor" وأشار بعض المؤرخين إلى أن أصلها يرجع إلى عالم الرياضيات الأمريكي (1894-1964) Wiener Norbert وذلك للتعبير عن التحكم الآلي.

أما اصطلاحاً فهناك العديد من التعاريف التي قُدمت لمفهوم الأمن السيبراني إذ يعرف بأنه "مجموعة من الإجراءات المتخذة في مجال الدفاع ضد الهجمات السيبرانية ونتائجها التي تشمل تنفيذ التدابير المضادة المطلوبة". (السمحان، 2020، صفحة 8)

بينما عرفه (Edward Amoroso) بأنه: "وسائل من شأنها الحد من خطر الهجوم على البرمجيات أو أجهزة الحاسوب أو الشبكات، وتشمل تلك الوسائل الأدوات المستخدمة في مواجهة القرصنة وكشف الفيروسات ووقفها، وتوفير الاتصالات المشفرة...".

يرى Tonge أن الأمن السيبراني هو أمن الشبكات والأنظمة المعلوماتية وكافة البيانات والمعلومات والأجهزة المرتبطة بالإنترنت. (Tonge, Kasture, & Chaudhari, 2013, pp. 67-75)

كما يعتبر (el,Edward& Nisrina) هو المجال الذي يتعلق بإجراءات ومعايير الحماية الواجب اتخاذها لمواجهة التهديدات والحد من أثارها، وباعتبار الأمن السيبراني مسألة لها أولويات لذا فإن العديد من الدول ركزت عليه وبالأخص بعد الحروب الإلكترونية التي بدأت تظهر تجلياتها في بعض الدول الكبرى في إشارة إلى انتهاء الحروب التقليدية والإعلان عن بداية حروب جديدة

وهي الحروب الإلكترونية، مما تطلب منها وجود سياسة وتنسيق على مستوى عال من الدقة. (Nisrina et al., 2016, pp. 51-56)

في حين يرى Huerta& Canelón أن الأمن السيبراني هو مصفوفة من الأدوات التنظيمية والتقنية والإجرائية، والممارسات الهادفة إلى حماية الحواسيب والشبكات وما بداخلها من بيانات من الاختراقات أو التلف أو التغيير أو تعطل الوصول للمعلومات أو الخدمات، ويعد توجهاً عالمياً سواء على مستوى الدول أو حتى المنظمات الحكومية أو الشركات. (Canelón et al., 2020)

مما دفع Grenier & Eaton بتسليط الضوء على ما يتميز به الأمن السيبراني من خصائص متمثلة بالخصوصية وسرية المعلومات ومنع الوصول غير المصرح به مما يجعله قادر على مواجهة المخاطر والتهديدات السيبرانية التي تتميز بالسرعة والغموض. (تأثير لأمن السيبراني على الرقابة الداخلية وانعكاسها على الوحدة الاقتصادية، مجلة الإدارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية، صفحة 226)

في حين يهدف الأمن السيبراني كما جاء في (Valverde & Wolden) إلى توفير أفضل المتطلبات السياسية المتمثلة بسرية المعلوم (Confidential) المبنية على الممارسات والمعايير وتكاملية وسالمة المعلوم (integrity) لتقليل المخاطر السيبرانية على الحصول المعلوماتية والتقنية لكافة الجهات من التهديدات الداخلية والخارجية (Nisrina et al., 2016, pp. 51-56) مما يعني توافر المعلوم عند الحاجة إليها (availability) وتحقيق الأهداف في حال توافر عدة محاور تعتبر أساسية للحفاظ على أمن المعلومات وتشمل المحاور:

- التكنولوجيا التقنية (Technology) هي أدوات الأمان اللازمة لحماية الأنظمة من الهجمات الإلكترونية المحتملة.
- الأشخاص المنظمات (People) متمثلة بالأشخاص والمنظمات من مستخدمي المعلومات والأنظمة والبرامج.
- الأنشطة والعمليات (Process) مجموعة من الإجراءات يتم من خلالها توظيف الأشخاص والتقنيات للقيام بالعديد من العمليات والأنشطة التي من شأنها التصدي للهجمات الإلكترونية.

وأخيرا ترى الباحثة أن الأمن السيبراني يشكل مجموعة من الأطر القانونية والتنظيمية وإجراءات سير العمل بالإضافة الى الوسائل التقنية والتكنولوجية التي تهدف الى حماية الفضاء السيبراني، مع التركيز على ضمان توافر الحماية والسرية لتلك المعلومات.

3. مفهوم الحوكمة:

منذ بداية التسعينات، أصبح مفهوم الحوكمة يحظى باهتمام واسع، وأصبح ضمن المصطلحات المستعملة من قبل الهيئات المالية والتنموية العالمية (البنك العالمي BM، وصندوق النقد الدولي، وبرنامج الأمم المتحدة للتنمية PNUD)، وإذا بحثنا عن استخدامات هذا المصطلح بعدما جعلت منه الهيئات الدولية موضحة جديدة نجده قد استعمل في مستويات عديدة.

يعتبر البنك الدولي هو أول من طرح مصطلح الحوكمة في دراسة له عن الأزمة الاقتصادية في إفريقيا جنوب الصحراء عام 1989، وقد عرف البنك الحوكمة تعريفا عاما على أنه الحكم الرشيد (Campbel, 2001, p. 122) فالحكم الرشيد أو الحوكمة الجيدة G.B بالنسبة للبنك العالمي إذن هو مرادف للتسيير السليم.

أما في بداية سنوات التسعينات وتحديدًا عام 1992، حاول البنك الدولي تقديم تعريفات أخرى أكثر دقة للحوكمة فعرّفها على أنها "الأسلوب أو الطريقة التي تمارس بها السلطة في تسيير الموارد الاقتصادية والاجتماعية للبلد من أجل التنمية".

وفي تعريف آخر للبنك الدولي أيضا: "الحكم الرشيد يتضمن العمليات والمؤسسات التي تمارس من خلالها السلطة في بلد ما، معتمدة في ذلك على التسيير الحسن للمؤسسات واختيار السياسات وتنسيقها من أجل تقديم خدمة جيدة وفعالة". (Kaufmann, 2003, p. 03)

وعليه تعرّف الحوكمة بأنها مجموعة من الأنظمة والضوابط التي تنظم العلاقات بين أصحاب المصلحة وتحقق مجموعة من المبادئ كالعدل والشفافية والمساواة.

وتبدأ الحوكمة في ممارستها من خلال بناء نظام حوكمة متكامل وبتحديد السلوكيات التي تخدم مصالحها، وحثّ القادة على اتخاذ القرارات الأخلاقية.

وتعتمد ممارسات الحوكمة على الضوابط الرسمية مثل التشريعات والأنظمة والقوانين، مما يجعل الحكومات والمنظمات توظّف هذا الدور من أجل إنتاج نمطٍ فعّال يحقق نتائج جيدة ويستبعد الأنماط غير الجيدة.

تحقيق كفاءة الأداء والقدرة على اتخاذ القرارات بالتزام عالٍ وقدرٍ كافٍ من المسؤولية والشفافية هو الأثر الجليّ لما يترتب على تطبيق نظام الحوكمة، والذي ينعكس أثره بوضوح من خلال إدارة متّسقة وسياساتٍ واضحةٍ متماسكة وبالتالي يساهم تطبيق الحوكمة الفعّال في زيادة تنمية اقتصاديات الدول ومنظمتها.

المحور الثاني: ماهية حوكمة الأمن السيبراني

1. تعريف حوكمة الأمن السيبراني:

بعد ما تطرقنا في المحور الأول إلى مفهوم الأمن السيبراني وإلى مفهوم الحوكمة الآن نحاول جمع المفهومين ولذلك ماذا نقصد بحوكمة الأمن السيبراني.

حوكمة الأمن السيبراني هي الوسيلة التي تتحكم من خلالها في نهج الجهة للأمن السيبراني والتي يتم من خلالها التنسيق بفعالية لأنشطة الأمن السيبراني للجهة لإتاحة اتخاذ القرار المناسب للأمن السيبراني في الجهة من خلال تحديد السياسات والأدوار والمسؤوليات للأمن السيبراني.

هي عملية إشرافية على فرق الأمن السيبراني المسؤولة عن التخفيف من مخاطر الأعمال للتأكد من أخذ القرارات بإعطاء الأولوية للمخاطر بحيث تركز الجهود على أولويات الجهة بدلا من أولويات فرق الأمن السيبراني كما أنها تساعد في التخفيف ومعالجة مخاطر الأعمال التي تواجهها الجهة ومعالجة التهديدات السيبرانية الداخلية الخارجية والتعامل مع الامتثال لمتطلبات الأمن السيبراني.

ويجدر بالذكر بأن هناك فرق بين الحوكمة والإدارة، حيث تُركز الحوكمة على التخطيط الاستراتيجي، بينما تُركز الإدارة على الإشراف على تنفيذ أعمال الأمن السيبراني اليومية.

فحوكمة الأمن السيبراني هي مجموعة من المسؤوليات والممارسات يتم تطبيقها داخل القسم السيبراني من قبل إدارة التنفيذية أو مجلس الإدارة لتحقيق أهداف المنظمة بغض النظر عن طبيعة المنظمة سواء كانت ربحية أو غير ربحية قطاع عام أو خاص أو حتى قطاع خيري تطوعي.

فالمنظمة لها ضوابط خاص بها، لها وضعها لها، أخلاقياتها، لها مجلس إدارة خاص بها فبالتالي لا توجد حوكمة أمن سيبراني واحدة صالحة لجميع القطاعات، وبالتالي لا توجد نسخ لعمليات الحوكمة لأن ذلك سيؤدي إلى نظام مشوه.

2. أهمية حوكمة الأمن السيبراني:

تُساعد حوكمة الأمن السيبراني على حماية الشركات والمؤسسات من هجمات الجهات الخارجية، أو الجهات الداخلية التي تشمل الموظفين الحاليين والسابقين من خلال تركيزها على إدارة المخاطر، وزيادة الوعي في المؤسسات، وخاصةً المؤسسات ذات النظام المعقد، بحيث تضمن حوكمة الأمن السيبراني للمؤسسة ما يأتي:

– التنسيق بين أهداف عمل المؤسسة واستراتيجيات تشغيل تكنولوجيا المعلومات، والتي توفر إجراءات تحسينية شاملة وحلول مدروسة تمكن المؤسسة من الاستعداد لأي حوادث مُمكنة.

– بناء نظام رقابة فعّال.

– الدمج بين أنشطة إدارة المخاطر، وأنشطة الرقابة.

– تحسين الموارد الإنتاجية للمؤسسة.

– تبسيط الإجراءات المتعلقة بعمليات المراقبة والتدقيق.

- جمع البيانات الخاصة بالأعمال، وتقييمها بهدف تحسين جودتها، وضمان تحسينات مستقبلية أكثر أمانًا.
- زيادة نضج العمليات المتعلقة بالأمن السيبراني.

3. أهداف حوكمة الأمن السيبراني

تتجلى أهمية حوكمة الأمن السيبراني من خلال تحقيق الأهداف الموالية:

ضمان حماية الأصول المعلوماتية: مواصفة معيارية للتقييم الأصول المعلوماتية من خلال ما يحققه كل أصل معلوماتي من وظيفة، لأنه إذا كان الأصل المعلوماتي يحقق أرباح للمنظمة تعطى له قيمة عالية وبالتالي يفرض عليه ضوابط أمنية أكبر وأكثر للأصل المعلوماتي الذي يحقق أهداف ضئيلة للمنظمة.

الحوكمة تؤدي إلى إدارة فعالة للمخاطر: إن العمليات الموجودة داخل المنظمة لها مجموعة من المخاطر فبضوابط الأمن السيبراني نستطيع تقليل من المخاطر داخل المنظمة.

وبالتالي فالحوكمة وحدها لا تكفي وإدارة المخاطر وحدها لا تكفي فهما متلازمان.

القضاء على التعقيد داخل المنظمات.

4. مبادئ حوكمة الأمن السيبراني

حوكمة الأمن السيبراني هي النظام المكون من العمليات والإجراءات التي تُساعد المنظمات على اكتشاف الهجمات السيبرانية، وتحديد كيفية الاستجابة لها، ومنع حدوثها. وتوضح بأنه يجب أن يكون لكل جزء من النظام المسؤول عن مخاطر أمن المعلومات مالك، أو فريق يتحمل مسؤولية ضمان أهداف هذا الجزء واختصار مبادئها فيما يلي: (Austrian institute of company directors, 2022)

المبدأ الأول: تحديد الأدوار والمسؤوليات

تساعد الأدوار والمسؤوليات المحددة المديرين في الإشراف الفعال على المخاطر الإلكترونية، بغض النظر عن حجم المنظمة أو الموارد التي قد تكون عليه ستؤدي الطبيعة السريعة والمتغيرة لمشهد التهديدات الإلكترونية دائمًا إلى عدم اليقين بالنسبة لبيئة المنظمة، نتيجة لذلك يحتاج المديرون إلى الاعتياد على قبول مستوى معين من الغموض المحيط بالمنظمة والشعور ببعض الراحة في فهم كيفية استعداد منظماتهم للاستجابة في حالة وقوع حادث إلكتروني، وهو ما يعرف بالمرونة الإلكترونية.

وعليه فتحديد الأدوار والمسؤوليات بشكل واضح هو عنصر أساسي لبناء مرونة إلكترونية فعالة، وتعتبر التحديثات المتعلقة بالاتجاهات الناشئة آلية رئيسية يمكن من خلالها تقييم مرونة المنظمة، كما يمكن للخبراء الخارجيين أن يلعبوا دورًا في تقديم المشورة والتأكيد للمديرين بشأن المرونة الإلكترونية لمنظمة ما وتحديد مجالات التحسين فيه.

المبدأ الثاني: تطوير وتنفيذ واستراتيجية شاملة للفضاء السيبراني

الاستراتيجية الإلكترونية هي خطة لمنظمة ما لتعزيز أمن أصولها الرقمية الرئيسية وعملياتها والأفراد بمرور الوقت. سيتم إرشاد الإستراتيجية الإلكترونية للمؤسسة بحجم وتعقيد الأعمال؛ البنية التحتية وأنظمة تكنولوجيا المعلومات الخاصة بها؛ موظفيها الرئيسيين والكفاءات الأساسية؛ النوع وطبيعة المعلومات التي تحتفظ بها؛ وتوقعات أصحاب المصلحة، بما في ذلك التنظيمية والالتزامات التعاقدية. من المدخلات الأساسية الأخرى مدى قابلية المؤسسة للمخاطر الإلكترونية والضوابط، والتي تمت مناقشتها في المبدأ 3، والتي ستؤثر على اختيار الخيارات الاستراتيجية فيما يتعلق بالإنترنت، بما في ذلك الاستثمارات التشغيلية ورأس المال.

المكونات الرئيسية لاستراتيجية سيبرانية فعالة

1. ترتيبات الحوكمة: تعزيز الحوكمة الفعالة للأمن السيبراني بما يتناسب مع حجم وتعقيد المنظمة (المبدأ 1)
2. التحديد والحماية: تحديد الأصول والبيانات الرقمية الرئيسية التي تحتفظ بها المنظمة وكيفية حمايتها بشكل شامل (المبدأ 2 و 3)
3. التقييم وتعزيز: فهم القدرة السيبرانية الداخلية، ووضع خطة لتعزيز القدرة وتعزيز ثقافة إلكترونية مرنة (المبدأ 2 و 4)
4. الاكتشاف والاستجابة والتعافي: امتلاك خططًا وعمليات لاكتشاف الحوادث الإلكترونية والاستجابة لها والتعافي منها بشكل فعال (المبدأ 5).
5. المراقبة والتقييم: قم بالإبلاغ عن مجلس الإدارة وتحديثه للسماح بالتقييم المستمر وتحسين الإستراتيجية (المبدأ 2)

المبدأ الثالث: تحديد بوضوح دراسة الجدوى من الأمن السيبراني ورغبة الجهة في المخاطرة

إن الرغبة في المخاطرة السيبرانية، بشكل عام، هي المخاطرة التي تكون المنظمة على استعداد لخوضها في أنشطتها الرقمية لتحقيق أهدافها الإستراتيجية وخطط أعمالها. الأهم من ذلك، أن الرغبة في المخاطرة الإلكترونية للمنظمة تختلف عن الملف الشخصي للمخاطر الإلكترونية، والذي يمثل بشكل عام موقف "نقطة زمنية" للمنظمة فيما يتعلق بالمخاطر الإلكترونية بمجرد أخذ الضوابط في الاعتبار.

يمكن استخدام قابلية واضحة للمخاطر السيبرانية كمدخلات من قبل المديرين والإدارة لإبلاغ أنشطة الأعمال الحالية والمستقبلية، فضلاً عن اتخاذ القرارات الاستراتيجية الشاملة وتخصيص الموارد. على سبيل المثال، فإن الرغبة في المخاطرة السيبرانية ستعلم ما إذا كانت المنظمة شريكة مع طرف ثالث، لا سيما إذا كان الترتيب يشمل طرفًا ثالثًا يستخدم أو يتعامل مع الأصول الرقمية الرئيسية، كما قد يساعد في اتخاذ قرارات الاستثمار وحيث يجب على مجلس الإدارة إعطاء الأولوية للموارد الإضافية لضوابط الأمن السيبراني.

فالمخاطر السيبرانية، على الرغم من بروزها وسرعتها، لا تزال يمثل خطرًا تشغيليًا مناسبًا ضمن النهج الحالي لإدارة المخاطر في المنظمة، بينما لا يمكن تقليل المخاطر الإلكترونية إلى الصفر، هناك عدد من أدوات التحكم

منخفضة التكلفة والتي يمكن الوصول إليها والتي يمكن لجميع المنظمات استخدامها يجب على مجلس الإدارة تقييم فعالية الضوابط الإلكترونية بشكل دوري لبيئة التهديدات المتغيرة والتطورات التكنولوجية وقدرات المنظمة.

المبدأ الرابع: تكوين ثقافة الأمن السيبراني من أعلى إلى أسفل

تقع مسؤولية بناء ثقافة المرونة الإلكترونية على عاتق الجميع، ولكن مجلس الإدارة والإدارة العليا يلعبان دورًا مركزيًا في تعزيز وإظهار عقلية الأمن السيبراني. يجب أن تسعى قرارات الحوكمة، والإشراف على إدارة المخاطر الإلكترونية، إلى تعزيز ثقافة المرونة الإلكترونية عبر المنظمة - أي السلوك والسلوك اليومي للموظفين في تفاعلاتهم مع العالم الرقمي. كثيرًا ما يكون للحوادث السيبرانية الكبيرة عنصر خطأ بشري (مثل قيام موظف بفتح بريد إلكتروني خبيث) وتعد الثقافة الحقيقية للمرونة الإلكترونية عنصر تحكم إلكتروني بالغ الأهمية، وغالبًا ما يتم تجاهله. سيؤدي بناء المرونة الإلكترونية في الموظفين إلى تحسين المرونة الإلكترونية في إعدادات مكان العمل وكذلك عند استخدام الموظفين لأجهزة العمل في إعدادات المنزل. تنقسم المبادرات التي يمكن أن يطلبها المدراء من الإدارة إلى ما يلي:

- يتم إكمال التدريب المستمر للتوعية الإلكترونية من قبل جميع الموظفين، بما في ذلك المديرين-
- تضمين لغة عامة ويمكن الوصول إليها عندما نتحدث عن الأمن السيبراني.
- التحلي بالصراحة والصدق بشأن المخاطر الإلكترونية التي تتعرض لها المنظمة
- وتشجيع جميع الموظفين على لعب دورهم في تعزيز المرونة الإلكترونية
- التدريب السيبراني وتمارين التصيد تعزز ثقافة التعلم المستمر بدلاً من انتقاد الموظفين لسوء فهمهم
- التحديد الواضح للأدوار والمسؤوليات الرئيسية لإدارة الأمن السيبراني.
- التأكد من أن استراتيجية الأمن السيبراني وإدارة المخاطر هي بنود دائمة لمجلس الإدارة أو اجتماعات مجلس الإدارة للتدقيق / المخاطر / لجنة التكنولوجيا
- وضع خطة استجابة شاملة في حالة وقوع حادث أمن إلكتروني (انظر المبدأ 5).
- تطوير مؤشرات الأداء الرئيسية والحوافز للإدارة والموظفين الرئيسيين و / أو جميع الموظفين عند الاقتضاء، لضمان أداء الأمن السيبراني، بما في ذلك ممارسات إدارة المخاطر الإلكترونية السليمة وتنفيذ الاستراتيجية الإلكترونية
- مكافأة السلوك مثل الشفافية والإبلاغ المبكر عن الانتهاكات الإلكترونية (أو محاولة الخروقات مثل التصيد الاحتيالي).

المبدأ الخامس: التعرف على التأثير المحتمل للهجمات السيبرانية

جميع المنظمات عرضة لحادث أو هجوم إلكتروني كبير ويجب على المديرين التخطيط بشكل استباقي لأي حادث وتعتبر تمارين المحاكاة واختبار السيناريو من الأدوات الرئيسية لمجلس الإدارة والإدارة العليا لفهم وتحسين الأدوار والمسؤوليات ذات الصلة.

إن اتباع نهج واضح وشفاف للتواصل مع جميع أصحاب المصلحة الرئيسيين في حادث سيبراني. يمكن أن تكون خطة الاستجابة الموثقة للحوادث السيبرانية (خطة الاستجابة) أداة رئيسية في ضمان أن تكون المنظمة في وضع جيد للاستجابة بفعالية.

يمكن أن تكون الحوادث السيبرانية الكبيرة بشكل لا يصدق معقدة مع عدد كبير من المتغيرات التي تجعل التخطيط الشامل صعبًا. ومع ذلك، فإن تطوير خطة الاستجابة هو أداة رئيسية لضمان مشاركة جميع الأطراف وفهم الأدوار والمسؤوليات بينهم.

تعد خطة الاستجابة مكونًا أساسيًا في الاستراتيجية أو السياسة الإلكترونية الأوسع للمؤسسة. بالنسبة للمؤسسات الكبيرة، قد تكون خطة الاستجابة أيضًا مكونًا لاستمرارية الأعمال على نطاق أوسع وتخطيط إدارة الأزمات. ستسعى خطة الاستجابة إلى تغطية سلسلة من الحوادث المحتملة (مثل برامج الفدية، والحرمان من الخدمة) وأن تكون على دراية بالسيناريو وتمارين المحاكاة. تشمل العناصر الرئيسية لخطة الاستجابة ما يلي:

1. المسؤوليات: يجب أن تحدد خطة الاستجابة وظائف العمل والموظفين الرئيسيين الذين سيكونون مسؤولين عن تنفيذ الخطوات الرئيسية في الخطة، بما في ذلك مجلس الإدارة.

تقع المسؤولية الأساسية عن سن خطة الاستجابة على المستوى التشغيلي، بدلاً من ذلك من مجلس الإدارة، ويمكن أن يشمل فريق استجابة عبر المنظمات من موظفين من تكنولوجيا المعلومات، الاتصالات، ممثل من فريق القيادة التنفيذية العليا...

2. الموارد: على سبيل المثال، الموارد المادية (على سبيل المثال أصول الكمبيوتر، النسخ الاحتياطية للبيانات)، الخبرة الداخلية الرئيسية (مثل الأمن السيبراني، القانوني) والخبرة والدعم الخارجيين (على سبيل المثال، مستشارو الأزمات، المستشارون القانونيون، دعم شركة التأمين الإلكتروني)

3. الفرز والاستجابة الفورية: خطوات لتحديد وقوع حادث إلكتروني ولتقييم مدى الخطورة، بما في ذلك التأثير على العمليات التجارية والسمعة والمفتاح أصحاب المصلحة (مثل بيانات العملاء أو الموظفين والموردين / البائعين) وما إذا كان قد يتم تشغيل أي تقارير جنائية خارجية أو إخطار التأمين أو الإخطار التنظيمي / التزامات الإفصاح عن السوق.

4. الاحتواء والاستئصال: ستختلف استراتيجيات الحد من نطاق الحادث السيبراني حسب طبيعة الحادث. قد تتضمن خطوات احتواء الهجوم والقضاء عليه إيقاف تشغيل الأنظمة المتأثرة أو عزل الأنظمة غير المتأثرة لمنع الانتشار.

5. الاتصال: قنوات اتصال محددة للموظفين والعملاء المتأثرين، بما في ذلك المشاركة مع وكالات إنفاذ القانون والحكومة والهيئات التنظيمية ووسائل الإعلام والأطراف المتأثرة الأخرى (على سبيل المثال، أولئك الذين قد تكون بياناتهم قد تعرضت للاختراق) وكذلك الجمهور الأوسع. يجب أن يكون واضحًا من سيكون مسؤولاً عن التواصل مع أصحاب المصلحة. تميل الحوادث السيبرانية إلى أن تكون سريعة الحركة وديناميكية للغاية. في حين أن الحادث نفسه يمكن أن يكون ضارًا، فإن الطريقة التي تتعامل بها المنظمة مع الحادث يمكن أن تكون غير ضارة.

خطوات تحقيق حوكمة فعالة للأمن السيبراني

يمكن تناول خطوات تحقيق حوكمة فعالة للأمن السيبراني من خلال أربع مراحل مهمة هي كالتالي:

1. مرحلة التخطيط: في هذه المرحلة يتم التركيز على ثلاث نقاط أساسية:

- تقييم الفجوات والمخاطر داخل المنظمة لتصميم وتشكيل نظام الحوكمة الخاص بالمنظمة مع الأخذ بعين الاعتبار تقييم المخاطر.

- لا يد من وجود ما يعرف بالذكاء العاطفي و الذي نقصد به مقابلة الناس والتحدث معهم للتعرف على انشغالات جميع الأقسام الموجودة داخل المنظمة سواء قسم المورد البشرية أو قسم المحاسبة وغيرها...، فلا يمكن تصميم حوكمة فعالة دون معرفة متطلبات الأقسام وتشريعاتها وكذا ضوابطها ، سياساتها ، إجراءاتها.

- وجود نظرة شاملة عن اللوائح التنظيمية أخلاقيات المنظمة ،ثقافة المنظمة، أهدافها ن استراتيجياتها حتى يتم تكوين حوكمة فعالة.

2. مرحلة التطوير: في هذه المرحلة يتم التركيز على نقطتين:

- صناعة استراتيجية للأمن السيبراني والتي هي بمثابة الخط العريض الذي يوضح أهداف المنظمة.

- تطوير السياسات والإجراءات وتحديد مؤشرات قياس الأداء الخطر. فكل عملية توضع لا بد وأن يكون لها مؤشر قياس أداء وتعيين الشخص المسؤول عن هذه العملية والشخص المحاسب وكذلك الشخص الذي سيتم استشارته في هذه العملية وهذا يتم بالتعاون مع الأقسام الأخر.

3. مرحلة التنفيذ:

- تطبيق وتنفيذ كل ما تم تصميمه حتى لا يظل مجرد حبر على ورق.

- قياس كل مؤشر أداء وذلك بطريقة مستمرة مثلا كل شهر أو ثلاث أشهر أو ستة أشهر حتى نتمكن من مراقبة كل العمليات المصممة وبالتالي إصلاحها وهنا ندخل في المرحلة الأخيرة.

4. مرحلة المراقبة والاستجابة:

بعد قياس مؤشرات الأداء، تأتي مرحلة التقييم وذلك بتحديد أوجه القصور، العقبات، نقاط الضعف ثم القيام بالإصلاح الدوري لتطوير العمليات وزيادة فعاليتها وكفاءتها.

المحور الثالث: دور القادة المديرين في تحقيق حوكمة فعالة للأمن السيبراني

بعد ما تطرقنا في المحور السابق إلى مبادئ حوكمة الأمن السيبراني، سنخصص هذا المحور لتناول مهمة القادة المديرين في تحقيق حوكمة فعالة للأمن السيبراني: (Didier & abraham, 2021)

تتطور البيئة القانونية والتنظيمية بسرعة على مستوى العالم، لذلك تحتاج مجالس الإدارة إلى مواكبة التشريعات الجديدة، وإنفاذ القانون والهيئات التنظيمية على مختلف المستويات.

معرفة المديرين بالمخاطر السيبرانية والأمن السيبراني، إذ يتمثل دور المديرين في توفير حوكمة المخاطر، وهو تحدٍ موثوق به للإدارة والرقابة المستقلة فلا ينبغي على المديرين إدارة مخاطر الأمن السيبراني على نطاق صغير، بل يجب عليهم التأكد من أن الإدارة تقوم بعمل جيد من خلال الإشراف على ممارساتهم. ومع ذلك، إذا كان المديرون يفتقرون إلى فهم تفاصيل القضايا الإلكترونية، فقد لا يفهمون جميع تداعيات ما يخبرهم به المسؤولون التنفيذيون.

لوفاء بمسؤولياتهم الرقابية

معالجة الفجوات المعرفية بشكل استباقي ويجب على مجلس الإدارة اكتساب خبرة عميقة في مجال الأمن السيبراني لحماية مصالح المنظمات بشكل فعال.

المعرفة بالمخاطر السيبرانية: حيث تحدد Cisco سبعة أشكال شائعة من الهجمات الإلكترونية: البرامج الضارة، والتصيد الاحتيالي، وهجوم الرجل في الوسط (MitM) ، وهجوم رفض الخدمة، وحقن SQL ، واستغلال يوم الصفر، ونفق DNS .

ضرورة اكتساب الخبرة السيبرانية فبدون المعرفة السيبرانية على مستوى مجلس الإدارة، يمكن أن يشعر المدراء بالإحباط بسبب التحديات التي تفرضها مسؤوليات الإشراف على المخاطر الإلكترونية. يجب أن يحصل المدراء غير التقنيين على فهم أساسي للمفاهيم الإلكترونية الأساسية. لتطوير الخبرة اللازمة لتحدي الإدارة والإشراف على القضايا السيبرانية المعقدة، يحتاج المديرون إلى متابعة بعض دورات محو الأمية الإلكترونية. يجب أن يشمل التدريب أفضل الممارسات السيبرانية والتقنيات السيبرانية ومقاييس حوكمة الأمن السيبراني يجب على مجلس الإدارة إنشاء الهيكل الصحيح وتعيين الأشخاص المناسبين ومعالجة المشكلات المتعلقة بالسياسات والعمليات لمتابعة المنظمة ومواردها.

إشراف مجلس الإدارة على الخرق واكتشاف الثغرات الأمنية فعند معالجة حوكمة الأمن السيبراني، يجب على الشركات التركيز أولاً على الثقافة والأفراد والهيكل والعملية. ومع ذلك، وبغض النظر عن البرنامج السيبراني الذي تطبقه المنظمة، فإن التحقق من الأنظمة وتقييمها يعد خطوة أساسية في الرقابة الإلكترونية لمجلس الإدارة على الاختراقات واكتشاف الثغرات الأمنية.

الرغبة في المخاطرة السيبرانية هي مستوى المخاطر السيبرانية التي تكون المؤسسة مستعدة لتحملها. يجب على مجلس الإدارة تحديد الأولويات وفقاً لما قد يتسبب في أكبر قدر من الضرر وإعداد خطة استجابة، فالتركيز على أنظمة الأعمال المهمة والمهمة هو ضمان استمرارية الأعمال. إشراف مجلس الإدارة على الاستجابة السيبرانية.

ليس من مسؤولية مجلس الإدارة التفصيلية للأمن السيبراني. ومع ذلك، في حالة وقوع حادث إلكتروني جوهري، يجب أن تنخرط في غوص عميق. هذه أوقات يحتاج فيها مجلس الإدارة إلى المشاركة في التكتيكات وتنفيذ إستراتيجية الاستجابة. ستسمح مشاركة مجلس الإدارة للشركة بالاستجابة بشكل مناسب وسريع، حيث يمكن أن يؤدي الحدث إلى رد فعل عنيف على السمعة والتنظيم.

ينبغي النظر إلى إمكانية وقوع حدث إلكتروني على أنه "متى" وليس "إذا"، حيث لا يمكن لأحد أن يضمن عدم انتهاك برنامج الأمن السيبراني للشركة. في هذا الصدد، قد يكون من الضروري وجود فريق للاستجابة للأزمات يضم ممثلين داخليين مثل تكنولوجيا المعلومات والشؤون القانونية والإدارية، مع مدخلات محتملة من المستشارين الخارجيين مثل العلاقات العامة والطب الشرعي وشركات المحاماة. يجب أن يكون للعضو الفردي في فريق الاستجابة للأزمات أدوار ومسؤوليات واضحة.

تعتبر الاستجابة والتعافي من المكونات الأساسية لأي برنامج للأمن السيبراني، الأمر الذي يتطلب إشراف مجلس الإدارة. يحتاج مجلس الإدارة إلى التأكد من وجود خطة استجابة لتحديد مدى تقبل المخاطر فيما يتعلق بتقدير الضرر، وتصعيد الاتصالات عند الضرورة، واستعادة البيانات والأنظمة الهامة، وتخفيف الخسائر لتعزيز المرونة. يجب اختبار خطة الاستجابة والتعافي وصقلها من خلال تمرين على الطاولة، بحيث لا يتم تفويت أي خطوات رئيسية للاستجابة للحدث.

يضمن إشراف مجلس الإدارة وجود عملية تصعيد لتحديد من يجب إخطاره داخلياً ومتى. يجب إبلاغ مجلس الإدارة بشكل كامل عند وقوع حادث إلكتروني، خاصة عندما تتجاوز الخسائر المحتملة حدًا معينًا.

الاستنتاجات:

1. يجب على القائد أخذ بعين الاعتبار مبادئ الأمن.
2. الحوكمة تؤدي إلى إدارة فعالة للمخاطر.
3. لا توجد حوكمة واحدة صالحة لجميع القطاعات.
4. الحوكمة وإدارة المخاطر مفهومان متلازمان.
5. تمثل المنظمة المرعى البعيد بالنسبة للقائد.
6. تساهم الحوكمة في القضاء على التعقيد داخل المنظمات.
7. يسعى القائد من خلال الحوكمة إلى تحقيق أهداف المنظمة.
8. تمثل فعالية عمليات الامن السيبراني المرعى القريب
9. هدف الحوكمة هو استدامة المشروع.

قائمة المراجع

Austrian institute of company directors. (2022, 10). Cyber Security Governance Principles. 1-60. cyber security cooperative research centre.

Campbel, B. (2001). la gouvernance, une notion éminemment politique. *Une conférence internationale non déclarée sur la bonne gouvernance, pour un débat politique sur la pauvreté et la gouvernance.*

Canelón, J., Huerta, E., Leal, N., & Ryan, T. (2020). Unstructured Data for Cybersecurity and Internal Control. *Proceedings of the 53rd Hawaii International Conference on System Sciences.*

D, G. (1960). The Human side of entreprise. New York: Mc Graw Hill Back.

Didier, C., & abraham, h. (2021, 02 28). board oversight of cyber risk and cyber security. IMD. Retrieved from <https://www.imd.org.research-knowledge/articales/board/oversight / cyber>

Kaufmann, D. (2003). Repenser la gouvernance: dialogue sur la gouvernance et développement au moyen-orient et en Afrique du sud (Paris, Bayrou, Rabat et Washinton). Récupéré sur <http://www.worldbank.org/wbi/gouvernance>

Kouzes , & Posner. (1987). *The Leadership Challenge*. San Francisco- Joey-Bass.

Martti , L., & Jarno , L. (2021). Strategic leadership in cyber security: case Finland. *Information Security Journal: A Global Perspective, 30(3)*. doi:10.1080/19393555.2020.1813851

Nisrina, I., Edward , I., & Shalannanda, W. (2016). *IT governance framework planning based on COBIT 5 case study: secured internet service provider company: Case Study: Secured internet service provider company.*

Tonge, A. M., Kasture, S. S., & Chaudhari, S. R. (2013). Cyber security: challenges for society- literature review. *OSR Journal of Computer Engineering, 2(12)*.

تأثير لأمن السيبراني على الرقابة الداخلية وانعكاسها على الوحدة الاقتصادية. (مجلة الادارة والاقتصاد ،الجامعة المستنصرية). (127).

سنان الموسوي. (2004). الإدارة المعاصرة (الأصول والتطبيقات) (المجلد 1). عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.

محمد أبو الفضل عبد الشافي . (1996). القيادة الإدارية في الإسلام. القاهرة : المعهد العالي للفكر الإسلامي.

منى عبد الله السمحان. (2020). متطلبات تحقيق الأمن السيرياني لأنظمة المعلومات. مجلة كلية التربية (111).

INTERNATIONAL TERRORISM, ITS CAUSES AND WAYS TO COMBAT IT

Dr. Gacem MAHDJOUBA

<http://dx.doi.org/10.47832/soci.con1-11>

Abstract:

Terrorism is considered an ancient phenomenon that has accompanied the development of human relations. It is one of the cases that threaten international peace and security. It can be classified as undeclared war or violence. In addition, the term terrorism carries all the meanings of terror and fear due to killing, abuse, and violence...

It should be noted that all countries agreed to condemn terrorism and the necessity of preventing it, despite their failure to establish a precise and unified definition for it at the international level. The world did not address this phenomenon with research except in the last two decades of the 20th century, especially after Western countries were harmed by it internally and externally, specifically the US after the events of September 11, 2001, which led to political changes affecting its countries, and the issue of terrorism was used as an accusation directed at some liberation movements and some countries, despite the legitimacy of their resistance or self-defense, with the aim of concealing or falsifying the truth for political considerations. One of the causes of terrorism is the defect in the global system, the imbalance between the countries of the world, and the dominance of the major countries over the smaller countries. There are countries that have chosen the method of military confrontation as a means of combating terrorism.

Keywords: International Terrorism, The United Nations, The Security Council, Interpol .

الإرهاب الدولي أسبابه وسبل مكافحته

د. قاسم محجوبة¹

الملخص:

تعتبر ظاهرة الإرهاب ظاهرة قديمة رافقت تطور العلاقات الإنسانية ، وهي من الحالات المهددة للسلم والأمن الدوليين، ويمكن تصنيفه على أنه حرب أو عنف غير معلنان، فضلا على أن مصطلح الإرهاب يحمل كل معاني الفزع والخوف بسبب القتل والتنكيل والذبح ...

وتجدر الإشارة إلى أن الدول جميعا اتفقت على إدانة الإرهاب وضرورة الوقاية منه رغم عدم اتفاقها على وضع تعريف دقيق وموحد له على المستوى الدولي، ولم يتناول العالم هذه الظاهرة بالبحث إلا في العقدين الاخيرين من القرن العشرين خاصة بعد تضرر الدول الغربية منه داخليا وخارجيا وتحديدا الولايات المتحدة الامريكية عقب أحداث 11 سبتمبر 2001، والتي أدت إلى وجود متغيرات سياسية دوليا كما أن مسألة الإرهاب استخدمت كتهمة موجهة إلى بعض الحركات التحررية وبعض الدول رغم شرعية مقاومتها أو دفاعها عن النفس بهدف تغييب أو تزييف الحقيقة لاعتبارات سياسية، فيرجع سبب الإرهاب إلى وجود خلل في النظام العالمي وعدم التوازن بين دول العالم وهيمنة الدول الكبرى على الدول الصغرى وأصبحت مسألة مكافحة الإرهاب ضرورة لا بد منها باستخدام آليات على مستوى هيئة الأمم المتحدة أو الانتربول الدولي أو من خلال العدالة الجنائية وهناك من الدول التي اختارت اسلوب المواجهة العسكرية كوسيلة لمكافحة الإرهاب.

الكلمات المفتاحية: الإرهاب الدولي، الأمم المتحدة، مجلس الأمن، منظمة الشرطة الجنائية الدولية .

¹ جامعة زيان عاشور الجلقة، الجزائر

gaceimene@gmail.com

يعد العنف من أقدم الظواهر الموجودة في المجتمعات الإنسانية ويعتبر الإرهاب الدولي مظهرا من مظاهر هذا العنف الذي بات اليوم يتفشى في المجتمعات ويمكن تكيفه على أنه اضطرابا سياسيا في العصر الحديث و من بين القضايا المعقدة ، وأصبح بديلا عن الحروب التقليدية، وتجدر الإشارة إلى أن هذه الظاهرة ظهرت وتفاقت خلال القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين ، وتعتبر من العوامل المهددة للسلم والأمن الدوليين وتشكل خطرا جسيما على حقوق الإنسان نظرا لإحداثها رعبا وفزعا في أوساط الشعوب فضلا على أن ظاهرة الإرهاب انتقلت من المرحلة التلقائية والعمليات غير المنظمة إلى مرحلة الجريمة الوطنية العابرة للحدود الدولية لذلك يعبر عنه بأنه ظاهرة عولمية عابرة للحدود الوطنية، فضلا على ان الإرهاب لم يعد مقتصرًا على الوسائل التقليدية كالاعتقالات وعمليات الاختطاف وأخذ الرهائن ...، بل ساهم التطور التكنولوجي في ظهور أشكال جديدة للإرهاب الدولي كالإرهاب البيولوجي والإرهاب الكيميائي المرتكب بالمتفجرات والإرهاب الإشعاعي والنووي ولقد حاول المجتمع الدولي إلى إيجاد سبلا لمكافحة الإرهاب الدولي من خلال المنظمات الدولية والاقليمية، كما سعت الدول إلى سن تشريعات وطنية هدفها القضاء على الإرهاب الدولي ومن خلال ما تقدم يمكن طرح الاشكالية التالية :

ما مفهوم الإرهاب الدولي؟ وماهي أهم بواعثه وكيف يمكن التصدي له دوليا وما مدى فعالية الآليات الدولية المعنية بمكافحة الإرهاب الدولي ؟ وللإجابة على هذه الاشكالية تناولنا المحاور التالية :

المحور الاول : مفهوم الإرهاب الدولي :

كانت ظاهرة الإرهاب عبارة عن نشاطات غير منظمة، لكن فيما اصبحت جريمة منظمة نظرا لدقة التي تتميز بها والتخطيط في عملية التنفيذ، وتجدر الإشارة إلى أنه لم يتم الاتفاق على تعريف محدد ودقيق وجامعا ومانعا للإرهاب خاصة على المستوى الدولي، وهو من القضايا التي تؤرق المفكرين القانونيين و السياسيين، وليس السبب في ذلك صعوبة المصطلح أو عجز المعاجم اللغوية على تعريفه، بل يعود السبب في ذلك إلى عوامل سياسية بالدرجة الاولى، ولكن رغم ذلك ظهرت العديد من المحاولات لتعريف الإرهاب الدولي فقها ولغويا وكذا قانونيا ايضا وفيما سنتعرض إلى هذه التعريفات والطبيعة القانونية للإرهاب الدولي واهم العوامل التي ادت إلى وجوده كظاهرة سواء دوليا أو وطنيا

أولا- تعريف الإرهاب الدولي :

1- التعريف اللغوي للإرهاب الدولي :

تعتبر كلمة إرهاب حديثة في اللغة العربية، وهي كلمة دخيلة على اللغة حسب ما ورد في مجمع اللغة العربية الذي أشار أن كلمة "الإرهاب" أساسها هو "أرهب"، و"إرهاب" هو مصدر الفعل "أرهب" أي "رهب" بمعنى أخاف² وجاء في معاجم لسان العرب - رهب بالكسر، يرهب ، رهبة ورهبا بالضم أي خاف . وفي المعجم الوسيط جاء فيه :رهب رهبة، رهبا بالضم والفتح وبالتحريك رهبانًا أي أخاف، وأرهبه واسترهبه، وترهبه توعدده، والترهب التعبد³ .

² - غسان صبري كاطع، الجهود العربية لمكافحة جريمة الارهاب، عمان، دار النشر والتوزيع، 2011، ط1، ص 29
³ - الشمري عبد الستار علي، مفهوم جرائم الارهاب الدولي واليات مكافحتها، عمان، دار الايام للنشر والتوزيع، 2017، ط 1، ص 26.

والإرهاب في الرائد هو رعب تحدثه أعمال عنف كالقتل وإلقاء المتفجرات أو التخريب، أما الإرهابيون في المعجم الوسيط هو وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف لتحقيق أهدافهم السياسية، والحكم الإرهابي هو نوع من الحكم الاستبدادي يقوم على التحكم في شعب بنوع من الشدة والعنف بغية القضاء على الحركات التحريرية والاستقلالية⁴، كما يعرف في اللغة الانجليزية في قاموس اكسفورد على أنه العنف والتخويف المستخدم لأغراض سياسية وكذلك يعرف في اللغة الفرنسية بأنه استخدام للعنف من أجل تحقيق أهداف ذات طابع سياسي⁵

ويمكن أن نستنتج أنه لا يوجد صيغة محددة لكلمة الإرهاب في معاجم ومصادر اللغة العربية الاصبيلة⁶، فهي كلمة حديثة الاستعمال ولم تعرف في الأزمنة القديمة

2- التعريف الفقهي للإرهاب الدولي :

تجدر الإشارة إلى أن كلمة إرهاب ارتبطت تاريخيا بالعنف والخوف والفرع ولقد ظهرت محاولات عديدة من الناحية الفقهية لتعريف مصطلح الإرهاب وتم الاستناد على عدة معايير لتعريفه كمعيار الجسامة ومعيار العشوائية ، والعنف ، ومن خلال هذه المعايير الثلاثة تم تعريف الإرهاب من طرف الدكتور شفيق المصري بأنه : "الاستخدام غير المشروع للقوة أو التهديد باستخدامها بقصد تحقيق أهداف سياسية"، كما أنه السلوك الذي يرمي لإحداث الفرع والرعب الجماعي باستهداف مجموعة من سكان دولة أو جزء منهم كطائفة اجتماعية"⁷

وهناك من أشار إلى أن للإرهاب الدولي مفهومين، مفهوم ضيق ومفهوم واسع، فالمفهوم الواسع يشير إلى أن الإرهاب الدولي هو عبارة عن جنحة سياسية أو اجتماعية ينتج عن تنفيذها أو التعبير عنها ما يثير الفرع العام نظرا لطبيعتها، بينما المفهوم الضيق للإرهاب يشير إلى الأعمال الإجرامية التي يكون هدفها الرئيسي هو نشر الخوف والرعب كعنصر شخصي وذلك باستخدام وسائل تستطيع خلق حالة من الخطر العام كعنصر مادي، كما أشار الفقيه ASOHIL بأنه العمل الاجرامي المصحوب بالرعب أو الفرع أو العنف بقصد تحقيق هدف معين⁸

وعرفه الدكتور نبيل أحمد حلمي أن : "الإرهاب جريمة إنسانية دولية مخالفة لقواعد وتقاليده النظام العام الدولي ولقواعد الإنسانية، وهي الاستخدام غير المشروع للعنف أو التهديد بواسطة فرد أو جماعة أو دولة ينتج عنه رعب يعرض للخطر أرواحا بشرية أو يهدد حريات أساسية، يكون الغرض منه الضغط على الجماعة أو الدولة لمي تغيير سلوكها تجاه موضوع ما"⁹ . وفي الاخير يمكن تعريف الإرهاب الدولي بأنه جريمة مكتملة الاركان قد يكون مرتكبها أفراد أو حكومات تتسبب في أحداث أضرار وخيمة على الإنسانية أبرزها أحداث حالة من الفرع والرعب وزعزعة الأمن والاستقرار في المجتمعات وغالبا ما يكون هدف مرتكبيها تحقيق مصالح سياسية كالوصول إلى السلطة والحكم .

⁴ - بوزيان راضية، اسباب ظاهرة الارهاب في الجزائر مقارنة سوسولوجية تحليلية لظاهرة الارهاب سبل المكافحة واستراتيجيات الاصلاح في ظل العولمة،مجلة دراسات وابحاث، العدد الرابع، المجلد الثاني، 2009/09/15، ص 144

⁵ - خضير ياسين الغانمي، ظاهرة الارهاب الولي والعوامل الدافعة وكيفية معالجتها، مجلة أهل البيت التابعة لجامعة اهل البيت، العدد 16، مقال متوفر على الموقع : <https://abu.edu.iq/research/articles>

⁶ - مها يحيى، مكافحة الارهاب الدولي في ضوء أحكام القانون الدولي والقانون القطري، رسالة ماجستير في القانون العام، كلية القانون، جامعة قطر، 2021، ص 11.

⁷ - حمليل صالح، الارهاب الدولي مفهومه واسبابه، مجلة الحقيقية، العدد الثاني، المجلد الثاني، 2003 /12/30، ص ص 240،341

⁸ - غازي حسن صباري، الارهاب الدولي، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، العدد الاول، المجلد الثاني، 2008/01/31 ص ص 13،14

⁹ - أمل ياجي، محمد عزيز شكري، الارهاب الدولي والنظام العالمي الراهن، دمشق : دار الفكر، 2002، ط1، ص 128

2- المفهوم القانوني للإرهاب

أ- الإرهاب في الاتفاقيات الدولية :

عرفت المادة الأولى من اتفاقية جنيف لعام 1937 الإرهاب بأنه : " الأعمال الإجرامية الموجهة ضد دولة ما، ويكون الهدف منها إثارة الفزع والرعب لدى شخصيات معينة أو جماعات من الناس أو لدى العامة"¹⁰

الاتفاقية الأوروبية لمقاومة الإرهاب لم تعرف هذه الاتفاقية الإرهاب واكتفت بذكر بعض أشكاله فقط والتي من بينها اختطاف الطائرات، الاعتداء على حياة أو حرية الأشخاص المتمتعين بحماية دولية بمن فيهم الموظفون الدبلوماسيون، الاختطاف أو حجز الرهائن بدون وجه حق، جرائم استعمال القنابل والأسلحة الآلية أو الرسائل والطرود المفخخة في الحالات التي يحدث فيها هذا الاستعمال خطرا على الأشخاص¹¹

أما الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب قدمت تعريفا للإرهاب في مادتها الأولى الفقرة الثانية : "بأنه كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أيا كانت بواعثه أو أغراضه ، يقع تنفيذا لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى القاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق ضرر بالبيئة أو بأحد المرافق العامة أو الأملاك العامة والخاصة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها، أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر"

كما عرفت الجريمة الإرهابية في الفقرة الثالثة من نفس المادة بأنها : "أي جريمة أو الشروع فيها ترتكب تنفيذا لغرض إرهابي في أي من الدول المتعاقدة، أو على رعاياها أو ممتلكاتها أو مصالحها يعاقب عليها قانونها الداخلي..."¹²

ب- مفهوم الإرهاب في التشريعات الوطنية :

يمكن تعريف الإرهاب في القانون الجنائي الدولي من خلال التمييز بين إرهاب الأفراد وإرهاب الدولة

إرهاب الأفراد وهو الإرهاب الذي يرتكب من طرف الأشخاص الطبيعيين المتورطين في العمل الإرهابي بشكل مباشر بينما إرهاب الدولة هو ارتكاب دولة ما أنشطة إرهابية معينة تخالف المبادئ الأساسية والأحكام المستقرة في القانون الدولي فتصبح الدولة متورطة بارتكاب أعمال إرهابية وتحمل المسؤولية أمام القانون الدولي¹³

وكمثال عن القوانين الداخلية أصدر المشرع الجزائري مرسوما تشريعا بتاريخ 30 سبتمبر 1992 متعلق بمكافحة الإرهاب والتخريب فنص في مادته الأولى على أن ا : "يعتبر عملا تخريبيا أو إرهابيا كل مخالفة تستهدف أمن الدولة والسلامة الترابية، واستقرار المؤسسات وسيرها العادي، عن طريق أي عمل غرضه الآتي :

- بث الرعب في أوساط السكان وخلق جو من انعدام الامن من خلال الاعتداء على حياة وسلامة الأشخاص

- عرقلة حركة المرور أو حرية التنقل في الطرقات والساحات العامة

10 - مها يحيى خميس العبدالله، المرجع السابق، ص 18

11 - حمليل صالح، المرجع السابق، ص 348

12 - الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب، تم اعتمادها من طرف مجلس وزراء العدل والداخلية العرب في 1998/4/22 ودخلت حيز النفاذ في 1999/5/7

13 - حمليل صالح، المرجع السابق، ص 352

- الاعتداء على المحيط وعلى وسائل المواصلات والتنقل والممتلكات الحكومية والخاصة والاستحواذ عليها واحتلالها دون مسوغ قانوني، وتدنيس القبور أو الاعتداء على رموز الجمهورية
- عرقلة سير المؤسسات العمومية أو الاعتداء على حياة أعوانها أو ممتلكاتها، أو عرقلة تطبيق القوانين والتنظيمات¹⁴

وبالنسبة للقانون منع الإرهاب الاردني فقد عرف الإرهاب بأنه : "كل عمل مقصود يرتكب بأي وسيلة كانت يؤدي إلى قتل أي شخص أو التسبب بإيذائه جسدياً أو إيقاع أضرار في الممتلكات العامة أو الخاصة أو وسائل النقل أو البيئة أو في البنية التحتية أو في مرافق الهيئات الدولية أو البعثات الدبلوماسية إذا كانت الغاية منه الاخلال بالنظام العام وتعريض سلامة المجتمع وامنه للخطر أو تعطيل تطبيق أحكام الدستور أو القوانين أو التأثير على سياسة الدولة أو الحكومة أو إجبارها على عمل ما أو الامتناع عنه أو الاخلال بالأمن الوطني بواسطة التخويف أو التهريب أو العنف"¹⁵

ثانياً - أسباب الإرهاب الدولي و طبيعته القانونية :

أ- الطبيعة القانونية للإرهاب الدولي :

هنالك جدل حول تحديد الطبيعة القانونية للإرهاب الدولي حول ما إذا كان جريمة دولية أم هو مجرد مفهوم تندرج ضمنه مجموعة من الجرائم ونظراً للآثار الوخيمة المترتبة على حقوق الإنسان بسبب الأنشطة الإرهابية ، هنالك رأي يؤكد أن الجريمة الإرهابية ليست جريمة قائمة بحد ذاتها وإنما هي ظرف يرتبط بعدد من الجرائم، مع العلم ان الجريمة الإرهابية في ركنها المادي لا تختلف كثيراً عن الركن المادي في باقي الجرائم العادية والتي تؤدي إلى التخريب والتدمير على نطاق واسع أو احداث كوارث عامة بقصد إثارة الفزع وإشاعة الرعب في النفوس¹⁶ ، وهنالك من يكيف الجريمة الإرهابية على أنها جريمة سياسية ويوجد معياران للتمييز بين الجريمة السياسية والجريمة العادية وفقاً لفقهاء القانون الجنائي وهما المعيار الموضوعي والمعيار الشخصي أو الذاتي بالنسبة للمعيار الموضوعي الذي يعتبر الجريمة سياسية بناء على موضوعها أو الحق المعتدى عليه أي عندما يتم ارتكاب جريمة ضد المصالح السياسية التي تحميها الدولة مثلاً الحقوق السياسية للمواطنين وحق الدولة في وجودها وأمنها واستقرارها أو حماية مؤسساتها السياسية أو أدائها لوظائفها باعتبارها سلطة ذات سيادة بينما المعيار الشخصي يتمثل في الباعث المؤدي لارتكاب الجريمة - غرض الجاني من ارتكاب الجريمة - الذي يجب أن يكون سياسياً مثلاً قتل أحد المسؤولين المهمين في الدولة أو احتجاز المسؤولين السياسيين أو الدبلوماسيين لغرض سياسي¹⁷

وهذا من أهم الأسباب الذي أدى إلى استبعاد الجرائم الإرهابية من الاختصاص الموضوعي للمحكمة الجنائية الدولية الدائمة رغم أن الإرهاب الدولي كان في تصاعد مستمر أثناء الاعمال التحضيرية لإنشاء المحكمة الجنائية الدولية

¹⁴- المرسوم التشريعي الجزائري رقم 92-03 المؤرخ في 30 سبتمبر 1992 المتعلق بمكافحة الارهاب والتخريب ج .ر عدد 70 بتاريخ 1992/10/01

¹⁵- قانون منع الارهاب الاردني رقم (55) لسنة 2006

¹⁶- غازي حسن صباريني، المرجع السابق، ص 18

¹⁷- <https://www.law770.com/2023/04/political-crime.html>

الدائمة¹⁸، وتم الاتفاق على ترك مسألة مكافحة الإرهاب للمحاكم الوطنية للدول في إطار الآليات التقليدية للتعاون القضائي الدولي إذ أن أثقال كاهل المحكمة بمتابعة مرتكبي هذه الجرائم قد يتسبب في إفشال مهمتها وتهوين اختصاصها فضلا على الخلط المتعمد من طرف بعض الدول بين الإرهاب من جهة وحق المقاومة المسلحة المشروعة من جهة أخرى¹⁹

ب- أسباب الإرهاب الدولي :

يمكن حصر أسباب وبواعث الإرهاب الدولي فيما يلي :

* الأسباب السياسية²⁰ :

هي أشد الأسباب ارتباطا بالإرهاب وهي المغذي الرئيسي له سواء بشكل مباشر أو غير مباشر وترجع الأسباب السياسية إلى سببان رئيسيان وهما:

- السبب الداخلي (الإرهاب الداخلي) : والذي يلعب فيه الظلم والاستبداد الذي تمارسه الحكومات والأنظمة دورا رئيسيا في وجود وتنامي ظاهرة الإرهاب وطنيا

- السبب الدولي : يكمن في وجود خلل في النظام العالمي أي وجود عدم توازن رهيب بين دول العالم وهيمنة الدول الكبرى المتقدمة على الدول الصغرى النامية

* الأسباب الاقتصادية والاجتماعية²¹ :

- اتساع الفجوة بين طبقة الأغنياء والفقراء مما يدفع الطبقة المعدمة ماديا إلى ارتكاب الأنشطة الإرهابية كردة فعل

- البطالة تولد الشعور بالعجز واليأس والاحباط مما يجعل الشباب الذي يعاني من البطالة عرضة للجماعات المتطرفة سواء دينيا أو سياسيا

- سوء توزيع الثروة أو التوزيع غير المتوازن بين فئات المجتمع يؤدي إلى حرمان العديد من الأفراد من المتطلبات الأساسية للحياة مما يخلق حالة من الغضب وردود أفعال متطرفة مصحوبة بعمل إرهابي

- عند تبني أشخاص لفكر معين سواء كان سياسي أو ديني وعدم الاصغاء لهذا الفكر أو تهميشه قد يدفع هؤلاء الأشخاص إلى محاولة فرضه بالقوة والإكراه وقد يتحول ذلك إلى عمليات إرهابية

¹⁸- زرقط عمر، اختصاص المحكمة الجنائية الدولية في نظر جرائم الارهاب الدولي، مجلة الحقوق والعلوم الانسانية، العدد 25 المجلد الاول، 2015/12/15، ص 120

¹⁹- نسيب نجيب، حول استبعاد جرائم الارهاب الدولي من الاختصاص الموضوعي للمحكمة الجنائية الدولية، مجلة العلوم الانسانية، العدد الثاني، المجلد 30، 10 ديسمبر 2019، ص 202-203.

²⁰- حمليل صالح، المرجع السابق، ص 354

²¹- غازي حسن صبري، المرجع السابق، ص 36-38

- تقييد بعض الدول لحرية الأفراد كحرية الرأي والتعبير وحرية التنقل أو العقيدة مما يدفع الأفراد إلى اللجوء إلى العنف بهدف الحصول على هذه الحريات
- التعليم الديني الخاطيء الذي يلعب دورا كبيرا في إيجاد وتنامي ظاهرة الإرهاب تحت مسمى " الجهاد بالنفس طريق الجنة "

3- أنواع الإرهاب الدولي :

تعدد صور الإرهاب الدولي وأشكاله حسب الجهة القائمة به وحسب الفئة المستهدفة ونطاق تنفيذه والغرض منه وسنتعرض لبعض التصنيفات فيما يلي :

يصنف الإرهاب وفقا لمرتكبيه إلى :

*** إرهاب الأفراد والجماعات :** هو ذلك الإرهاب الذي يمارس من قبل مجموعة من الأفراد وفقا لتنظيم معين تهدف من وراءه إلى تحقيق اهداف سياسية أو اقتصادية أو احداث تغيير في بنية النظام القائم أو تهدف إلى تحقيق مصالح شخصية معينة

*** إرهاب الدولة:** وهو الإرهاب الذي تمارسه الدولة باستخدام العنف المفرط من أجل إثارة الرعب في نفوس المواطنين لتحقيق أهداف سياسية معينة كاحتفاظ بالسلطة وقمع المعارضة ويسمى أيضا المؤسسة أو الإرهاب السلطوي وهناك نوع آخر من الإرهاب الذي تمارسه الدولة ضد دولة أخرى أو ضد مواطنين أجانب سواء بصورة مباشرة باستخدام قواتها النظامية أو عن طريق دعم بعض التنظيمات والحركات الانفصالية ضدها²²

وكذلك يصنف الإرهاب حسب نطاق تنفيذه إلى :

*** الإرهاب المحلي :** هو ذلك الإرهاب الذي يمارس داخل اقليم دولة معينة ولا يتجاوز حدودها كالإرهاب الذي تمارسه جماعات معينة بغية قلب نظام الحكم دون أن يكون لها ارتباط خارجي وكذلك استخدام هذا النوع من الإرهاب من طرف الدولة ضد مواطنيها دون أن يمتد أثره خارج إقليم الدولة وبالتالي صفة المحلية يجب أن تتوفر سواء بالنسبة لنطاق التنفيذ أو الضحايا أو الجهة القائمة بالعمل الإرهابي

*** الإرهاب الدولي :** وهو العمل الإرهابي الذي تمارسه دولة ضد اقليم دولة أخرى ورعايا دولة أخرى وقد يمارس هذا النوع من طرف الأفراد أو جماعات أو من طرف حكومات²³ .

²²- رنا صباح محسن ن دور الامم المتحدة في تجريم الارهاب الدولي، رسالة ماجستير، ص ص 8.7 متوفرة على الموقع :

<https://www.iasj.net/iasj/download/8b106f2de3926702>

²³- نادية ناصر عبد المسيح، وآخرون ن كتاب جماعي، تداعيات التدخل الدولي في اقليم الشرق الاوسط على ظاهرة الارهاب، المركز الديمقراطي العربي، ص 2020، ص 67

المحور الثاني : الآليات الدولية لمكافحة الإرهاب الدولي :

يكن تكيف الإرهاب الدولي بأنه عملاً مهدداً للسلم والأمن الدوليين وفقاً لقرارات مجلس الأمن الدولي، فضلاً على أنه من بين الأفعال الإجرامية العابرة للحدود الدولية فيمكن أن يتم التحضير والتخطيط للجرائم الإرهابية في إقليم دولة ما وتحقق نتائجها في إقليم دولة أخرى وهذا ما يجعل منظمة الشرطة الجنائية الدولية تختص بالجرائم الإرهابية ويحتم التعاون الدولي في سبيل مكافحته وسنحاول من خلال هذا المحور التعرض إلى جهود الأمم المتحدة في مكافحة الإرهاب الدولي ثم دور منظمة الشرطة الجنائية الدولية في هذا الشأن

أولاً - جهود الأمم المتحدة في مكافحة الإرهاب الدولي

سنركز على عمل مجلس الأمن الدولي في الامم المتحدة باعتباره الجهاز الرئيسي المكلف بحفظ السلم والأمن الدوليين بالإضافة إلى الجمعية العامة بما أنها أحد أهم الأجهزة الرئيسية في الهيئة الاممية

1- دور مجلس الامن الدولي في مكافحة الإرهاب الدولي

سنحاول التركيز على جهود مجلس الامن الدولي بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 التي تعرضت لها الولايات المتحدة لتفجير برج التجارة العالمية في نيويورك ومبنى البنتاغون في واشنطن، ففي اليوم التالي من هذه الأحداث أصدر مجلس الأمن قراره رقم 1368 الذي أكد فيه على مبادئ الميثاق الأممي ومقاصده وأكد على ضرورة مكافحة الاعمال و التهديدات التي تعرض السلم والأمن الدوليين للخطر نتيجة الاعمال الإرهابية وأقر الحق الاصيل في الدفاع عن النفس الفردي والجماعي وفقاً للميثاق وفقاً للمادة 51 منه التي أجازت استخدام القوة المسلحة في الحالات الدفاع عن النفس²⁴، فقد جاء هذا القرار مؤكداً على إدانته للهجمات الإرهابية المروعة التي وقعت في 11 سبتمبر 2001 ودعا جميع الدول إلى العمل بصفة عاجلة من أجل تقديم مرتكبي الهجمات الإرهابية إلى العدالة وعلى المجتمع الدولي أن يضاعف جهوده من أجل منع الأعمال الإرهابية وقمعها من خلال زيادة التعاون والتنفيذ التام للاتفاقيات الدولية لمكافحة الإرهاب، وأشار إلى استعداده لاتخاذ كافة الخطوات اللازمة للرد على الهجمات الإرهابية التي وقعت في 11 سبتمبر 2001²⁵

كما أصدر مجلس الأمن القرار رقم 1373 الصادر في 28 سبتمبر 2001 الذي أشار فيه إلى أن الهجمات الإرهابية التي حدثت في نيويورك و واشنطن وبنسلفانيا في 11 سبتمبر 2001 على أنها أعمال مهددة للسلم والأمن الدوليين، وأن كل عمل إرهابي دولي يشكل تهديداً للسلم والأمن الدوليين بالإضافة إلى أنه يعيد التأكيد على المبدأ الذي أرسته الجمعية العامة في إعلانها الصادر في أكتوبر 1970 بموجب قرارها رقم 2625 (د-35) ومفاده أنه من واجب كل دولة عضو أن تمتنع عن تنظيم أي أعمال إرهابية في دول أخرى أو التحريض عليها أو المساعدة أو المشاركة فيها أو قبول أنشطة منظمة في أراضيها بهدف ارتكاب تلك الاعمال ومن بين التدابير التي جاء بها هذا القرار :

²⁴- برزوق حاج، دور الامم المتحدة في مكافحة الارهاب الدولي، مجلة المعيار، العدد الاول ن المجلد السادس، 2015/06/30، ص ص 290، 291

²⁵- قرار مجلس الامن رقم 1368 الصادر في 12 سبتمبر 2001 ، S/RES/1368 (2001)

- منع ووقف تمويل الأعمال الإرهابية

- تجريم تقديم الدعم المادي بتوفير أموال أو جمعها بهدف استخدامها في النشاطات الإرهابية

- تجميد الأموال والأصول المالية لأشخاص يرتكبون أعمال إرهابية أو يحاولون ارتكابها ...

- الامتناع عن تقديم أي شكل من أشكال الدعم الضمني والصريح إلى الكيانات والأشخاص الضالعين في الأعمال الإرهابية ويشمل ذلك وضع حد لتجنيد أعضاء الجماعات الإرهابية ومنع تزويد الإرهابيين بالسلح واتخاذ الخطوات اللازمة لمنع ارتكاب الأعمال الإرهابية ويشمل ذلك الإنذار المبكر للدول الأخرى عن طريق تبادل المعلومات ...، وكفالة تقديم أي شخص يشارك في تمويل أعمال إرهابية أو تديرها أو الإعداد لها أو ارتكابها أو دعمها إلى العدالة وإدراج الأعمال الإرهابية في القوانين والتشريعات المحلية بوصفها جرائم خطيرة وأن توضع العقوبات وفقا لجسامة الأعمال الإرهابية

26...

ومن بين القرارات التي أصدرها مجلس الامن أيضا في سبيل مكافحة الإرهاب الدولي القرار رقم 2083 الصادر سنة 2012 الذي أشار إلى أن كل عمل إرهابي هو عبارة عمل إجرامي لا يمكن تبريره وأعرب عن قلقه إزاء عدد حوادث الاختطاف وأخذ الرهائن على أيدي جماعات إرهابية بغية مقايضتهم بالأموال أو انتزاع تنازلات سياسية وأشار إلى أنه لا يمكن القضاء على الإرهاب دون مشاركة جميع الدول والمنظمات الدولية والإقليمية وتعاونها بفعالية من أجل منعها واضعافها وأشار إلى أن الجزاءات تشكل بموجب الميثاق أداة مهمة في صيانة السلم والأمن الدوليين ويشير إلى ضرورة التعاون المستمر بين اللجنة المتعلقة بتنظيم القاعدة والشرطة الجنائية الدولية (الانتربول) ...²⁷

قام مجلس الامن بإنشاء لجنة لمكافحة الإرهاب تتألف من جميع اعضاء المجلس - خمسة عشر عضوا - بموجب القرار 1373(2001) الانف الذكر في فقرته السادسة، مهمتها مراقبة تنفيذ بنود هذا القرار، لذلك وصفت بهيئة الرصد والمراقبة .

بدأت اعمالها في اكتوبر 2001 بهيكل يتكون من مكتب يضم رئيس اللجنة وثلاثة نواب للرئيس وثلاث لجان فرعية تضم كل منها خمسة أعضاء ويترأس كل لجنة من هذه اللجان الفرعية أحد نواب الرئيس الثلاثة، بالإضافة إلى مجموعة من المستشارين الخبراء المستقلين الذين تم تعيينهم لإسداء المشورة إلى لجنة مكافحة الإرهاب بشأن عملها تتمثل مهام هذه اللجنة فيما يلي :

* تحديد السبل التي يمكن من خلالها مساعدة الدول على تنفيذ التزاماتها بموجب القرار رقم 1373

* رصد تنفيذ القرار مع مراعاة أفضل الممارسات و المعايير الدولية ذات الصلة

* ضرورة تعاون المنظمات الدولية والإقليمية الأخرى مع اللجنة من أجل مكافحة الإرهاب كالتشاور معها من أجل الوصول إلى أفضل الممارسات لمساعدة الدول على تنفيذ أحكام القرار 1373 خاصة منها المتعلقة بتمويل الإرهاب

26 - قرار مجلس الامن رقم 1373 الصادر في 28 سبتمبر 2001 , S/RES/1373 (2001)

27 - قرار مجلس الامن رقم 2083 الصادر في 17 ديسمبر 2012 , S/RES/2083(2012)

* القيام بزيارات ميدانية إلى دول بهدف مراقبة ورصد تنفيذ احكام القرار 1373 وتقديم مساعدات تقنية لها بهدف مكافحة الإرهاب²⁸

كما قام مجلس الأمن بإنشاء الهيئة التنفيذية للجنة مكافحة الإرهاب بموجب الفقرة الثانية من قرار مجلس الأمن رقم 1535 (2004) دورها هو مساعدة اللجنة في مراقبة تنفيذ القرار 1373 (2001) وتمثل اهم مهامها فيما يلي

* كفالة جمع المعلومات فيما يتعلق برصد جهود الدول الأعضاء لتنفيذ القرار 1373 (2001) بما في ذلك زيارة الدولة المعنية

* تعزيز المساعدات التقنية التي ترمي إلى زيادة قدرات الدول الأعضاء لمكافحة الاهداب، وكفالة تكييف أحكامها مع احتياجات البلدان

* تعزيز التعاون والتنسيق فيما بين المنظمات الدولية والإقليمية ودون الإقليمية في مكافحة الإرهاب وكذلك بين سائر هيئات الأمم المتحدة²⁹

2- دور الجمعية العامة في مكافحة الإرهاب الدولي :

من خلال دراسة قرارات الجمعية العامة المتعلقة بمكافحة الإرهاب اتسمت بطابعين نظرا لوجود مرحلتين مرحلة ما قبل أحداث 11 سبتمبر 2001، الأنفة الذكر ومرحلة ما بعد تلك الاحداث ففي المرحلة الأولى اتسمت طريقة تعامل الجمعية العامة منذ أوائل سنة 1972 بالموضوعية مع المسائل المرتبطة بالإرهاب الدولي من حيث دراسة الأسباب الكامنة وراء انتشار الإرهاب وضرورة التمييز بين الإرهاب وبين حركات التحرير الوطنية وكفاحها من أجل تقرير المصير بينما الفترة الثانية اتضح تراجع دور الجمعية العامة في مكافحة الإرهاب الدولي حيث انتقدت الجمعية العامة بالانتقائية في مكافحة الإرهاب الدولي حيث أصدرت قرارها 1/56 الذي عالج الحالة التي تعرضت لها الولايات المتحدة الأمريكية³⁰ ، ولم تكثر لباقي حالات الإرهاب الأخرى في المجتمع الدولي .

بالنسبة للمرحلة الأولى من عمل الجمعية العامة في سبيل مكافحة الإرهاب الدولي، تم إدراج هذا الأخير في جدول أعمالها في الدورة السابعة والعشرين في 18 ديسمبر 1972 تحت بند التدابير الرامية إلى منع الإرهاب الدولي الذي يعرض للخطر أرواحا بشرية أو يهدد الحريات الأساسية فأصدرت قرارها رقم 3034 في 17 ديسمبر 1972 والتي أكدت من خلاله على ضرورة التعاون الدولي لاتخاذ تدابير فعالة لمكافحة الإرهاب وضرورة دراسة الأسباب الكامنة وراءه كما ميزت بين الإرهاب وبين حق الشعوب في تقرير مصيرها باستخدام الكفاح المسلح ضد الاستعمار وقد أصدرت الجمعية العامة قرارها رقم 145 سنة 1979 في الدورة الرابعة والثلاثين الذي أدانت فيه الأنشطة الإرهابية التي تعرض للخطر الأرواح

28 - هشام بوحوش، دور لجنة مكافحة الارهاب التابعة لمجلس الامن في مكافحة الارهاب الدولي، مجلة جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية، العدد الاول، المجلد 15، 2014/09/28، ص ص 423،424 .

29- هشام بوحوش، المرجع نفسه، ص 425

30 - نسيب نجيب، دور الامم المتحدة في مكافحة الارهاب الدولي في ضوء قرارات الجمعية العامة ومجلس الامن، المجلة النقدية للقانون والعلوم السياسية، العدد الثاني، المجلد السابع، 2012/12/31 ص 244

البشرية³¹، بالإضافة إلى صدور قراراتين عن الجمعية العامة 40/61 و 42/15 الذي أدانت فيه الأساليب المستخدمة في العمليات الإرهابية أيا كان مرتكبها ووصفتها بالأعمال الاجرامية، أما قرارها رقم 48/122 سنة 1993 الذي جاء محددًا لآثار وأهداف الأعمال الإرهابية والمتمثلة في تدمير حقوق الإنسان وتهديد السلامة الإقليمية للدول وأمنها وهز استقرار الحكومات الشرعية وأحداث آثار سلبية بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية، هذا فيما يتعلق بالقرارات الصادرة عن الجمعية العامة، وتجدر الإشارة إلى أن الجمعية العامة عمدت على إنشاء لجنة معنية بدراسة الإرهاب الدولي تتألف من خمسة وثلاثين عضواً يعينهم رئيس الجمعية العامة مهمتها هي دراسة الملاحظات التي تقدمها الدول فيما يخص مسألة مكافحة الإرهاب الدولي وتأكيدا على التعاون الدولي من أجل تحقيق هذه الغاية، بالإضافة إلى تبنيها لإبرام العديد من الاتفاقية الدولية بهدف مكافحة الإرهاب مثل اتفاقية منع احتجاز الرهائن لسنة 1979، الاتفاقية الدولية لقمع تمويل الإرهاب³²

ثانياً - دور الإنتربول في مكافحة الإرهاب الدولي

الإنتربول هو المنظمة الدولية للشرطة الجنائية وهي منظمة حكومية دولية ينظم اليها 196 بلدا عضواً مهمتها مساعدة أجهزة الشرطة في جميع الدول الاعضاء بهدف تعزيز الأمن يختص الإنتربول بعدد من الجرائم من بينها الإرهاب الدولي والجريمة المنظمة فللإرهاب الدولي علاقة وطيدة بالجرائم العابرة للحدود الدولية وفي سبيل تحقيق هذه المهمة يعتمد الإنتربول على عدد من التدابير من بينها ما يلي :

1- العمل على كشف الاشخاص المشتبه في انهم إرهابيون :

يعمل الإنتربول على كشف الاشخاص المتورطين في العمليات الإرهابية من خلال استخدام البيانات البيومترية حيث يمكن أن تؤدي هذه البيانات إلى تحديد الدقيق لهوية الاشخاص الذين يستخدمون هويات مزيفة وتحديد أماكن تواجد الإرهابيين وفتح تحقيقات بشأنهم وملاحقتهم قضائياً بالإضافة استحداث مشروع FIRST الذي يحدد سمات الوجه والتعرف عليها والبحث عن الشخص المعني ومساعدة البلدان على تبادل البيانات البيومترية حول المعتقلين والإرهابيين الأجانب، ويرعى هذا المشروع إلى تحسين كشف الإرهابيين والتابعين لهم وتحديد هوياتهم باستخدام أحدث التكنولوجيا في مجال المعالجة الرقمية للصور وتحديد سمات الوجه والانتقال من مرحلة " الحاجة إلى المعرفة " إلى مرحلة " الحاجة إلى التبادل "³³.

31 - برزق حاج ن المرجع السابق، ص 288.

32 - برزق الحاج، المرجع السابق، ص 289

33 - <https://www.interpol.int/ar/4/5/3>

2- تعقب تمويل الجماعات الإرهابية :

يعد شل حركة تمويل الجماعات الإرهابية أحد أهداف ومهام الإنتربول الدولي التي يسعى إلى تحقيقها فضلا على أنها ضرورة لا غنى عنها لتقويض أنشطتها وتجدر الإشارة إلى أنه يمكن استغلال العائدات الاجرامية لأية جريمة في تمويل الإرهاب الدولي مثلا الاختطاف طلبا للفدية واستغلال الاتجار غير المشروع بالسلع كالنفط والفحم والذهب فضلا على الاتجار بالمخدرات والعملات الرقمية ...، وفي هذا الصدد يعمل الإنتربول على توسيع العمل بالمنظومة العالمية للاتصالات الشرطة الأمونة 24/7-1 وإشراك وحدات الاستخبارات المالية في جميع انحاء العالم، بالإضافة إلى تقديم المشورة للدول الاعضاء في الإنتربول في قضايا محددة من خلال الربط بين المحققين عبر الحدود والقارات³⁴

3- منع الإرهابيين من التنقل :

تحتوي قواعد البيانات الخاصة بالإنتربول على تفاصيل متعلقة بعدد كبير من الإرهابيين حوالي 135.000 مقاتل إرهابي مما يجعل الإنتربول أكبر هيئة في العالم تجمع مثل هذه البيانات التي تعتبر مهمة في تحديد هوية الإرهابيين والتي تم جمعها من النقاط الساخنة وهي المناطق التي يتفشى فيها الإرهاب بما في ذلك الحدود وساحات المعارك و السجون، وتجدر الإشارة إلى أن الإرهابيون غالبا ما يقومون باستخدام وثائق السفر المسروقة عند تنقلهم وعودتهم من مناطق النزاع لذلك يجب على موظفو الحدود للبلدان التأكد من هويات المسافرين ومعلومات جوازات سفرهم عبر مقارنتها بقاعدة بيانات الإنتربول لوثائق السفر المسروقة والمفقودة، بالإضافة إلى أن قاعدة البيانات الاسمية المتوفرة لدى الإنتربول تتضمن تفاصيل حول البيانات الشخصية والسوابق الجنائية للأفراد الذين صدر بشأنهم طلب تعاون دولي فضلا على قاعدة البيانات المتعلقة بوثائق السفر المرتبطة بالنشرات³⁵

4- تحليل وسائل التواصل الاجتماعي :

يعمل الإرهابيون على استخدام شبكات التواصل الاجتماعي لبث ثقافة التطرف والتجنيد وتمويل انشطتهم الإرهابية وتخطيطها وتنفيذها، ويقوم الإنتربول بالتصدي للأنشطة الإرهابية من خلال تحليل استخدام الإرهابيين لشبكات التواصل الاجتماعي بالإضافة إلى محاولة تعزيز الجهود في إطار التحقيقات الوطنية المتصلة بمكافحة الإرهاب، حيث يتم تفتيش شبكات التواصل الاجتماعي بحثا عن شهود محتملين، على غرار ما حصل في أعقاب الاعتداء الذي وقع على جسر لندن في المملكة المتحدة سنة 2017، والهجوم على مجمع فنادق في نيروبي بكينيا في يناير 2019، فالأشخاص مجهولي الهوية الذين قد يظهرون في شبكات التواصل الاجتماعي وهناك تعاون بين الإنتربول ومركز الأمم المتحدة لمكافحة الإرهاب حيث يقوم الإنتربول بتنظيم حلقات لتدريب المحققين في أربع مجالات رئيسية هي :

* كشف الأنشطة المتصلة بالإهاب على الانترنت

* جمع الأدلة الالكترونية

* طلب الأدلة الالكترونية عبر الحدود في إطار التعاون بين أجهزة الشرطة

<https://www.interpol.int/ar/4/5/6> - 34

<https://www.interpol.int/ar/4/5/4> - 35

* التعاون مع القطاع الخاص للنهوض بالتحقيقات التي تجريها أجهزة إنفاذ القانون³⁶

كما يختص الانتربول بمتابعة الإرهاب البيولوجي والإرهاب الكيميائي المرتكب بالمتفجرات والإرهاب الإشعاعي والنووي وذلك لأن التقدم التكنولوجي بات يستخدم في الأنشطة الإرهابية بشكل خاص والإجرام بشكل عام لذلك يجب مواكبة التطور التكنولوجي المستخدم في الأنشطة الإرهابية بهدف مقاومته لأنه لم يعد مقتصرًا على الأساليب التقليدية والمتمثلة في الاغتيالات والاختطاف وأخذ الرهائن ...

الخاتمة :

من خلال هذه الورقة البحثية يتضح لنا أن الامم المتحدة اتخذت جهودا لمكافحة الإرهاب الدولي والتصدي له من خلال أجهزتها الرئيسية كمجلس الأمن الدولي ولجانته الخاصة وكذا الجمعية العامة للأمم المتحدة التي تعمل على عقد مؤتمرات وإبرام اتفاقيات دولية فضلا على دور الانتربول، لكن التجربة أثبتت بأن الآليات الموجودة لم تتمكن من القضاء على الإرهاب الدولي نظرا لتسييس أجهزة الأمم المتحدة خاصة مجلس الامن بالإضافة إلى عدم تحديد مفهوم من الناحية القانونية للإرهاب الدولي مما أدى إلى استخدامه كتهمة يتم توجيهها لجهات معينة كحركات التحرير الوطنية التي يتم الخلط المتعمد بينها وبين مفهوم الإرهاب على سبيل المثال القضية الفلسطينية رغم أن الحركات التحررية التي تجد أساسا قانونيا لشرعيتها في القانون الدولي الإنساني وفيما يلي يمكن طرح النتائج التالية :

* الإرهاب الدولي هو عنف محرم دوليا نتيجة لبواعث عقائدية يرمي إلى احداث رعب وفزع لدى الشعوب وتهديدا للسلم والامن الدوليين في المجتمع الدولي

* يمكن تكييف الإرهاب الدولي على أنه جريمة تامة الاركان وتحديدًا هو أقرب للجريمة السياسية

التوصيات :

* يمكن استخدام وسائل الإعلام بهدف إبراز مدى خطورة الإرهاب الدولي التوعية بعدم الانجراف نحوه

* محاكمة مرتكبي جرائم الإرهاب الدولي أمام المحاكم الوطنية وتوقيع أشد العقوبات على المتورطين في الأعمال الإرهابية

* إضافة جريمة الإرهاب الدولي في الاختصاص الموضوعي للمحكمة الجنائية الدولية نظرا لخطورة الجريمة بالإضافة إلى الركن الدولي الموجود في الجرائم الإرهابية

* محاولة القضاء بشكل جذري على الاسباب التي تؤدي إلى وجود الإرهاب وتنامي الظاهرة

قائمة المراجع :

الكتب :

- غسان صبري كاطع، الجهود العربية لمكافحة جريمة الإرهاب، عمان، دار النشر والتوزيع، 2011، ط 1 .
أمل ياجي، محمد عزيز شكري، الإرهاب الدولي والنظام العالمي الراهن، دمشق : دار الفكر، 2002، ط 1 .
الشمري عبد الستار علي، مفهوم جرائم الإرهاب الدولي واليات مكافحتها، عمان، دار الايام للنشر والتوزيع، 2017 ط 1 .
نادية ناصر عبد المسيح، وآخرون، كتاب جماعي، تداعيات التدخل الدولي في اقليم الشرق الاوسط على ظاهرة الإرهاب، المركز الديمقراطي العربي، 2020 .

الاطروحات :

- رنا صباح محسن، دور الامم المتحدة في تجريم الإرهاب الدولي، رسالة ماجستير، ص ص 8.7 متوفرة على الموقع :
<https://www.iasj.net/iasj/download/8b106f2de3926702>
مها يحيى، مكافحة الإرهاب الدولي في ضوء أحكام القانون الدولي والقانون القطري، رسالة ماجستير في القانون العام، كلية القانون، جامعة قطر، 2021.

المقالات :

- بوزيان راضية، اسباب ظاهرة الإرهاب في الجزائر مقارنة سوسيولوجية تحليلية لظاهرة الإرهاب سبل المكافحة واستراتيجيات الاصلاح في ظل العولمة، مجلة دراسات وابحاث، العدد الرابع، المجلد الثاني،
2009/09/15 .
خضير ياسين الغانمي، ظاهرة الإرهاب الولي والعوامل الدافعة وكيفية معالجتها، مجلة أهل البيت التابعة لجامعة اهل البيت، العدد 16، مقال متوفر على الموقع : [/https://abu.edu.iq/research/articles](https://abu.edu.iq/research/articles)
حمليل صالح، الإرهاب الدولي مفهومه واسبابه، مجلة الحقيقة، العدد الثاني، المجلد الثاني، 2003 /12/30 .
غازي حسن صباريني، الإرهاب الدولي، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، العدد الاول، المجلد الثاني، 2008/01/31
زرقط عمر، اختصاص المحكمة الجنائية الدولية في نظر جرائم الإرهاب الدولي، مجلة الحقوق والعلوم الانسانية، العدد 25 ، المجلد الاول، 2015/12/15 .
نسيب نجيب، حول استبعاد جرائم الإرهاب الدولي من الاختصاص الموضوعي للمحكمة الجنائية الدولية، مجلة العلوم الانسانية، العدد الثاني، المجلد 30، 10 ديسمبر 2019 .
هشام بوحوش، دور لجنة مكافحة الإرهاب التابعة لمجلس الامن في مكافحة الإرهاب الدولي، مجلة جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية، العدد الاول، المجلد 28، 2014/09/15 .
برزوق حاج، دور الامم المتحدة في مكافحة الإرهاب الدولي، مجلة المعيار، العدد الاول، المجلد السادس،
2015/06/30

قرارات مجلس الامن :

قرار مجلس الامن رقم 1368 الصادر في 12 سبتمبر 2001 (2001) S/RES/1368
قرار مجلس الامن رقم 1373 الصادر في 28 سبتمبر 2001 , (2001) S/RES/1373
قرار مجلس الامن رقم 2083 الصادر في 17 ديسمبر 2012 , (2012) S/RES/2083

القوانين

المرسوم التشريعي الجزائري رقم 03-92 المؤرخ في 30 سبتمبر 1992 المتعلق بمكافحة الإرهاب والتخريب ج ر. عدد
70 بتاريخ 1992/10/01

قانون منع الإرهاب الاردني رقم (55) لسنة 2006

الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب، تم اعتمادها من طرف مجلس وزراء العدل والداخلية العرب في 1998/4/22
ودخلت حيز النفاذ في 1999/5/7 متوفر على الموقع :

<https://www.law770.com/2023/04/political-crime.html>

المواقع الإلكترونية :

<https://www.interpol.int/ar/4/5/3>

<https://www.interpol.int/ar/4/5/6>

<https://www.interpol.int/ar/4/5/4>

<https://www.interpol.int/ar/4/5/5>

POSITIVE PSYCHOLOGY A NEW VIEW OF HAPPINESS

Dr. Farida KADRI

<http://dx.doi.org/10.47832/soci.con1-12>

Abstract:

This research paper sheds light on one of the most important topics in positive psychology, named authentic happiness according to Seligman's vision, where the view on it has shifted from being a gift to some people and not others to being an achievement that the individual must achieve by himself and for himself and thus becomes deserving of it. Happiness is the reward for the efforts he made to achieve it, according to Seligman's formula for authentic happiness. In this research paper we will focus on the following:

- The concept of happiness.
- Authentic happiness according to Seligman.
- The formula of happiness.
- factors under voluntary control.

key words: positive psychology, authentic happiness

علم النفس الإيجابي رؤية جديدة للسعادة

د. فريدة قادري¹

الملخص:

تسلط هذه الورقة البحثية الضوء على احد أهم مواضيع علم النفس الإيجابي وهو السعادة، وبالضبط السعادة الحقيقية وفق رؤية سليجمان. حيث تحولت النظرة إليها من كونها هبة يمكن للبعض أن يتمتع بها دون البعض الآخر إلى كونها إنجاز يتوجب أن يحققه الفرد بذاته ولذاته وبالتالي يصبح مستحقا لهذه السعادة نظير الجهود التي بذلها لنيلها، ذلك وفق معادلة سماها سليجمان معادلة السعادة الحقيقية.

وفي هذه الورقة البحثية سوف نركز على مايلي:

- مفهوم السعادة.

_ السعادة الحقيقية عند سليجمان.

_ معادلة السعادة.

_ العوامل تحت التحكم لتحقيق السعادة.

الكلمات المفتاحية: علم النفس الإيجابي. السعادة الحقيقية.

¹ جامعة البويرة، الجزائر

kadrifarida8@gmail.com

المقدمة:

لا يخفى على عارف بمجال علم النفس عموماً تلك النقلة النوعية التي طرأت على هذا المجال، حيث اهتم علم النفس الكلاسيكي -إن جازت تسميته بهذا الاسم- بمناحي القصور والألم والمعاناة التي يعاني منها الأفراد، وبذل الباحثون جهوداً أقل ما يقال عنها أنها جبارة لمساعدة الأفراد على تجاوز أزماتهم وآلامهم للوصول بهم إلى المستوى الطبيعي أو مستوى السواء.

غير أن تسعينات القرن الماضي ارتأت توجيه الأنظار والجهود وتوسيعها لتشمل التعامل مع الأفراد الأسوياء من خلال التركيز على المناحي الإيجابية التي يمكن أن يستثمرها الفرد لتحقيق حياة أفضل وأجود وأكثر رفاهية وذات معنى، فكان علم النفس الإيجابي على يد سليجمان.

ولعل من أبرز المواضيع التي ركز عليها علم النفس الإيجابي موضوع السعادة أو الحياة الطيبة بتعبير أرسطو.

اعتبرت السعادة على مر التاريخ هدفاً أسمى للبشر، ولكنهم يختلفون في وضع إطار مرجعي لتعريفها بدقة والعوامل التي تؤدي إليها (معمرية ، 2011) ، وذلك في تحرر تام من أثر العوامل الثقافية والدينية والاجتماعية المختلفة، وربما السائد في النظر إلى السعادة على أنها قسمة إلهية بين الناس، وأن السعادة الحقيقية هي التي توجد في الحياة الأخروية، وأن ما دونها لهو ولعب جعل تركيز الجهود في هذا الجانب ضعيفاً إذا ما قورن بتلك الجهود التي تبذل لدراسة مواضيع علم النفس الكلاسيكي، وقد يعود ذلك إلى عدة اعتبارات يبقى أكثرها وضوحاً حداثة التوجه، وهو علم النفس الإيجابي. وإن يكن هذا واقع البحث في مواضيع علم النفس الإيجابي عموماً وفي السعادة على وجه التحديد، فإنه لا يمكن أن ننكر الجهود التي بذلها سليجمان في البحث في مجال السعادة الحقيقية، والتي ارتأت في جزء كبير منها أنها ممكنة التحقيق لأن شرطاً مهماً من العوامل المؤدية إليها تقع في دائرة تحكم الفرد (الاعسر وآخرون، 2002)، وقد سبقه في هذا القول بزمن بعيد الفيلسوف برتراندرسل عندما نشر كتابه "غزو السعادة" "conquest of happiness" والذي يتحدث فيه بعبارة صريحة عن إمكانية تربية الأفراد على السعادة دون أن يختص بالتربية فئة الناشئة أو الأطفال، بل شملت كل الأفراد، موضحاً الأسباب التي تجعل الفرد غير سعيد، ثم في جزء آخر من الكتاب يوضع العوامل التي يمكن أن يتحكم فيها الفرد لتحقيق مستوى من السعادة (Ruussell, 1930). وهو لم يكن بعيداً في طرحه عن الطرح الذي قدمه سليجمان.

وسوف نركز في هذه الورقة البحثية على المحطات التالية:

- مفهوم السعادة.
- معادلة السعادة.
- العوامل المتحكم فيها لتحقيق السعادة.
- لماذا العودة إلى كتاب السعادة الحقيقية

1_ مفهوم السعادة:

لقد ذكرنا في ديباجة هذه الورقة البحثية أنه رغم توحد الهدف وهو (نيل السعادة) فإن ضبط تعريف مرجعي لها كان من الأمور الشاقة على الباحثين وعلى الأفراد أنفسهم نظرا لمطاطية المفهوم وهلاميته وتداخله مع العديد من المفاهيم الأخرى كالفرح، جودة الحياة، والتفاؤل والرضا ...

وسوف نتطرق في هذا الموضوع إلى بعض التعاريف للسعادة التي أطلقها الباحثون، مركزين على مفهوم سليجمان للسعادة الحقيقية التي ميزها عن السعادة اللحظية، هذه الأخيرة التي يمكن أن تكون نتيجة معاشتنا لبعض الأحداث السارة والآنية التي ترتبط باستثارة لحظية واقعية أو مصطنعة.

عند الحديث عن تعريف السعادة بشكل عام يمكن أن نلاحظ أن هذه التعاريف تندرج ضمن ثلاث فئات وذلك حسب تصنيف د. بنر. 1994 كما جاء في (معمرية ، 2011)

أ_ المحك الخارجي:

الذي يتمثل في الصفات المرغوبة كالفضيلة والطهارة وغيرها، ولا يمكن أن يوصف الإنسان بأنه سعيد أو أن يصف نفسه بأنه إنسان سعيد إلا إذا أصبحت هذه الفضائل أساسا راسخا ومعيارا عادلا متدوتا في ذوات الأشخاص، يشعرون بالسعادة عندما يتصرفون حقا وفق هذه المعايير أو الفضائل، ومن الأمثلة التاريخية عن هذا المعيار نجد المهاتما غاندي، الأم تريزا، نيلسون مانديلا، وغيرهم كثيرون ممن اتصفوا بالعفو وعدم الانتقام وحب العطاء وخدمة الآخرين.

ويمكن أن نطلق على هذا المعيار بأنه معيار فلسفي.

ب_ المعيار الاجتماعي:

السعادة وفق المعيار الاجتماعي تتحدد في ضوء كل ما يجعل حياة الناس تشتمل على عناصر سارة إيجابية، وهي عموما تصدر عندما يبدي الأفراد رضا عن حياتهم بشكل عام، هذا الرضا يقدره الفرد في تحقيقه لأهدافه وإملاكه لحاجاته.

إن النظرة الناقدة لهذا المعيار تجعلنا نرى أنه في ضوء المعيار الاجتماعي لتحديد مفهوم السعادة سوف نجد أنفسنا بطريقة ما نتحدث عن مدى الرضا الذي يقرره الفرد عن حياته، وبالتالي نحن أما المعيار الشخصي أو الفردي أو الداخلي، إذ كيف يمكن أن نفسر عيش الأفراد نفس الظروف البيئية وبنفس الإمكانيات ورغم ذلك يظهرون اختلافات في مستوى السعادة.

ج- المعيار الشخصي:

يركز المعيار الشخصي في تجسيد مفهوم السعادة على حديث الفرد اليومي كمؤشر لرجحان المشاعر الإيجابية على السلبية (غازي السعيد. 1997 كما جاء في: معمرية بشير. 2011)

ولعل ما يؤخذ على هذا المعيار أنه يتأثر بالخبرات السارة أو المؤلمة الآنية أو قربية العهد أو الحدوث بالرجوع إلى الماضي، فقد يصف الفرد نفسه بالاسعادة أو الشقاء نظيره حزمة حديثة من المشاعر، متناسيا إرثا عظيما من الخبرات السعيدة التي تستحق الامتنان.

وعليه يمكن القول أن اعتماد أي من هذه المحكات بشكل مستقل سوف يكون قاصرا عن تشخيص مستوى السعادة الذي يعيشه الأفراد، ولابد أن تتضافر الجهود أكثر في هذا المجال بغية إيجاد إطار واضح ومرجعي يمكن العودة إليه للتشخيص والتدخل عندما يتعلق الأمر بالسعادة.

وسوف نورد فيما يلي بعض التعاريف التي حددها الباحثون لمفهوم السعادة.

فالسعادة عند فين هوفن "Veenhoven" (2003) هي الدرجة التي يحكم فيها الشخص سلبا أو إيجابا على نوعية حياته الحاضرة بصفة عامة، كما أكد على أن السعادة تعكس حب الشخص للحياة واستمتاعه بها وتقديره لها (تحية و مظلوم ، 2013، الصفحات 79-164)

وهي عند Fordyce (1998) "شعور عام بالرضا عن الحياة يزدهر ويستمر على مدار فترات زمنية طويلة، كما يرى أن الشعور بالسعادة ليس شيئا، فمعظم الناس يعتقدون أن الشعور بالسعادة هو أشياء مثل المال والسلطة والحياة الأسرية والمكانة الاجتماعية، ولكن هذه الأشياء وحدها لا تمثل السعادة بل يمكن أن تساهم في زيادة المعدل الإجمالي لسعادتنا، ولكن السعادة هي شعور فقط لذا يجب أن لا نخلط بين الشعور بالسعادة، وبين الأشياء التي يمكن أن تسبب هذا الشعور (علام ، 2008)

والسعادة عند (العنزي فريخ عويد.2001) هي حالة التوازن الداخلي يسودها عدد من المشاعر الإيجابية كالرضا، والابتهاج، والسرور التي تربط بالجوانب الإيجابية للحياة مثل الأسرة والعمل والعلاقات الاجتماعية.

ليس الغرض من هذه الورقة هو الدراسة المسحية للتعاريف المقدمة للسعادة، ولذلك من الحصادة الاكتفاء بهذه النماذج فقط كعينة عن العديد من التعاريف المقدمة لهذا المفهوم، ونلاحظ أن هذه العينة وغيرها كثير يربط دائما بين الشعور بالسعادة والرضا عن الحياة، مما يحدو بنا أن نقول أن الرضا هو أحد الأعمدة الأساسية لتحقيق الشعور بالسعادة. وسوف نتحدث عنه عند التطرق إلى العوامل المتحكم فيها لتحقيق السعادة الحقيقية، أما الموضوع الموالي فسوف نركز فيه على مفهوم السعادة الحقيقية عند سليجمان.

السعادة الحقيقية عند سليجمان:

من الإنصاف القول أن سليجمان قد حول الأنظار في مجال علم النفس مركزا على ذلك الجانب الذي يجب أن يكون مشرقا في حياة الأفراد ، من خلال العمل في إطار ما سماه بعلم النفس الإيجابي الذي تعد السعادة موضوعه الأول والأمثل. فالسعادة قيمة إنسانية حقيقية تتحقق من خلال نقاط قوتنا وفضائلنا، وبذلك تصطبغ حياتنا بالحقيقة (بن نوار.2016. كما جاء في: باشن وبن عيشوبة.2023).

وقد وضع سليجمان في كتابه السعادة الحقيقية " authentic hapiness " معادلة السعادة وهو يرى أن جزءا من هذه المعادلة يقع داخل دائرة تحكم الفرد، بمعنى بإمكان الفرد أن يرفع مستوى سعادته إذا ما تحكم في هذه العوامل. بمعنى أدق أصبح الإنسان مسؤولا عن صنع سعادته.

وقد طور سليجمان هذه الرؤية إلى مستوى آخر سماه "الرفاه النفسي" وهو أعلى درجة من السعادة، وقد أوجد الباحثون نماذج عديدة للرفاه النفسي يبقى أشهرها نموذج "PERMA" وهو ملخص كما يلي:

P: Positive Emotion (الانفعالات الإيجابية)

E: Engagement (المشاركة)

R: Relationship (العلاقات الإيجابية)

M: Meaning (معنى الحياة)

A: Accomplishment (الإنجازات)

ورغم الجهود التي بذلها الباحثون في تطوير النظرة إلى السعادة غير أننا نعتقد أن معادلة السعادة التي وضعها سليجمان في كتابه السعادة الحقيقية مازالت تحتاج إلى تدقيق نظر، لسيما في جزئها المتعلق بالعوامل المتحكم فيها من طرف الفرد في حد ذاته، وهو ما سوف نركز عليه في هذه الورقة البحثية.

معادلة السعادة حسب سليجمان:

وضع سليجمان في كتابه السعادة الحقيقية معادلة سماها معادلة السعادة في رؤية واضحة هادفة إلى تفسير العوامل المحددة لمستوى السعادة عند أي فرد، وكذا بيان مسؤوليته على تحقيقها.

ورغم أنه لا يمكن النظر بهذا الكم الرياضي البحت إلى الانفعالات الإنسانية، إلا أن سليجمان قد وضع طريقا مبشرا لإمكانية مساعدة الأفراد على رفع مستوى سعادتهم بل وعلت تحقيقها من البداية، ثم المضي بها قدما نحو الازدهار والرفاه النفسي. ونورد فيما يلي معادلة السعادة مركزين على المداخل الأساسية التي من خلالها يستطيع الفرد تطوير مستوى سعادته أو على الأقل المحافظة عليها.

السعادة (س) = ح+ظ+ع

$H=S+C+V$

حيث أن :

Happiness:H

Set range of happiness(genetic):S

Circumstances of your life:C

Factors under your valentory control:V

وقد ترجمت هذه المفاهيم من طرف (الاعسر وآخرون، 2002، صفحة 93) على النحو التالي:

س: السعادة

ح: حدود السعادة

ط: ظروف الحياة

ع: العوامل تحت السيطرة

وفيما يلي سوف نتطرق إلى هذه العوامل باختصار مركزين على العوامل تحت سيطرة الفرد باعتبارها المداخل الأساسية لتحقيق السعادة.

أ_ حدود السعادة: Set range

وفق هذه المعادلة فإن ما نسبته 50% من سعادة الإنسان متوقفة على العوامل الوراثية، وأن الإنسان لا يملك مطلق السلطة لتغيير ما هو وراثي، ونقول مطلق السلطة وليس بعض السلطة مقرونة بالعمل الجاد والوعي بمصادر الانفعالات الإيجابية والسلبية، وإيجاد الآليات والإستراتيجيات المختلفة للحد من الأثر الضابط للجوانب الوراثية على رفع مستوى من السعادة.

أ- ظروف الحياة:

لابد وأن تدور حياة كل فرد في فلك من الظروف التي قد يكون للفرد يد في إيجادها مثل الزواج والتدين، أو أنه خضع لها لسبب أو لآخر مثل الظروف السياسية، والعمل أو البطالة أو الفقر والغنى. وهنا يقترح سليجمان جملة من النصائح ليتمكن الفرد من رفع مستوى سعادته، وذلك بناء على بعض الدراسات التي قام بها الباحثون في هذا المجال، حيث يرى سليجمان انه إذا أراد الفرد ان يحسن مستوسعادته فيما يتعلق بالظروف الخارجية فيتوجب عليه:

-العيش في بيئة ديمقراطية غنية وليس في بيئة ديكتاتورية فقيرة.

-الزواج.

- تجنب الأحداث السلبية والانفعالات السلبية.

-تكوين شبكة علاقات غنية.

- التدين.

غير انه أحيانا لا يستعنا أن نفعل ذلك مع جميع الظروف الخارجية خاصة إذا ما تعلق الأمر بالظروف القاهرة، ولكن ذلك ليس بالأمر المحزن لأن الظروف الداخلية الواقعة تحت تحكم الفرد هي المفتاح الأساسي الذي يمتلكه الفرد لزيادة مستوى سعادته متجاوزا بذلك تحدي العوامل الوراثية والظروف الخارجية.

العوامل الواقعة تحت تحكم الفرد:

يحدد سليجمان العوامل الواقعة تحت تحكم الفرد في تلك العوامل التي من خلالها يمكن للفرد بالعمل الجاد أن يستحق مستوى من السعادة، فالسعادة لا تعطي لنا بقدر ما يمكن أن نعمل جاهدين لإستحقاقها، وتدخل هذه العوامل بنسبة لا يستهان بها تقدر بـ 40% من مستوى السعادة العام، وتتمثل هذه العوامل في:

الرضا عن الماضي Positive emotion about the past

التفاؤل حول المستقبل Positive emotion about the future

السعادة في الحاضر Positive emotion about the present

وفي هذا الإطار يقول أحد الباحثين (كما ورد في موقع: <https://happyproject.in/happiness-formula-equation/>)

لرفع مستوى سعادتك غير شعورك نحو الماضي، غير تفكيرك نحو المستقبل، غير خبرتك في الحاضر.

**"To raise your lasting level of happiness change how you feel about your past , how
"you think about the future , and how you experience the present
أ_ الرضا بالماضي:**

الرضا بالماضي لا يعني إلغاء خبرات الماضي، وإنما يعني تكوين صورة انفعالية إيجابية عن الماضي، وتكوين الصورة يحتاج إلى مجهود ومثابرة يبذلها الشخص المعني ليتخلص من الآثار السلبية التي يمكن أن تمارسها خبرات الماضي السيئة على مستوى السعادة العام.

ومن جهة أخرى فإنه من المستحيل أن نجد ماضيا أسود بأتم معنى الكلمة، أو ماضيا مشرقا بأتم معنى الكلمة، والطبيعي أن يكون ماضي الأفراد مزيج بينهذين اللونين، أما نظرة الفرد إلى ماضيه هي التي يمكن أن تعطيه اللون الذي يشاء.

ويحدد سليجمان ثلاث استراتيجيات تمكن الفرد الذي يتبناها في نظرتة إلى الماضي من زيادة معدل السعادة لديه(الاعسر وآخرون، 2002)

- التحرر من الاعتقاد بأن الماضي يحدد المستقبل.

- الامتنان للأشياء والأحداث الرائعة التي حدثت في الماضي.

- تعلم الصفح والغفران أو التسامح.

إن الوعي بهذه الاستراتيجيات واستدخالها في البنية المعرفية والانفعالية للشخص واستخدامها بجهد ومثابرة ووعي وإرادة يعمل على تحسين المشاعر نحو الماضي كما يعمل على رفع معدل السعادة العام.

ب-التفاؤل نحو المستقبل:

لقد عمل سليجمان على حدي متصل، ففي علم النفس الكلاسيكي كان مؤسس نظرية العجز المكتسب أو المتعلم وفي إطار علم النفس الإيجابي كان صاحب باع في التفاؤل المكتسب.

والتفاؤل في معناه العام هو الرؤية الإيجابية نحو المستقبل والاعتقاد بأن كل شيء سوف يكون في الاتجاه المناسب، وأن الأسباب المتحكمة في الأحداث المستقبلية هي تحت السيطرة، وإن كان هناك خلل لإعادة النظر في بعض الاستراتيجيات وزيادة بذل الجهد والمثابرة سوف يكون كفيلا بإعادة الأمور إلى نصابها.

والحقيقة أن التفاؤل أو التشاؤم بالمستقبل لا يأتي من العدم وإنما تمتد جذوره إلى خبرات الماضي وقد تعلمنا بطريقة ما عادة غير واعية أن نكون متفائلين أو متشائمين.

غير أن سليجمان يجعل من التفاؤل ممكن التعلم من خلال إدخال بعض الاستراتيجيات والوعي بها والعمل بها.

ويعرف التفاؤل "Hope" بأنه إحساس وحالة من الدافعية تنبع من اعتقادات الفرد بأنه يمتلك الطاقة

والوسائل لتحقيق أهدافه (<https://happyproject.in/happiness-formula-equation/>).

ج-السعادة في الحاضر:

عند الحديث عن السعادة في الحاضر يفرق (Siligman,M.2002) بين:

: Plaisurs : الملذات

وهي الخبرات التي تنتج عنها انفعالات إيجابية آنية قصيرة الأمد، تزول بزوال المثير، وقد تكون هذه الخبرات مفتعلة تؤثر على الجهاز العصبي مباشرة مثل: تعاطي المنشطات أو المخدرات.

وقد تكون هذه الخبرات عادية مثل تناول وجبة خاصة أو مشاهدة فلم أو الاستماع إلى الموسيقى. والجانب السلبي في الملذات أن أثرها الإيجابي يتوقف بزوال مثيرها، وفي حالة عدم التحكم فيها تتحول إلى حالة من التبعية وقد يسقط الفرد في فخ طاحونة اللذة حيث يصبح معتادا على تلك النعمة دون أن يدرك أهميتها.

المسرات: "gratifications":

هذه الأخيرة هي التي يعطيها سليجمان أهمية كبيرة مقارنة بالملذات أو المتع اللحظية، وهي ليست على علاقة بأي من الخبرات الآنية قصيرة الأمد التي تجر متعة آنية، وإنما تتطلب الذوبان والانغماس في نشاطات هادفة إلى جر نتائج إيجابية ناتجة عن بذل جهد أكبر ذي فائدة أعم، وقد تكون خبرات المسرات مصاحبة لعمل شاق ومؤلم ومكلف ولكن الناتج عنه يجر مستوى من السعادة لا يمكن وصفه، ومن أمثلة ذلك:

- العمل الإنساني.

- العمل التحرري.

- الانغماس في أعمال ذات مغزى.

العمل التطوعي

ولعل تعلم ممارسة التدفق النفسي لهي طريقة مثلى لتحقيق المسرات، حيث أنه مع التدفق يغيب الإحساس بالجهد والألم والوقت ويرتفع مستوى الجهد والدافعية الداخلية (قادري، 2020، الصفحات 115-124).

خاتمة:

نتساءل لماذا عدنا في هذه الورقة البحثية إلى معادلة السعادة، مع العلم أن علم النفس الإيجابي قد قطع أشواطاً في الازدهار والرفاه النفسي ويمكن أننجيب بان ذلك كان لسببين:
أولهما:

أن تحقيق مستوى سعادة ضروري لتحقيق مستويات من الرفاه النفسي، حيث أن هذا الأخير يمتد نحو الامتياز والتميز في السعادة، ولكنه يتأسس عليها.
ثانيهما:

أن معادلة السعادة الحقيقية في حد ذاتها تشكل مشروع بحث أكبر، بالنسبة لنا هذا المشروع مستنبط من القرآن الكريم حيث أن راحة البال التي يمكن أن تكون مرادفاً للسعادة تتأسس على:
- الرضا، ولكن الرضا ليس فقط بالماضي، وإنما بالقضاء والقدر.
- استشعار النعم وشكرها (الامتنان وذكر الفضل).
- حسن الظن بالله والسعي إلى تحقيق حياة أفضل (الإيمان، السعي).

أ- إن التحكم في معادلة السعادة يمكننا من إيجاد إطار تربوي وإرشادي للصغار والكبار على حد سواء هدفه التربية على السعادة وفق رؤية أصيلة مستندة إلى مرجعية نفسودينية (نفسية / دينية)

قائمة المراجع:

- معمريّة بشير(2011). دراسات في علم النفس الإيجابي. الجزائر: دار الخلدونية.
- _الاعسر صفاء.كفا في علاء الدين.السيد عزيزة.يونس فيصل.علوان فادية و غباشي سهير(2002) السعادة الحقيقية. القاهرة. دار العين للنشر.
- باشن حمزة وبن عيشوبة بلال. (2003). المرتكزات الأساسية للتعليم الإيجابي. من نظرية السعادة الحقيقية إلى نموذج Perma للرفاه.مجلة دراسات في سيكولوجية الأفراد. المجلد8. العدد1. 634-615.
- قادري. ف (2020). التدفق النفسي.في علم النفس الإيجابي بين الواقع والأفاق. اعداد مجموعة من الباحثين.الجزائر. دار الماهر.الجزء الثاني.115-124.
- عاشوري صونيا. (2020). نحو منحى جديد في علم النفس. في علم النفس الإيجابي بين الواقع والأفاق. اعداد مجموعة من الباحثين. الجزائر. دارالماهر. الجزء الثاني.107-121.
- تحية محمد عبد العال ومصطفى علي رمضان مظلوم (2013) الاستمتاع بالحياة في علاقته ببعض المتغيرات الشخصية: دراسة في علم النفس الايجابي. مجلة كلية علوم التربية العدد 23. 164-79.
- Ruussell.B (1930).Conquest of hapiness.London.GoergeAllen et unwinLTDmuseum street.

<https://happyproject.in/happiness-formula-equation/>

**MECHANISMS FOR CONFRONTING NEIGHBORHOOD GANGS AS A CRIMINAL
JUSTICE DEVELOPMENT**

Dr. Asma KELANEMER

<http://dx.doi.org/10.47832/soci.con1-13>

Abstract:

Recently, dangerous crime, represented by neighbourhood gangs, has spread across Algerian society, with evictions affecting most of the chaotic neighborhoods and flowing into large new residential complexes, most of which do not have adequate security shields to maintain safety. and tranquility and protection of the people and their property. Violence is common in these communities. In the face of this increasing crime, traditional means of deterrence are no longer effective, prompting the Algerian Legislature to intervene and put an end to this dangerous criminal phenomenon by issuing Regulation No. 20/03 on Gang Prevention. Biology and its control, including preventive and deterrent measures.

The importance of this study is reflected in the sensitivity of the subject, which falls within the scope of neighborhood gang crime, which continues to occur in Algeria, given the record increase in the number of criminal attacks, the use of cold weapons and drug abuse.

The purpose of this intervention is to clarify the prevention and deterrence mechanisms set out in Regulation No. 20/03 of 30 August 2020 to prevent and combat neighborhood gangs, as previous legal means have failed to curb the growth of gangs in neighborhoods. this phenomenon.

آليات مواجهة عصابات الأحياء كإحدى مستجدات العدالة الجنائية

د. كلانمر أسماء¹

الملخص:

انتشرت في المجتمع الجزائري في الآونة الأخيرة ظاهرة إجرامية خطيرة تمثلت في عصابات الأحياء بسبب عمليات الترحيل التي مست أغلب الأحياء الفوضوية نحو أحياء سكنية كبيرة شيدت حديثا " أغلبها لا تتوفر على تغطية أمنية كافية ، تسمح في الحفاظ على الأمن والسكينة وحماية الأشخاص وممتلكاتهم، حيث أصبحت أعمال العنف في وسط تلك الأحياء السكنية أمرا مؤلوا، فلم تعد وسائل الردع التقليدية تجدي نفعاً أمام هذا النمط المتزايد من الإجرام، مما دفع بالمشروع الجزائري إلى التدخل من أجل وضع حد لهذه الظاهرة الإجرامية الخطيرة، وذلك من خلال إصدار الأمر 03/20 المتعلق بالوقاية من عصابات الأحياء ومكافحتها والذي تضمن تدابير وقاية وأخرى ردية.

تظهر أهمية هذه الدراسة في حساسية الموضوع الذي يندرج في إطار جرائم عصابات الأحياء التي لا تزال تصنع الحدث في الجزائر في ظل التصاعد القياسي لمعدلات الاعتداءات الإجرامية واستخدام الأسلحة البيضاء وتعاطي المخدرات. تهدف هذه المداخلة إلى تسليط الضوء على الآليات الوقائية والردعية التي أتى بها الأمر رقم 03/20 المؤرخ في 30 أوت 2020 المتعلق بالوقاية من عصابات الأحياء ومكافحتها في ظل عجز الترسنة القانونية التي كانت موضوعاً سابقاً في مواجهة تنامي هذه الظاهرة.

¹ ID جامعة الجزائر 1، الجزائر
a.kelanemer@univ-alger.dz

المقدمة:

قد يرتكب الشخص الجريمة بمفرده أو قد يرتكبها من طرف عدة أشخاص مجتمعين يكون لهم نفس الغرض وينظمون تحت ما يسمى بالعصبة الإجرامية أو الجماعات الإجرامية وتختلف صور هذه العصابات على أساس التنظيم.

فالعصابات الإجرامية ليست بالظاهرة الحديثة فهي قديمة قدم البشرية كقطاع الطرق و القراصنة وغيرهم فإذا كانت هذه العصابات الإجرامية على درجة عالية من التنظيم والاستمرارية أصبحت عصابة إجرامية منظمة وهنا نكون أمام جريمة منظمة واجهها المشرع بكل الآليات الممكنة، أما إذا كانت غير منظمة نكون أمام عصابات إجرامية غير منظمة كعصابات الشوارع " الأحياء" أو عصابات السجون وغيرها، حيث أنه في الآونة الأخيرة في المجتمع الجزائري ظهرت عصابات إجرامية وأصبحت مصدر قلق للمواطنين و الدولة على حد سواء، فالنسبة للدولة فقد توسعت قائمة مشكلاتها أما بالنسبة للمواطنين فتلك العصابات تنشر الخوف بسبب عنفها وحمل السكاكين و الخناجر و السيوف و الآلات الحادة و السواطير (كمال فليح)، حيث أن المشرع سبق وتصدى لهذه الظاهرة من خلال قانون العقوبات، وبعد تفاقم الوضع كان لابد من تدخله بشكل خاص لمجابهة هذه الظاهرة التي تنامت خلال السنوات الماضية خصوصا في المدن الكبرى بسبب ضعف سلطة الدولة .

حيث صادق البرلمان على الأمر الذي يجرم أفعال عصابات الأحياء فمن شأنه إعادة الأمن و الاستقرار إلى الأحياء السكنية خصوصا في المدن الكبرى وفرض القانون أمام هذا النوع الجديد من الإجرام .

لدراسة موضوع عصابات الأحياء أهمية علمية ونظرية. فالأهمية النظرية تكمن في الإشكاليات الكثيرة التي يطرحها هذا الموضوع وذلك من خلال تحديد الجرائم والوسائل التي كانت موجودة من قبل في قانون العقوبات وكذا تلك التي استحدثها المشرع الجزائري في الأمر الرئاسي 03/20 بينما تتمثل الأهمية العلمية في التحديد الصحيح لمعالم هاته الجريمة التي تؤدي بالضرورة إلى النتيجة، وهي التطبيق السريع والحسن للقانون (مزهد ، سليم).

وعليه ونظرا لحدائة الموضوع وأهميته سواء على الصعيد الوطني أو الدولي ، فقد حاولنا في دراستنا هذه إبراز النظام القانوني لمكافحة عصابات الأحياء من خلال طرح الاشكالية التالية

ما مدى فعالية الآليات الوقائية والردعية كإجراء مستحدث في قانون 03/20 لمكافحة جريمة عصابات

الأحياء ؟

المحور الأول: السياسة الجنائية الوقائية لمواجهة عصابات الأحياء

تعتبر عصابات الأحياء من أخطر المنظمات التي تهدد أمن وسلامة الأفراد من خلال أعمال العنف والاعتداءات الجسدية والمعنوية التي ترتكبها العصابات داخل الأحياء السكنية وتوسع أكثر في الموضوع خصصنا هذا المحو لتبيان القواعد الوقائية المكرسة من طرف المشرع الجزائري في مكافحة عصابات الأحياء.

أولاً: الآليات الوقائية العامة.

أكدت المادة 4 من الأمر الرئاسي 20/03 على ضرورة أن تتخذ الدولة والإدارات والمؤسسات العمومية والجماعات المحلية الإجراءات اللازمة للوقاية من عصابات الأحياء من خلال القيام بما يلي :

- اعتماد آليات اليقظة والإنذار والكشف المبكر من عصابات الأحياء.

- الإعلام والتحسيس بمخاطر الانتماء لعصابات الأحياء وآثار استعمال وسائل تكنولوجيايات الإعلام والاتصال في الإشادة بها ونشر أفكارها.

- ترقية التعاون المؤسسي وتوفير تغطية أمنية متوازنة للأحياء السكنية. مع إعداد سياسة عامة في إنجاز البرامج السكنية تراعى فيها متطلبات الوقاية من الجريمة ومحاربتها¹.

كما أكد المشرع على ضرورة وضع آليات وقاية إدارية لمواجهة عصابات الأحياء إذ أوضحت المادة السادسة من الامر (20/03) على أن البرامج ووسائل الإعلام و التواصل الاجتماعي، تلعب دورا مهم في مجال الوقاية من هذه العصابات، وأنه من الضروري على الإعلام الخاص والعمومي بتضمين برامج مفيدة وهادفة للوقاية من خطورة هذه العصابات، واللعب الدور الإيجابي في الوقاية من هذه الظاهرة. ولمحاربة هذه الأخيرة يلزم على وسائل الاعلام تفعيل آليات الوقاية، وتمثل فيما يلي:

- الزيادة في عمليات الإعلام والتحسيس بمخاطر الانتماء والمشاركة في العصابة؛

- آثار استعمال وسائل التكنولوجيايات الاعلام والاتصال في الإشادة بها ونشر افكارها؛

- العمل على التكثيف من حصص التوعية والكشف عن الخبايا السرية لعصابات الأحياء وخطورتها على الأمن والنظام العموميين؛

- إعادة النظر في برامجها خاصة الى الشباب بالابتعاد ونبذ كل مظاهر العنف في المجتمع .

كما يساهم المجتمع المدني و القطاع الخاص في الوقاية من عصابات الأحياء (ناجي، 2000) وقد عرفه عبد الغفار شكر بأنه: "مجموعة التنظيمات التطوعية المستقلة عن الدولة (العبيدي، 2001) كما يعرفه فقهاء القانون على أنه: "حيز الحياة الاجتماعية المنظمة تعتمد على مبادئ الإدارة والدعم الذاتي والاستقلالية عن جهاز الدولة، ويخضع هذا المجتمع لنظام قانوني أو مجموعة من القوانين والالتزامات المشتركة" (زباني، 2008) وبصفة عامة يمكن تعريف المجتمع المدني على أنه: "مجموعة من المنظمات الطوعية الحرة والمستقلة عن الدولة، تشغل المجال العام وتقع ما بين الأسرة والدولة وتكون العضوية فيها بطريقة اختيارية، خدمة ودفاعا عن المصالح العامة دون أن تسعى لتحقيق الربح المادي (الصبيحي، 2000)

ونظراً لأهميته نص عليه المشرع الجزائري في الامر (20/03) كألية من آليات الوقاية من جرائم عصابات الأحياء، ونصت المادة الخامسة منه على إشراك المجتمع المدني والقطاع الخاص في إعداد وتنفيذ الاستراتيجية الوطنية للوقاية من عصابات الأحياء، من خلال مساهمة المجتمع المدني والقطاع الخاص الفعالة في إنجاز الاستراتيجية الموضوعية من قبل الدولة ومؤسساتها وكذلك مؤسسات القطاع الخاص للوقاية من عصابات الأحياء.

ثانيا: الاستراتيجية الوطنية الخاصة للوقاية من عصابات الأحياء

نص المشرع الجزائري على آليات الوقاية من عصابات الأحياء السكنية في الفصل الثاني من الأمر رقم 03-20 حيث عهد إلى الدولة بإعداد استراتيجية وطنية للوقاية من عصابات الأحياء، وتتمثل هذه الآليات في اللجنتين، اللجنة الوطنية، واللجنة الولائية للوقاية من عصابات الأحياء .

1/- إنشاء لجنة وطنية للوقاية من عصابات الأحياء

من بين آليات الوقاية من عصابات الأحياء التي نص عليها الأمر رقم 03-20 "إنشاء لجنة وطنية للوقاية من عصابات الأحياء، التي ترفع تقريرها السنوي إلى رئيس الجمهورية يتضمن تقييم تنفيذ الاستراتيجية الوطنية للوقاية من عصابات الأحياء واقتراحاتها وتوصياتها لتعزيز وترقية الآليات الوطنية المعمول بها في هذا حيث نصت المادة الثامنة من الأمر رقم 03-20 على أنه: "توضع اللجنة الوطنية للوقاية من عصابات الأحياء، التي تدعى في صلب النص "اللجنة الوطنية"، لدى الوزير المكلف بالداخلية..".

إن الغاية أو الهدف من وضع هذه اللجنة تحت وصاية وزير الداخلية له عدة دلالات، فمن ناحية تعتبر وزارة الداخلية هي الجهة الوصية من الولاية والبلدية (الجماعات الإقليمية)، وبالتالي فهي أقدر من غيرها على تنفيذ الأهداف والغايات التي جاء لأجلها هذا الأمر، ومن ناحية أخرى باعتبار وزارة الداخلية تمتلك أهم الآليات التي تمكنها من حصر هذه الظاهرة والحد منها وسط التجمعات السكنية، ألا وهو جهاز المديرية العامة للأمن الوطني (الشرطة) التابع لها، وبالتالي يعتبر هو الأداة الرئيسية والفعالة في مكافحة هذه الظاهرة الخطيرة، وذلك من خلال توفير تغطية أمنية متوازنة داخل الأحياء السكنية.

باعتبار الأمر رقم 03-20 نصا جديدا، فإن تشكيلة وسير عمل اللجنة الوطنية للوقاية من عصابات الأحياء ومكافحتها والتي يتم عن طريق التنظيم الذي لم يصدر بعد، غير أنه بقراءة نص المادة 9 فقرة 1 من ذات الأمر، نجد أنه يدخل ضمن تشكيلة أعضاء اللجنة الوطنية للوقاية من عصابات الأحياء ومكافحتها كل من: ممثلو الوزارات والإدارات والمؤسسات العمومية المعنية على غرار ممثلي وزارة الداخلية، وزارة السكن ووزارة الدفاع الوطني، وزارة العدل، إضافة إلى المؤسسات والإدارات التي يدخل مجال عملها مع أهداف الوقاية أو مكافحة هذه الظاهرة على غرار المؤسسة الوطنية للإذاعة والتلفزيون، التي يدخل في مهامها إعلام المواطنين وتحسيسهم بمخاطر الانتماء إلى عصابات الأحياء السكنية، وأثار استعمال تكنولوجيات الإعلام والاتصال في الإشادة بها ونشر أفكارها.

مصالح الأمن ويدخل في نطاقها كل من جهاز الشرطة والدرك الوطني والحماية المدنية وغيرها من المصالح الأمنية التي يتداخل نطاق عملها مع عمل هذه اللجنة. والمجتمع المدني بما يتضمنه من جمعيات أحياء وجمعيات ناشطة في مجال مكافحة الآفات الإجرامية مثل المخدرات وغيرها .

و لقد صدر المرسوم التنفيذي رقم 21-123 الذي يحدد تشكيلة اللجنة الوطنية واللجنة الولائية للوقاية من عصابات الأحياء وكيفيات سيرهما، حيث تضمنت المواد من 02 إلى 08 من هذا المرسوم، على تشكيلة اللجنة الوطنية وكيفيات سيرها وطبقا للمادة 02 من المرسوم 21-123 يرأس اللجنة الوطنية الوزير المكلف بالداخلية أو من يمثله، وتتشكل من 24 عضوا كما يلي: ممثل عن وزير العدل حافظ الأختام، وممثل عن الوزير المكلف بالشؤون الدينية، وممثل عن الوزير المكلف بالتربية الوطنية وممثل عن الوزير المكلف بالتعليم العالي والبحث العلمي

بالإضافة إلى ممثل عن الوزير المكلف بالتكوين والتعليم المهنيين و ممثل عن الوزير المكلف بالثقافة وكذلك ممثل عن الوزير المكلف بالشباب وممثل عن الوزير المكلف بالبريد والمواصلات السلوكية واللاسلكية وممثل عن الوزير المكلف بالتضامن الوطني والأسرة بالإضافة إلى ممثل عن الوزير المكلف بالعمران و ممثل عن الوزير المكلف بالاتصال وممثل عن الوزير المكلف بالصحة. ممثل عن الوزير المكلف بالتشغيل وممثل عن المديرية العامة للأمن الوطني، ممثل عن قيادة الدرك الوطني، ممثل عن الديوان الوطني لمكافحة المخدرات وإدمانها، ممثل ممن المعهد الوطني للصحة العمومية ، وممثل عن المجلس الأعلى للشباب وممثلان (02) عن الجمعيات الوطنية الناشطة في مجال الوقاية من العنف والآفات الاجتماعية. بالإضافة إلى شخصيتان (02) معترف بكفاءتهما في مجال علم الإجرام ومختص في علم الاجتماع ومختص في علم النفس.

إضافة إلى ذلك بإمكان اللجنة أن تشكل أفواج عمل موضوعاتية، وتستعين بأي شخص يمكنه مساعدتها في أشغالها بحكم كفاءته.

أما فيما يخص كيفية التعيين وشروط العضوية فيها، فقصد نصت المادة 03 من المرسوم نفسه، أن أعضاءها يعينون بموجب قرار من الوزير المكلف بالداخلية بناء على اقتراح من السلطات أو الهيئات أو الجمعيات أو المنظمات التي يتبعونها، لمدة ثلاث (03) سنوات قابلة للتجديد، وفي حال انقطاع عهدة أحد الأعضاء، يخلفه عضو جديد وفق الأشكال نفسها حتى نهاية العهدة، إضافة إلى ذلك اشترطت المادة نفسها في العضو الممثل للقطاعات الوزارية أن يكون برتبة إطار سام.

وتعد اللجنة الوطنية نظامها الداخلي وتصادق عليه (المادة 06) وتكون لها أمانة تتولاها المصالح المختصة التابعة للوزارة المكلفة بالداخلية (المادة 07) ، كما تجتمع اللجنة الوطنية أربع (04) مرات في السنة في دورة عادية، غير أنها يمكن لها الاجتماع كلما دعت الحاجة إلى ذلك في دورات غير عادية، بناء على استدعاء من رئيسها (المادة 4) الذي يعد جدول أعمال، وبرسالة إلى أعضاءها قبل 15 يوما على الأقل من تاريخ الاجتماع، غير أنه يمكن تقليصه في الدورات غير العادية، ولكن بشرط أن لا يقل الأجل ممن ثمانية (03) أيام كحد أقصى (المادة 05). إضافة إلى ذلك تقوم اللجنة الوطنية بإعداد تقارير دورية، تضمنها حصيلة نشاطاتها المتعلقة بالوقاية من عصابات الأحياء ومكافحتها، وترفعها إلى الوزير الأول، كما تعد تقريرا سويا يتم عرضه على رئيس الجمهورية (المادة 08).

لقد أنيطت باللجنة الوطنية للوقاية من عصابات الأحياء ومكافحتها العديد من المهام، والتي وردت بنص المادة 8 من الأمر رقم 03-20، وتتمثل أبرز تلك المهام في: إعداد مشروع الاستراتيجية الوطنية للوقاية من عصابات الأحياء، وعرضه على الحكومة، ومتابعة تنفيذها من طرف السلطات العمومية المختصة والمجتمع المدني والقطاع الخاص ، وجمع ومركزه المعطيات المتعلقة بالوقاية من عصابات الأحياء بالإضافة إلى تحديد مقاييس وطرق الوقاية من عصابات الأحياء، وتطوير الخبرة الوطنية في هذا الميدان و اقتراح كل التدابير التي من شأنها ضمان الفعالية في الوقاية من عصابات الأحياء وتقديم الآراء أو التوصيات حول أي مسألة تتعلق بالوقاية من عصابات الأحياء مع ضمان تبادل المعلومات وتنسيق العمل بين جميع المتدخلين في مجال الوقاية من عصابات الأحياء، و اقتراح وتقييم الأدوات القانونية والإدارية في مجال الوقاية من عصابات الأحياء، واقتراح أي تدبير أو إجراء لتحسين فعاليتها بمتابعة وتقييم نشاطات اللجان الولائية للوقاية من عصابات الأحياء وتنسيق نشاطاتها وبالنظر إلى المهام

العديدة التي تتكلف بها اللجنة، فقد كان على المشرع ألا يغفل الاستعانة بخبرات الدول الأخرى التي عانت من هذه الظاهرة، وذلك من أجل ربح الكثير من الوقت في سبيل القضاء عليها قبل استفحالها أكثر وسط المجتمع الجزائري.

ثانيا: إنشاء لجنة ولائية للوقاية من عصابات الأحياء

نصت المادة 7 من الأمر رقم 03-20 على إنشاء لجان ولائية وحدد لها المشرع مهامها. والمقصود باللجنة الولائية للوقاية من العصابات الإجرامية هي لجنة تكون على مستوى ولايات يحدد التنظيم عددها بحيث يفترض أن توجد بكل ولاية تنتشر بها ظاهرة عصابات الأحياء وأهم هذه الولايات عنابة، الجزائر، قسنطينة، حيث أنه في الآونة الأخيرة شهدت هذه الولايات تنامي واضح وسريع لهذه العصابات وتطورت أنشطتها بحيث أصبحت هناك أحياء تسيطر عليها.

وتعد اللجنة الولائية للوقاية من عصابات الأحياء ومكافحتها من أهم الآليات التي جاء بها الأمر رقم 03-20، حيث يتم تشكيلها على المستوى المحلي، ويعتبر دورها محوريا في مكافحة ظاهرة عصابات الأحياء، كونها قريبة من التجمعات السكنية، غير أنه يستشف من نص المادة 11 من الأمر رقم 03-20 أن استحداث اللجان الولائية للوقاية من عصابات الأحياء لا يكون بصفة آلية في جميع الولايات، وإنما سيكون في بعض الولايات دون البعض الآخر، ربما يكون ذلك تبعا لانتشار هذه الظاهرة الإجرامية في ولايات معينة خصوصا الكبرى منها، والتي تضم عادة أحياء سكنية كبيرة معروفة بنشاط تلك العصابات الإجرامية.

وعلى غرار اللجنة الوطنية، فإن تشكيل اللجنة الولائية للوقاية من عصابات الأحياء سيكون عن طريق التنظيم (مرسوم)، وستضم في تشكيلتها ممثلين عن الإدارات والمؤسسات العمومية ومصالح الأمن والمجتمع المدني، والمنتخبين المحليين، والمختصين في علوم الإجرام والنفس والاجتماع.

وترك المشرع تحديد تشكيلة اللجنة الولائية للوقاية من عصابات الأحياء إلى التنظيم وذلك راجع لأن عصابات الأحياء لا تنشط في كل ولايات الوطن والغرض من إنشاءها لا يتحقق إلا إذا كانت العصابات تنشط بولاية معينة والسلطة التنفيذية إلا إذا كانت العصابات تنشط بولاية معينة والسلطة الأقرب في هذا الشأن لتحديد الولايات المعنية بإحداث اللجنة الولائية فيها، من خلال ما تقدم فإنه اللجنة الولائية تنشأ في ولايات معينة فقط حسب مقتضيات الوضع الأمني في الولاية ومدى انتشار العصابات الإجرامية بها (مليقة، 2021).

وأحال المشرع في المادة 11 من الأمر 03-20 إلى التنظيم، مسألة تحديد الولايات التي تستحدث فيها لجنة ولائية للوقاية من عصابات الأحياء، أي أن استحداث هذه اللجنة لا يتم في كل الولايات، وإنما يكون في ولايات بعينها تحدد لاحقا، ولم يفصح المشرع عن أسباب ذلك ولا المعايير التي ستعتمد في اختيار الولايات المعنية باستحداث اللجنة، على الرغم من أن ظاهرة عصابات الأحياء منتشرة في كل الولايات الجزائرية، ومن جهة أخرى فعملها وقائي وليس ردعي وفيما يلي سنتطرق لتشكيلة اللجنة الولائية ومهامها طبقا للمادة 10 من المرسوم التنفيذي 123-21 المذكور، تشكل اللجنة الولائية للوقاية من عصابات الأحياء، التي يرأسها الوالي أو ممثله، من 17 عضوا كما يلي: ممثل عن مديرية التربية وممثل عن مديرية التعليم والتكوين المهنيين وممثل عن مديرية العمران وممثل عن مديرية التشغيل بالإضافة إلى ممثل عن مديرية الشؤون الدينية والأوقاف وممثل عن مديرية الشباب والرياضة وممثل عن مديرية الثقافة بالإضافة إلى ممثل عن مديرية الصحة.

ولقد حددت المادة 12 من الأمر رقم 20-03 مهام اللجنة الولائية بقولها تكلف اللجنة الولائية بما يلي:
تنفيذ الاستراتيجية الوطنية للوقاية من عصابات الأحياء على المستوى المحلي حيث تنفذ الاستراتيجية الوطنية على المستوى الوطني وعلى المستوى المحلي بالإضافة إلى الرصد المبكر لنشاطات عصابات الأحياء وإخطار السلطات المعنية بذلك باعتبار أن اللجنة المحلية أقرب إلى المواطن وتكون عالمة في أغلب الأحيان بنشاط العصابات الإجرامية مع وضع البرامج التحسيسية وتنشيط عمليات التوعية بمخاطر عصابات الأحياء وأثارها على المجتمع واقتراح تنظيم أي نشاط ثقافي أو إعلامي أو تحسيسي على السلطات المحلية بهدف توعية الجمهور بمخاطر عصابات الأحياء والوقاية منها تحت إشراف المجتمع المدني، ودراسة وتحليل نشاط عصابات الأحياء على مستوى الولاية والعوامل والظروف المحيطة بها مع طلب إجراء دراسات من المصالح المعنية على المستوى المحلي حول ظاهرة أو موضوع مرتبط بعصابات الأحياء وتمكينها من كل المعطيات والإحصائيات المتعلقة بذلك وعطاء الأولوية في البرامج المعدة للوقاية من عصابات الأحياء لمعالجة الظواهر الأكثر تأثيراً في أوساط الشباب مع تنفيذ توجيهات اللجنة الوطنية المتعلقة بنشاطها وتلك المتعلقة بتوجيه الاهتمام إلى شكل معين من أشكال جرائم عصابات الأحياء و تبليغ الجهات القضائية المختصة عن الأفعال التي تصل إلى عملها (رياض، 2021) والتي يحتمل أن تشكل جريمة من الجرائم المنصوص عليها في الأمر رقم 20-03.

مع تقديم اقتراحات إلى السلطة المحلية أو اللجنة الوطنية قصد إنجاز مرافق عمومية أو اتخاذ كل التدابير للوقاية من عصابات الأحياء.

المحور الثاني: السياسية الجنائية القمعية لمواجهة عصابات الأحياء

العصابات الإجرامية ليست بالظاهرة الحديثة التي لم يرد تجريمها في قانون العقوبات الجزائري بل هي ظاهرة إجرامية سبق وتصدى لها المشرع ضمن أحكام النصوص العامة من خلال تجريم تكوين جمعيات الأشرار ومساعدة المجرمين لكن في الآونة الأخيرة استفحلت هذه الظاهرة وأصبحت هاجس متعلق بالنسبة للمواطنين فكان الزما على المشرع التصدي لها مرة أخرى عن طريق نص خاص من خلال الأمر رقم 03-20 وبناء على ما تقدم فإنه سوف يتم القواعد الموضوعية والإجرائية لمكافحة عصابات الأحياء

أولاً: القواعد الموضوعية لمكافحة عصابات الأحياء

تكوين جمعيات الأشرار التي تعتبر نواة تشكل العصابة حيث يصدر عن كل فاعل منهم مجموعة أفعال تصبو نحو تحقيق الهدف الإجرامي، فجرم المشرع الفعل من خلال نصوص قانون العقوبات وقرر لها عقوبات تتعلق بالشخص الطبيعي والشخص المعنوي لهذا سنحاول التعرف على الأركان المكونة لهذه الجريمة والعقوبات المقررة لها.

1/- الأركان المكونة لجرائم عصابات الأحياء

يشهد العالم اليوم تزايد كبير وواضح وتكاثراً في ظهور جماعات الأشرار و العصابات المسلحة و المجهزة تجهيزاً فنياً حديثاً كاملاً وقد تنوعت هذه الجماعات و العصابات من حيث الحجم و التمويل و التسليح وكذلك من حيث الأهداف ، فتوسعت أهدافها إلى غاية ارتكاب الجرائم (فريد الرعبي، بدون تاريخ النشر) بحيث جرم المشرع

الجزائري تكوين جمعية أشرار من خلال نص المادة 176 من ق ع " كل جمعية أو اتفاق مهما كانت مدته وعدد أعضائه تشكل أو تؤلف بغرض الإعداد لجناية أو أكثر أو لجنة أو أكثر معاقب عليها بخمس سنوات حبس على الأقل ضد الأشخاص أو الأملاك تكون جمعية أشرار وتقوم هذه الجريمة بمجرد التصميم المشترك على القيام بالفعل ولا يكتمل البيان القانوني لأي جريمة إلا بتوافر مختلف أركانها وهي الركن الشرعي والركن المادي والركن المعنوي.

أ/- الركن الشرعي:

نصت عليه المادة 21 من الأمر 03/20 على معاقبة كل من ينشئ أو ينظم أو ينخرط أو يشارك أو يقوم بتجنيد شخص أو أكثر لصالح عصابة أحياء ، كما نصت المادة 22 من نفس الأمر على معاقبة كل من يرأس عصابة أحياء أو يتولى فيها أي قيادة كانت بالعقوبات المنصوص عليها في هذه المادة.

ب/- الركن المادي:

هو المظهر الخارجي لنشاط الجاني والذي يتمثل في السلوك الإجرامي الذي يجعله القانون مناطا ومحال للعقاب، بحيث تنتفي الجريمة بانتفاء ركنها المادي.

يتخذ السوك الإجرامي لجريمة تكوين عصابات الاحياء عدة صور يتسم هذا السلوك بتعدد وقائعه التي يتطلب إثباتها لكي يقوم الركن المادي لجريمة تكوين عصابة الأحياء، ولكي ينشأ كيان متكامل للعصابة و يصبح قادرا على القيام بالأفعال الإجرامية، البد من صور لها كالإنشاء، التأسيس و الانخراط و غير ذلك من أفعال. (قشوش، 2006)

- إنشاء العصابة: لقد نص المشرع الجزائري على إنشاء العصابة في المادة 21 من الفصل الخامس من الأمر الرقم 03-20 والتي جاء فيها: "...ينشئ أو ينظم عصابة الأحياء."

- تأسيس العصابة: يكون تأسيس العصابة من خلال وضع الأسس التي تقوم بتسييرها، وذلك عن طريق تعيين العناصر الأساسية الداخلة فيها ، كإطار محدد ونهائي لها، إذ يشمل قائدا للعصابة مع تعيين مهامه و سلطاته. إضافة إلى ذلك يتم إدراج مختلف الآليات التي تحقق هدف التشكيل و تقسيمه إلى فروع داخل إقليم الدولة، و التفتيش عن مصادر التمويل ومختلف الأسلحة اللازمة لتحقيق غرض تشكيلها وعلى هذا الأساس و بالرجوع إلى الأمر 20/03 نجد أن المشرع الجزائري لم يقم بالنص على التأسيس في أحكامه التي تنظم عصابات الأحياء. (قشوش، 2006)

- الانخراط في العصابة: ويقصد به الالتحاق بالعصابة حيث نص عليه التشريع الجزائري في المادة 21 من الأمر رقم 20/03 والتي جاء فيها: "... ينخرط أو يشارك، بأي شكل كان في عصابة أحياء."

-تنظيم العصابة وإدارتها: يقصد بتنظيم العصابة جمع الأعضاء و تنظيمهم داخل بنيان أو هيكل شامل ومفصل لغرض تقسيم العمل داخل العصابة و تنفيذ برامجها و بعد التنظيم تأتي مرحلة توزيع و تقسيم مسؤوليات العمل على الأعضاء و ذلك من طرف من يتولى قيادتها، و ذلك بعد القيام بهيكل النظام الذي تسيير عليه و تتبعه، حيث يفترض أن يكون التنظيم مستمر الفترة ملائمة لتنفيذ الخطة (المحمدي، 2003)

كما أن لكل عصابة لها إدارة خاصة بها، و ذلك لتعدد أفرادها مما يتعين توزيع العمل و الأدوار لتصبح الجريمة محكمة و سهلة التنفيذ و تخضع لنظام التدرج، ففي المرتبة الأولى يوجد زعيم العصابة ثم يليه رئيسها و بعدها قائد العصابة ثم في الأخير الأعضاء المنفذون. (قشوش، 2006)

-الاتصال بالعصابات الإجرامية أو تشجيع الغري على ذلك : يتم الاتصال بغرض المساهمة في فعل إجرامي كالتوجيه أو تزويد بالمعلومات تفيد العصابة، وهذا ما نصت عليه المادة 23 من الأمر رقم 03/20 و التي جاء فيها: "يعاقب بالحبس كل من يدعم أنشطة أو أعمال عصابة أحياء أو ينشر أفكارها بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

- تقديم المعونة للعصابة : يعني ذلك تقديم يد المساعدة في أي صورة كانت، بغرض تمكين أعضاء العصابة من ارتكاب الجريمة و إزاحة كل الصعوبات التي تعيق ارتكابهم له ولقد نص المشرع على هذه المساعدة في نص المادة 26 من نفس الأمر (القادر، 2020)، و التي جاء فيها: " يعاقب بالحبس من كل من يصنع أو يصلح سلاحا أبيضاً داخل ورشة مشروعة أو غير مشروعة، أو في أي مكان آخر، أو يستورد أو يوزع أو ينقل أو يبيع أو يعرض للبيع أو يشتري قصد البيع أو يخزن أسلحة بيضاء لفائدة العصابة الأحياء مع علمه بعرضها."

ج/- الركن المعنوي: إلى جانب القصد الجنائي العام الذي تتطلبه كافة الجرائم وهو " العلم والإرادة" ، يشترط القانون في هذه الجريمة قصد جنائي خاص يتمثل في مواجهة عصابات الأحياء دون غيرها من العصابات الأخرى.

2/- الجزاءات المقررة لجرائم عصابات الأحياء:

لقد نص المشرع الجزائري على عقوبات رادعة في حق المتورطين في هذه الجرائم بالنسبة للشخص الطبيعي و المعنوي ، بالرغم من العقوبات السالبة للحرية المشددة والغرامات المالية الكبيرة التي نصت عليها مواد هذا الأمر، إلا أن المشرع جعل منها جناحا وليست جنائيات، حيث أن النطق فيها يكون بعقوبة الحبس وليس السجن، بخلاف ما هو معمول به في أغلب مواد قانون العقوبات .

أ/- بالنسبة للعقوبات المقررة للشخص الطبيعي نص المشرع في المادة 21 على معاقبة كل من ينشئ أو ينظم عصابة أحياء ، أو ينخرط أو يشارك بأي شكل كان في عصابة أحياء مع علمه بذلك، وكل من يقوم بتجنيد شخص أو أكثر في عصابة أحياء بعقوبة الحبس من 3 سنوات إلى 10 سنوات وبغرامة من 300,000 دج إلى 1.000.000 دج وهي عقوبة مشددة بالنسبة لجريمة تشكيل عصابة أحياء حتى دون قيامها بأي نشاط بعد.

ولا شك أن هذا النهج التشريعي المتشدد في جعل الشروع في تشكيل عصابة الأحياء جريمة قائمة بذاتها، سيكون رادعا فعالا لكل من يفكر في إنشاء مثل هذه العصابات الإجرامية التي تزعزع الأمن والاستقرار في المجتمع

كما عاقب المشرع في نص المادة 22 من الأمر رقم 03/ 20 بالحبس من عشر (10) سنوات إلى عشرين (20) سنة وبغرامة من 1000,000 دج إلى 2.000.000 دج كل من يرأس عصابة أحياء أو يتولى فيها القيادة ، ويرفع الحد الأدنى للعقوبة المقررة في هذه المادة إلى خمس عشر (15) سنة، إذا ارتكبت الجريمة مع توفر ظرف أو أكثر من الظروف المنصوص عليها في المادة 29 من هذا الأمر.

وعاقب المشرع الجزائري على تقديم أي شكل من أشكال التشجيع أو الدعم أو المساعدة لأفراد عصابات الأحياء بالحبس من خمس سنوات إلى اثنتي عشرة سنة وغرامة مالية تتراوح بين 500,000 دج و 1200,000 دج

أما في حالة وقوع شجار أو أعمال عنف بين أفراد العصابات، وترتب عليه وفاة أحد أفراد العصابة ، فتكون العقوبة الحبس من خمس إلى خمسة عشرة سنة، وغرامة بين 500,000 دج و 1500.000 دج ويضاعف الحد الأدنى لهذه العقوبة إذا وقعت الجريمة ليلا، وتشدد هذه العقوبة في حالة وفاة شخص من غير أعضاء العصابة لتصل إلى

السجن المؤبد للمشاركين في تلك المشاجرة أو العصيان أو الاجتماع، وذلك دون الإخلال بأي عقوبات أشد منصوص عليها في قانون العقوبات.

إضافة إلى كل ما سبق ، فإنه يعاقب حسب نص المادة 26 من الأمر نفسه، بالحبس من 5 سنوات إلى 12 سنة وبغرامة من 500.000 دج إلى 1200.000 دج كل من يصنع أو يصلح سلاحاً أبيض داخل ورشة مشروعة أو غير مشروعة أو في أي مكان آخر، أو يستورد أو يوزع أو ينقل أو يبيع أو يعرض للبيع أو يشتري قصد البيع أو يخزن أسلحة بيضاء لفائدة عصابة أحياء، مع علمه بغرضها.

إضافة إلى ذلك فإنه يعاقب كل من يعلم بالشروع في ارتكاب جريمة من الجرائم المنصوص عليها في هذا الأمر أو بوقوعها فعلاً ولم يخبر السلطة المختصة بذلك بعقوبة الحبس أو الغرامة المقررة في نص المادة 27 من الأمر رقم 03/20

أما من يلجأ إلى الانتقام أو التهيب أو التهديد بأي طريقة كانت أو بأي شكل من الأشكال، ضد الضحايا أو الشهود أو المبلغين أو أفراد عائلتهم وسائر الأشخاص وثيقي الصلة بهم، فيعاقب بالحبس من سنة إلى 5 سنوات وبغرامة من 100.000 دج و500.000 دج بحسب نص المادة 28 من نفس الأمر

بالإضافة إلى ذلك فقد نصت المادة 31 من نفس الأمر على المعاقبة على الشروع في الجرائم الواردة في هذا الأمر بالعقوبات المقررة للجريمة التامة، كما نصت المادة 32 على مصادرة الوسائل المستخدمة في الجرائم المنصوص عليها في هذا الأمر، مع مراعاة الغير الحسن النية.

ب-/أما بالنسبة للعقوبات المقررة للشخص المعنوي: نصت المادة 177 مكرر الفقرة الأولى على أنه في حالة ارتكاب الشخص المعنوي لجريمة من الجرائم المنصوص عليها في المادة 176 قانون العقوبات فإنه يعاقب بالغرامة التي تساوي خمس مرات الحد الأقصى للغرامة المقررة للشخص الطبيعي المنصوص عليها في المادة 177 من خلال نص المادة فإن عقوبات الشخص المعنوي تكون وفق ما نصت عليه المادة 2 مكرر الفقرة الأولى من قانون العقوبات .

أما بالنسبة لعقوبة المشاركة في جمعيات الأشرار يعاقب الشخص المعنوي بغرامة 2.000.000 دج إلى 10.000.000 دج في حالة الإعداد لارتكاب جناية أما في حالة المشاركة للإعداد لارتكاب جنحة فتكون عقوبة الغرامة من 1000.000 دج إلى 5.000.000 دج ، أما عقوبة تنظيم جمعية الأشرار أو المباشرة فيها أية قيادة فتقدر قيمة الغرامة من 10.000.000 دج إلى 50.000.000 دج أما بالنسبة لإعانة مرتكبي تكوين جمعية أشرار لم يحدد المشرع الجزائي الغرامة للشخص الطبيعي و التي على أساسها يمكن تحديد الغرامة للشخص المعنوي وهذا يعتبر فراغ تشريعي لابد من تداركه. (عقباوي محمد القادر، 2020) هذا بالنسبة للعقوبات الأصلية للشخص المعنوي وبخالف العقوبات التكميلية للشخص الطبيعي فقد حدد المشرع للشخص المعنوي العقوبات التكميلية التي ذكرها المشرع بصفة الوجوب لا بصفة الجواز (بوسقيعة، 2016) ونصت المادة 177 مكرر في فقرتها الثانية على العقوبات التكميلية التي يحكم بها القاضي على الشخص المعنوي وتمثلت على سبيل الحصر وهي:

مصادرة الشيء الذي أستعمل في ارتكاب الجريمة أو نتج عنها، المنع لمدة خمس سنوات من مزاولته بطريقة مباشرة أو غير مباشرة النشاط الذي أدى إلى الجريمة أو الذي ارتكب الجريمة بمناسبةه، والإقصاء من الصفقات

العمومية لمدة 5 سنوات من المزاولة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة النشاط الذي أدى إلى ارتكاب الجريمة بمناسبةه ،
وغلاق المؤسسة أو فرع من فروعها لمدة لا تتجاوز خمس 5 سنوات.

و حل الشخص المعنوي . من خلال التطرق إلى العقوبات التكميلية التي نص عليها المشرع في حالة ارتكاب
جريمة تكوين جمعية اشرار هي نفسها المنصوص عليها في نص المادة 18 مكرر من قانون العقوبات ، غير أنه
استثنى منها عقوبة شهر وتعليق حكم الإدانة و الوضع تحت الحراسة القضائية .

ج/- الأحكام الخاصة بالأنشطة الإجرامية: أقر المشرع جملة من الأحكام الخاصة بالأنشطة الإجرامية التي
تقوم بها العصابات الإجرامية انطلاقا من الظروف المشددة وأهمها العود و الأعذار المعفية من العقاب و الظروف
المخففة.

-الظروف المشددة: هي تلك التي تؤثر على جسامه الجريمة بالزيادة وبالتالي تحدث تأثيرا في جسامه العقوبة
الواجبة التطبيق على الجاني حيث نصت المادة 29 من الأمر رقم 03-20 على ظروف التشديد التي حددها المشرع
على سبيل الحصر وهي كالتالي:

- تجنيد طفل أو شخص آخر بسبب ضعفه الناتج عن إعاقة أو عجز بدني أو ذهني ، واستعمال تكنولوجيا
الإعلام و الاتصال و حمل أو استعمال سلاح ناري أو زجاجات حارقة أو ألعاب نارية أو مفرقات أو مولدات رذاذ
معجز أو ميل للدموع أو استعمال كلاب معدة للهجوم تحت تأثير المخدرات و المؤثرات العقلية من قبل أكثر من
اثني (12) شخصا .

ولقد نصت المادة 37 من الأمر رقم 03-20 على أنه في حالة العود تضاعف العقوبات المنصوص عليها في
هذا الأمر فظرف العود من الظروف الشخصية العامة المشددة للعقاب ، وهو الشخص الذي يرتكب جريمة جديدة
أو أكثر بعدما سبق صدور حكم بات عليه بالعقاب من أجل جريمة سابقة (بوعلي، بدون تاريخ النشر) يقتضي لقيام
ظرف العود شرطان يكونان سبب من الأسباب التي تؤدي إلى تشديد العقوبة على الجاني حيث يتمثل الشرط الأول
في صدور حكم سابق في مواجهة الجاني ، أما الشرط الثاني فيتمثل في إقدام الجاني أو الفعال على ارتكاب جريمة أخرى
جديدة بقصد ارتكاب الجاني لجريمة جديدة هو أن يرتكب الشخص الذي قد سبق الحكم عليه بحكم قضائي لجريمة
أخرى ولكن ينبغي أن تكون لها صفة الاستقلالية عن تلك الجريمة أو عن جرائمه الماضية (بوسقيعة، 2016)
وبالتالي لا يمكن تطبيق ظرف العود أو إذا كانت هذه الجريمة الجديدة لها صفة الارتباط بالجرائم السابقة أو
الماضية نظم المشرع الجزائري أحكام العود في المواد من 54 مكرر إلى المادة 59 من قانون العقوبات .

-الأعذار المعفية : نص المشرع الجزائري على إمكانية الاستفادة من الاعذار المعفية من العقوبة إذا قام بإبلاغ
السلطات الإدارية أو القضائية بالجريمة وساعد على معرفة مرتكبها أو إلقاء القبض عليهم (أوهايبة، 2001)

فكل من شارك أو ارتكب جريمة من جرائم العصابات وبلغ عنها وساعد في كشف مرتكبها الاستفادة من
الأعذار المعفية شرط أن يكون الإبلاغ قبل مباشرة أي إجراء من إجراءات المتابعة ، وإذا كان التبليغ بعد مباشرة
إجراءات المتابعة فإنه تخفف العقوبة إلى النصف الأعذار القانونية المعفية هي تلك الأعذار التي تؤدي إلى عدم
عقاب المتهم تماما ، ولذا فإنها تسمى بموانع العقاب ، فتقتضي هذه الاعذار القيام بجريمة كاملة وتوافرا المسؤولية

الجنائية بكامل عناصرها فيقرر القانون إستثناءا عدم العقاب عليها لمصلحة يراها جديرة وتسموا وتعلوا على المصلحة في العقاب. (بوعلي، بدون تاريخ النشر)

ب-الظروف المخففة : كل من ارتكب جريمة من الجرائم المنصوص عليها في الأمر رقم 20-03 فإنه يستفيد من الظروف المخففة في حدود الحد الأدنى للعقوبة المقررة قانونا (بوسقيعة، 2016) ، وتعرف الظروف المخففة على أنها وسيلة مرنة لتشخيص العقوبة إذ على خلاف الأعدار المخففة فإنه غير منوه عنه من طرف القانون بصفة محددة ، واختيار تطبيقها مرتبط بالسلطة التقديرية للقاضي فإذا كنا بصدد عقوبة محددة إذا تبين للقاضي وجود ظروف مخففة فباستطاعته أن يجد نوعا من الحرية أثناء النطق بالعقوبة أي ينزل بالعقوبة إلى ما دون العقوبة المحددة (بوعلي، بدون تاريخ النشر) ، فهي أسباب لا تخضع للقانون وإنما تخضع للقضاء فتؤدي إلى تخفيف العقاب على المتهم ، وهي سلطة جوازية (بوعلي، بدون تاريخ النشر) مقررة للقاضي الجنائي والظروف القضائية المخففة قد تكون ظروف خارجية ذات صلة بالجريمة أو ظروف ذاتية متعلقة بشخص الجاني إذ نص المشرع الجزائري على الظروف المخففة بالنسبة للقاضي وأعطاه سلطة مطلقة في المادة 53 إلى 53 مكرر 08 من قانون العقوبات.

ثانيا: القواعد الإجرائية لمكافحة عصابات الأحياء.

الكشف عن الجريمة وملاستها يتطلب جملة من إجراءات البحث و التحري لجمع الأدلة لإثبات وقوع الجريمة ونسبها إلى مرتكبها حيث نص المشرع على جملة هذه الإجراءات وقيدتها بشروط ولكن بتطور الجريمة كان لابد من استحداث مجموعة من الإجراءات التي تتلاءم وطبيعة تلك الجرائم وكذلك الأمر بالنسبة للاختصاص القضائي حيث أن العصابات الإجرامية وكذلك الأمر بالنسبة للاختصاص القضائي حيث العصابات الإجرامية المنظمة خصها المشرع بقواعد استثنائية نظرا لخطورة تلك الجريمة حيث تناولنا المبحث من خلال مطلبين:

1/- أساليب التحري الخاصة في جرائم عصابات الأحياء

العصابات الإجرامية تمارس جرائم تختلف خطورتها باختلاف طبيعة تلك العصابة مما أثر على طبيعة أساليب التحري فقد خص المشرع العصابات الإجرامية المنظمة بأساليب تحري خاصة من شأنها ضمان الوصول إلى الأدلة وفق قواعد الإثبات المقررة قانونا سواء التقليدية أو الحديثة لقيام وإثبات مسؤولية أفراد العصابة الإجرامية على ما ارتكبه من جرائم .

إن المشرع الجزائري أقر بإمكانية الاعتماد على القواعد الإجرائية الحديثة لمكافحة الجريمة ، وذلك حسب نص المادة 65 مكرر 5 من قانون الإجراءات الجزائية، إلا أنه ومن جانب آخر يعاقب كل من يقوم باستعمالها بطرق غير مشروعة، وذلك استنادا إلى نص المادة 46 من الدستور التي تنص على أنه: "لا يجوز انتهاك حرمة حياة المواطن الخاصة، وحرمة شرفه، ويحميها القانون. سرية المراسلات والاتصالات الخاصة بكل أشكالها مضمونة ."ومن خلال القانون رقم 09/04 المتضمن القواعد الخاصة للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيا الإعلام والاتصال ومكافحتها، نص المشرع على إجرائي اعتراض المراسلات والمراقبة الإلكترونية. وسنتطرق إلى مختلف الإجراءات الحديثة لتحصيل الدليل الإلكتروني تباعا كما يلي:

أ/-التسرب:

يعتبر أسلوب التسرب أو الاختراق تقنية حديثة للبحث والتحري، استحدثها المشرع الجزائري بمقتضى تعديل قانون الإجراءات الجزائية في 20 ديسمبر 2006 ، وقد نظم أحكامه بموجب المواد 65 مكرر 11 إلى 65 مكرر 18 منه فيلجأ إلى إجراء التسرب عندما تقتضي ضرورات التحري والتحقيق في إحدى الجرائم الواردة على سبيل الحصر في المادة 65 مكرر 5 من نفس القانون .

فالتسرب إجراء من إجراءات التحري والتحقيق الخاصة، التي تسمح لضابط أو عون شرطة قضائية بالتوغل داخل الجماعات الإجرامية، تحت مسؤولية ضابط شرطة قضائية آخر مكلف بتنسيق عملية التسرب، وتحت رقابة الجهة المصدرة للإذن، وهي وكيل الجمهورية أو قاضي التحقيق في حالة فتح التحقيق، بهدف مراقبة الأشخاص المشتبه فيهم ارتكاب جناية أو جنحة وكشف أنشطتهم الإجرامية، وذلك بإخفاء المتسرب لهويته وصفته وتقديم نفسه على أنه أحد أفراد العصابة المشتبه فيها، بوصف فاعل أو شريك.

ب - اعتراض المراسلات السلوكية واللاسلكية:

نظم المشرع الجزائري عملية اعتراض المراسلات في المواد من 65 مكرر 5 إلى 65 مكرر 10 بموجب القانون رقم 06-22 المؤرخ في 20 ديسمبر 2006، المعدل والمتمم لقانون الإجراءات الجزائية، فقد أجاز من خلالها لوكيل الجمهورية المختص إذا اقتضت ضرورة البحث والتحري في الجريمة المتلبس بها أو التحقيق الابتدائي أن يأذن بعملية اعتراض المراسلات التي تتم عن طريق وسائل الاتصالات السلوكية واللاسلكية.

تعتبر تقنية اعتراض المراسلات من أهم الوسائل التي يستعملها العنصر المتسرب من أجل الحصول على دليل الإدانة لتقديمه في ملف الإجراءات، حيث أنه قد تتضمن المحادثات السلوكية واللاسلكية التي تدور بين المتسرب وأحد أفراد العصابة الإجرامية أدق الأسرار والمعلومات حول نشاطات الجماعة الإجرامية، إذ يطمئن الشخص المشتبه فيه للشخص المتسرب، فيكشف له عن أفكاره دون خوف أو حرج لاعتقاده أنه في مأمن من تصنت الغير أو استراق السمع.

ج/- تسجيل الأصوات :

لم ينص المشرع الجزائري على تعريف التسجيل الصوتي في قانون الإجراءات الجزائية، وإنما أشار إليه في نص المادة 65 مكرر 5 الفقرة الثانية: " وضع الترتيبات التقنية دون موافقة المعنيين من أجل التقاط وتثبيت وتسجيل الكلام المتفوه بصفة خاصة أو سرية من طرف شخص أو عدة أشخاص في أماكن خاصة أو عمومية ". (مصطفى عبد القادر، 2009

لم يضع المشرع الجزائري تعريفاً لعملية تسجيل الأصوات، إلا أن الفقه في محاولة منه قد وضع عدة تعريفات، حيث يعرف تسجيل الأصوات بأنه؛ حفظ الحديث الخاص على أشرطة مخصصة لهذا الغرض لإعادة سماعها فيما بعد للوقوف على ما تحتويه من تفاصيل و أقوال يعتمد عليها كدليل من أدلة الإدانة بعد التأكد من صحة نسبتها إلى قائلها وعدم إدخال أي تغيير أو تعديل عليها.

د/-التقاط الصور:

أحاط المشرع الجزائري حرمة الحياة الخاصة للأشخاص بحماية أكبر (صافية، 2012)، وذلك بتجريم فعل التعرض لصورتهم. (بوجمعة، 2009) وقد نص على ذلك في المادة 303 مكرر من قانون العقوبات الجزائري لسنة 2006، بناء على ذلك فإن نشر صورة إنسان دون رضاه بعد عملاً مشروع، لأنه يمثل اعتداء على حق الإنسان في الصورة ما دام أن هذا النشر لا يبرر باعتبارات المصلحة العامة، فحماية شخصية الإنسان في مظاهرها المتعددة تقتضي حق الشخص في الاعتراض على نشر صورته .

2/- الجهات القضائية المتخصصة في جرائم عصابات الأحياء

يختلف الاختصاص القضائي في جرائم العصابات الإجرامية باختلاف طبيعة هذه الأخيرة ومدى خطورتها فإذا كانت عصابات إجرامية ذات تنظيم عالي يؤول الاختصاص للأقطاب الجزائية أم إذا كانت تلك الجماعات غير منظمة فيؤول الاختصاص القضائي في المواد الجزائية من النظام العام فهي تتميز بالثبات في مواجهة القاضي و الأطراف ولا يمكن بأي حال من الأحوال الاتفاق على مخالفتها سواء تعلق الأمر بالاختصاص القضائي العادي أو الموسع

أ/- الاختصاص القضائي في جرائم العصابات غير المنظمة:

تعامل جرائم العصابات غير المنظمة معاملة الجرائم العادية فيؤول فيها الاختصاص القضائي للمحاكم الابتدائية وفق ما نص عليه قانون الإجراءات الجزائية ، حيث يتحدد الاختصاص العادي لوكيل الجمهورية وقاضي التحقيق من خلال تحديد الاختصاص الشخصي و المحلي و النوعي.

ب/- الاختصاص القضائي في جرائم العصابات الإجرامية

نظم المشرع الجزائري موضوع الاختصاص الإقليمي للجهات القضائية ذات الاختصاص الموسع لمكافحة الجريمة وبالخصوص الجرائم الخطيرة حيث أورد قواعد خاصة تطبق أمام الجهات القضائية التي استحدثها المشرع الجزائري وأطلق عليها مصطلح الأقطاب المتخصصة من خلال القانون رقم 04-14 المؤرخ في 10 نوفمبر 2004 جرائم العصابات الإجرامية المنظمة تعد من أخطر العصابات فخص لها المشرع قواعد اختصاص متميزة و جهات متخصصة على عكس العصابات الغير منظمة و التي تخضع للقوانين العادية و القواعد العامة.

خاتمة:

بعد دراستنا لأبرز ما جاء به الأمر رقم 03/20 المتعلق بالوقاية من عصابات الأحياء ومكافحتها توصلنا إلى جملة من النتائج نوجزها فيما يلي:

- انتباه المشرع الجزائري لخطورة ظاهرة عصابات الأحياء السكنية، مما جعله يفردها بقانون خاص، وذلك دلالة منه على حرصه على ضمان أمن المواطن وسلامته.

- تشديد المشرع بشأن تشكيل عصابات الأحياء، حيث اشترط لقيامها تعدد الجناة الذين لا يقل عددهم عن شخصين

- تتميز هذه الجريمة بطابعها التنظيمي حيث يعد التنظيم سمة تميز جميع مراحل النشاط الإجرامي التي يمر بها تشكيل العصابة

- تتسم هذه الجريمة بالاستمرارية، حيث تصنف جريمة التشكيل من الناحية القانونية بكونها من الجرائم المستمرة.

- حرص المشرع في هذه الجريمة على تغليب الجانب الوقائي على الجانب الردعي في التصدي ومواجهة جرائم عصابات الأحياء

ومن خلال النتائج التي قدمناها نتقدم بمجموعة من الاقتراحات التي نورد أهمها فيما يلي:

- العمل على معالجة المشاكل الاجتماعية للشباب كالفقر والبطالة والتهميش، وخلق فضاءات للرياضة والترفيه داخل الأحياء السكنية، بالإضافة إلى التوعية والتحسيس من مخاطر العصابات الإجرامية على الفرد والمجتمع.

- تعزيز أساليب التحري الخاصة داخل التجمعات السكنية الكبرى، وخاصة أسلوب التسرب لما له من فعالية كبرى في كشف العصابات الإجرامية وتفكيكها في وقت سريع وبشكل دقيق وفعال.

- تدعيم الاستراتيجية الوطنية للوقاية من عصابات الأحياء باستراتيجية موازنة للتنمية البشرية التي يكون محورها العنصر البشري الفاعل، من خلال إعطاء قيمة أكبر للعمل والنشاط الجماعي الهادف.

قائمة المراجع:

الكتب:

أحمد شكر الصبيحي، مستقبل المجتمع المدني في الوطن العربي، الطبعة 1 بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية، 2000.

أحسن بوسقيعة ، الوجيز في القانون الجزائري العام ، الطبعة الخامسة ، دار هومة ، الجزائر ، 2016.

حسنين المحمدي، الخطر الجنائي ومواجهته، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2003

سعيد بوعلي ، شرح قانون العقوبات الجزائري ، دار بلقيس ، الدار البيضاء ، الجزائر

فريد الرعي ، الموسوعة الجزائرية ، الجرائم الواقعة على أمن الدولة الداخلي ، دار صادر ، بيروت ، المجلد العاشر.

عبد الله أوهابية ، شرح القانون الجزائري ، دار هومة ، الجزائر ، 2011.

هدى حمد قشوش، التشكيلات العصابية في قانون العقوبات في ضوء المحكمة الدستورية العليا. منشأة المعارف الإسكندرية، 2006

أطروحات الدكتوراه:

بشائن صافية، الحماية القانونية للحياة الخاصة، دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2012.

يوسف بوجمعة، حماية حقوق الشخصية، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، كلية الحقوق ، جامعة بن عكنون، الجزائر، 2009- 2010

المقالات :

بركات رياض، آليات الوقاية من عصابات الأحياء ومكافحتها، قراءة في الأمر 20/03 ، مجلة العلوم القانونية والاجتماعية، العدد 2، 2021.

صالح زياني، " تشكل المجتمع المدني وآفاق الحركة الجمعوية في الجزائر " ، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 17، لسنة 2008

مخلوفي مليكة، آليات الوقاية من جرائم عصابات الأحياء السكنية في إطار الأمر رقم 03/20 بين المعمول والمأمول، مجلة القانون المجتمع والسلطة، المجلد 12، العدد 2.

مصطفى عبد القادر، "أساليب البحث والتحري الخاصة وإجراءاتها"، مجلة المحكمة العليا ، قسم الوثائق، العدد 2 سنة 2009

فليح كمال، مواجهة ظاهرة عصابات الأحياء في القانون الجزائري، قراءة في الأمر 20/03 ، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، المجلد 8 ، العدد 3، 2021.

د/ سليم مزهود، مفهوم ظاهرة عصابات الأحياء في الجزائر، عوامل التواجد والمعالجة، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، المجلد 06، العدد 2، 2001.

عقباوي محمد عبد القادر، ردع عصابات الأحياء وفقا للقانون 03/°20 المؤرخ في 30 أوت 2020 والمتعلق بالوقاية من عصابات الأحياء ومكافحتها دراسة تحليلية، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية ، المجلد 11، العدد 2.

صونيا لعبيدي، "المجتمع المدني المواطنة والديمقراطية جدلية المفهوم والممارسة ، " مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 02، السنة 2008.

THE MYTHOLOGICAL TENDENCY AMONG ARAB HISTORIANS

D. BELARBI Mohammed

<http://dx.doi.org/10.47832/soci.con1-14>

Abstract:

This research deals with the phenomenon of mythological tendency among Arab historians in the Middle Ages. The ancient Arabs contributed to writing history: the history of human events. They also contributed to writing other aspects of history, such as the history of cities, as Al-Khatib Al-Baghdadi did in his History of Baghdad, or as Ibn Al-Khatib did in his briefing on the news of Granada. He also dated the Arabs for kings, messengers, and scholars. Hence, history in its various aspects is a cognitive obsession and a scientific preoccupation that the Arabs have known and written extensively about. As for general history, many historians have worked on it, perhaps the most famous of whom are Ibn Jarir al-Tabari 310 AH - 923 AD, Al-Masudi 346 AH - 956 AD, Al-Maqrizi 845 AH - 1442 AD, and others.

In this research, we will attempt to study the legendary mythological tendency in the historical writing of Al-Tabari and Al-Masudi, a tendency that permeated the history of these two historians. Al-Tabari was famous for his book The History of the Messengers and Kings or The History of Nations and Kings, as we find in other versions. In which, Al-Tabari tried to narrate the history of the world since the appearance of man on Earth, drawing his information from his culture and religious sources. Hence, his cosmic history is closer to religious history than to human history. He relies on religious texts such as the Qur'anic text and Hadith texts, and he does not hesitate to mention the myths of other nations. Which explains the history of the origin of the universe and the appearance of creation on Earth, and he formulates it in his beautiful foundry style so that it appears as if it were of his own making.

According to Al-Tabari and Al-Masudi, history is mixed with myth, and the rule of reason is absent between them in areas where knowledge requires the authority of logic

Keywords: Al-Tabari - Al-Masoudi - History - Myth – Mythology.

النزعة الميثولوجية عند المؤرخين العرب

د. بلعربي محمد¹

الملخص:

يتناول هذا البحث ظاهرة النزوع الميثولوجي عند مؤرخي العرب في العهد الوسيط. لقد أسهم العرب القدامى في كتابة التاريخ: تاريخ الوقائع البشرية كما أسهموا في كتابة أوجه أخرى من وجوه التاريخ مثل تاريخ المدن، كما صنع الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، أو كما فعل ابن الخطيب في الإحاطة في أخبار غرناطة. كما أَرخ العرب للملوك والرسل والعلماء. ومن ثمّ يكون التأريخ في مختلف نواحيه هاجسا معرفيا، وانشغالا علميا عرفه العرب وأكثروا فيه التأليف، أمّا التاريخ العام فقد اشتغل به مؤرخون كثر لعلّ أشهرهم ابن جرير الطبري 310 هـ - 923 م والمسعودي 346 هـ - 956 م والمقرئبي 845 هـ - 1442 م وغيرهم.

سنحاول في هذا البحث دراسة النزوع الميثولوجي الأسطوري في الكتابة التاريخية عند الطبري والمسعودي، وهو نزوع طافح على تأريخ هذين المؤرخين. فقد اشتهر الطبري بكتابه تاريخ الرسل والملوك أو تاريخ الأمم والملوك كما نجده في نسخ أخرى. وقد حاول الطبري فيه أن يسرد تاريخ العالم منذ ظهور الإنسان على الأرض مستقيا أخباره من ثقافته ومصادره الدينية، ومن ثمّ يكون تاريخه الكوني أقرب إلى التاريخ الديني منه إلى التاريخ البشري، فهو يستند إلى النصوص الدينية كالنص القرآني ونصوص الحديث ولا يتردد في إيراد أساطير الأمم الأخرى التي تفسر تاريخ نشأة الكون وظهور الخلق على الأرض ويصوغها بأسلوبه الجميل المسبك حتى لتبدو كأنها من صناعته.

إنّ الأسطورة والتاريخ ليجتمعا في تاريخ الطبري دونما تدخل لسلطة العقل ومحاولة التمييز بينهما.

أما المسعودي الذي كان معاصرا للطبري فقد ولد في بغداد وتوفي في مصر جمع في تأليفه بين التاريخ والجغرافيا، ويعد كتابه مروج الذهب من أبرز مؤلفاته في التاريخ، وهو مؤلفٌ لا يخلو من تأملات جغرافية واجتماعية، هي حصيلة رحلاته وتجاربه الشخصية. وبالرغم من كثرة المعلومات التي يحتوي عليها كتاب المسعودي وسعة ثقافته إلا أنه لا يكاد يخلو من المسحة الدينية الأسطورية عليه ومن انطباعات ساذجة.

يمتزج التاريخ بالأسطورة عند الطبري والمسعودي ويغيب بينهما حكم العقل في المجالات التي تقتضي فيها المعرفة سلطة المنطق.

الكلمات المفتاحية: الطبري- المسعودي- التاريخ- الأسطورة- الميثولوجيا .

¹ جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر

belarbi.philo@gmail.com

يبدو تعريف التاريخ مسألة مستحيلة (قاسم عبده قاسم، الرؤية الحضارية للتاريخ، قراءة في التراث التاريخي العربي، القاهرة، دار المعارف، 1984، ص 14) كما يرى المؤرخ قاسم عبده، وذلك بسبب طبيعة التاريخ نفسه من جهة، وبسبب تعدد استعمال هذه الكلمة في اللّغة وحملها لدلالات متباينة من جهة أخرى. ومن ثم يصبح تعريف التاريخ تعريفا مانعا جامعا غير ممكن، فهو يحمل معنى الزمن تارة، ويشير إلى أحداث بعينها طورا ويتداخل فيه الزمان والمكان أحيانا. أمّا اصطلاحا فهو علم Science مُرَكَّب ومُعَقَّد تتنوع مشاريعه وتختلف مناهجه يحاول أن يتّسم بالموضوعية متشبّها ببعض العلوم الإنسانية الأخرى، لكنّه يعاني من الدّاتية و"الأدلجة" والتّسييس، ومن صعوبة بلوغ الحقيقة باعتبار الحوادث التاريخية حوادث ماضية يستحيل استحضارها أو التّجريب عليها. ويرى "إدوارد كار" أنّه لا يمكننا نحن في هذا الجيل أن نحصل على التاريخ النهائي، ولكن بإمكاننا التصرف بالتاريخ الاصطلاحي (إدوارد كار، ما هو التاريخ، ترجمة ماهر كيالي وبيار عقل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 2، 1980، ص 5) ومن ثمّ فإنّ التاريخ لن يكون علما كبقية العلوم نظرا للصعوبات التي تكتنفه. ومهما يكن فإنّ الكتابة التاريخية تقف من وراءها دوافع شتى ومختلفة موضوعية كانت أو ذاتية قد تكون «الغاية منها الوقوف على تفاصيل الصيرورة، وسم معالم التطور على تنوعها وتداخلها وتناسبها، واستحضار الماضي بكلّ ما اتّصفت به أوضاعه السّياسية...» (آرون ريمون: Aron Raymond : introduction à la philosophie de l'histoire, pp 196- 197) في حين يرى ابن خلدون أنّ دراسة التاريخ ضرورية لمعرفة أحوال الأمم وتطور هذه الأحوال بفعل العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية (التاريخ في باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق ... المقدمة، ص 02).

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّه لولا آثار ابن خلدون لظَلَلْنَا نجهل كثيرا من تاريخ شمال إفريقيا منذ الفتح العربي حتى القرن الرابع عشر الميلادي، ولا اقتصرنا على تكهنات وتفسيرات كيفية، ويعترف أ. ب غوتي E. F. Ghautier نفسه بأنّه يمكن التأكيد المطلق بأنّه لولا ابن خلدون لما طفت من تلك الحقبة الممتدة من قدوم العرب إلى الأزمنة الحديثة (عبد الغني مغربي: الفكر السوسولوجي عند ابن خلدون، تقديم وتعريب محمد الشريف بن دالي حسين، دار القصبه للنشر، 2006، ص 47).

وكان هيرودوت قد ذكر أنّه يكتب تواريخه لكي لا تُنسى إنجازات العظماء سواء كانوا يونانيين أو غيرهم ... ومن ثمّ تكون إحدى غايات الكتابة التاريخية هي تسجيل إنجازات البشر وأعمالهم العظيمة حتى لا ينالها النسيان، وإذا كان هيرودوت قد ألّف "التواريخ" من أجل ذكر أمجاد الإغريق ناقلا بذلك التاريخ من الآلهة إلى البشر، فإنّ الكتابة التاريخية عند المسلمين كانت لها دوافع مختلفة منها الدينية ومنها السياسية، وهي، على العموم، تنتمي إلى الحركة التّاريخية التي غلبت عليها المسحة الدينية في القرون الوسطى سواء عند المسلمين أو عند المسيحيين الذين يُعدّ القديس سان أوغسطين من أشهر مؤرّخيهم (354- 430م).

وقد تأخر الوعي التاريخي في الحجاز بسبب الطبيعة الصحراوية الجافة، والحياة الاجتماعية غير المستقرة القائمة على الحل والترحال ... وشظف العيش وحياة البداوة المترامية الأطراف. وقد أنتج هذا النمط من الحياة ضريا من السرد سرد القصص التاريخية والأخبار وأنساب العرب. وقد حمل الشعر الجاهلي كثيرا من القصص القديمة والأساطير التي كانت تنتقل بين العرب عن طريق الرواية الشفوية وحفظ الشعر. وقد كان للنص القرآني -بعد مجيء الإسلام- أثر بارز على ترغيب المسلمين في كتابة التاريخ، وفي ظهور النزعة التّاريخية عندهم. وليس يخاف أنّ القرآن قد أورد كثيرا من

قصص الأمم البائدة، وأخبار القبائل القديمة وأشار بشيء من التفصيل إلى بداية خلق البشر وظهور الإنسان الأول على الأرض، ورغم أنّ الأخبار والقصص التي ذكرها القرآن لم تكن لغاية تاريخية فإنّها كانت دافعا قويا للمسلمين إلى الاشتغال بالتاريخ والإقبال على كتابة تاريخ العرب والتاريخ العام. ولعلّ أبرز ما يمكن ملاحظته على الكتابة التاريخية عند المسلمين أنّ الدين كان من أكبر الدوافع إليها، وأنّ المؤرخين الذين حملوا لواء كتابة التاريخ كانوا يجمعون إلى جانب التاريخ - علوما أخرى كعلوم الأدب وعلوم الدين، وكانت هذه الميزة سائدة في كثير من علماء الإسلام بمن فيهم المؤرخون. وقد دعت بعض مدارس التاريخ الحديثة إلى أنّ التاريخ علم جامع لا يكتفي بنفسه ويجب أن يشارك في كتابته علوم أخرى. يقول لوسيان فيفر: «يساهم في كتابة التاريخ اللغوي والأديب والجغرافيا والقانوني والطبيب وعالم الأجناس والخبير بمنطق العلوم» (محمد حبيدة، الكتابة التاريخية، ص 62) وذهب هذا المذهب صديقه المؤرخ الفرنسي، وهو من مؤسسي التاريخ الحديث، فرناند برودل 1985 fernand Braudel في قوله: «إنّ تطوير التاريخ لم يكن ممكنا إلاّ بالاندماج مع مختلف العلوم الإنسانية كعلوم مساعدة لمهنتنا ... وقد أعرب لوسيان فيفر ذلك بحدة وندد بالبحث المَحْوَجَزِ مؤرخون من جهة، واقتصاديون وعلماء اجتماع من جهة أخرى ...» (محمد حبيدة، الكتابة التاريخية، ص 64) ويبدو هذا النص دعوة صريحة إلى ضرورة مشاركة غير المؤرخين في كتابة التاريخ، لأنّ هذه المشاركة ستضفي عليه مسحة شمولية نظرا لتداخل كثير من العناصر في إنتاج الحادثة التاريخية.

وقد كان كثير من مؤرخي الإسلام على هذه الشاكلة التي دعت إليها بعض مدارس التاريخ الحديثة، فجمعوا بين أصناف من العلوم إلى جانب اهتمامهم بكتابة التاريخ كما هو الشأن عند الطبري والمسعودي والمقرئزي وابن خلدون الذي لا يتردد بعضهم في اعتباره عالم اقتصاد وقد جمع بين الفقه والسياسة ونظم الشعر وعلم الكلام غير أن شهرة التأريخ طغت على إبداعه العلمي فُعرف بالمؤرخ أكثر ممّا عُرف بغيره من الصفات وقد عدّه "إيف لاکوست" مؤسس علم الاجتماع بدون منازع.

وإذا كان ابن خلدون قد اشتهر بزعمته الموضوعية في تأريخه، وجنوحه إلى الاحتكام إلى سلطة العقل في تمحيص الأخبار وقراءة الحوادث التاريخية فإنّ الطبري الذي ألف كتابا كبيرا في التاريخ "تاريخ الأمم والملوك" قد أسرف في سرد الأساطير والإسرائيليات والقصص والأخبار التي لا يقبلها العقل، ومن ثم يكون في تاريخه قد جمع بين الحقيقة والخيال، وجعل من العامل الديني عاملا مُحَرِّكا للتاريخ.

الدين والميثولوجيا والتاريخ:

ليس تمة تعريف جامع مانع للأسطورة، إنها تكاد تنجح في التمتع عن التعريف (ك. ك. راثقين، الأسطورة، ص) لا يمكننا أن نعرف الأسطورة لأننا لم نعرف تجربة الأسطورة كعدم معرفتنا لتجربة الموت. وعندما سنل القديس أوغسطين 430م عن الأسطورة أجاب إنني أعرفها جيدا بشرط ألا تسألني عنها، إنني أشعر بالتلكؤ إذا أردت الحديث عنها. ولعلّ القديس أوغسطين تجنب الحديث عن معجزة المسيح إذ يصعب فصل الدين عن الأسطورة التي تعد ركنا من أركانه التي يقوم عليها.

تبدو الأسطورة قادمة من أعماق التاريخ، ضاربة في بداياته، إن لها سحرا كسحر الشعر على حد تعبير الشاعر الأمريكي والاس ستيفنز (1955) «وعلى الرغم من امتناعها عن التعريف فإنها تستدعي البحث العقلاني الذي تعزى إليه شتى التفسيرات» (ك. ك. راثقين، الأسطورة، ص 9).

وتكمن بين الأساطير الميثولوجية والدين علاقة وطيدة فهي جزء مُكون للدين وتكاد تكون ركنا من أركانه، لأنّ المعجزات وأوصاف الآخرة، وقصة الخلق قد تغدو في نظر العقل غامضة غير مفهومة. كما تتسلل الأساطير إلى التاريخ وتصبح جزءا من حقائقه، إنّ قول إرنست كاسيرر التاريخ هو الأسطورة التي لا نصدقها، والأسطورة هي التاريخ الذي نصدقها يعني أنّ الناس يصنعون التاريخ بصنعهم للأساطير أو على الأقل بتصديقهم لها (ك. ك. راتقين، الأسطورة، ص 19). وقد أشار عبد الله العروي إلى منهج الكتابة التاريخية عند العرب في قوله: «يلجأ المؤرخون الذين كتبوا بالعربية ... إلى تقسيم تقليدي نلخصه في النقاط التالية:

1. يسوقون في قسم تمهيدي الملاحم والأساطير على صورتها الشائعة بين أصحابها، في غياب قياس برهاني يُمكن من تمحيصها. يحشرون المرويات المتعلقة ببداية الكون والأرض والإنسام وكذلك أخبار الأمم البائدة أو النائية مثل الصين والهند والزنج وسكان المناطق الشمالية.
 2. ثم ينتقلون، في قسم لاحق، إلى أخبار الأنبياء والرسل معتمدين على ما جاء في التوراة، وبالمناسبة يذكرون أخبار الأمم التي كانت لها علاقة ببني إسرائيل كالكلدانيين والسريانيين وغيرهم.
 3. ثم يروون في قسم ثالث أخبار الملوك أي وقائع الإمبراطوريات القديمة: الفارسية واليونانية والرومانية ويذكرون بالمناسبة أيام العرب الأولين.
 4. ثم يقصون، في قسم رابع، تاريخ العرب بعد ظهور الإسلام ويلحقون بهذا التاريخ ما يعرفون عن الروم والإفرنج وملوك الهند وغيرهم» (عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، ص 278- 279) ولا يكاد الطبري يخرج عن هذا المنهج الذي رسمه عبد الله العروي للمؤرخين العرب.
- يمكن أن نقسم تاريخ الطبري إلى أقسام ثلاثة، تناول في القسم الأول تاريخ الأمم التي سبقت الإسلام. واعتمد في هذا القسم على روايات وأخبار تفتقر إلى السند والمصادر الموثقة، يقول صاحب مقدمة الكتاب «وهذا التاريخ ليس يعول عليه إلا ما جاء في القرآن صراحة وما عداه أخبار كتابية في الغالب أو أخبار بلا إسناد يعرف».

وتناول في القسم الثاني منه تاريخ الإسلام في قرونه الثلاثة الأولى، ويُلاحظ أنّ الطبري قد اعتمد في بداية هذا القسم على الإسناد والروايات ثم تخلى عن ذكر مصادره في نهاية هذا القسم إلا قليلا وأغلب الذين اتخذهم سندا له في هذا القسم كابن إسحاق والواقدي وابن الكلبي لم يكونوا من الثقات كما يرى صاحب المقدمة (المقدمة، ص 5)، أمّا القسم الثالث من التاريخ فيتعلق بالأحداث والوقائع التي عاصرها المؤرخ، وفيها يعتمد على شيوخه والكتب المعاصرة له.

يتحرك الطبري في رسم تاريخه بدافع من الدين وكأنه يريد أن يؤرخ الإرادة الإلهية، ويبدو ذلك واضحا في تقديمه لكتابه، فبعد أن شهد فيها على وحدانية الله وخلقها لكل وطلب رضاه، على منوال ما يصنعه علماء الكلام في مقدماتهم، يقول:

«وأنا ذاكر في كتابي هذا من ملوك كل زمان، من لدن ابتداء ربنا جلّ جلاله خلق خلقه إلى حال فنائهم، من انتهى إلينا خبره». (تاريخ الأمم والملوك، ص 9)

ويضيف بعد هذا التقديم:

«نعوذ بالله من عمل يقرب من سُخطه، ونسأله التوفيق لما يدني من رضاه ومحبتة.

وليعلم الناظرُ في كتابنا هذا أنّ اعتمادنا في كل ما أحضرت ذكره فيه ... إنّما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكها فيه، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين غير واصل لمن لم يدرك زمانهم إلاّ بأخبار المخبرين ونقل الناقلين دون الاستخراج بالعقول. فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه من أجل أنه لم يعرف له وجهها في الصحة ولا معنى في الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا وإنّما أتى من قبل بعض ناقله إلينا». (تاريخ الملوك، ص 10)

ومن الواضح أنّ المؤلف قد نبّه إلى أنّ ما سيرضه في كتابه قد لا يكون صحيحا، وإنّما جاء ليسد ثغرة في التاريخ، وليس من شك في أنّ التاريخ مليء بالثغرات وأنّ ثمة أسئلة لا يُجيب عليها في رواياته وأخباره، وعلى خيال المؤرخين ومزامعهم أن يسدوا هذه الثغرات وأن يجيبوا على هذه الأسئلة.

يرى الطبري أن «خلق الله جميع خلقه إلى وقت فناء جميعهم سبعة آلاف سنة، مضى من الدنيا خمسة آلاف وستمئة سنة، والباقي أربعمئة سنة» بينما يؤكد العلم أنّ زوال الديناصورات يعود إلى ما يقارب سبعة ملايين سنة. (ويليام داي، نشأة الحياة على كوكب الأرض، بغداد، 1989)

ويتصوّر أول مخلوق على الأرض بهذا الشكل: «خلق آدم يوم الجمعة، وأهبط في الهند، كان رأسه في السماء، ورجلاه في الأرض، كان آدم يعرف الشعر ويتكلم اللّغة العربية...» (تاريخ الملوك، ج 1، ص 60 وما بعدها). وعند حديثه عن الشمس يتحدث الطبري بلغة تشتمُّ منها رائحة الأسطورة، لكنها لغة من يروي أحداثا قابلة للتصديق. يقول الطبري:

تغرب الشمس في السماء ثم ترتفع من سماء إلى سماء حتى تكون تحت العرش فتخرّ ساجدة فتسجد معها الملائكة الموكلون بها ... (ج 1، ص 43).

ويسير الطبري على هذا المنهج في رواياته السردية المشبعة بنفح الأسطورة وغموض التاريخ.

انطلاقا من قول أرنست كاسيرر إنّ الأسطورة هي التاريخ الذي نصدقه فإن يمكن اعتبار الأسطورة حلما يقظا، «لكنه حلم لا ينفصل عن الحقيقة لأنّه يُعاش مثل أيّ ظاهرة موضوعية ... وكثيرا ما تصلح الخرافة لدفع الناس إلى إدراك حقيقة يصعب فهمها، إنّها تفسر ما لا يمكن تفسيره، وهي على العموم، صادرة عن القصة الحقيقية غير أنّها تبتعد عنها بطابعها اللامعقول». (الفكر السوسولوجي عند ابن خلدون، ص 67)

مصادر البحث ومراجعته:

- الطبري، ابن جرير، تاريخ الملوك، تحقيق أبو نصيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الأردن.
- ابن خلدون، المقدمة، بيروت، دار الكتاب اللبناني 1967.
- ابن قتيبة، عيون الأخبار، القاهرة، دار الكتب المصرية 1925 أربعة أجزاء.
- قاسم عبده قاسم، الرؤية الحضارية للتاريخ، القاهرة دار المعارف 1984.
- كار إدوارد، ما هو التاريخ، ترجمة ماهر كيالي وبيار عقل المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط 2 1980.

Introduction à la philosophie de l'histoire paris 1946

-عبد الغني مغربي، الفكر السوسيولوجي عند ابن خلدون تقديم وتعريب محمد الشريف بن دالي حسين دار القصة للنشر، الجزائر 2006.

- محمد حبيدة، الكتابة التاريخية (ترجمة) افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2015.
- ك، ك، راقفين، الأسطورة، ترجمة جعفر صادق الغليلي، بيروت، عويدات، ط 1، 1981.
- أرنست كاسيرر، الدولة والأسطورة، ترجمة أحمد حمادي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1975.
- فراس السواح، الأسطورة والمعنى، دار علاء، دمشق، د.ت.
- الربيعي فاضل، أبطال بلا تاريخ، دار الفرقد، ط 1 2005.
- أدونيس، أحمد سعيد، الثابت والمتحول، دار العودة، بيروت 1983.
- توماس بلفيتش، عصر الأساطير، ترجمة رشدي السيسي النهضة العربية، القاهرة 1966.

**ARTIFICIAL INTELLIGENCE TECHNOLOGY IN THE SECURITY AND LAW
ENFORCEMENT FIELD**

Dr. AYAD Fawzia

<http://dx.doi.org/10.47832/soci.con1-15>

Abstract:

Artificial intelligence technology is considered one of the most important outcomes of the fourth industrial revolution, which relies on the digital revolution that has occurred since the mid-20th century. This revolution is characterized by the integration of natural physical technologies that rely on human intelligence with digital technologies that rely on technology. The uses of artificial intelligence technology in our daily lives are diverse in many fields. In this study, we will focus on the uses of artificial intelligence technology in the security and police field

Keywords: Artificial Intelligence, Security and Police Sciences, Fourth Industrial Revolution, Digital Revolution.

تقنية الذكاء الاصطناعي في المجال الأمني والشرطي

د. فوزية عياد¹

الملخص:

تعتبر تقنية الذكاء الاصطناعي من أهم مخرجات الثورة الصناعية الرابعة، التي تعتمد على الثورة الرقمية التي حدثت منذ منتصف القرن الماضي، والتي تتميز بدمج التقنيات المادية الطبيعية التي تعتمد على الذكاء البشري مع التقنيات الرقمية التي تعتمد على التكنولوجيا، وتتعدد استخدامات تقنية الذكاء الاصطناعي في حياتنا اليومية في العديد من المجالات، وسنركز من خلال هذه الدراسة على استخدامات تقنية الذكاء الاصطناعي في المجال الأمني والشرطي.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي، العلوم الأمنية والشرطية، الثورة الصناعية الرابعة، الثورة الرقمية.

¹ ID جامعة سعيد حمدين- الجزائر1 ، الجزائر

f.ayad@univ-alger.dz

<https://orcid.org/0009-0006-6435-5937>

المقدمة:

الذكاء الاصطناعي هو مجال يهدف إلى إنشاء آلات يمكنها محاكاة الذكاء البشري، وهو يعتمد على عمليات تقليد الذكاء البشري، مما يتطلب كمية كبيرة من البيانات وقدرة معالجة كبيرة، يُستخدم الذكاء الاصطناعي في مجالات مختلفة، مثل المساعدين الشخصيين الأذكياء، والتعلم الآلي، والتحليلات التنبؤية والإرشادية، وتطبيقات الذكاء التكميلي، تم إنشاء مصطلح "الذكاء الاصطناعي" في عام 1955 على يد (جون مكارثي)، وغالبًا ما يتم اختصاره بالاختصار "AI" باللغة الإنجليزية.

تبرز أهمية هذا البحث في كون تقنية الذكاء الاصطناعي أصبحت حتمية في حياتنا اليومية، كذلك تظهر أهمية هذا البحث من خلال تطبيقات الذكاء الاصطناعي في المجال الأمني والشرطي، حيث استخدم في التنبؤ بالجرائم بهدف تسهيل عمل الشرطة في البحث والتحري عن الجريمة، وتستخدم البرمجيات "خوارزميات متطورة" من أجل بناء التوقعات حول الجريمة، وتتسم البيانات الناتجة بأنها دقيقة للغاية، فتقنية الذكاء الاصطناعي يتم من خلالها تنبيه دوريات الشرطة إلى الأحياء التي تحتاج إلى الاهتمام بها من قبل رجال الشرطة من أجل الوقاية من الجريمة ومنع وقوعها. يهدف هذا البحث إلى إبراز مدى تأثير الجهاز الأمني والشرطي بتقنية الذكاء الاصطناعي في الكشف عن الجريمة، وكيف تساهم هذه التقنية في تسهيل عمل الشرطة.

وعليه تم طرح الإشكالية التالية: هل اعتماد تقنية الذكاء الاصطناعي في العمل الشرطي والأمني يساهم في تحقيق الأمن والسلامة في المجتمع؟

وللإجابة على هذه الإشكالية تم تقسيم موضوع الدراسة إلى محورين، تناول المحور الأول تحديد ماهية الذكاء الاصطناعي، وخصص المحور الثاني لدراسة تطبيقات الذكاء الاصطناعي في المجال الأمني والشرطي.

المحور الأول: ماهية الذكاء الاصطناعي.

تم التطرق من خلاله لتعريف الذكاء الاصطناعي وتاريخه (أولاً)، ثم أهميته وفوائده في المجال الأمني والشرطي (ثانياً)، ثم مخاطر هذه التقنية في المجال الأمني والشرطي (ثالثاً).

أولاً- تعريف الذكاء الاصطناعي وتاريخه:

1- تاريخ ظهور مصطلح الذكاء الاصطناعي:

ظهر الذكاء الاصطناعي كعلم حقيقي من علوم المعلوماتية في سنوات الخمسينات من القرن الماضي، واستخدم هذا المصطلح للمرة الأولى خلال مؤتمر جامعة (دارت مورث) (Dartmouth) بشأن الذكاء الاصطناعي في عام 1955، على يد عالم الحاسوب وأحد منظمي المؤتمر (جون مكارثي) (John McCarthy) (1927-2011)، وعرفه بنفسه بأنه "علم وهندسة صنع الآلات الذكية"، وخرج المؤتمر بالبيان الختامي التالي: "كل وجه من أوجه التعلم أو أي سمة أخرى من الذكاء يمكن، من حيث المبدأ، وصفها بدقة لدرجة أنه بالإمكان صناعة آلة تحاكي ذلك الذكاء...حالياً، يكمن الغرض الأساسي لمسألة الذكاء الاصطناعي في صنع آلات قادرة على التصرف بطريقة يمكن وصفها بالذكاء في حال ما قام بها الإنسان"، وسرعان ما تحول هذا البيان إلى الفرضية المؤسسة لعلم الذكاء الاصطناعي، وبالتالي فإن هذا العلم يهدف إلى صنع آلات «Artefact» ذكية، وذلك باستنساخ الذكاء البشري في آلات أو أجهزة الكمبيوتر (بورغدة، 2019، الصفحات 22-23)

وغالباً ما يتم اختصاره بالاختصار "AI" باللغة الإنجليزية، ومنذ ذلك الحين نشر المبتكرون والباحثون مجموعة من الاكتشافات الحديثة.

2- تعريف تقنية الذكاء الاصطناعي:

على الرغم من أهمية الذكاء الاصطناعي في حياتنا اليومية واستعمالاته في مختلف المجالات، إلا أنه لا يوجد تعريف جامع مانع لهذه التقنية، لذلك فقد تعددت تعريفاته حسب مختلف التخصصات التي يستعمل فيها، ومن بين هذه التعريفات نذكر:

الذكاء الاصطناعي هو مجال يهدف إلى إنشاء آلات يمكنها محاكاة الذكاء البشري، وهو يعتمد على عمليات تقليد الذكاء البشري، مما يتطلب كمية كبيرة من البيانات وقدرة معالجة كبيرة، يُستخدم الذكاء الاصطناعي في مجالات مختلفة، مثل المساعدين الشخصيين الأذكياء، والتعلم الآلي، والتحليلات التنبؤية والإرشادية، وتطبيقات الذكاء التكيفي (بورغدة، 2019، صفحة 46)

وهو قدرة الأجهزة والأنظمة على المحاكاة الذكية للقدرات البشرية مثل التعلم والتفكير واتخاذ القرارات، وهو القدرة الأساسية للآلة على تنفيذ المهام، من خلال تطوير تقنيات تكنولوجية، قادرة على أداء العطاءات البشرية بشكل ذكي عن طريق استخدام احتمالات المنطق استناداً إلى البيانات المزودة بها. (أمينة و العيداني، 2023، صفحة 530)

ويشير البعض إلى أن الذكاء الاصطناعي هو قدرة التقنيات التكنولوجية الحوسبية على إعطاء نتائج من خلال معالجتها التي تتسم فيها بذكاء الإنسان الطبيعي، ورغم أن هذه التقنية مصنوعة، فإنها تتمتع بقدرة على وضع الحلول للمشكلات بشكل منطقي صائب وسريع (الشريف، 2021، صفحة 343) (الشريبي، 2021، صفحة 991)

ثانيا- أهمية الذكاء الاصطناعي وفوائده في المجال الأمني والشرطي:

1- أهمية الذكاء الاصطناعي في المجال الأمني والشرطي:

تظهر أهمية تقنية الذكاء الاصطناعي في المجال الأمني والشرطي من خلال ما يلي:

أ- يساهم استخدام الذكاء الاصطناعي في تحسين كفاءة المهام الأمنية والشرطية وتحليل البيانات بشكل فعال والتنبؤ بالتهديدات الأمنية المحتملة.

ب- توظيف تقنية الذكاء الاصطناعي لتعزيز قدرة القوات الأمنية والشرطة على رصد واكتشاف الجرائم والتحقيق فيها بدقة.

2- فوائد الذكاء الاصطناعي في تعزيز الأمن والسلامة:

يوفر الذكاء الاصطناعي آفاقاً كبيرة في مجال أمن الشرطة (عوضين، 2022)، وذلك على النحو الآتي:

أ- تقليل الاكتشاف المتأخر:

تمكن تقنيات الذكاء الاصطناعي من الكشف المبكر والوقاية من التهديدات الأمنية بمجرد حدوثها مما يقلل من الأضرار والتبعات السلبية.

ب- التحليل السريع للبيانات:

يمكن معالجة الكم الهائل من البيانات بشكل سريع وفعال مما يتيح الفرصة للتعرف على الأنماط والتهديدات بشكل مبكر وتنبؤي.

ت- تحسين الكفاءة والدقة:

تمكن تقنية الذكاء الاصطناعي من تحسين كفاءة ودقة المهام الأمنية والشرطية مثل التعرف على الأشخاص ورصد النشاطات المشبوهة.

ث- تحديث عمل الشرطة:

يتيح الذكاء الاصطناعي تنفيذ أجهزة مثل المراقبة بالفيديو الذكية والتعرف على الوجه ورسم الخرائط التنبؤية، وبالتالي تجديد عمل الشرطة.

ج- الشرطة التنبؤية:

الذكاء الاصطناعي جزء من مجال الشرطة التنبؤية، حيث يقدم أداة لصنع القرار ويساهم في تحديث العمل العام.

ح- تحسين تحقيقات الطب الشرعي:

يعمل الذكاء الاصطناعي على تسريع عملية تحقيقات الطب الشرعي، لا سيما من خلال التعرف على الصور والصوت، مما قد يؤدي إلى حل القضايا الجنائية.

خ- منع الجريمة وإدارة الطوارئ:

تُستخدم تقنيات الذكاء الاصطناعي لتحسين منع الجريمة ومراقبتها والاستجابة لحالات الطوارئ وإدارة الكوارث.

ثالثا- مخاطر تقنية الذكاء الاصطناعي في المجال الأمني والشرطي:

بالرغم من أهمية تقنية الذكاء الاصطناعي في المجال الأمني والشرطي وفوائدها، إلا أن هذه التقنية واستخداماتها لا تخلو من بعض المخاطر، نذكرها على النحو الآتي:

1- انتهاك الخصوصية:

يمكن استخدام الذكاء الاصطناعي للقيام بمراقبة مفرطة للأشخاص، مما قد يؤدي إلى انتهاك الخصوصية (خليفة، 2017)

2- التحيز والتمييز:

يمكن لخوارزميات الذكاء الاصطناعي أن تنشر التحيز والتمييز إذا كانت مصممة بشكل سيء أو إذا كانت البيانات التي تستند إليها غير دقيقة أو غير كاملة، وهذا يمكن أن يؤدي إلى معاملة غير عادلة وقرارات غير عادلة في أمن الشرطة.

3- الشفافية وقابلية التفسير:

يمكن للذكاء الاصطناعي أن يثير أسئلة حول الشفافية وقابلية التفسير، حيث غالبًا ما تُعتبر الخوارزميات وعمليات صنع القرار "صناديق سوداء"، وهذا قد يجعل من الصعب وضع اللوائح وأفضل الممارسات لضمان الاستخدام المسؤول للذكاء الاصطناعي.

4- الأمن وحماية البيانات:

يمكن أن يشكل الذكاء الاصطناعي أيضًا مخاطر تتعلق بالأمان وحماية البيانات، حيث يمكن أن تكون أنظمة معالجة البيانات عرضة للهجمات والانتهاكات الإلكترونية، بالإضافة إلى ذلك، يمكن استخدام الذكاء الاصطناعي لارتكاب جرائم، مثل الاحتيال والقرصنة.

وللحد من هذه المخاطر، من المهم وضع اللوائح وأفضل الممارسات لضمان الاستخدام المسؤول للذكاء الاصطناعي في مجال أمن الشرطة.

المحور الثاني: تطبيقات الذكاء الاصطناعي في المجال الأمني والشرطي.

فيما يلي عرض لبعض تطبيقات الذكاء الاصطناعي في المجال الأمني والشرطي المعمول بها في الجزائر، وغيرها من الدول.

أولاً- تطبيقات الذكاء الاصطناعي في المجال الأمني والشرطي المعمول بها في الجزائر:

تتوفر أجهزة الدرك الوطني والشرطة الجزائرية على تقنيات عالية في سبيل محاربة الجريمة، وفيما يلي نذكر بعض هذه التطبيقات وذلك على النحو الآتي:

1- "أولو شرطة" أول تطبيق ذكي للتبليغ عن الحوادث في الجزائر مصمم من قبل المديرية العامة للأمن

الوطني.

تحت شعار أساهم في سلامتي أشارك في أمن وطني، تعتمد هذه الخدمة على استخدام الهواتف الذكية، حيث تتيح هذه الخدمة للجزائريين طلب المساعدة عند الوقوع في الخطر والتبليغ عن الحوادث مثل السرقة والتخريب والاعتداءات وحوادث المرور، الاختطافات خاصة ما تعلق منها باختطاف الأطفال، وعائق في الطريق العام وغيرها على أن تتدخل مصالح الأمن انطلاقاً من التنبيهات التي تصلها.

2- التنبؤ الشرطي (الخريطة الأمنية):

يقصد بتنبؤ الجريمة، توقع حدوثها مستقبلاً بغية الحيلولة دون تحققها، وبمدة كافية تمكن السلطة المختصة من منعها (الشريف، 2021، صفحة 342)، وترجع فكرة التنبؤ الخوارزمي للجرائم إلى الروائي الأمريكي (Philip k. Dick)، أهمها رواية (the Minority Report) نشرت عام 1956، تروي القصة قدرة ثلاثة أشخاص على التنبؤ بالجريمة قبل حدوثها، وأطلق عليهم الشرطة التنبؤية (الشريف، 2021، صفحة 342)

يمكن أن يساعد الذكاء الاصطناعي في التنبؤ بالجرائم من خلال تحليل البيانات التاريخية وتحديد الاتجاهات والأنماط، وهذا يمكن أن يسمح للسلطات بوضع تدابير وقائية والحد من المخاطر.

وجدير بالذكر أن فكرة التنبؤ بالجريمة جاءت بعد عدة محاولات من قبل الخبراء لتحديد مقدار أو درجة الخطورة التي يمكن أن يسببها بعض الأشخاص للقيام بأعمال عدوانية (آنية أو مستقبلية) أو احتمالية استمرار خطورتهم على المجتمع بعد إطلاق سراحهم (الشريف، 2021، صفحة 342)

فالتنبؤ بالجريمة هو عملية الوقوف على سلوك مستقبلي ينطوي على خطورة إجرامية لدى بعض الأفراد، ويُطلب أن يتم التنبؤ بحذر ودقة شديدين لأن التقييم الخاطئ قد يؤدي لإطلاق حرية المتهم في الحالة التي يجب فيها الاحتراز منه، والعكس صحيح، فيجب التحقق والتثبت من المعلومات الشخصية الخاصة به، وإذا كان هذا الأمر يتطلب في السابق محللين نفسيين وخبراء في علم الاجتماع الجنائي، فالיום لا يحتاج سوى تطبيق من تطبيقات الذكاء الاصطناعي ليؤدي المهمة بكفاءة ودقة أعلى، ووقت وتكلفة أقل (الشريف، 2021، صفحة 342)

3- جهاز التصوير الثلاثي الأبعاد في مسرح الجريمة.

4- النظام الآلي للتعرف على الأسلحة (ibis) نظام الخبرة الباليستية:

هو عبارة عن نظام رقمي خاص بالخبرة الباليستية يعتمد في عمله على بنك للمعلومات تسجل فيه الذخائر والرصاصات التي يتم العثور عليها، يتم على مستوى هذا القسم تحليل الآثار الدقيقة التي تتركها المقذوفات وتحليل

الأسلحة المستعملة، فالدرك مجهز بنظام الخبرة البالستية للتعرف على الأسلحة النارية، ويحتوي هذا النظام على محطة جرد للمعلومات مزود بكاميرتين بتسجيل وتخزين الصور في بنك للمعلومات، كما يحتوي النظام على محطة للتحليل بهدف مقارنة ومقاربة المعلومات (SAS)، أصبح هذا النظام عملياتيا على مستوى الدرك الجزائري في سنة 2004، وتم في البداية تصنيف 15000 قطعة سلاح وقد ساعد هذا النظام في حل العديد من الجرائم.

5- نظام (AFIS) استعمال المعالجة الآلية للبصمات العشارية:

يتم على مستوى هذه المصلحة مقارنة البصمات للتعرف على الجثث وتجدر الإشارة أن الدرك الجزائري مجهز بأنظمة التعرف على البصمات (AFIS).

6- قاعدة نظام بيانات البصمة الوراثية (الدنا):

اصطناع البصمة بجهاز السليكون لإيهاام الغير بأنها بصمة حقيقية باستخدام الذكاء الاصطناعي.

7- مصلحة البيئة:

تشرف هذه المصلحة على عمليات البحث في أسباب تلوث المياه والتربة وكذا الكشف عن المواد السامة المتواجدة في المحيط أو أماكن العمل.

8- قسم التحليل الدقيق:

على مستوى هذا القسم المجهز بأحدث الوسائل يتم إجراء عمليات المسح الإلكتروني وتحليل المقارنة للشعر والألياف وغيرها من الأمور الدقيقة التي يتم العثور عليها على مسرح الجريمة بواسطة جهاز (الميكروسكوب الإلكتروني).

9- قسم السيارات:

يتم على مستوى هذا القسم التعرف على السيارات المسروقة وتتبع عملية تغيير وتحريف الأرقام الخاصة بالسيارات المسروقة.

10- كاميرات المراقبة الذكية:

تستخدم في العديد من التطبيقات الأمنية والشرطية للمراقبة والرصد وجمع المعلومات الضرورية للتحقيقات. معمول بها في الجزائر منذ سنة 2015.

ثانيا: تطبيقات أخرى للذكاء الاصطناعي في المجال الأمني والشرطي معمول بها في العالم.

نذكر بعض هذه التطبيقات على النحو الآتي:

1- الروبوتات والمركبات الذكية:

تساهم الروبوتات والمركبات الذكية في تعزيز قدرة القوات الأمنية والشرطية على تنفيذ المهام الخطرة وجمع المعلومات بأمان وكفاءة، وتستخدم هذه المركبات الذكية والروبوتات أجهزة استشعار للحصول على معلومات حول البيئة (البرعي، 2022)

2- نظم التعرف على الوجه:

تعتبر أنظمة التعرف على الوجه من أصعب الأهداف التي وضعت أمام مهندسي الذكاء الاصطناعي (الفرا، 2012)، ففي مجال مكافحة الجريمة تستخدم تقنية التعرف على الوجه في تحديد وتتبع الأفراد المشتبه بهم وتحليل البيانات البيولوجية لأغراض الأمن والشرطة.

3- نظم التحكم المروري الذكي:

يستخدم نظام التحكم المروري الذكي أنظمة الاستشعار الحديثة والتحليل الذكي للبيانات لتنظيم حركة المرور بطريقة فعالة وموفرة للوقت، ويمكن توسيع استخدام هذه التقنية لتحسين جودة المناطق الحضرية وتشجيع التنقل الذكي (حبيب، داود، وريس، 2014)

4- الطائرات بدون طيار للمراقبة:

يمكن استخدام الطائرات بدون طيار للمراقبة في الأمن والشرطة من خلال تحميلها بالعديد من التقنيات الأمنية مثل الكاميرات ومستشعرات الحرارة وأجهزة الاستشعار الأخرى، مما يتيح دعم مهام الأمن والمراقبة في المناطق الساخنة (جبارة و لمين، 2021)

الخاتمة:

ختاما لدراسة موضوع " تقنية الذكاء الاصطناعي في المجال الأمني والشرطي"، توصلنا إلى مجموعة من النتائج نذكرها على النحو الآتي:

- 1- تستخدم تطبيقات الذكاء الاصطناعي في مكافحة الجريمة، ولها دور مهم في ذلك.
- 2- من أكبر التحديات التي يمكن مواجهتها في تطبيق تقنية الذكاء الاصطناعي في المجال الأمني والشرطي هي دقة التقنية، على الرغم من أن هذه التقنية يمكن أن تشكل خطرا على الخصوصية والحريات الشخصية.
- 3- عدم وجود قوانين تنظم طرق وكيفيات استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في مجال مكافحة الجريمة، وإن وجدت فإنها لا تواكب التطورات.
- 5- لا زال المشرع الجزائري متأخرا في هذا المجال، خاصة فيما يتعلق بتحديد المسؤولية الجزائية عن الاستخدام غير المشروع لتقنية الذكاء الاصطناعي وما ترتبه من آثار على الحقوق والحريات الفردية.

على ضوء النتائج المتوصل إليها نقدم التوصيات التالية:

- 1- يتطلب استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في المجال الأمني والشرطي إعادة تدريب العاملين والمستخدمين على استخدام هذه التقنية لتحقيق الأهداف المرجوة.
- 2- حتى لا تكون الجريمة الإلكترونية هي الفائز الأكبر في تطبيق التقنية الذكية في المجال الأمني والشرطي يجب على المجتمعات البشرية توحيد وجهات النظر الأخلاقية الخاصة بالتقنية الذكية، لا سيما فيما يتعلق بأمن الأفراد وحماية خصوصياتهم الإلكترونية.

3- تشجيع استخدام الذكاء الاصطناعي في كافة المجالات واستغلال تقنيات الذكاء الاصطناعي في مواجهة الجريمة.

4- على الرغم من البحوث الكثيرة التي تجرى في هذا المجال إلا أن تقنيات الذكاء الاصطناعي لا تزال في بدايتها، حيث ما يزال هناك ضرورة ملحة لإجراء الكثير من الأبحاث والدراسات الأخرى لتطوير تطبيقات الذكاء الاصطناعي وزيادة فعاليتها في مكافحة الجريمة والحد منها.

5- ضرورة تكثف الجهود لإيجاد أنجع السبل لمنظومة قانونية وتشريعية خاصة بالاستخدام للذكاء الاصطناعي في الحد من الجرائم.

6- ضرورة تبني إقامة شرطة رقمية وتحقيق رقمي يتماشى والتصورات المستقبلية والاعتماد عليها لأن الذكاء الاصطناعي له أثر في الجرائم المستحدثة.

7- ضرورة مواكبة التطورات التقنية في مواجهة الجريمة بآلية الذكاء الاصطناعي من خلال إرسال البعثات للدول المتقدمة للاستفادة من خبراتهم ومعارفهم وكيفية تطبيق أنظمة الذكاء الاصطناعي الفائقة الدقة.

قائمة المراجع

- أحمد سعد علي البرعي. (2022). تطبيقات الذكاء الاصطناعي والروبوت من منظور الفقه الإسلامي. *مجلة دار الإفتاء المصرية* ، 14 (48)، الصفحات 12-159.
- الأخس نورة أمينة، و محمد العيداني. (2023). الذكاء الاصطناعي كآلية لمجابهة الجريمة الإلكترونية. *مجلة القانون والعلوم البنائية* ، 2 (2)، الصفحات 528-544.
- إيهاب خليفة. (2017). الذكاء الاصطناعي تأثيرات تزايد دور التقنيات الذكية في الحياة اليومية للبشر. *مجلة اتجاهات الأحداث* (20)، الصفحات 62-65.
- ربيع حبيب، محسن داود، و رانية ريس. (2014). بناء نظام تحكم ومراقبة بإشارات المرور باستخدام المتحكم PLC. *مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية سلسلة العلوم الهندسية* ، 36 (4)، الصفحات 317-337.
- سليمان يعقوب الفراء. (2012). الذكاء الاصطناعي. *مجلة البدر* ، 4 (1)، الصفحات 3-6.
- عمرو إبراهيم محمد الشريبي. (2021). تأثير تقنيات الذكاء الاصطناعي على العمل الشرطي لمواجهة الحروب النفسية. *مجلة البحوث القانونية والاقتصادية* ، 11 (1)، الصفحات 975-1035.
- فايق عوضين. (2022). استخدامات تقنيات الذكاء الاصطناعي بين المشروعية وعدم المشروعية. *المجلة الجنائية القومية* ، 65 (1)، الصفحات 1-40.
- محمود سلامة عبد المنعم الشريف. (2021). الطبيعة القانونية للتنبؤ بالجريمة بواسطة الذكاء الاصطناعي ومشروعيتها. *المجلة العربية لعلوم الأدلة الجنائية والطب الشرعي* ، 3 (2)، الصفحات 341-359.
- نريمان مسعود بورغدة. (2019). *التجارة الإلكترونية في عصر الذكاء الاصطناعي (العقود المبرمة بواسطة العلماء الإلكترونيين الأذكى)* (الإصدار 1). الجزائر، الجزائر: دار هومه.
- نورة جبارة، و عبد الحميد لمين. (2021). الطائرات بدون طيار: التنظيم والمسؤولية المدنية. *مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية* ، 13 (4)، الصفحات 405-415.

**THE TRANSITION OF TRANSLATION STUDIES FROM TRADITIONAL
APPROACHES TO MODERN THEORIES**

Dr. OUALI Siham

<http://dx.doi.org/10.47832/soci.con1-16>

Abstract:

Translation studies aim to understand and analyze the process of translation. Various approaches have taken translation as a field for research and analysis, such as linguistic approach, sociolinguistic approach, comparative stylistic approach, discourse analysis approach, text linguistics approach and finally interpretive approach which later formed a standalone theory. Generally, the approach refers to a general orientation of studies from the perspective of a specific field (linguistics, semiotics, pragmatics, etc.). Translation studies, as an independent field of research, were then established based on its own theories, such as: interpretive theory, action theory, skopos theory, game theory and poly-system theory. These theories are conceptual frameworks specifically developed to describe, explain, or model the translated text or the translation process. In this paper, we aim to highlight these approaches and theories through the opinions of some translation theorists and scholars

Keywords: Translation, Approach, Theory, Transition.

تحول دراسات الترجمة من المقاربات التقليدية إلى النظريات الحديثة

د. سهام والي¹

الملخص:

تهدف دراسات الترجمة إلى فهم عملية الترجمة وتحليلها. وقد تعددت المقاربات التي اتخذت من نشاط الترجمة ميدانا للبحث والتحليل مثل المقاربة اللسانية، والمقاربة السوسiolسانية، ومقاربة الأسلوبية المقارنة، ومقاربة تحليل الخطاب، ولسانيات النص، وأخيرا المقاربة التأويلية التي شكلت فيما بعد نظرية قائمة بذاتها. وتشير المقاربة إلى توجه عام للدراسات انطلاقا من وجهة نظر علم قائم بذاته (اللسانيات، السيميائيات، التداولية...). ثم تأسس بعد ذلك علم الترجمة -الذي طالب باستقلالية مجال بحثه- انطلاقا من نظريات خاصة به، مثل: النظرية التأويلية، نظرية الفعل، نظرية الهدف أو الغائية، نظرية اللعب أو اللعبة، نظرية النسق المتعدّد. فالنظريات بناءات مفاهيمية وضعت خصيصا لوصف أو شرح أو نمذجة النص المترجم أو عملية الترجمة. هذه المقاربات والنظريات نسعى إلى رصدها في هذه المداخلة من خلال آراء بعض منظري الترجمة ودارسيها.

الكلمات المفتاحية: الترجمة، النظرية، المقاربة، التحول.

¹ ID جامعة أبو القاسم سعد الله- الجزائر 2، الجزائر

sihem.ouali@univ-alger2.dz

تهدف دراسات الترجمة إلى فهم عملية الترجمة وتحليلها، وتشمل هذه الدراسات العديد من الجوانب مثل نظريات الترجمة وتحليل النصوص، وتقنيات الترجمة، وعوامل التأثير الثقافية واللغوية على الترجمة. وقد تأسس علم الترجمة -الذي طالب باستقلالية مجال بحثه- في تطوره خلال القرن العشرين متبنيًا للاتجاهات الحداثية التي تمت في سياق العلوم الإنسانية بصفة عامة وتعددت المقاربات التي اتخذت من نشاط الترجمة ميدانًا للبحث والتحليل مثل المقاربة اللسانية، والمقاربة السوسiolسانية، ومقاربة الأسلوبية المقارنة، ومقاربة تحليل الخطاب، ولسانيات النص، وأخيرًا المقاربة التأويلية التي شكلت فيما بعد نظرية قائمة بذاتها. وتشير المقاربة إلى توجه عام للدراسات انطلاقًا من وجهة نظر علم قائم بذاته (اللسانيات، السيميائيات، التداولية...). بينما تعتبر النظرية مجموعة من البناءات المفاهيمية وضعت لوصف أو شرح أو نمذجة النص المترجم أو عملية الترجمة. وعلى عكس المقاربة التي تميل إلى إلحاق الترجمة بعلم قائمة بذاتها، فإنّ النظرية تسعى إلى التأكيد على استقلالية الترجمة، كما أن طبيعة الترجمة في حد ذاتها، يجعل منها حقلاً لدراسات متعدّدة الاختصاصات بامتياز. ونذكر منها: النظرية التأويلية، نظرية الفعل، نظرية الهدف أو الغائية، نظرية اللعب أو اللعبة، نظرية النسق المتعدّد. هذه المقاربات والنظريات نسعى إلى رصدها في هذه الورقة من خلال آراء منظري الترجمة، ليخلص البحث إلى أهمية هذه التحوّلات وكيف أسهمت في تطوير نظرتنا للترجمة وتعزيز جودتها فهي تعدّ ضرورة لكلّ باحث أو مترجم يسعى لفهم عملية الترجمة وتعزيز مهاراته.

2. مقاربات الترجمة

تعتبر مقاربات الترجمة توجهات أو مجموعة من المبادئ يعتمد عليها أثناء عملية الترجمة، وقد تستند هذه المقاربات إلى نظريات محدّدة أو مزيج من النظريات القائمة. حيث تأسست دراسات الترجمة في بداياتها متبينة الاتجاهات السائدة في سياق العلوم الإنسانية بصفة عامة فتعددت المقاربات التي اتخذت من نشاط الترجمة ميدانًا للبحث والتحليل، وقد اعتمدت في أغلبها عموماً على طبيعة النصّ، والغرض من الترجمة، مع الأخذ بعين الاعتبار العوامل اللغوية والثقافية والاجتماعية، وغيرها.

1.1. المقاربة اللسانية

تركّز المقاربات اللسانية على الجوانب اللغوية للغتين المنقول منها والمنقول إليها مثل النحو والدلالة والصرف والبلاغة أيضاً، كما تولي عناية خاصة بمسألة التكافؤ بين النصين المصدر والهدف الذي يشكّل قضية جوهرية بالنسبة للمقاربات اللغوية عموماً التي تهدف إلى تحقيق ترجمة دقيقة تحتفظ بنفس المعنى والتأثير مثل النص الأصلي.

أ. كاتفورد: بالنسبة لكاتفورد مادامت الترجمة مسألة لغة فإنها تخضع بذلك لنظرية عامة هي اللسانيات، وذلك واضح من خلال عنوان مؤلفه الشهير "A Linguistic Theory of Translation" أو "نظرية لسانية للترجمة". "تشكل الترجمة نشاطاً يمارس على اللغات: هي عملية استبدال نص في لغة معينة بنص في لغة أخرى. مما يستلزم إعداد نظرية في الترجمة انطلاقاً من نظرية في اللغة باعتبارها نظرية لسانية عامة" (Catford, 1965, p. 1). ومن منطلقات هذا المؤلف، يعتبر كاتفورد عموماً ممثلاً عن اتجاه المنظرين الذين ربطوا الترجمة باللسانيات أو علوم اللغة حصرياً. رغم أن هذا التوجه يعود في الأصل إلى العالمين الكنديين فيني ودارليني، عند ربطهما الظاهرة بعلم أخرى تتعدى المنظور اللساني البحث. صحيح أن كاتفورد أثبت ضرورة التأسيس لنظرية للترجمة تكون قائمة على أساس المعنى، غير أنه ارتكز على المفاهيم اللسانية لدراسة الدلالة خاصة فيما يتعلق بالتكافؤ الذي تناوله أيضاً من المنظور التداولي.

ب. موانان: خصص جورج موانان في كتابه "المسائل النظرية في الترجمة" (Mounin, 1963) اللسانيات العامة المعاصرة كإطار مفهومي مرجعي لدراسة الترجمة فهي اتصال بين اللغات وحدث ثنائي اللغة، حتى أن بنية المؤلف تظهر التوجه اللساني له من خلال التمييزات الثنائية التي تذكرنا باللسانيات العامة، فتوزعت أبواب الكتاب على النحو الآتي:

1. اللسانيات والترجمة.
2. العقبات اللسانية.
3. المعجم والترجمة.
4. رؤى العالم والترجمة.
5. تعدد الحضارات والترجمة.
6. علم التركيب والترجمة.

وعلى الرغم من أن دراسات موانان المنطوية على الثنائيات تدرج بقوة وبشكل واضح علم الترجمة في ميدان اللسانيات بعامة والبنويي بخاصة، فإن أفكاره ترسخ قناعة القارئ بأهمية نظرية العلامة في مادة الترجمة في فتح آفاق نحو مرجعيات سيميولوجية لتأطير العملية الترجمية. وفضلا عن معرفة اللغة-الأصل التي ينبغي ترجمتها، يتعين على المترجم أن تكون معرفته معمقة بالخصائص الثقافية المفترضة والضمنية للمجتمع الذي أنتج له النص، لذلك ينادي البعض مثلا بالسفر إلى بلد اللغة-الأصل، حتى تكون السيطرة على المضمون الدلالي للمفوضات اللغوية المحضة من جهة، ومجموع السمات الدلالية الملازمة الخاصة بالوضعيات التي يحيل إليها الملفوظ من جهة ثانية (Mounin, 1963, p. 268).

2.2. المقاربة السوسiolسانية

ظهرت النظريات السوسiolسانية نتيجة لتأثر اللسانيين بالدراسات التي قام بها ليفي ستراوس ومالينوفسكي حول الأنتروبولوجيا حيث جلبا اهتمامهما إلى البعد الثقافي الذي يكتسبه المعنى اللغوي من حيث دراسته في إطار اجتماعي وثقافي. ومن بين أهم من اشتغل على الجانب السوسiolساني للترجمة نذكر أوجين نيدا، وكذلك موريس بيرني الذي ألف كتابا خصّه للأسس السوسiolسانية للترجمة.

أ. أوجين نيدا: بعد الحرب العالمية الثانية، ظهرت الحاجة إلى دراسة علمية لمشاكل الترجمة نتجت عن ضرورة ترجمة الإنجيل، وهو ما قامت به الجمعية الأمريكية للإنجيل، وعلى رأسها المدير أوجين نيدا وهو عالم اللسان الذي حرّر عددا كبيرا من المقالات والمؤلفات حول مشاكل الترجمة وحلولها. وظهر ذلك من خلال كتابه « Towards a Science of Translation » الذي ألفه سنة 1964.

تقوم النظريات السوسiolسانية حسب نيدا بربط البنى اللغوية بمستوى أعلى حيث يمكن النظر إليها بالنسبة لوظيفتها في الاتصال. فعندما يناقش عالم السوسiolغة نظاما ما يكون مهتما بشكل خاص بمؤلف هذا النص وخلفيته التاريخية والظروف المترتبة عن إنتاجه وتاريخ تأويله وهي عوامل تبدو واضحة في محيط الاتصال الاجتماعي. ويذكر نيدا الأعمال الآتية ويعتبرها الممثلة عن النظريات السوسiolسانية في الترجمة، نيدا (1964)، ونيدا وتابر (1969)، ونيوبرت (1968)، وكاد (1968)، وذيبرغر (1972)(1976, pp. 76-77) (Brislin).

ب. موريس بيرني: طمح بيرني في أن تقوم بدراسة الترجمة لسانيات تأخذ بعين الاعتبار جوانبها الاجتماعية والأنتروبولوجية. وقد قام موريس بيرني في كتابه "الأسس السوسiolسانية للترجمة" (Pergnier, 1993) بتوسيع منظور الترجمة. كما عمل على إدخال بعض المفاهيم الجديدة إلى هذا المجال. وهكذا تحدث في الفصل السابع من الكتاب عن الجانب الاجتماعي للعلامة مميزا بين الإيحاء والمعنى الحقيقي. ومن منطلقات توضيح جملة من المفاهيم

الأولية التي تخص الترجمة باعتبارها عملية ومقارنة ونتيجة، وتقريبها من مفهوم التواصل، خلص بيرني إلى أن المقارنة بين أي لغتين (وهو دور اللسانيات المقارنة) تتجلى أثناء الترجمة. فالترجمة ليست مجرد تحويل للدال (الصوتي والكتابي) وإنما هي عملية تدور في جميع المستويات اللغوية والاجتماعية. فلفهم كيفية ممارستها، لابد من فهم حدودها والظواهر التي تشركها. لابد إذا من المرور بلسانيات تتعامل مع الأنظمة اللغوية في وجودها التاريخي والاجتماعي وتأخذ كذلك في الحسبان العلاقة التي تربط المتكلمين بلغتهم.

3.2. مقارنة الأسلوبية المقارنة

إن كتاب الباحثين الكنديين فيني وداربلنيه Vinay/Darbelnet هو من الكتب المؤسسة في مجال الترجمة، صدر سنة 1958 بعنوان « Stylistique comparée du français et de la l'anglais »، حيث يعتبران فيه الترجمة التي هي مجرد فن عند البعض، علما دقيقا، يدرجانه في إطار اللسانيات (Vinay & Darbelnet, 1958, p. 24). وقد فضلا التركيز على جوانب الترجمة العلمية، ورفض إدراجها بين الفنون بداعي عدم استيعاب تقنياتها بعد. فالترجمة في رأيهما تعتبر علما مقارنا ملحقا باللسانيات، وممارسة تطبيقية للأسلوبية المقارنة. ومع ذلك فإن "العلامة اللسانية" تعدّ أولى المفاهيم التي تم تحديدها في المؤلف، وهذا في حدّ ذاته يمثل انزياحا من اللسانيات نحو السيميولوجيا التي أرسى سوسير قواعدها، وقد استوحيا منها بشكل واضح المفاهيم الأساسية. وإن كانت دراستهما لسانية في أساسها غير أنها على الرغم من ذلك اهتمت بعلم النفس والسيميولوجيا. ومن أهم المفاهيم التي تناولها بالدرس وحدة الترجمة (unité de traduction : UT) التي تشمل ثلاثة أجزاء: المعجم، والتركيب، والرسالة. كما تتأسس نظريتهما حول الترجمة على سبعة أساليب تقنية عملا على عرض تفاصيلها النظرية وتطبيقاتها العملية. ثلاثة منها مباشرة: الاقتراض، والمحاكاة، والترجمة الحرفية، وأربعة غير مباشرة²: الإبدال، والتطويع، والتكافؤ، والتصرف.

4.2. المقارنة النصية

يتمثل أساس المقارنة النصية في فرضية تسلم بإمكانية تحويل أي خطابٍ إلى نص "mise en texte"، مهما كانت طبيعته. ويتعين على كل ترجمة أن يسبقها تحليل نصي ولو على الصعيد التصنيفي لضمان الفهم وبعده التأويل. غير أن آفاق الدراسات النصية تتعدّد مما يعقّد التحليل الترجمي؛ فقد تشمل نمط النص، أو وظيفته، أو غايته، كما أن الترجمة قد تتحدّد بمعنى النص، أو سياقه أو إطاره أو أيديولوجيته (Guidère, 2010, p. 55). تسهم إذا الدراسات في مجال لسانيات النص في إثراء علم الترجمة المعاصر، وكثير ممن يشتغلون على الترجمة يتناولون النص باعتباره الوحدة الأساسية للترجمة، فحاولوا مثلا وضع تصنيف ترجمي للنصوص كما فعلت كاتارينا رايس Katharina Reiss التي انطلقت من الوظائف الأساسية للغة عند كارل بوهلر Karl Bühler³. ومن شأن هذه التصنيفات أن تحدد الاستراتيجية الخاصة لترجمة كل صنف على حدة. فكاتارينا رايس تنظر إلى النص، وليس إلى الكلمة أو الجملة، فهو المستوى الذي يتحقق عنده التواصل وينبغي للتكافؤ أن يتحقق على مستواه أيضا.

² لتفاصيل أكثر حول هذه الأساليب، ينظر: إنعام بيوض "الترجمة الأدبية: مشاكل وحلول"، منشورات *anep*، دار الفارابي، الجزائر، لبنان، 2003. وفي هذا المؤلف، قامت بيوض بعرض مفصل لتلك الأساليب في الشق النظري من الكتاب مع الاستشهاد على مدى التحليل بأمثلة فيني وداربلني وبأمثلة من المدونة ومن الجرائد والراديو والتلفزيون. ومن ثم عمدت في الشق العملي من الكتاب إلى استخراجها من ثلاث ترجمات لكتاب "النبي" لجبران خليل جبران، وهي ترجمات كل من ميخائيل نعيمة، وثروت عكاشة، ويوسف الخال.

³ كارل بوهلر هو عالم نفسي ولساني ألماني الجنسية تكلم عن وظائف اللغة في الثقافة الغربية سنة 1918م، وحددها بثلاث وظائف هي: الوظيفة التعبيرية الانفعالية المرتبطة بالمرسل، والوظيفة التأثيرية الانتباهية المرتبطة بالمخاطب، والوظيفة التمثيلية المرتبطة بالمرجع.

أما ماتيو غيدر فيمضي نحو إمكان استفادة الترجمة من سيميائيات نصية بتوظيف جملة من الأدوات المفهومية، وخاصة فيما يتعلق بالتميزات الآتية (Guidère, 2010, p. 59):

أ. التمييز بين "النص" و"النص المصاحب" و"السياق": فيتعلق "النص" بالأدلة اللغوية التي ينبغي ترجمتها، و"النص المصاحب" بمثابة المحيط المباشر لهذه الأدلة، و"السياق" باعتباره الخلفية الثقافية الاجتماعية التي يندرج فيها الكل.

ب. التمييز بين "القصة" و"الحبكة" و"الخطاب": يخص العنصر الأول عناصر القصة، والثاني الترتيب الزمني وتنظيم المقاطع (أو الأحداث)، ويخص الثالث الكيفية التي تنظم من خلالها القصة والأحداث من الناحية اللغوية.

ج. التمييز بين "الجنس الأدبي للنص" و"النمط" و"النموذج": يشير العنصر الأول إلى الفئة العامة التي يحيل إليها النص كالترجمة السمعية البصرية. والثاني إلى الطبيعة الخاصة للنص المراد ترجمته، كالنص الحجاجي، الإخباري... ويعتبر الثالث نموذجا يفيد كمرجع ضمني للنص، فموليير مثلا هو نموذج بالنسبة للنصوص المسرحية.

5.2. مقارنة تحليل الخطاب

تركز مقارنة تحليل الخطاب على فهم الخطاب والمضمون اللغوي والعوامل السياقية والثقافية، كما تهدف إلى تحليل هذه الجوانب الدلالية والسياقية والثقافية للنصين المصدر والهدف، ودراسة الغرض المقصود من الخطاب.

أ. باسل حاتم وإيان ميسون: يبدي المؤلفان في كتابهما "الخطاب والمترجم" (حاتم و ميسون، 1998) رغبتها في تقليص الفجوة التي تفصل منذ وقت طويل النظرية عن التطبيق. ويعرف المؤلفان النص على أنه مداولة تواصلية (communicative transaction) تحدث في إطار اجتماعي معين. وعلى هذا الأساس، تعتبر الترجمة في رأيهما خطابا تواصليا ناتجا (Product) بدلا من اعتبارها عملية (Process) (ينظر: حاتم وميسون، 1998، ص 4). ولكل هذه الاعتبارات تعدّ الترجمة "عملية تواصلية تحدث في سياق اجتماعي معين" (حاتم و ميسون، 1998، صفحة ن). وقد أعطى المؤلفان نموذجا لتواصل يقوم على ثلاثة أبعاد اعتمادا على ما يسمونه بلغة الموقف⁴ (Register) فهي: "تشغل القارئ في عملية إعادة بناء السياق Context من خلال تحليل ثلاثة عناصر: للموضوع الذي يعالجه النص (حقل النص Field) ولنوع علاقة المشاركين فيه (رسمية أسلوب النص Tenor)، وللوسيلة التي اختيرت لنقل الرسالة (الوسيلة اللغوية Mode) وهذه العناصر الثلاثة - بعضها مع بعض - تشكل مداولة تواصلية communicative transaction - أي أنها توفر الشروط الأساسية لحدوث عملية التواصل" (حاتم و ميسون، 1998، صفحة 83). وقد قام المؤلفان بدراسة هذه الأبعاد الثلاثة: التواصلية والتداولية والسيميائيات بالتفصيل، كلّ واحدة على حدة.

ب. جان دوليل: كرس المنظر الكندي جان دوليل Jean Delisle بدوره مؤلفا لتحليل الخطاب كمنهج للترجمة « L'analyse du discours comme méthode de traduction » حيث بين عجز دراسة اشتغال اللغات عن تفسير سيرورة الترجمة بإهمالها المكملات المعرفية. كما أن طرائق الترجمة التي تعتبر هذه الأخيرة منتوجا فقط لا يمكنها أن تكون إجرائية لحظة التحول الدلالي ولا تسهل تحليل الخطاب ولا إعادة البناء. وبذلك تكون طريقة الأسلوب المقارن وصفية ومعيارية وتنتمي إلى اللسانيات، في حين أن طريقة المترجم تأويلية وتواصلية وتنتمي إلى علم النص الذي يجمع بين تحليل الخطاب وعلم الاتصال (Delisle, 1984, p. 94). ويتمثل جوهر عملية الترجمة لدى دوليل في استخلاص

⁴ نقل المترجم اللفظ الأجنبي Register بلغة الموقف وهو ما نفضل ترجمته بالسجل.

المعنى وإعادة التعبير عنه، فالمرجم يؤول المعنى الكامل للعبارة للتعبير عنه من جديد، انطلاقاً من النظرية التأويلية لدى سلسكوفيتش. ويزر في هذه العملية ثلاث مراحل نعرضها على النحو الآتي: أولاً فهم العبارة في النص الأصلي من خلال تمييز العلامات اللغوية واستخراج المعنى، وتمثل هذه المرحلة مرحلة التأويل الأول. أما المرحلة الثانية وهي مرحلة إعادة التعبير وفيها تحدث العملية التناظرية بين النصين، فيعمل على تشغيل المفاهيم، وتقديم الحلول الأولية. وفي المرحلة الأخيرة، وهي مرحلة التحليل التأكيدي أو مرحلة التأويل الثاني، فتخص النص-الهدف وفيها يقدم المترجم الحل المصحح انطلاقاً من تقييم الصيغ المختارة للترجمة من حيث مقبوليتها ومن حيث المعنى أو الدلالة و... واستبعاد الصيغ غير الصحيحة، ويتم كل ذلك بالاعتماد على خبرته ومهارته (ينظر: كوميساروف، 2010، صفحة 219 - 220).

6.2. المنحى السيميائي في تناول الترجمة

تعنى السيميائيات كعلم، في طور الإنجاز، بالعلامات والمعنى وأنظمة الدلالة. وإذا كانت تهتم بالعلامة، والموضوع، والمؤول، فهي تشترك مع الترجمة باعتبارها تأويلاً لنصوص أو خطابات بصفة عامة، ذات سياق لغوي و/أو ثقافي و/أو اجتماعي مختلف. وقد عرف البعض السيميائيات بتعريفات مختلفة. فبالنسبة لمحمد حجو: "السيميائيات علم يدرس المعنى، أي الأنساق الدالة سواء في الطبيعة أو المجتمع" (حجو، 2012، صفحة 25)، ويضيف كذلك: "مفهومنا للسيميائيات ينطلق من كونها لغة واصفة (=ميتالغة) مبنية بناء صوريا تحصل به الكفاية التأويلية" (حجو، 2012، صفحة 25). بينما يقول حسين خمري: "السيميائية ممارسة تسعى إلى إنتاج الدلالة أ وإلى وصفها والقبض على خصوصيتها النوعية" (خمري، 2005، صفحة 201). ولما يتعلق الأمر بالانتقالات السيميائية، تقول سوزان باسنت: "إن التحويلات السيميائية هي استبدال للإشارات التي ترمز رسالة ما بإشارات لرمز آخر، مع المحافظة (قدر الإمكان في مواجهة ضوابط ضياع المعنى) على المعلومات الثابتة المتعلقة بنظام الإشارات المعطى" (باسنت، 2012، صفحة 42).

حاول العديد من المجتهدين الاستعانة بالسيميائيات لتفسير الظاهرة الترجمية وذلك بتوسيع مفاهيم الترجمة وجعل آفاق درسها أكثر شمولاً بما يتجاوز البعد اللغوي الكلاسيكي، فينبغي "توسيع فكرة تكوين المترجم ليستوعب البعد السيميائي باعتبار الكفاءة السيميائية مكوناً لا يعضد الكفاءة اللغوية وأحياناً تكون هذه الكفاءة بديلاً كاملاً عن الكفاءة اللغوية" (حضري، 2015، صفحة 271). فالمرجم - فيما يتعلق بالمرسلة الإشهارية مثلاً - سواء أكان موظفاً لقراءة الرسائل أو بثها، يحتاج في الحالتين معاً إلى كفاءة تحليل أو تشفير سيميائية (ينظر: حضري، 2015، صفحة 271).

"بما أن الترجمة هي ممارسة لغوية إنسانية من الدرجة الأولى فإنها تشكل موضوع مقارنة سيميائية يمكن أن تطبق عليها إجراءاتها وآلياتها وتتخذ منها مجالاً للمعاينة والتحليل" (خمري، 2005، صفحة 203). وكما في كل العمليات السيميائية، فإن للترجمة بعدها العملي أيضاً. وتميل نظرية الترجمة لأن تكون معيارية، ولتعطي المترجمين تعليمات حول الحل الأمثل (ينظر: باسنت، 2012، صفحة 65).

تأسست المقاربات السيميائية في علم الترجمة متجاوزة في تناولها للفعل الترجمي البعد التقليدي، إذ لا مجال لفصل ذلك النشاط عن صعيديه اللغوي والثقافي. وقد اهتم مختلف المختصين بهذا التوجه كاللسانيين، مثل رومان جاكسون، ومنظري الترجمة، أمثال: جان روني لادميرال وجدعون توري وإثمار أفين زوهار، والسيميائيين أمثال: يوري لوتمان، بيتر توروب، وأمبرتو إيكو، وغيرهم.

2. نظريات الترجمة

تشكل نظريات الترجمة مجموعة من الأفكار والمفاهيم والتوجهات النظرية المختلفة لعملية الترجمة وتفسيرها وقد يركز بعضها على المستوى اللغوي، أو المستوى الثقافي، أو التوجه الوظيفي، أو الخلفية المعرفية، أو الوظيفة التواصلية، وغيرها، وتهدف كلها إلى وصف أو شرح أو نمذجة النص المترجم أو عملية الترجمة.

1.2. النظرية التأويلية:

طوّرت النظرية التأويلية أو كما تعرف كذلك بنظرية المعنى -للمؤسستين ماريان لودوير ودانिका سلسكوفيتش- بالمدرسة العليا للترجمة والمترجمين بباريس E.S.I.T. تقابل النظرية التأويلية المعنى بالدلالة، فالمعنى ينتمي إلى الخطاب، في حين أن الدلالة اللغوية تتعلق بمعنى اللفظ خارج نطاق الاستعمال. ومع أن المعنى يعتمد هنا على الدلالة اللغوية غير أنه يتجاوزها ليشمل مجمل النص وهذا يساهم بفهم مقصد (vouloir-dire) الكاتب؛ فالمعنى ليس معطى قبليا ثابتا، بل سيرورة تنبني مع القراءة. وتعرف كل من ماريان لودوير ودانिका سيليسكوفيتش المعنى في كتابهما "التأويل سبيلا إلى الترجمة على النحو الآتي:

"معنى (sens): الكلمة المفتاح في النظرية المعتمدة على الفهم والاستيعاب. بالنسبة إلى المترجم، المعنى هو حصيلة التقاء الدلالات اللغوية بالمكملات المعرفية السديدة لمقطع من النص أو من خطاب.

ينتج المعنى من انعتاق السلسلة الصوتية (أو الخطية) من الألفاظ عند لحظة انصهار المعارف اللغوية في المكملات المعرفية. والمعنى ينسجم مع حالة ذهنية وهو في آن معرفي وانفعالي" (لودوير، و سيليسكوفيتش، 2009، صفحة 266).

كما أنه:

"غائية اللغة، وهو العنصر المركزي للعلاقات بين الناس والمعنى، مبتدلا أو معقدا، هو أيضا موضوع الترجمة" (لودوير، و سيليسكوفيتش، 2009، صفحة 33).

يتبين من التعريف الأول أن المعنى لا تحدده اللغة فحسب بل يعتمد كذلك على مكملات معرفية تتحدد في السياق اللفظي، والسياق المعرفي، والزاد المعرفي، والمقام (ينظر: جوهري، 2003، صفحة 65)، لتتجاوز بذلك وحدة المعنى -وهي أحد المفاهيم الأساسية لفهم النظرية التأويلية- المفهوم السائد لدى الأسلوبيين المقارنين والقاضي بأنها مجرد تقطيع نحوي لغوي لوحداث تركيبية إلى نتيجة تركيب لبعض الكلمات الموجودة في الذاكرة ولبعض التجارب أو الذكريات المعرفية القبلية (ينظر: جوهري، 2003، صفحة 65). وتتوالى هذه الوحدات وتتداخل في ذهن المترجم وتفضي إلى معنى عام لتتحول بعد ذلك إلى معارف غير لفظية كلما اندمجت في وحدات أكبر (ينظر: لودوير، 2012، صفحة 35).

ويجدر بنا أن نشير في هذا المقام إلى أن التصور التأويلي للترجمة نهض على الخلفية المعرفية الخاصة بالإدراك والذكاء في دراسات عالم النفس والفيلسوف السويسري بياجيه Piaget، وبحوث حول الذاكرة. فتجاوز بذلك التأويليون المقارنة اللسانية الثنائية بين لغة الانطلاق ولغة الوصول، وأسسوا نموذجا ثلاثيا للترجمة يشمل: الفهم (compréhension)، والانعتاق من اللفظ (déverbalisation)، وإعادة التعبير/الصياغة (/ réexpression reformulation):

فهم المدلول (اللغة) ← فهم المعنى خارج اللغة (déverbalisation) ← إعادة الصياغة

يشمل فهم النص الشق اللغوي أي ظاهره وكذلك المضمرة منه ويستعان في ذلك بالمكملات المعرفية حتى يقترن المعنى الذي أدركه المترجم بمقصد المؤلف. في حين أن الانعتاق أو التجرد من اللفظ يتعلق بالعملية العقلية التي يحافظ عن طريقها أي متلقي لمعنى معين على مفهوم لا يعكس بالضرورة الكلمات المقروءة أو المنطوقة، فيكون معنى النص بذلك نتيجة دمج المعاني اللسانية للكلمات والجمل لهذا النص مع العناصر غير اللسانية المسماة بالمكملات المعرفية الملائمة، فبنى الترجمة على مستويات ثلاثة: مستوى اللغة الخاص بمعنى الكلمات خارج السياق، ثم مستوى الكلمة الخاص بالسياق اللفظي لجملته معينة، وأخيرا مستوى الخطاب المتعلق بمعنى النص كله مع إشراك العناصر غير اللغوية (ينظر: خليل، 2015، الصفحات 55-57). وتكون في الأخير مرحلة إعادة الصياغة كخطوة أخيرة في مسار الترجمة بعد مرحلتي الفهم وتحصيل المعنى وفيه يبرز عمل المترجم الفعلي وأثره فيتقمص في هذه السلسلة دور الكاتب أو المؤلف أي منتج النص الأصلي فينقل مراد قول كلماته ونصه والقصد منها.

يتعين على المترجم إذا أن يتمتع بثلاث مهارات تتداخل وتتقاطع لتولد مهارة أوسع هي المهارة الموسوعية التي يمكن أن تلخص في المعرفة، وهذه المهارات تحدد في المهارة اللغوية، والمهارة النصية، والمهارة الثقافية. ويفترض التأويل تحريك الموسوعة المعرفية لدى كل من القارئ والمترجم؛ الترجمة باعتبارها في الواقع مسعى تأويليا، عملية ذهنية وإدراكية تتطلب ثقافة موسوعية، واجتهادا خاصا، وممارسة فعلية، فلا بد من إدراك أبعاد النص وخلفياته لاستيعابه وضبطه ثم تأويله (ينظر: شادلي، 1995، الصفحات 45-49).

ومجمل القول، بالإمكان تلخيص الإطار المفهومي لهذه النظرية على النحو الآتي: "هي نظرية تعتمد على فهم مقصد المؤلف ومحاولة إيصال هذا المعنى إلى المتلقي في اللغة-الهدف. ليست اللغة وحدها إذا هي محور الترجمة وفقا لهذه النظرية، بل ما تحويه الأشكال اللغوية من معنى ظاهر وضماني. التأويل هنا لا يعني التحوير وإنما هو محاولة لتحصيل معنى قد يكون كامنا وراء الأشكال اللغوية" (لودورير، و سيليسكوفيتش، 2009، صفحة 267). وبذلك لم تعد الترجمة مسألة نقل من لغة إلى أخرى، بل هي نشاط تأويلي للجزء المدرك من الخطاب قبل إعادة صياغته، فتشكل بذلك تمرينا تأويليا وتحليلا للخطاب، يسمح باستيعاب حركية التحويل الدلالي والعمليات الذهنية (ينظر: جوهري، 2003، صفحة 62).

2.2. نظرية الفعل

وتعرف أيضا بالترجمة الوظيفية والتواصلية، تطوّرت على يد جوستا هولز-مانتاري Justa Holz-Mäntari (1984)، تعتبر الترجمة أولا عملية تواصل ثقافي بيني، وهي أداة تفاعل يحتل فيها المترجم دورا مركزيا كعامل اقتصادي يحقق التواصل بين الخبراء والزبائن. استندت هولز-مانتاري بشكل رئيس إلى نظرية الاتصال لتطوير المفهوم البراغماتي للترجمة. يقوم الهدف الأول لهذه النظرية على تشجيع الترجمة الوظيفية (المهنية) التي تسمح بتخفيف الصعوبات الثقافية التي تمنع التواصل بشكل فعال.

هناك مجموعة من الأدوار الاجتماعية تحدّد مجمل عمل المترجم بحسب هولز-مانتاري، منها: محرّك الترجمة، والجهة الطالبة للترجمة، ومنتج النص المصدر، والمترجم، والقائم على تطبيق النص الهدف، والمتلقي النهائي، والناشر.

فالمترجم مجرد ناقل ينشئ تواصلا معيناً في لحظة معينة وفقاً لهدف معين. فالترجمة توصف بأنها صفقة تواصلية تشمل على المنشئ والمفوض والمنتجين والمستخدمين ومتلقي النص الأصل والنص الهدف. ويضع هذا النموذج الترجمي الترجمة التجارية المهنية ضمن سياق اجتماعي ثقافي.

يمكن القول أن نظرية الفعل الترجمية تركز بقوة على قارئ النص الهدف، وهي في الحقيقة مجرد إطار لإنتاج نصوص مهنية بصيغة متعددة اللغات. ويتحدد عمل (فعل) المترجم بالرجوع إلى وظيفته والهدف الذي يرسم (ينظر: غيدر، 2015، الصفحات 135-137).

3.2. نظرية الهدف أو الغائية (Guidère, 2010, pp. 74-76)

استخدمت الكلمة اليونانية *skopos* لتدلّ على نظرية بدأت في ألمانيا على يد هانز فيرمير Hans Vermeer مع نهاية السبعينيات. من بين مؤسسيها كذلك: كريستين نور Christine Nord، ومارغريت أمان Margaret Amman. انطلق فيرمير من فرضية أن مناهج الترجمة واستراتيجياتها تتحدد بشكل أساسي من خلال الهدف الذي نسعى إليه من وراء ترجمة النص. وبالتالي ألصقت بها صفة "الوظيفة". وهي وظيفة لا يقزرها المؤلف الأصلي للنص المصدر، وإنما هي وظيفة استقبالية يتم إلحاقها بالنص الهدف، وترتبط بطالب الترجمة.

كتب فيرمير سنة 1984 بالاشتراك مع المترجمة كاتارينا رايس Katharina Reiss كتاباً سميها: « Groundwork for a general theory of translation » "الأساس لنظرية عامة للترجمة" توصل فيه إلى تحديد الطريقة التي تعمل نظريته من خلالها وتوسيع إطارها الدراسي ليشمل حالات من الممارسات. هي إذا نظرية تمكن المترجمين من وضع ترجمات تأخذ بعين الاعتبار النص الأصلي من جهة، والنص الهدف من جهة أخرى. وترتكز على الغاية المرجوة، وهدف الترجمة النهائي هو الذي يحدد للمترجم سلفاً الإستراتيجية التي ينبغي عليه أن يتبعها. هذه الترجمة يحددها الزبون أو طالب الترجمة وفي غياب ذلك، يحد المترجم إستراتيجيته الخاصة من خلال وضع الهدف مسبقاً.

إن اختيار المعلومات وهدف التواصل غير محددين مصادفة، بل يرتبطان بحاجات المتلقين وتوقعاتهم في ثقافة الاستقبال، وهذا هو هدف النص *skopos*. وقد يكون الهدف متشابهاً أو مختلفاً بين اللغتين:

أ. إذا بقي الهدف متشابهاً، يتحدث كل من فيرمير ورايس عما يسميانه "الاستمرارية الوظيفية" (permanence fonctionnelle)، ومبدأ الترجمة في هذه الحالة هو "التماسك النصي" (textuelle cohérence).

ب. إذا اختلف الهدف، فالحديث يكون عن "تغير وظيفي" (variance fonctionnelle)، ومبدأ الترجمة هو "الملاءمة مع الهدف" (l'adéquation au skopos).

وتبقى نظرية الهدف أحد الأطر المفهومية الأكثر تجانساً، والأكثر تأثيراً في علم الترجمة.

4.2. نظرية اللعب أو اللعبة (Guidère, 2010, pp. 141-143)

وضع النظرية عالم رياضي مجري جون فون نيومان John Von Newman. وتهدف هذه النظرية عموماً إلى دراسة سلوك شخصين أو أكثر ممن تتضارب مصالحهم كما لو كانوا أطرافاً في لعبة تنافسية. هدفها إذا هو تحقيق أعلى

قدر من المكاسب، والتقليل من حجم الخسارة. وتتحدّد الخطوط العريضة لهذه النظرية في كتاب ألفه نيومان مشاركة مع أوسكار مورجنستورن Oscar Morgenstern "Theory of Games and Economic Behaviour".

طبقت هذه النظرية على مختلف النشاطات البشرية بما فيها النشاط الترجمي. فقد جذبت هذه النظرية اهتمام المختصين بالترجمة لا سيما جيرى ليفي Jiri Levy (1967) "Translation as a Decision Making Process"، الذي اقترح تطبيقا جديدا للوصول إلى الحدّ الأقصى من التأثير ببذل أدنى حدّ من الجهد في مهمّة الترجمة (تقليل سقف الخسارة). ويعرف ليفي مشكلة الترجمة بأنها موقف، ثمّ يقوم بوضع عدد من التوجيهات للتعامل مع ذلك الموقف.

وقد قارنت ديندا غورليه Dinda L. Gorlée (1993) "Semiotics and the Problem Translation with Special Reference to the Semiotics of Charles S. Peirce"، لعبة الترجمة باللغز، والهدف فيها العثور على أفضل الحلول المناسبة لقواعد أقرتها لعبة معيّنة. وتنطوي الترجمة شأنها شأن اللعبة على جزء هام من الغموض بسببها وإيجابياتها، غير أن الأمر لا يتعلّق بالريح أو الخسارة إنّما بالنجاح أو الفشل في إيجاد أمثل الحلول.

وتكمن نقاط ضعف هذه النظرية في كونها لا تهتم بالعوامل الانفعالية، والنفسية، والأيدولوجية التي قد تدخل في مسار الترجمة خاصّة فيما يتعلّق بأنماط بعض النصوص، فالمرجم بالنسبة لهذه النظرية يتصرّف بشكل عقلائي. ولا يعينها كذلك النواقص الخاصّة بتكوين المترجم ومعلوماته الخاصّة بالنص. كما أن مفهوم "الإستراتيجية" لا يطبّق على الترجمة، لأن المترجم غير متحكّم في مجمل العملية؛ فهو ليس مؤلّف النص المصدر، وليس المتلقّي الوحيد للنص المترجم، ولهذا يفوته جزء كبير من تأويل الترجمة. وتحتاج فكرة الإستراتيجية للمزيد من التعديلات في نظرية الترجمة حتى تتناسب مع مستوى التحليل الإستراتيجي من جهة، ومستوى المترجم كقارئ وككاتب من جهة أخرى.

5.2. نظرية النسق المتعدّد

ممثلة في رائدين هما "إثمار افين زوهار" Itmar Even Zohar و"جدعون توري" Gideon Toury اللذان طورا منهجا يعمل على تطبيق الأدوات والإجراءات السيميائية على الترجمة. تهتم هذه المجموعة بتحليل النصوص المترجمة، والتفكير النظري حول تحليل الترجمات على حد سواء. نجد لهذه المدرسة أتباعا في عدة دول لاسيما بلجيكا مع لامبرت (Lambert، الخ.)، وكندا مع بريسي (Brisset، الخ.)، كما تم تطوير تيارات مثلها تهدف إلى نظرية "ثقافية" للترجمة في ألمانيا والنمسا.

أسس زوهار ما يعرف بنظرية النظام المتعدّد (théorie du polysystème) في سبعينيات القرن الماضي، ثم التحق به بعد ذلك زميله جدعون توري Gideon Toury. وتؤمن هذه النظرية بوجود نظم (أنساق) ثقافية وأدبية متعددة ومتداخلة ومتفاعلة داخليا وخارجيا، وأي عمل أدبي إنما يُدرس بوصفه جزءا من الإطار الاجتماعي والثقافي والأدبي والتاريخي للغة المعنية. وقد طبق هذه النظرية على الترجمة باعتبارها نشاطا معقدا وديناميا يحكمه بالأحرى نظام من العلاقات بدل ما هو متعارف عليه من معايير ثابتة تحددها اللسانيات المقارنة، فيكون الأدب المترجم بذلك جزءا من النظام الاجتماعي والثقافي والأدبي والتاريخي للغة-الهدف. وتمثل نظرية النظام المتعدّد تطورا مهما لدراسات الترجمة، بفضل ما تنطوي عليه من مزايا عدّة حسب غينترلر (ينظر: مندي، 2010، صفحة 155):

1. يُدرس الأدب ذاته إلى جانب القوى الاجتماعية والتاريخية والثقافية؛

2. يبتعد ايفين زوهار عن الدراسة المنفردة لنصوص معزولة ويتجه نحو دراسة الترجمة ضمن النظم الثقافية والأدبية التي تعمل فيها الترجمة؛

3. يسمح التعريف غير التقني للتكافؤ والملاءمة بالتباين تبعاً للوضع التاريخي والثقافي للنص.

حاول بعد ذلك توري تطوير نظرية عامة في الترجمة، ودعا إلى تجاوز المحاولات الفردية المتفرقة. وقد ركز اهتمامه على علم الترجمة، وطبيعة الترجمة، وإنشاء فرع وصفي لها. ومع أن دراساته تركزت على ترجمة الأدب، غير أنه يرى بأن نتائجها لا تطبق على المجال الخاص بالأدب، بل تخص دراساته الترجمة عامة، كنمط من النشاط السيميائي والنتاج السيميائي، لأنه يؤسس لمسعاها الترجمي انطلاقاً من علم للعلامات: السيميائيات التي تحتل مكانة مهمة في مؤلفه *In Search of a Theory of Translation* "في البحث عن نظرية للترجمة": "معظم أعمال المؤلف الحالية في دراسات الترجمة، على المستويين النظري والمنهجي، وكذلك جميع حقول الدراسات التي يشتغل عليها، قد تم تنفيذها مع اهتمام خاص بالترجمة الأدبية. ومع ذلك، فهو يرى أن معظم الآليات التي تم التعامل معها لا تتعلق بهذا النوع المحدد من الترجمة وحدها، وإنما بالترجمة بشكل عام كنوع من النشاط والنتاج السيميائي" (Özben, 1998, p. 11).⁵

⁵ Gideon Toury, *In Search of a Theory of Translation*, The Porter Institute for Poetics and Semiotics, Tel Aviv, 1980, p 7, in R. Tunç Özben, "Critical Re-evaluation of Gideon Toury's Target-Oriented Approach to "Translation" Phenomena", Thesis submitted to the Institute of Social Sciences in partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of Arts in Translation, Boğaziçi University, Istanbul, 1998, p 11.

سعيًا من خلال هذا البحث انطلاقًا من تصريحات مباشرة وتلميحات من هنا وهناك إلى تجميع بعض العناصر من أجل دراسة وصفية للدراسات الترجمانية، أو فيما عرف بعد ذلك بعلم الترجمة، وكيف شكّلت محور اهتمام للعديد من المختصين في مجالات متعدّدة ومختلفة كاللسانيات، والسيميائيات وغيرها من العلوم المعرفية، أمثال كاتفورد، ومونان، ونيدا، وبيرنبي، وباسل حاتم وإيان ميسون، ودوليل، وفييني وداريلني وغيرهم.

انطلقت أغلب المقاربات التي اتخذت من نشاط الترجمة ميدانًا للبحث والتحليل من اللسانيات، مثل: المقاربة اللسانية، والسوسولوجانية، والأسلوبية المقارنة، وتحليل الخطاب، ولسانيات النص، ورغم أهميتها غير أنها ليست كافية لتحليل الظاهرة. ومع ذلك تشكل الأسس النظرية لعلم الترجمة. فهي مهّدت لظهور مجموعة من النظريات التي عملت على استقلاليتها عن العلوم الأخرى، مثل: النظرية التأويلية، ونظرية الفعل، ونظرية اللعبة، ونظرية الهدف، ونظرية النسق المتعدّد.

تتشارك كلّ من المقاربات والنظريات في تعاملها مع اللغة كمنظومة رمزية وكتركيب وكدلالة، وفي إدراك الترجمة كعملية ونتيجة في آن واحد، فعرّجت جميعها على التكافؤ والتأويل ومسألة المعنى، وقابلية الترجمة أو تعذّرها، والأمانة والخيانة، والجودة، وأهدافها وبواعثها، وعلاقتها بالأنظمة الاجتماعية والثقافية والأدبية وغيرها.

قد تحيل وحدة الترجمة إلى أصغر العناصر كما قد توافق أكبرها حسب حاجات التحليل والسياق. فتشكل الجملة بذلك إذا وحدة ترجمية، كما قد يكون النص كذلك، وقد يتجاوز الأمر النص إلى الأنظمة التي ينتمي إليها، ويختلف ذلك إذا باختلاف المنظور أو زاوية الدراسة وتناول الموضوع، وهو ما يبرر أصلا المقاربات والنظريات المختلفة لتناول ظاهرة الترجمة. وإذا كان دور الترجمة بوصفها فعلا معرفيًا ونشاطا مبدعا هو نقل المعنى من لغة إلى أخرى فإن هذا الفعل المعقّد يحتاج تكاملها جميعها لوصف هذه الحركة وتحليلها.

المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية:

- شادلي، م. (1995). إشكالية التأويل والترجمة في ضوء سيميائيات التلقي. الترجمة والتأويل. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. سلسلة ندوات ومناظرات رقم 47.
- باسنت، س. (2012). *دراسات الترجمة*. ترجمة فؤاد عبد المطلب. منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب.
- بيوض، إ. (2003). *الترجمة الأدبية: مشاكل وحلول*. منشورات anep. دار الفارابي.
- جوهري، أ. (2003). *منهجية الترجمة: المقارنة والتأويل*. مطبعة الجسور.
- حاتم، ب.، ميسون، إ. (1998). *الخطاب والمترجم*. ترجمة عمر فايز عطاري. مطابع جامعة الملك سعود.
- حجو، م. (2012). *الإنسان وانسجام الكون: سيميائيات الحكيم الشعبي*. ط. الدار العربية للعلوم ناشرون. دار الأمان. منشورات الاختلاف.
- حضري، ج. (2015). *سيميائية النصوص: عرض وتطبيق منهجي*. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- خليل، ل. (2015). "التحليل السيميائي لمدرسة باريس ونظرية الترجمة: مرحلة فهم الخطاب السياسي أنموذجاً. رسالة لنيل درجة دكتوراه علوم في الترجمة. معهد الترجمة. جامعة الجزائر 2.
- خمري، ح. (2005). *الترجمة والسيميائيات*. المترجم. العدد 12.
- غيدر، م. (2015). *مقدمة إلى الترجمة (علم الترجمة): تأملات في ماضي الترجمة وحاضرها ومستقبلها*. ترجمة قاسم المقداد. دار نينوى.
- لودوير، م.، سيليسكوفيتش، د. (2009). *التأويل سبيلاً إلى الترجمة*. ترجمة فايزة القاسم. المنظمة العربية للترجمة.
- لودوير، م. (2012). *الترجمة: النموذج التأويلي*. ترجمة فايزة القاسم. المنظمة العربية للترجمة.
- مندي، ج. (2010). *مدخل إلى دراسات الترجمة: نظريات وتطبيقات*. ترجمة هشام علي جواد. مراجعة عدنان خالد عبد الله. هيئة أبو ظبي لثقافة التراث.
- ناعوموفيتش، ك. ف. (2010). *علم الترجمة المعاصر*. ترجمة عماد محمود حسن طحينة. هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث.
- مراجع باللغة الأجنبية:

Brislin, R. W. (1976). *Translation application and research*. Gardner Press.

Catford, J. C. (1965). *A Linguistic theory of translation*. Oxford University Press.

Delisle, J. (1984). *L'analyse du discours comme méthode de traduction : théorie et pratique*, Editions de l'Université d'Ottawa.

Guidère, M. (2010). *Introduction à la traductologie : Penser la traduction hier, aujourd'hui, demain*. De Boeck.

I. International Century Congress for Social Sciences

Mounin, G. (1963). *Problèmes théoriques de la traduction*. Gallimard.

Pergnier, M. (1993). *Les fondements sociolinguistiques de la traduction*. Presses universitaires de Lille.

Toury, G. (1998) *In Search of a Theory of Translation*, The Porter Institute for Poetics and Semiotics, Tel Aviv, 1980, p 7, in R. Tunç Özben, "Critical Re-evaluation of Gideon Toury's Target-Oriented Approach to "Translation" Phenomena", Thesis submitted to the Institute of Social Sciences in partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of Arts in Translation, Boğaziçi University .

Vinay, J.-P., Darbelnet, J. (1958). *Stylistique comparée du français et de l'anglais*. Editions Beauchemin Ltée.

**THE BODY AND THE TENSIONS OF SOCIAL IDENTITY IN
THE CONTEMPORARY ALGERIAN NOVEL:
A GENDER READING IN THE
NOVEL “THE PASSION OF AN EASTERN FEMININE” BY FATIMA ZAHRAA
BATTOUSH**

Researcher. BRAHIMI Nawel

Dr. MOUATS Nadia

<http://dx.doi.org/10.47832/soci.con1-17>

Abstract:

The body then establishes a social subject for human stations through its long journey, and for the life of the individual, an anthropology, as it - the body - is the most prominent factor in construction and social classification, as it shows the perception of the social structures of the behavior of the individual and the group, and the various classifications that individuals occupy within the categories of society, which help to Comparing gender, starting from the principle of similarity and difference, all the way to achieving specificity and establishing belonging, which confronts the categories of fragmentation that specifically affect the feminine element as opposed to masculine centrality.

This study aims to know the foundations of gender classification between the two genders, and its social and cultural justifications at the level of gender duality (masculinity/femininity), under the umbrella of what is termed in modern social and cultural studies as (gender), and to know the effectiveness of the body after it as a distinguishing theme between the two genders in drawing The limits of this identity differentiation are at the social level for both parties

Keywords: Body, Social Identity, Culture, Gender, Contemporary Algerian Novel.

الجسد وتجاذبات الهوية الاجتماعية في الرواية الجزائرية المعاصرة: قراءة جندرية في رواية "شغف أنوثة شرقية" لفاطمة

الزهراء بطوش

الباحثة نوال ابراهيمي¹

د. ناديا موات²

الملخص:

يؤسس الجسد بعده موضوعا اجتماعيا لمحطات إنسانية عبر ارتحالها الطويل، ولحياة الفرد أنثروبولوجيا، إذ يعد – الجسد- أبرز عوامل البناء، والتصنيف الاجتماعي، حيث يُبين عن تصور البنيات الاجتماعية لسلوك الفرد، والجماعة، وعن مختلف التصنيفات التي يحتلها الأفراد ضمن فئات المجتمع والتي تساعد على المقارنة بين النوع بدءا من مبدأ التشابه والاختلاف، وصولا إلى تحقيق الخصوصية، وتثبيت الانتماء الذي يجابه مقولات التفتيت التي تمس خاصة العنصر الأنثوي في مقابل المركزية الذكورية.

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة أسس التصنيف الجنوسي بين النوعين، ومسوغاته الاجتماعية والثقافية على صعيد ازدواجية النوع (ذكورة/أنوثة)، تحت مظلة ما يصطلح عليه في الدراسات الاجتماعية والثقافية الحدائية ب (الجندر)، ومعرفة فاعلية الجسد بعده ثيمة مائزة بين النوعين في رسم حدود هذا التمايز الهوياتي على الصعيد الاجتماعي للطرفين.

الكلمات المفتاحية: الجسد، الهوية الاجتماعية، الثقافة، الجندر، الرواية الجزائرية المعاصرة .

¹ ID جامعة 8ماي 1945 قالمة ، الجزائر

nawelbrh88@gmail.com

Orcid : <https://orcid.org/0009-0002-1432-6100>

² ID جامعة 8ماي 1945 قالمة، الجزائر

mouatsnadia21@gmail.com

Orcid : <https://orcid.org/0000-0002-5589-0747>

المقدمة:

تتخذ الكتابة الروائية الجزائرية المعاصرة من الجندر Gendre وقضاياها أساسا من أسس البناء الفكري، بالتطرق إلى حيثيات علاقة الجسد بالنوع الاجتماعي، وبأدواره كتقسيم أولي للمهام، وكواقع -متشعب القضايا والمشكلات- محيل على الفاعلية، ومحقق لأهداف الكتابة على مستوى الطرح المعمق، حيث يكشف-الجندر- عن خصوصيات تشكيل الهوية الاجتماعية بين الجنسين، وتجاذباتها.

ويكشف موضوع الجندر بعده قضية سوسيو-ثقافية مركزية عن التعدد الهوياتي على الصعيد الاجتماعي، وعن تفوق هويات على حساب أخرى مما دفع بالطرف المستبعد للصراع من أجل إثبات الانتماء، والأحقية في الكينونة.

إن الهوية الاجتماعية تحدد معايير التصنيف الفردي وكيفياته على أساس تقاليد تحكم الفرد داخل الجماعات ولا تحكم شخصه وتصرفاته التنموية اتجاه الذات أو المعبرة عنها كانخفاض الشعور بتقديرها واحترامها، والثقة في النفس.

وتتعدى الهوية الاجتماعية إدراك الذات إلى التأسيس على معطياتها لإدراك الانتماء وما يحمله -المعطى الجديد- من خصوصيات هوياتية حققها الأفراد تدريجيا عبر مراحل ومحطات عايشوا فيها حقائق المشابهة وأرسوا حسبها حدود التميز في مجابهة وضع اجتماعي بعينه، ومن هنا تشكلت هويات اجتماعية متعددة بحسب الفئات الاجتماعية (فئة مهمشة، مثقفة)، والجنسية (ذكورة، أنوثة)، والعرقية، والمستوى الفكري والثقافي للعينة (الفرد)، فضلا عن أعراف وسنن البيئة المصنفة (المجتمع).

ويدخل الجسد في تطوير الفاعلية الاجتماعية للفرد وتنظيم علاقاته وممارساته وتحديدها بسماتها الثقافية التي تعد جزءا لا يتجزأ من الهوية الاجتماعية، فأعراب الفرد عن تواجده، وانتمائه، وعلاقاته مع الآخر داخل المؤسسة الاجتماعية (الأُسرة، المجتمع الخارجي، البيئة الاقتصادية) شكل من أشكال الممارسات الإدراكية للنوع والتي تمارسها مختلف الشرائح داخل الشبكات المنتمي إليها.

إشكالية الدراسة:

إن تباين الهويات الاجتماعية ينتج لا محالة تصنيفا جنوسيا حاملا لخصوصيات كل نوع، بيد أن هذا التصنيف في حقيقته بعيد كل البعد عن الموضوعية والمنطقية في تحديده للهرميات الاجتماعية التي تتموضع فيها كل من المرأة، والرجل، ولأننا نحاول الوصول لفهم دقيق لصدى التجاذبات الهوياتية للجسد في المنجز الروائي المعاصر، نصوغ الإشكالية الآتية:

كيف يكشف الجسد عن قضايا الهوية الاجتماعية للفرد في الكتابة السردية الجزائرية المعاصرة؟

هدف الدراسة:

يتلخص هدف الدراسة بالأساس في البحث عن العلاقة بين الجسد بعده ثيمة اجتماعية، وثقافية، وموضوع الهوية الاجتماعية بعدها مطلبا فرديا، وجماعيا للجنسين، من منطلق أن الأنوثة والذكورة تعتبر في ذاتها صفة وعنصرا اجتماعيا وثقافيا مميزا ومميزا.

فرضيات الدراسة:

نقدم في هذه الدراسة جملة من الفرضيات مفادها:

- الواقع الإنساني واقع يستنزفه الصراع المؤسس على التجاذبات الجندرية.
- يساهم الجسد في تشكيل، وتحقيق الهوية الاجتماعية، حيث يدخل الجسد كعنصر فاعل ومنتج للهوية الاجتماعية.
- احترام الذات لا تدخل كفرضية أساسية في نظرية الهوية الاجتماعية.
- التماثل أو التمايز الجسدي أساس تحديد الهوية الاجتماعية للنوع.

منهج الدراسة:

من خلال اعتمادنا لآليات المقاربة الجندرية نحاول رصد تمثيلات الهوية الاجتماعية من منظور فردي وجمعي، والدور الذي يلعبه الجسد في تشكيل هذه القضية في الرواية النموذج.

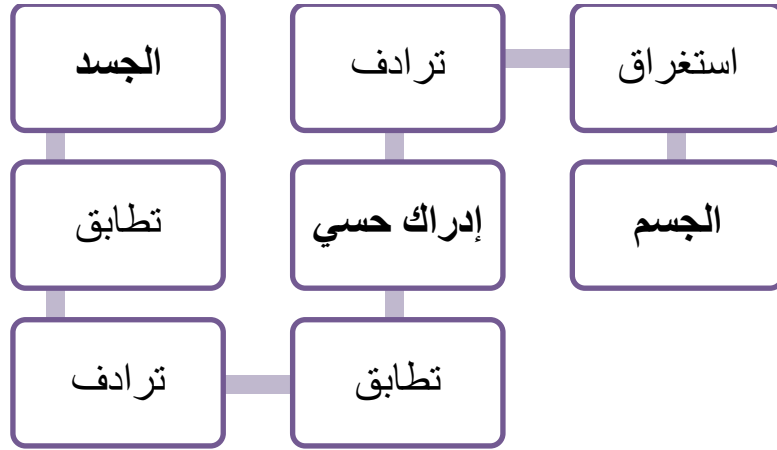
1-الجسد: (الخصوصية وحدود التقاطع المفاهيمي):

إن الجسد من المفهومات الشائكة والمتشابكة، لتعدد الأوجه والزوايا التي يرى الموضوع من خلالها، وأيضا لتباين الوسائل الإجرائية التي نتوسلها في التعامل مع خصوصياته التي ينفرد بها، حيث يزاوج بين الطوعية واللاطوعية في الآن ذاته، (فمن ناحية يتركب الجسد من عدد لا محدود من الجزيئات والعلاقات بين الحركة والسكون، بين السرعة والتباطؤ... ومن ناحية أخرى فالجسد في طبيعته الديناميكية تتحدد هويته في تفاعله مع الأجساد الأخرى، إن هذه القدرة على التأثير والتأثر هي التي تحدد الهوية الفردية للجسد، والحركة هي مبدأ الاتصال والتواصل) (هيلين و جميلة، 2010، صفحة 314) وتنقسم هذه الحركة حسب الممارسات إلى حركة اجتماعية، وثقافية، واقتصادية، وسياسية، وعولاماتية، وغيرها...الخ.

يتقاطع مفهوم الجسد مع العديد من الاصطلاحات مثل الجسم، الجثة، البدن، الذات،...الخ، وللوقوف على المعنى الاصطلاحي للمفهوم وجب أولا تحديد نسب القابلية للتكافؤ بين المصطلح والاصطلاحات التي تم النص عليها من حيث التقابل، والتمايز.

الجسد/الجسم:

تتواشج الاصطلاحات كما يتواشج البشر، وتستمر، وتأفل على سننهم كذلك فالمستقرى لاصطلاحا: "الجسد والجسم" يلاحظ معدل التكافؤ، ومؤشرات التواشج اللغوي عالية بينهما؛ ذاك أن الصفة المستغرقة مما يدرك بعضه بالحواس من(رائحة، ولون...) تُكوّن وحدة جامعة بين الاصطلاحين من باب المطابقة لا التشابه لضعف شرط الاستغراق فيه، ومن ثمة حُق التأسيس على ما سبق بالقول بالمطابقة بين الاصطلاحين من زاوية الاشتراك المعنوي التام.



الشكل رقم:01

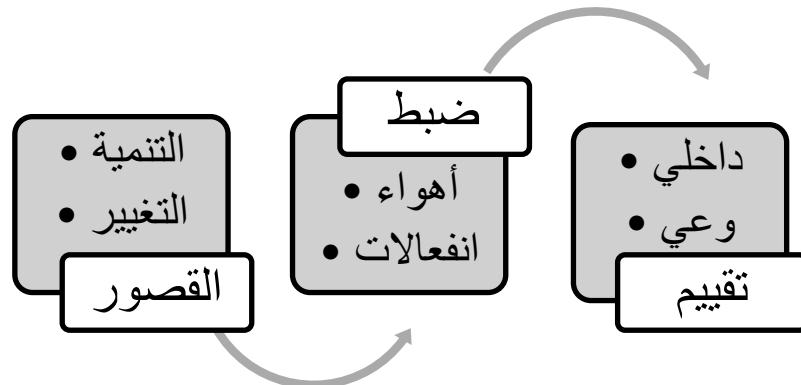
الجسد/الجثة:

إن الجثة اصطلاح يطلق على الساكن والمتحرك من باب الحقيقة والمجاز، ففي الباب الأول تعكس اللفظة الثبات على الحال والصفة كصفة الجماد في الميت، أما الباب الثاني فمن أمثلته ما ورد في المعاجم العربية بأن(الجثة شخص الإنسان قاعدا أو نائما) (الرازي، 1986، صفحة 40).

وعلى الرغم من العلاقة الطبيعية بين الاصطلاحين إلا أن نسبة التباعد الدلالي قارة بينهما أكثر من القرب المعنوي، كون اصطلاح(الجسد) يمثل الحياة بطبيعته، وبصفته(حي وحيوي) أكثر من التمظهر الجامد الذي توجي به لفظة (الجثة).

الجسد/البدن:

يختص البدن بقسم من أقسام الجسد من الأعضاء التي يقع فيها التغيير على وجه التطور أو النمو مثل اليد أو الرأس وغيرها، في حين يحدد التقابل اللغوي بين الجسد/الذات بخصيصة القصور الذي يظهر في عدم القدرة على التغيير وتنمية الذات، ويستلزم الضبط الذي يكون داخليا ضد الأهواء، والانفعالات وينتج عن وعي حتى يتاح للفرد تقييم نفسه من حيث الصفات، والقيم الشخصية.



الشكل رقم:02

نخلص بأن الجسد كل متكامل بأجزائه، وعناصره فلا انفصام بين وحداته الأولى وبين ما تشكله متغيراته المعجمية، والدلالية من وحدات جديدة، وإن نحن أقررنا بتماثلها حيناً، وبتقابلها حيناً آخر، فالجسد هو الكل الذي يعني الكل، ولا يشبه الكل.

الهوية الاجتماعية: (المفهوم والطبيعة)

إن (الهوية دلالة على الشيء أو الشخص المراد تعريفه فهي كلمة مركبة من الضمير الغائب (هو) مضافاً إليه ياء النسبة لتدل الكلمة على ماهية الشيء أو الشخص) (عهد كمال، 2015، صفحة 17).

وتشكل مسألة الهوية في أطروحات ما بعد الحداثة بؤرة بحثية ببعدها الجدلي؛ كونها ترتبط بخصوصية الفرد، وبالتساؤل المستمر عن حقيقة وجوده، فالهوية اليوم (أصبحت استشكالا يرتبط بكل ثقافة، بسبب ما تعيشه الجماعات الثقافية من أزمت هوياتية حادة ... فالثقافة والهوية الثقافية أصبحت اليوم محرك الصراعات) (مصطفى، 2022، صفحة 15) وأساسها بين الجنسين في مقام ازدواج (الأنوثة، الذكورة) وعلى صعيد النوع الواحد كذلك (رجل/رجل)، (مرأة/مرأة)، وتدخل الهوية في حالة من التطور والتكون أو التحول المستمر والدائم، لكونها كينونة متصلة شكلاً ومضموناً، سواء من حيث علاقتها بذاتها أو علاقتها بالآخر إذ غالباً ما نحدد هويتنا من خلال طبيعة علاقات القوة المتبعة وكذلك نوعية التحالفات والخلافات التي تشكل الدافع وراء أزمة النوع ومشكلة الوجود. (حليم، 2000، الصفحات (60-61))

ولا تنفصل الهوية عن حقيقة التناقضات أو الطبيعة التكاملية التي تفرزها مختلف أنواع الصراع الناتج من هذا الوضع، ليفرض مثل هذا التحديد الاجتماعي للهوية كما يقول عالم الاجتماع الفرنسي بيار بورديو، حدوداً خاصة ومن نوع حدوداً غير ثابتة وصارمة في الآن ذاته، بحيث لا يمكن تجاوزها أو حتى إعادة إنتاجها بتغير الأوضاع غير المستقلة والأحوال المتجددة في الطابع الاجتماعي أو الثقافي. (حليم، 2000، صفحة 62).

الجسد والهوية: (السياق والتعدد)

يساهم الجسد في تشكيل النزعة الهوياتية الاجتماعية بمفهومه المركزي من حيث صفته، وتموضعه ومن حيث أساليبه في تحقيق الأهداف الوجودية فردية كانت أم جماعية التي يحدد من خلالها الدور الاجتماعي، للنوعين، ويصنف وفقها التمايز الأجناسي سلباً أو إيجاباً كذلك.

وقد أثبتت الأساليب اللاموضوعية التي طالت موضوع الجسد والهوية قيماً جديدة في التعامل مع الموضوع على صعيد ترجمت الأفكار والرؤى التي تتطلب دراسة من نوع ما، من حيث التغير الثقافي والذاتي لسياقات الوجود السوسيو-أنثروبولوجي للفئات المجتمعية الواحدة أو المتعددة، كما حركت الأطروحات الحديثة صوب الاهتمام بموضوع الجسد والقيم الهوياتية للأفراد على الصعيد الاجتماعي من حيث الانتماء والفاعلية.

يمر تشكيل الهوية الاجتماعية في رواية "شغف أنوثة شرقية" باستراتيجيات نصية تحدد مسار المنجز الروائي وأهدافه ذات البعد الإنساني، مروراً بالظاهرة الاجتماعية (الجندر)، وبالقضوية (الهوية)، وبالمتغير (الجسد) في توليفة واحدة.

- تمثيلات النوع في رواية "شغف أنوثة شرقية":

إن إثبات النوع يفوق حدود الرؤيا بعنصر التمايز الجسماني الأجناسي،

وحسب "سيمون دو بوفوار" تمس سلطة الذكورة هوية المرأة وتشكل عائقا في وجودها إذ تعده وجودا هامشيا، وذلك بمركزيتها الأولى (لتحكم الرجل بالمادة)، ولتموضع المرأة في التصنيف الثاني بعد الرجل، فهي جنس ثان وآخر لا غير تقول: (إن الرجل يعتبر جسمه كما لو كان كائنا مستقلا يتصل مع العالم اتصالا حرا خاضعا لإرادته هو، بينما يعتبر جسم المرأة حافلا بالقيود التي تعرفل صاحبته) (سيمون، دت، صفحة 6).

1-6 الأنوثة والذكورة من منظور الروائية:

يتخذ النسقان (الأنوثة والذكورة) في الرواية مسارات التقابل، والتضاد، والتعاقب، انطلاقا من الثنائية الأزلية (المرأة/الرجل) في حد ذاتها، بكل إسقاطات الطاق السليبي (القهر الذكوري) على الاجتماعي (النوع الأنثي) لتحديد القيمة وتكوين الهوية الاجتماعية.

الأنوثة:

إن حقيقة الوجود الأنثوي عبر التاريخ مرتبط بغريزة الرجل، وبصفة النقص، والضعف التي وسمت طبيعتها، كما أنه مرهون بتبعيتها للرجل بدءا من منح العرف المجتمعي حق تقرير الذكر لمصيرها وصولا إلى قوامته عليها في كل الجوانب.

وتقر "سيمون دوبوفوار" بأن المسار الوجودي النوعي للأنثى مخالف تماما للمسار الوجودي التطوري للمرأة - فحسبها- لا تولد الأنثى امرأة بل تصبح كذلك؛ أي أننا نحقق تدريجيا الجندر الخاص بنا على مدار من الزمن ومن المهام، ومن طريق مكتسباتنا الاجتماعية والثقافية، فنبي وفق هذا التحقق هوية خاصة بنا في نطاق علاقاتنا بالآخر وتعايشنا معه، وصراعنا كذلك أي صراع التمايز وإثبات النوع، على خلاف الرجل الذي يولد حسب العرف الفكري، والمجتمعي، بمركزيته، وبهويته المستقلة.

تتجاوز الأنثى في رواية "شغف أنوثة شرقية" مقولات الشبقية (لعبة إغراء) للكشف عن الذات الأنثوية في مجتمع ذكوري غريزي الرؤيا تجابهه أنثى مثقفة تبحث عن التحرر، والحياة، وتكافح من أجل ذلك، وتتمثل الرؤية الروائية لثيمة الأنوثة في قوالب رمزية تتمثل في الآتي:

علامات جسدية استيهامية:

تشمل العلامات الجسدية الاستيهامية كل العلامات التي تشرح صيرورة الثيمة (الجسد) داخل الخطاب الروائي وتوضح أشكالها، وتمظهراتها، ودلالاتها، وأبعادها، وقد تجلت في الرواية في كل طباع الأنثى المنعكسة من خلال جسدها في مظاهر تعكسها ممارساتها اليومية وأحوالها الاجتماعية ف: (الواقع، والصراع، والفروق) تشكل كلها علامات تحتاج الكشف عن دلالاتها المتوزعة عبر أنساق لسانية، وتصويرية بمختلف الصيغ التعبيرية الإشارية، والسطحية، فمن تمثيلات العلامة الجسدية الاستيهامية بشكل صريح حديث الكاتبة عن أنوثتها قائلة: (كثيرا ما أحجلتني أنوثتي لأنها عاجزة

عن صناعة مواقف رومانسية بسيطة مقارنة بالقدرة الخارقة التي تمتلكها كل منخرطة في جمعية نون النسوة تلك التي تجيد انتهاز اللحظات القاتلة لغرور الرجولة) (فاطمة الزهراء، 2017، صفحة 12).

أما التمثل الرمزي في الرواية للعلامة الجسدية فتمثلها صورة "العانس" هذه الصورة التي تشكل مظهرها اجتماعيا ينعكس على ذات الأنثى، وعلى تصرفاتها، ويحدد هويتها في المجتمع -أنثى عانس- في نظر الروائية، كما يدخل كل من الحب، والزواج، ونسق الأمومة في تشكيل الهوية الجسدية للأنثى اجتماعيا، التي تلخصها العبارة الروائية (فكرة تؤمن بها، رجل تحبه، وأطفال تحضنهم) (فاطمة الزهراء، 2017، صفحة 11).

فالمؤدى: (رجل تحبه) يحمل حديثا ضمينا عن الزواج، مضمّن النسق يتماشى والحالة الاجتماعية للبطلة(عانس) وإن كانت تشترط الحب لممارسة الجنس تحت إطار مؤسسة الزواج تقول: (رجل تحبه)، حيث يعتبر النشاط الجنسي من منظورها سلوكا هوياتيا إذا كان مقترنا بالحب فقط.

وإن واصلنا استنطاق الاستيهامات السردية للجسد، وللهوية الاجتماعية في فصوص العبارة نجد أن فص الإغلاق(وأطفال تحضنهم) يمثل الحق في الأمومة(حمل، ولادة، رضاع، أم) فلا سبيل بعد تصريح الروائية؛ لأن(يعاش النشاط الجنسي على أنه ضريبة الجسد) (برنارد، 1975، صفحة 12)، فالروائية لا ترى في الأمومة ضريبة بقدر ما ترى فيها استمرارية للنوع (الدور البيولوجي) فوفق نظرية النوع الاجتماعي يكون الجسد موجهًا لتحقيق غاية التكاثر النوعي البيولوجي، الغاية المرتبطة أكثر بالأنثى الولود في تشكل الهوية الجسدية في النسيج الاجتماعي، فالروائية بالرغم من أنها تحيل إلى إمكانات بطلتها الجسدية الأنثوية، وأنها تمتلك من الأنوثة ما يخول غيرها الإقبال عليها هو تشكيل وتساؤل باطني لماذا أملك ولم أختري؟ وبالتالي الجسد هنا جسد مرحلة فاصلة تفصل بين أهمية وفاعلية التواجد في المجتمع بالمشاركة في بنائه انطلاقًا من تكوين أسرة، والوجود (الذاتي) من عدمه.

علامات ذات تجلي عام:

يؤسس الخطاب السردى الجزائري المعاصر لمفهوم التثبيت في مقابل التفتيت الهوياتي الأنثوي وهذا ما تطرحه الكاتبة، في روايتها معرية واقع المرأة بتسليط الضوء عليه، ومستميتة في الدفاع عن الأنوثة وعن شغفها، حيث تختار لمشروعها ولمنجزها بطلة تقوض بجسدها المتحرر، وفكرها العميق معارك الهوية الاجتماعية، وتجتاز خط نار الفتنة الذي كرس له على مدى عصور، فتعكس عقلية الأنثى المعاصرة المثقفة التي تطمح الطموح الوجودي أكثر من الطموح الغريزي، أنثى تهذب الغريزة فيها، وتؤسس لأحكام منصفة، واعتراف بها من الآخر(الرجل) فهي تحاول تثبيت هويتها والوقوف في وجه محاولات تفتيتها بشراسة وحنكة، فالمبدأ القسري (الهيمنة ذات الوجه الواحد) الذي عانته ولا تزال تعائشه يفرض حتمية وجود متغيرات تطال فكرها قبل وضعيتها الاجتماعية، وأدوارها المنسوبة لها، من ثمة مثل الجسد الواقع والرؤيا، فالوحدة الافتتاحية للعبارة(فكرة تؤمن بها) لا مناص من أن تشكل بامتياز نسق التحرر، لأن تحرير المرأة [فكريا] هو تحرير نصف مجموع الملكات الذهنية للبشر، حيث يحقق هذا التحرر قوة اجتماعية جديدة، ويظهر ذلك في الأثر الشخصي الذي تتركه امرأة بعينها والذي يعكس في مجمله وعيا بالذات وبالمصير (جون استوارت، 1998، صفحة 148) تعبر عن ذلك الروائية قائلة: (أدرك واقع جسد تجرر للتو، أنه بحاجة لروح واثقة مغامرة، عنيدة وعاشقة تزيل عنه غبار الكسل) (فاطمة الزهراء، 2017، صفحة 7).

ولا يتحقق التحرر الصحيح إلا من خلال عملية تنبثق من قلب المجتمع وبالتركيز على ما يصطلح عليه: التحرر الذاتي؛ (هشام، 1984، صفحة 31)؛ لأنه أساس أي فعالية اجتماعية يخلقها الفرد على مستوى داخلي أو جماعي. ولأن الهويات الاجتماعية متنوعة ومتجددة بتجدد الوعي الكامن لدى الفرد والجماعة، ومتطورة بتطور حصائلهم المعرفية مثلت قضية التحرر الفارق وبذلك تم كسر ما تعارف عليه بعض الباحثين من أمثال "جون لوك" في أن الهوية الاجتماعية تعني بقاء الفرد (هو- هو) برغم كل التهديدات الداخلية، والخارجية التي اعترضته في مسيرة بنائه لذاته، ولوعيه الجمعي (مبادرون، 2023).

وبهذا يضم الصراع الهوياتي اجتماعيا صراع أحادية النوع أيضا (امرأة/امرأة) بالوقوف على تحديد الأوصاف البيولوجية وصناعة نسب التمايز الأنثوي الجسدي في عرف الجماعة، تقول الروائية عللا لسان أحد الشخصيات: (... ابنة فلان جسمها مملوء كما لو أنها متزوجة، أما الأخرى فجعلها ملتصق بعضها لفرط هزالها، وفلانة تحمل غابة من الشعر، أما إذا ما استلطفت جسد إحداهن فإنها تشهق وتزفر حتى يعتقد أن المسكينة ستموت من القهر...) (فاطمة الزهراء، 2017، صفحة 97).

تخوض الأنوثة في المنجز السردي المعاصر معارك دامية في مسيرة البحث عن الذات وعن المركزية الاجتماعية المتوارية وراء البحث عن (رجل شرقي صعب المراس، آخر همه رحلة أنفاسه على جسد الأنوثة، وأول أولوياته منها فك عقدها، ليحرر أسرار انجذابها إليه) (فاطمة الزهراء، 2017، صفحة 87) وشغفها به مشاركة، واتحادا.

الذكورة:

يعد الوجود المستقل للذكر في مفهوم المجتمعات العربية -التقليدية- مقوض لأي احتمالية وجودية للأنثى، وأساسا كاف لهيمنتها عليها؛ ليغدو بذلك الحضور الأنثوي حضورا رمزيا لا ثانويا فحسب.

ويعتمد تشكيل الهوية الاجتماعية في رواية "شغف أنوثة شرقية" على السلوك الجسدي الذكوري (الاضطهاد) بكل بنياته (السطحية والعميقة)، وخصوصياتها الإيحائية المباشرة، والمضمرة التي تمثل في إطارها المعتقدات الفكرية، والسنن الاجتماعية كحقيقة واقعية برموز ثقافية.

للذكورة كمفهوم مركزي في رواية "شغف أنوثة شرقية" ماهية خاصة حددها مسار الوعي الأنثوي الذي انتقل باصطلاح "المركزية الذكرية" من حقيقة الإثبات إلى ضرورة التثبيت حفاظا على المكانة التي خلخلتها أنساق التمرد والرفض وأجازتها دواعي التحرر الأنثوي من كل قيد ذكوري، وقد تعاطت الروائية مع هذا الطرح من مبدأ المسلمات الوجودية في الفكر الأنثوي وعبرت عنه في النص المحكي صراحة، بعبارة تأسيسية مفادها الجدل القائم حول الوجود، والانتماء الهوياتي والاجتماعي بين النوعين، والتي مؤداها قول الكاتبة: (أخبريني ألم تقطفك أي يد خشنة بعدي؟)، أين يتضح واقع الصراع وتجليات الأزمة، ففي القطف اجتثاث من الجذور، وفي دفع التوهم الواقع في عتبة عبارة الرأي المضاد صد لكل محاولة للهيمنة (وهل تظن أنك استطعت قطفي يوما؟) (فاطمة الزهراء، 2017، صفحة 84)، ما يوحي بأن محاولة تقويض سلطة الذكورة في حقيقة الأمر يعد مشروع إثبات هوية بالنسبة للجنس الآخر أو الثاني، وتقويض أيضا للجنوع الممارس عليه.

خاتمة:

من بين نتائج الدراسة المتوصل إليها نذكر:

- تعرف الهوية الجسدية على الصعيد الاجتماعي تجاذبا عميقا في خضم هيمنة المادي(الجسد) أين ينزع الجسد أولا لطموح تحقيق الهوية الاجتماعية بعدها منطلقا لتحقيق الذات.
- تعددت مظاهر الممارسة الجسدية الهوياتية في الرواية بدءا من الممارسة الفكرية، والاجتماعية، وصور الممارسات الثقافية، وغيرها.
- يلخص الجسد في رواية "شغف أنوثة شرقية" واقعا إنسانيا يتلاطم بين صراع الذات وتجاذبات الهوية، في حدود الواقع الثقافي والاجتماعي للفرد.
- تأثير المواصفات الجسدية بين الجنسين تظهر انطلاقا من الاختلاف البيولوجي بين النوعين قدم أساسا صلبا للممارسة الهوياتية.
- يساهم الجسد في تشكيل، وتحقيق الانتماء الاجتماعي، حيث يدخل الجسد كعنصر فاعل ومنتج للهوية الاجتماعية.
- تحققت فرضية التماثل أو التمايز الجسدي كأساس في تحديد الهوية الاجتماعية للنوع، وكواقع منبني على التجاذبات الجندرية.

قائمة المراجع:

- الرازي. (1986). مختار الصحاح (الإصدار دط). بيروت، لبنان: دائرة المعاجم مكتبة لبنان.
- بركات حليم. (2000). المجتمع العربي في القرن العشرين (الإصدار ط1). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- بطوش فاطمة الزهراء. (2017). شغف أنوثة شرقية (الإصدار ط1). باتنة، الجزائر: دار المثقف للنشر والتوزيع.
- توماس هيلين، و أحمد جميلة. (2010). الأجساد الثقافية الاثنوغرافية والنظرية (الإصدار ط1). (أسامة الغزولي، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- دو بوفوار سيمون. (دت). الجنس الآخر (الإصدار دط). (لجنة من أساتذة الجامعة، المترجمون) شرابي هشام. (1984). مقدمات لدراسة المجتمع العربي (الإصدار ط3). بيروت، لبنان: الدار المتحدة للنشر.
- شليخين عهد كمال. (2015). الهوية العربية صراع فكري وأزمة واقع (الإصدار دط). دمشق: وزارة الثقافة الهسنة العامة السورية للكتاب.
- كيحل مصطفى. (2022). جدل الهوية في الخطاب الجزائري المعاصر (الإصدار ط1). الجزائر، الجزائر: دار ميم للنشر.
- مبادرون/ Récupéré sur <https://mobaderoon.org/>. (2023).
- مل جون استوارت. (1998). استعباد النساء (الإصدار ط1). (إمام عبد الفتاح إمام، المترجمون) القاهرة: منشورات مكتبة مدبولي.
- مولدوورف برنارد. (1975). الماركسية والمسائل الجنسية عند المرأة (الإصدار دط). بيروت، لبنان: دار ابن خلدون للطباعة والنشر.

**SIMPLE JOINT STOCK COMPANIES AS A NEW MECHANISM TO ENHANCE
THE ROLE OF EMERGING INSTITUTIONS IN ALGERIA**

Dr. REZIG Wassila

<http://dx.doi.org/10.47832/soci.con1-18>

Abstract:

With the aim of enhancing support for startups, the Algerian legal environment has developed a new formula that allows startups to be managed smoothly and with greater flexibility, represented by simple joint-stock companies, which are a new legal category of companies, applied in a number of countries around the world that has proven effective in giving new impetus to startups and arranging sources of financing. The capital of this company is divided into shares and it consists of partners who do not bear losses except to the extent of the shares they provided. A simple joint stock company can be established by one person or several natural or legal persons. If it includes only one person, it is called a “joint stock company.” “One person” and this company is established exclusively by start-up companies, and the latter is characterized by not requiring a minimum amount of partners or capital, and in specifying the methods of its organization and operation in its basic law.

Keywords: Simple Joint Stock Company, Emerging Institutions, Legal Nature.

شركات المساهمة البسيطة كآلية جديدة لتعزيز دور المؤسسات الناشئة في الجزائر

د. رزيق وسيلة¹

الملخص:

بهدف تعزيز دعم الشركات الناشئة، استحدثت البيئة القانونية الجزائرية صيغة جديدة تسمح بإدارة المؤسسات الناشئة بسلاسة ومرونة أكبر تتمثل في شركات المساهمة البسيطة، وهي صنف قانوني جديد للشركات، معمول به في عدد من دول العالم أثبت نجاعته في إعطاء دفع جديد للمؤسسات الناشئة وتدبر مصادر للتمويل، حيث ينقسم رأسمال هذه الشركة إلى أسهم وتتكون من شركاء لا يتحملون الخسائر إلا في حدود ما قدموا من حصص و يمكن أن تؤسس شركة المساهمة البسيطة من طرف شخص واحد أو عدة أشخاص طبيعيين أو معنويين، وإذا كانت لا تضم إلا شخصا واحدا تسمى "شركة مساهمة ذات الشخص الوحيد" وتنشأ هذه الشركة حصريا من طرف الشركات الناشئة، وتتسم هذه الأخيرة بعدم اشتراطها حدا أدنى للشركاء والرأسمال، وفي تحديد كفاءات تنظيمها وسيرها في قانونها الأساسي.

و تظهر أهمية هذه الدراسة في حداثة الموضوع الذي يندرج في إطار مطابقة الإصلاحات التي يعرفها الاقتصاد الوطني ومع التوجهات السياسية والاقتصادية الوطنية الجديدة التي تركز أساسا على الشفافية وتشجيع الكفاءات ومرافقة المسيرين، وتشجيع أصحاب المشاريع، لاسيما الذين أنشأوا مؤسسات ناشئة.

الكلمات المفتاحية: شركة المساهمة البسيطة، مؤسسات ناشئة، طبيعة قانونية.

¹ جامعة الجزائر 1، الجزائر

w.rezig@uni-alger.dz

لقد ساعد ظهور المفاهيم الجديدة المتمثلة في " الابتكار " و المشاريع الابتكارية و الحاضنات على تهيئة نظام بيئي لاقتصاد وطني يقوم على الرأس المال المعرفي، الأمر الذي أدى بالدولة الجزائرية إلى استحداث وزارة منتدبة لدى الوزير الأول مكلفة باقتصاد المعرفة و المؤسسات الناشئة، و بموجب المرسوم التنفيذي رقم 20-254 المؤرخ في 15 سبتمبر 2020 المتضمن إنشاء لجنة وطنية لمنح علامة مؤسسة ناشئة و مشروع مبتكر و حاضنة الأعمال و تحديد مهامها و تشكيلتها و سيرها، تقرر إنشاء لجنة وطنية لدى هذه الوزارة لمنحة علامة " مؤسسة ناشئة " و المساهمة في تشخيص المشاريع المبتكرة و ترفيتها و المشاركة في ترقية النظم البيئية للمؤسسات الناشئة (ليلي، 2022)، بهدف تحقيق التنوع الاقتصادي و تشجيع الاستثمار خارج المحروقات و تشجيع الكفاءات الشابة و خريجي الجامعات.

لكن خصوصية العناصر التي تقوم عليها المؤسسة الناشئة كشف عن قصور النظام القانوني للشركات التجارية في احتضان فلسفة المؤسسة الناشئة التي تقوم على الدمج بين الاعتبار الشخصي و المالي و نظام تسيير متميز، في هذا السياق أصدر المشرع الجزائري القانون رقم 09-22 المؤرخ في 5 مايو 2022 المعدل و المتمم للأمر 59-75 المؤرخ في 26 سبتمبر 1975، المتضمن القانون التجاري، الذي حدد فيه الشكل القانوني للمؤسسة الناشئة وهو شركة المساهمة البسيطة لإعطائها دفع جديد و خاصة رفع العوائق التي تواجه عملية تمويلها (ليلي، 2022). و بالتالي تهدف هذه المداخلة إلى تسليط الضوء على صيغة قانونية جديدة لتعزيز دور المؤسسات الناشئة في الجزائر و التي أتى بها القانون رقم 09/22 المتضمن القانون التجاري وعلى هذا الأساس طرحنا الإشكالية التالية: ما مدى فعالية شركة المساهمة البسيطة في تعزيز دور المؤسسات الناشئة في الجزائر؟

المحور الأول: شركة المساهمة البسيطة كشكل قانوني للمؤسسة الناشئة

لقد قرر المشرع الجزائري أن شركة المساهمة البسيطة هي حصرية بالمؤسسات الناشئة و بالتالي فلا بد من تحديد مفهوم شركة المساهمة البسيطة لإمكانية فهم المقصود من وراء هذا الاختيار و ذلك بالتطرق إلى تعريفها و إبراز خصائصها ثم تنظيمها.

أولاً: تعريف شركة المساهمة البسيطة و خصائصها

1- تعريف شركة المساهمة البسيطة

شركة المساهمة البسيطة هي نوع جديد من شركات المساهمة و ليست شركة مستقلة بذاتها لأن المشرع الجزائري أدرجها في الفصل الثالث المعنون بـ " شركات المساهمة "، و لقد كان المشرع الفرنسي السابق في إحداث شركة المساهمة البسيطة تحت إسم شركة الأسهم المبسطة في سنة 1994.

أما المشرع الجزائري فقد أدرجها في القانون التجاري بموجب القانون رقم 09-22 و طبقاً لنص المادة 715 مكرر 133 من القانون 09-22 إن " شركة المساهمة البسيطة هي الشركة التي ينقسم رأسمالها إلى أسهم ، و تتكون من شركاء لا يتحملون الخسائر إلا في حدود ما قدموا من حصص .

و يمكن أن تؤسس شركة المساهمة البسيطة من طرف شخص واحد أو عدة أشخاص طبيعيين و/ أو معنويين ، و إذا كانت شركة المساهمة لا تضم إلا شخصا واحدا، فإنها تسمى " شركة المساهمة البسيطة ذات الشخص الوحيد".

2- خصائص شركة المساهمة البسيطة

تتميز شركة المساهمة البسيطة بالخصائص التالية:

- هي شركة بسيطة: تكمن بساطتها و مرونتها في إجراءات تأسيسها و إدارتها مقارنة بالأنواع الأخرى من الشركات.
- شركة تعاقدية: ترتكز كثيرا على الحرية التعاقدية حيث أن الشركاء يختارون بكل حرية كيفية تأسيسها و إدارتها في القانون الأساسي لها.
- شركة تجارية بشكلها: وهو ما نصت عليه المادة 544 من القانون التجاري المعدلة بموجب المادة 2 من القانون 09-22 (يحدد الطابع التجاري للشركة إما بشكلها أو موضوعها).
- تعد شركات التضامن و شركات التوصية و الشركات ذات المسؤولية المحدودة و شركات المساهمة البسيطة، تجارية بحكم شكلها و مهما يكن موضوعها)
- لم يشترط المشرع الجزائري حدا أقصى لعدد الشركاء، حيث يمكن أن تؤسس شركة المساهمة البسيطة من طرف أشخاص طبيعيين أو معنويين، أو حتى من طرف شخص واحد و إذا كانت كذلك أطلق عليها تسمية شركة المساهمة ذات الشخص الوحيد طبقا لنص المادة 715 مكرر 133 قانون تجاري.
- عدم تحمل الشركاء الخسائر إلا في حدود حصصهم المقدمة.
- عدم اكتساب الشريك صفة التاجر.
- يمكن تقديم حصص عينية أو نقدية في راس مال شركة المساهمة البسيطة.
- عدم اشتراط حد أقصى لعدد الشركاء و لا لرأس المال لإنشائها.
- عدم اللجوء العلني للادخار.

ثانيا: تأسيس شركة المساهمة البسيطة و إدارتها

1- تأسيس شركة المساهمة البسيطة:

طبقا لنص المادة 715 مكرر 134 من القانون التجاري تنشأ شركة المساهمة البسيطة حصريا من طرف الشركات الحاصلة على علامة مؤسسة ناشئة ما يقتضي التطرق إلى المقصود بالمؤسسة الناشئة و علامة " مؤسسة ناشئة".

-المؤسسة الناشئة كشرط حصري لإنشاء شركة المساهمة البسيطة

تعرف المؤسسة الناشئة « Startup » على أنها مشروع صغير بدأ للظهور، و كلمة Startup تتكون من جزئين: « start » معناه الانطلاق و « up » تشير إلى فكرة النمو القوي. فهي شركة حديثة النشأة تبتكر منتجا أو خدمة و تمتلك الطموح للتوسع بشكل كبير، تسعى لإيجاد نموذج ربحي يحقق ذلك الطموح خلال سنوات قليلة، و هي قد تنشط في عدة قطاعات.

إن المشرع الجزائري لم يعرفها بل حدد معايير اعتبارها مؤسسة ناشئة في نص المادة 11 من المرسوم التنفيذي 254-20 وهي:

- أن لا يتجاوز عمر المؤسسة 8 سنوات،
- أن يعتمد نموذج أعمال المؤسسة على منتجات أو خدمات أو نموذج أعمال أو أي فكرة مبتكرة،
- أن لا يتجاوز رقم أعمالها السنوي المبلغ الذي تحدده اللجنة الوطنية،
- أن يكون رأس مال الشركة مملوكا بنسبة 50 % على الأقل من قبل أشخاص طبيعيين أو من طرف مؤسسات أخرى حاصلة على علامة " مؤسسة ناشئة"،
- أن تكون إمكانية نمو المؤسسة كبيرة بما فيه الكفاية،
- أن لا يتجاوز عدد العمال 250 عاملا،
- بالإضافة إلى أربعة معايير موضوعية لاثبات الطابع الابتكاري لنشاط المؤسسة الناشئة، تتمثل في:
 - النفقات في البحث و التطوير حيث يشترط انفاق الشركة 15% من حجم أعمالها في البحث و التطوير.
 - صفة الأعضاء المؤسسون مفاده أن يكون نصف أعضاء الفريق المؤسسون يملكون شهادة دكتوراه او اكثر، قصد تشجيع الباحثين على انشاء مؤسسات ناشئة و خلق جسور بين الجامعة و الاقتصاد
 - إمكانية تقديم نموذج مبدئي للابتكار المقدم سواء تعلق الامر بمنصة إلكترونية كاملة أو تجريبية، او نموذج أولي لمنتوج في حالة ما اذا كان مصنع، أو اخر فيديو تجريبي.
 - حصول الشركة على براءة اختراع أو برنامج مسجل سواء على المستوى الوطني أو الدولي.
- مع الإشارة إلى أنه يكفي أن تتحقق في المؤسسة المعنية معيار واحد من هذه المعايير الموضوعية لكي تحصل على علامة " مؤسسة ناشئة" و للحصول على علامة " مؤسسة ناشئة" يقدم الطلب إلكترونيا للبوابة الإلكترونية للمؤسسات الناشئة طبقا لنص المادة 12 من المرسوم التنفيذي رقم 254-20.

-شروط موضوعية أخرى لتأسيس شركة المساهمة البسيطة:

أ-عدد الشركاء:

الأصل في تأسيس شركة المساهمة هو أن لا يقل عدد الشركاء فيها عن سبعة ، أما في شركة المساهمة البسيطة فقد أجاز المشرع الجزائري أن تؤسس من طرف شخص واحد و هو ما يطلق عليه بشركة المساهمة ذات الشخص الوحيد، أما بخصوص الحد الأقصى لعدد الشركاء فالمشرع لم يحدده تاركا إياه لإرادة الأطراف.

اما فيما يخص أهلية الشركاء، فالمشرع الجزائري لم ينص عليها و بما أن الشريك لا يكتسب صفة التاجر في هذا النوع من الشركات فلا يوجد ما يمنعه من أن يكون قاصرا .

ب- طبيعة الحصص أو رأس المال الشركة

لم يحدد المشرع الجزائري الحد الأدنى و لا الأقصى لرأس مال شركة المساهمة البسيطة و تركه للحرية التعاقدية للشركاء في العقد التأسيسي، كما يمكن ان يتكون رأسمالها من حصص نقدية أو عينية تقيم من طرف مندوب الحصص و

في حال اتفاق الشركاء على عدم إلزامية اللجوء الى هذا الأخير فيمكنهم ذلك بشرط أن تكون الحصص العينية قيمتها لا تتجاوز نصف رأسمال الشركة، وهذا بموجب المادة 715 مكرر 141 من القانون 22-09.

أما بخصوص تقديم الحصص من عمل، فإنه يمكن تقديمها في شركة المساهمة البسيطة وهذا خروجاً عن القاعدة التي تنص على عدم إمكانية تقديم الحصص بعمل في شركات الأموال لأن هذا النوع من الشركات وجد لإحتواء المؤسسات الناشئة التي تقوم على الابداع والابتكار والمعرفة التكنولوجية والرقمية، لكن لا يجب أن يدخل هذا النوع من الحصص في تكوين رأس مال الشركة، فهي تدخل في مساهمات المساهمين لأنها مرتبطة بالشخص وليس بالمال، غير أنها تدخل في تقاسم الأرباح والخسائر.

كما تتكون شركة المساهمة البسيطة من أسهم يحظر في تكوينها اللجوء العلني للدخار وبالتالي فهي تعتبر شركة مغلقة وتعتبر أموالها أموال الشركاء فقط، عكس شركات المساهمة التي تدعو الجمهور للاكتتاب من أجل الاشتراك في أسهم الشركة، وبالتالي فيعود منع شركة المساهمة البسيطة من اللجوء العلني للدخار الى الحرية التعاقدية الممنوحة للشركاء وحماية المدخرين و الى الاعتبار الشخصي الذي يسود علاقة الشركاء وبالتالي فتمويل الشركة يتم عن طريق التمويل الذاتي و عن طريق القروض (ثامر، 2023).

2-إدارة شركة المساهمة البسيطة:

تمتاز إدارة شركة المساهمة البسيطة بطابع خاص مرن، يشترك في إدارتها رئيسها، الجمعيات العامة للمساهمين و مندوبو الحسابات.

أ- رئيس شركة المساهمة البسيطة:

يخضع تعيينه لرغبة الشركاء في العقد التأسيسي للشركة، اما في حالة شركة المساهمة ذات الشخص الوحيد، فإن المساهم الوحيد هو الذي يمارس سلطات الرئيس.

و يمارس رئيس شركة المساهمة البسيطة صلاحيات مجلس الإدارة أو رئيسه و تطبق عليه قواعد المسؤولية المطبقة على رئيس شركة المساهمة او القائمين بإدارتها.

ب- جمعية الشركاء:

تتمثل في الجمعية العامة العادية و الجمعية غير العادية.

الجمعية العامة العادية: يعقدها المساهمون مرة واحدة على الأقل كل سنة، و تعد الجهاز الأسمى و المحوري في الرقابة الدورية أثناء حياة الشركة، و هي لا تنعقد من تلقاء نفسها، بل تتم دعوتها للانعقاد من طرف مجلس الإدارة أو مجلس المديرين في شركة المساهمة و رئيس الشركة أو القائمين بالإدارة في شركة المساهمة البسيطة.

كما يحق لمندوبي الحسابات دعوة الجمعية العامة للانعقاد في حال الاستعجال.

و يعود حق التصويت في الجمعية العامة العادية لشركات المساهمة لكل منتفع بسهم، بخلاف الجمعية العامة الغير عادية التي يكون فيها حق التصويت لمالك السهم فقط. و تختص هذه الجمعية بأعمال الرقابة على رئيس الشركة و مندوبي الحسابات فلا يحق لها التعدي على السلطات المخولة للرئيس، و يقتصر دورها على مجرد إصدار اقتراحات و توجيهات و توصيات.

كما تختص هذه الجمعية بتوزيع الأرباح على الشركاء و تعيين مندوبي الحسابات . أما بالنسبة لشركة المساهمة البسيطة، فإن قرارات الجمعية العامة العادية تتخذ بالإجماع من طرف المساهمين طبقاً للكيفيات المحددة في القانون الأساسي للشركة، أما في شركة المساهمة ذات الشخص الوحيد يمارس المساهم الوحيد القرارات الممنوحة لجمعيات الشركاء (نادية، 2023).

الجمعية العامة غير العادية: لها اختصاص استثنائي يتمثل في تعديل النظام الأساسي للشركة، و تخضع في تكوينها و كيفية دعوتها للانعقاد الى نفس الاحكام التي سبق تناولها في الجمعية العامة العادية أعلاه، غير انها لا تنعقد سنوياً، بل كلما اقتضت الضرورة، و تتخذ قراراتها بالإجماع من طرف المساهمين وفقاً لما حدده القانون الأساسي.

المحور الثاني: شركة المساهمة البسيطة الشكل القانوني الملائم للمؤسسة الناشئة

كما سبق التطرق إليه سابقاً، فإن المؤسسة الناشئة هي مؤسسة تكون في تطور و نمو سريع و بذلك فهي تحتاج إلى تمويلات هامة، و لتحقيق ذلك فتعتبر شركة المساهمة البسيطة الشكل القانوني الأفضل لهذا النوع من المؤسسات.

أولاً: أسباب اختيار شركة المساهمة البسيطة كشكل قانوني ملائم للمؤسسة الناشئة

- بساطة التأسيس:

إن الشركات الناشئة هي شركات مبتكرة، فلا يتحقق استقرارها منذ البداية، و بالتالي يحتاج مؤسسوها الى شكل قانوني بسيط و ملائم يمكن تحقيقه بسرعة و بأقل الشروط تقييداً، و شركة المساهمة البسيطة تلبى هذه الاحتياجات لأنها غير محدودة بعدد الشركاء، و لا مقدار رأس المال.

- طبيعة الحصص المقدمة في رأسمال الشركة:

إن إمكانية تقديم حصة بعمل في شركة المساهمة البسيطة من شأنه أن يتلائم مع احتياجات المؤسسات الناشئة خاصة في حالة الحاجة الى مواهب خاصة.

- مرونة تكيف مع احتياجات المؤسسة الناشئة:

يتميز نظام شركة المساهمة البسيطة و طريقة تسييرها بالمرونة، مما يجعل من الممكن تكيف الشركة مع مراحل تطورها و احتياجاتها. و بما أن الحدث الرئيسي في حياة المؤسسة الناشئة هو رفع رأس المال الذي له تأثير في جلب المستثمرين فمن الضروري أن يقوم الشركاء بتكيف طريقة تسيير الشركة بما يناسب هدفهم، حتى يتجنبوا المواقف الصعبة و المعوقات.

يمكن الاخذ بعين الاعتبار عدة معايير إيجابية و مفيدة في تكيف الشركة مع دخول المستثمرين منها:

-إمكانية اختيار شروط الأنصبة و الأغلبية للقرارات التي يتخذها الشركاء: حيث يمكن تكيف هذه الشروط بطريقة تسمح للمؤسسين بعدم عرقلتهم من طرف المستثمرين في اتخاذ قرارات معينة.

-إمكانية إنشاء أسهم ممتازة:

تحول الأسهم الممتازة التمييز بين الشركاء و منح حقوق أكبر للشركاء الذين على سبيل المثال قاموا بتحمل مخاطر أكبر من غيرهم من خلال الاستثمار المبكر في الشركة أو بسعر أعلى.

-إمكانية تعديل حوكمة شركة المساهمة البسيطة:

مرونة حوكمة شركة المساهمة البسيطة تجعل من الممكن التكيف مع واقع توزيع رأس المال ومتطلبات المستثمرين. و كمثل على ذلك إمكانية إنشاء اللجنة الإستراتيجية وهي هيئة حوكمة يمكن إنشاؤها للسماح للمستثمر بإعطاء موافقته المسبقة على بعض القرارات المحددة.

-إمكانية تعديل شروط الدخول والخروج للشركاء:

في نظام شركة المساهمة البسيطة يكون دخول وخروج الشركاء حرا. ومع ذلك فمن الممكن وضع قيود، مثل الموافقة التي تتطلب موافقة جميع الشركاء على جلب شريك جديد، أو الشفعة، وهي آلية التي يكون بموجبها الشريك الذي يرغب في التنازل عن حصصه إلى الغير أن يقترح أولاً إعادة شراءها على الشركاء الحاليين. إن شركة المساهمة البسيطة مرنة للغاية لدرجة أنه من الممكن تقديم استثناءات على هذه القيود.

- من خلال سهولة التمويل:

لقد تم الاطلاق الرسمي للتمويل التساهمي لفائدة المؤسسات الناشئة الذي سيسمح عبر منصات رقمية بالربط المباشر بينها و بين المستثمرين الراغبين في توفير الموارد المالية، و في هذا الصدد فقد أوضح وزير المالية بمناسبة الملتقى السنوي الأول للجنة تنظيم عمليات البورصة و مراقبتها الذي خصص للإطلاق الرسمي للتمويل التساهمي كآلية مبتكرة للشركات الناشئة، أنه بعد نشر نظام لجنة تنظيم عمليات البورصة و مراقبتها رقم 01-23 الذي يحدد شروط اعتماد و ممارسة المستشارين في ميدان الاستثمار التساهمي و مراقبتهم في الجريدة الرسمية، أصبح هناك إطارا قانونيا يحدد الشروط العملية لتدخل عضو جديد في السوق المالية يسمى مستشار الاستثمار التساهمي.

سيسمح هذا النظام باستفادة أكبر فئة من الجمهور من التمويل التساهمي من خلال منصات رقمية تسمح بالاتصال المباشر و الشفاف بين الشركات الناشئة التي تسعى الى التمويل و المستثمرين، و هذا كنظام تكميلي لآليات التمويل الأخرى (قبلي، sabqpress.dz،، 2023).

ثانيا: عدم ملائمة الشركة ذات المسؤولية المحدودة كشكل قانوني للمؤسسات الناشئة

صحيح أنه يوجد تشابه بين الشركة ذات المسؤولية المحدودة و شركة المساهمة البسيطة من حيث محدودية مسؤولية الشركاء حسب الحصة المقدمة من طرفهم، و من حيث عدم تحديد حد لمبلغ رأس المال في الشركتين. و لكن الشركة ذات المسؤولية المحدودة يغلب عليها الطابع التنظيمي أي التنظيم القانوني لها قائم مقارنة بشركة المساهمة البسيطة التي يخضع تنظيمها لإرادة الشركاء أكثر من التنظيم القانوني.

فالعديد من الأحكام التشريعية الخاصة بشركة المسؤولية المحدودة تضع على عاتق الشركاء التزامات معقدة مثلا فيما يخص كيفية تنازل شريك عن حصته للغير حيث يجب على الشريك الذي يريد التنازل عن حصته بإعلام نيته في

التنازل للشركة و الشركاء. ثم يتخذ الشركاء قرارهم بقبول او رفض دخول شريك جديد، كما أن هذا الإجراء محدد بآجال قانونية. أي أن حصص الشركاء غير قابلة للإحالة بكل حرية إنما بتوفر شروط خاصة. فالأصل أنه يجوز التنازل عن الحصص في الشركة ذات المسؤولية المحدودة لشريك اخر بكل حرية إلا بوجود شرط مخالف في العقد التأسيسي، أما التنازل عن الحصص لشخص أجنبي فهو يخضع لشروط المادة 571 من القانون التجاري و التي تتمثل في موافقة أغلبية الشركاء التي تمثل ¼ من رأسمال الشركة مع مساهمة الشريك الذي يريد التنازل عن حصته في التصويت.

- تبليغ مشروع الإحالة إلى الشركة و لكل الشركاء بموجب عقد غير قضائي أو رسالة مع الاشعار بالوصول، ثم تبدي الشركة موقفها في أجل 3 أشهر اعتبارا من اخر تبليغ، و إذا لم تعلم الشركة بقرارها في الأجل المذكور اعتبر قبولا منها، أما في حالة رفض التنازل عن الحصص فقد قرر المشرع للشريك أحكاما خاصة تتمثل في:

- يجب على الشركاء في أجل 3 أشهر أن يشتروا او يعملوا على شراء الحصص بالثمن الذي يقدره خبير معتمد معين إما من قبل الأطراف، أو بأمر من رئيس المحكمة. أو يجوز للشركة في أجل 3 أشهر أن تعمل على تخفيض رأسمالها بقيمة حصص هذا الشريك و شراؤها من جديد بالثمن المعين.

كما أن كفاءات رفع رأس المال تكون أكثر تعقيدا في الشركة ذات المسؤولية المحدودة أين يكون المستثمرون أقل اجتذابا للانضمام هذه الشركة.

-إن الشركة ذات المسؤولية المحدودة هي شركة أموال و أشخاص في نفس الوقت، حيث أن قيامها على الاعتبار الشخصي لا يلائم المستثمرين في جلب أموالهم و الاستثمار فيها لأنها تهتم بدخول شركاء جدد بسبب شخصهم.

و من جهة أخرى تفرض الشركة ذات المسؤولية المحدودة شرط بلوغ نصاب قانوني معين و شرط الأغلبية المطلوبة في القرارات المتخذة من قبل الشركاء، أما المؤسسات الناشئة فيما أنها في تطور مستمر فهي لا تتناسب مع كل هذه الإجراءات و التعقيدات، لأن نموها يعتمد بشكل أساسي على دخول أموال المستثمرين فيها.

كل هذه الصلاية و الجمود في الأحكام الخاصة المنظمة للشركة ذات المسؤولية المحدودة يجعلها نموذجا مقيدا للمؤسسات الناشئة و في وضع غير جذاب لها ما يفضل لها اختيار شكلا قانونيا أكثر مرونة و بساطة ألا و هو شركة المساهمة البسيطة التي تسمح لها بمواكبة تطورها، و التكيف مع تقلبات هذا الأخير.

ثالثا: اتفاق الشركاء

لقد ثبت أن شركة المساهمة البسيطة هو الاختيار المفضل لإنشاء شركة ناشئة. ومع ذلك، فإن اختيار هذا الشكل المؤسسي لا يكفي في حد ذاته لضمان الإطار القانوني للشركة الناشئة.

فتعد اتفاقية الشركاء عنصراً أساسياً يجب أخذه بعين الاعتبار، لأنه يجعل من الممكن التحكم في العلاقات بين الشركاء، الذين يمكن أن يكونوا متعددين في شركة المساهمة البسيطة.

بالإضافة إلى كونها اتفاقية تخضع لإرادة الأطراف غير مقيدة بالنص القانوني، تحدد حقوق والتزامات الشركاء.

وخلالاً للنظام الأساسي للشركة، لا يتم نشر اتفاقية الشركاء في سجل الشركة وبالتالي تظل سرية. وعلى وجه الخصوص، فإنه يجعل من الممكن تسهيل شروط الدخول والخروج للشركاء. في حالة الشركة الناشئة، يمكن أن تكون اتفاقية الشركاء عنصراً أساسياً عند جمع الأموال. في الواقع، تشكل اتفاقية المساهمين بين مؤسسي الشركة الناشئة أساساً

للتفاوض مع المستثمرين في المستقبل. وبالتالي، من المهم توفير التوازن بين البنود التي تحمي المؤسسين وتلك التي تحمي المستثمرين، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الهدف الأساسي للاتفاقية هو حماية المشروع نفسه.

تكمن أيضا أهمية اتفاقية الشركاء في إمكانية تضمينها بشروط عديدة منها شروط الموافقة والشفعة. كما أنه من الممكن دمج بنود تضمن مشاركة المؤسسين في المشروع لمدة معينة ووفق شروط معينة (وهي عدم التصرف، الالتزام، شروط الترك) أو حتى بنود تسمح بإجبار الشركاء على بيع حصصهم في حالة إعادة شراء نسبة معينة من الشركة أو السماح لشركاء الأقلية بالخروج من الشركة في حالة إعادة شراء جزء من الأسهم .

خاتمة :

- الشركة الناشئة هي شركة مبتكرة تتمتع بإمكانات نمو قوية واحتياجات تمويلية كبيرة.
- شركة المساهمة البسيطة هو شكل اجتماعي مرن يتكيف بشكل مثالي مع التغيرات في حياة الشركة الناشئة، لأنها تجمع بين الطابع الشخصي و المالي من جهة و الطابع التعاقدية والتنظيمي من جهة اخرى و الحرية المطلقة في التأسيس.
- على العكس من ذلك، فإن الشركة ذات المسؤولية المحدودة أكثر تقييدا، وتوفر إمكانيات أقل، مما يجعلها غير مناسبة لفلسفة الشركات الناشئة.
- إن اختيار شركة المساهمة البسيطة ليس كافياً لتنظيم التحديات التي تواجه الشركة الناشئة بشكل قانوني كامل لذا من الضروري صياغة اتفاقية الشركاء.
- إذا كانت شركة المساهمة البسيطة توفر قدراً كبيراً من المرونة، فيجب تكييفها مع احتياجات الشركة الناشئة. ولهذا السبب، فإن صياغة النظام الأساسي وميثاق الشركاء، الذي يجب أن يستشرف القضايا المستقبلية والحالية، خاصة في حالة جمع الأموال، هو عنصر أساسي.

قائمة المراجع:

-القوانين:

- باللغة العربية:

- قانون رقم 09-22 المؤرخ في 5 مايو 2022، يعدل و يتمم الأمر 59-75 المؤرخ في 26 سبتمبر 1975، المتضمن القانون التجاري، جريدة رسمية عدد 32، المؤرخة في 14 مايو 2022.

- مرسوم تنفيذي 20-254 مؤرخ في 15 سبتمبر 2020، المتضمن إنشاء لجنة وطنية لمنح علامة مؤسسة ناشئة و مشروع مبتكر و حاضنة الاعمال، و تحديد مهامها و تشكيلتها و سيرها، جريدة رسمية عدد 55، الصادرة في 21 سبتمبر 2020.

-باللغة الفرنسية:

- loi n 94-1 du 3 janvier 1994 instituant la société par action simplifiée , J.O.R.F n 2du 4 janvier 1994, www.legifrance.gouv.fr

الكتب:

-حدوم ليلي، قانون الشركات التجارية، برقي للنشر، الجزائر، 2022.

المقالات :

- بوخرص نادية، الأحكام القانونية الخاصة الناظمة لشركة المساهمة البسيطة وفق القانون رقم 09-22، مجلة الدراسات القانونية، جامعة يحي فارس بالمدينة، الجزائر، المجلد 9، العدد 1، 2023.

- خالدي ثامر، شركة المساهمة البسيطة في ظل القانون التجاري الجزائري رقم 09-22، المجلة الجزائرية للعلوم القانونية والسياسية، المجلد 60، العدد3، السنة 2023.

المواقع الالكترونية:

- وليد قبلي، مقال منشور في موقع سبق برس، موقع اخباري جزائري، على الموقع sabqpress.dz، بتاريخ 24 ديسمبر 2023.

THE POETICS OF DIALOGUE IN THE VISION OF ABU FIRAS AL-HAMDANI

Dr. LARKEM Radhia

<http://dx.doi.org/10.47832/soci.con1-19>

Abstract:

In ancient Arabic poetry, dialogue is an artistic technique that adds a narrative feature to its poetic texts. Its methods and formulas have varied in these poetic texts, given that dialogue raises the curtain on the positions, feelings, and secrets of the interlocutors, their ideas, and their experiences, whatever their type.

Poets have used dialogue in their poems for various poetic purposes and topics since the pre-Islamic era, and this continued until the Abbasid era and beyond. Its methods and characteristics developed, and it became a means for the poet to express his feelings that he refuses to express directly, which added to the poetic texts. An aesthetic dimension and depth of ideas.

This research paper aims to reveal the poetics of dialogue in Abu Firas Al-Hamdani's novel. This dialogue contributed to highlighting the internal conflict that the poet is experiencing, and what is on his mind, and we will present examples of that dialogue, and analyze them from an objective and artistic perspective, with the aim of revealing the methods of dialogue in them and its artistic characteristics, according to the following elements:

- 1- The concept of poetics.
- 2- The concept of dialogue and its types.
- 3- Manifestations of dialogue and its forms in the vision of Abu Firas Al-Hamdani.
- 4- The functions of dialogue in the opinion of Abu Firas Al-Hamdani.

Keywords: Poetic, Dialogue, Abou Firase Elhamadani, Poetry of Captivity and Imprisonment.

شعرية الحوار في رائية أبي فراس الحمداني

د. راضية لرقم¹

الملخص:

يعد الحوار في الشعر العربي القديم تقنية فنية تضيف سمة السردية على نصوصه الشعرية، وقد تعددت أساليبه وصيغته في تلك المتون الشعرية، باعتبار أن الحوار يرفع الستار عن مواقف وأحاسيس ومكونات الشخصيات المتحاورة، وأفكارها وكذا تجاربهما مهما كان نوعها.

وقد وظّف الشعراء الحوار في قصائدهم الشعرية في مختلف الأغراض والموضوعات الشعرية منذ العصر الجاهلي، واستمر ذلك إلى غاية العصر العباسي وما بعده، وتطورت أساليبه وخصائصه، فصار وسيلة تعبير الشاعر عن أحاسيسه التي يأبى الإفصاح عنها بشكل مباشر، مما أضفى على النصوص الشعرية بعدا جماليا، وعمقا في الأفكار.

وتهدف هذه الورقة البحثية إلى الكشف عن شعرية الحوار في رائية أبي فراس الحمداني؛ حيث ساهم ذلك الحوار في إبراز الصراع الداخلي الذي يعيشه الشاعر، وما يجول بقلبه، وسنقوم بعرض نماذج من ذلك الحوار، وتحليلها من الناحية الموضوعية والفنية، قصد الكشف عن أساليب الحوار فيها وسماته الفنية، وفق العناصر الآتية:

1- مفهوم الشعرية.

2- مفهوم الحوار وأنواعه.

3- تجليات الحوار وصيغته في رائية أبي فراس الحمداني.

4- وظائف الحوار في رائية أبي فراس الحمداني.

الكلمات المفتاحية: الشعرية، الحوار، أبو فراس الحمداني، شعر الأسر والسجن.

¹ جامعة الإخوة منتوري- قسنطينة1، الجزائر

w.rezig@uni-alger.dz

المقدمة:

تعد هذه الورقة البحثية دراسة جمالية فنية لظاهرة الحوار في رائية أبي فراس الحمداني، والتي ميّزت نص القصيدة، وأضفت عليها لمسة جمالية وفنية يكتشفها القارئ حين محاورته لنصها، وقبل التفصيل في ذلك نتطرق أولاً للحديث عن الشاعر صاحب القصيدة كتوطئة للدراسة، فالشاعر هو "أبو فراس الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني، ابن عم ناصر الدولة وسيف دولة بني حمدان، وكنيته "أبو فراس" من أسماء الأسد" (الحمداني، 1994، صفحة 7).

ولد أبو فراس الحمداني سنة 320هـ في الموصل، وقد توفي والده بعد ولادته بثلاث سنوات؛ إذ قُتل من قبل ابن عم أبي فراس، وقد نشأ في رعاية والدته الرومية الأصل في بلاد الحمدانيين أو الموصل و الرقة، ورعاه ابن عمه وزوج أخته سيف الدولة، فصار يحفظ الشعر القديم والأدب، و يتدرب على فنون الفروسية، كما تتلمذ على يد مجموعة من المعلمين، من بينهم أبو ذر الشاعر، وابن خالويه، فأخذ من علوم النحو واللغة، والتاريخ والشعر. (الحمداني، 1944، صفحة 10، 11)، وكان أبو فراس يشارك في المناظرات الأدبية، و نال إعجاب سيف الدولة الحمداني، فكان يصحبه معه حين يذهب للغزو، ويطلب منه القيام ببعض أعماله، ونصّب عليه "منبج و حران" حين بلغ السادسة عشرة من عمره، فكان عليه أن يكون جديراً بمسؤولية الملك التي تتطلب الدفاع عن "منبج" ضد القبائل التي تريد الإيقاع بها، وفعلاً استطاع أن ينتصر عليهم وعلى الروم، في حين كان يقضي وقته في قصره بين الصيد واللهو ونظم الشعر، كما كان ينافس الشعراء في حلب، حين كانوا ينظمون الشعر في حضرة ابن عمه سيف الدولة، والذي كان حاكماً بينهم إذا اختلفوا فيما بينهم، واستمرت حياة أبي فراس الحمداني على هذا المنوال إلى أن هجم عليه جيش بنزطي بقيادة "تيودور" وهو عائد من الصيد رفقة غلمانه سنة 351هـ، فدافع عن نفسه ورفاقه حتى جرح و وقع أسيراً (الحمداني، 1944، صفحة 11، 12)، وحز في نفسه وقوعه أسيراً في يد الروم بعد أن حقق انتصاراً عليهم، وطلب فداء ابن عمه سيف الدولة له، وإخراجه من السجن، لكن ذلك لم يتحقق إلا بعد أربع سنوات من أسره سنة 355هـ (الحمداني، 1944، صفحة 14)، وعاد بعدها إلى حلب، ثم تولى "حمص"، بأمر من سيف الدولة الذي أتعبه المرض بعد ذلك، ثم توفي سنة 356هـ، فيحزن ذلك أبو فراس الحمداني، ويتولى أمور الدولة بعده حاجبه "قرغوية"، فلم يتفقا هو والشاعر أبي فراس، فكاد له "قرغوية" مكيدة أودت بحياته إلى الهلاك، وقُتِل سنة 357هـ (الحمداني، 1944، صفحة 14).

أما عن ديوان شعر أبي فراس الحمداني، فقد كان الشاعر "يُلقبه إلى أستاذه ابن خالويه "دون الناس، ويحظر عليه نشره"، فلما انتقل الشاعر جمع هذا اللغوي منه ما ألقاه إليه، وشرحه وقدم لقصائده، فابن خالويه وحده كان يملك شعره، وهو وحده يستطيع نشره بين الناس، وروايته هي الرواية الحق، ولا نعلم رواية غيرها" (الحمداني، 1944، صفحة 18)، وتضمن ديوانه أغراضاً شعرية متعددة، من بينها: المدح، الهجاء، الفخر، العتاب، الرثاء، وغيرها، وتتمحور قصيدة الرائية مدونة هذه الدراسة حول غرض الفخر؛ حيث يفتخر الشاعر بنفسه وقبيلته، بالإضافة إلى محاكاته لمعاناته النفسية نتيجة وقوعه أسيراً، من خلال ذلك الحوار الذي نسجه بينه وبين نفسه تارة، وبينه وبين غيره من الشخصيات المحاور له تارة أخرى .

1- مفهوم الشعرية:

1-1- لغة:

ورد في معجم مقاييس اللغة لابن فارس قوله: "الشين والعين والراء أصلان معرُوفان يدلُّ أحدهما على الثبَاتِ، والآخر علمٌ" (ابن فارس، 2002، صفحة 209).

وجاء في لسان العرب لابن منظور " لَيْتَ شِعْرِي أَي لَيْتَ عِلْمِي أَوْ لَيْتَنِي عَلِمْتُ " (ابن منظور ج.، 2003، صفحة 125)، وبالتالي نجد أن مفهوم الشعرية مستخلص من مفهوم لفظة الشعر، والتي معناها العلم.

1-2- اصطلاحا:

تعددت التعاريف حول مفهوم الشعرية **Poétique** نظرا لتعدد مجالاتها في الدراسات الأدبية، واختلاف معانيها؛ حيث لا ينحصر اشتغال مصطلح الشعرية بمجال الشعر فقط، إذ "إن الشعرية لاتعني الإقتصار على النص الشعري باعتباره مشروعا نهائيا وزاخرا كما لا يعني مجرد النظر إليه باعتباره انعكاسا آليا لبنية ذهنية متصورة بل هو مفهوم يقلص مسافة التوازي بين الحديث: التجسيد النصي والتجريد الذهني؛ بحيث يصبح موضوع الشعرية هو استنطاق خصائص الخطاب الشعري من خلال النص" (أحمد، 2009، صفحة 9)، وبالتالي فإن الشعرية تقوم بمحاورة النصوص الأدبية بغية استنباط خصائصها.

وتساهم الشعرية في الكشف عن جمالية وفنية النصوص اللغوية وخصائصها الأدبية؛ حيث إن هدف الشعرية هو "الدراسة الأدبية أو اكتشاف الأنساق الكامنة التي توجه القارئ إلى العملية التي تفهم بها أدبية هذه النصوص" (إلياس، 2010، صفحة 14).

ويرى **رومان جاكبسون Roman Jacobsen** أن "موضوع الشعرية يتعلق بالاختلاف النوعي الذي يفصل فن اللغة عن الفنون الأخرى وعن الألوان الأخرى للسلوكات اللفظية" (رومان، 1988، صفحة 19).

وقد قام **جاكبسون** بجعل " الشعرية مرتبطة بجهوده اللسانية ، حيث وضع نظرية أسماها بنظرية التبليغ أو التواصل، وفيها جعل الوظيفة الشعرية هي الوظيفة اللغوية، وتقوم هذه النظرية على ستة عناصر، وهي العناصر المكونة للحدث وهي بالطريقة الآتية: المرسل Destinateur المرسل إليه Destinataire الرسالة Message الاتصال الصلة Contact السياق Contexte والشفرة CODE، وكل عنصر تتولد له وظيفة لغوية على هذا النحو الذي يبرزه مخطط جاكبسون الشهير " (وغليسي، 2006، صفحة 9)، وانطلق **رومان جاكبسون** من هذه الوظائف الستة الخاصة بنظرية التواصل، واستنتج أن الوظيفة الشعرية هي التي تجعل الرسالة لها أثرا أدبيا (رومان، 1988، صفحة 19).

ويرى **جون كوهن** **Jaune Cohen** أن " الشعرية علم موضوعه الشعر، وأنها علم الأسلوب الشعري" (كوهن، 1986، صفحة 16)

ويعرّف **تودروف** **Todorov Tzicetan** الشعرية بقوله أنها: " جاءت فوضعت حدا للتوازن القائم على هذا النحو بين التأويل والعلم في حق الدراسات الأدبية، وهي بخلاف تأويل الأعمال النوعية، لا تسعى إلى تسمية المعنى بل معرفة القوانين العامة التي تنظم ولادة عمل ولكنها بخلاف هذه العلوم التي هي علم النفس وعلم الاجتماع " (تودروف، دت، صفحة 23)

ونجد جيرار جنيت Gerard Genette يعرّف الشعرية على أنها " مجموعة الخصائص العامة أو المتعالية، التي ينتمي إليها كل نص، ونذكر من هذه الأنواع: أصناف الخطابات، صيغ التعبير والأجناس الأدبية" (جنيت، 1986، صفحة 152)، وبالتالي فإن الشعرية ينصب اهتمامها على خصائص النصوص الأدبية.

ويرى "عبد الله الغدامي" أن الشعرية " تهوى كسر كل مألوف منتهكة لقوانين العادة، مما ينتج عن ذلك تحويل اللغة من كونها انعكاسا للعالم، إلى أن تكوّن في نفسها عالما آخر بديلا عن ذلك العالم، إنها سحر البيان" (الغدامي، 1998، صفحة 26)، فالشعرية وفق وجهة نظر عبد الله الغدامي هي انزياح عن المألوف، والذي تحقّقه اللغة عن طريق ابتعادها عن كل الأساليب المألوفة والمعتادة.

أما كمال أبو ديب فينظر إلى الشعرية على أنها "خصيصة علائقية، أي أنها تجسد في النص لشبكة من العلاقات التي تنمو بين مكونات أولية سمتها الأساسية أن كلا منها يمكن أن يقع في سياق آخر دون أن يكون شعريا، لكنه في السياق الذي تنشأ فيه هذه العلاقات، وفي حركته المتواشجة مع مكونات أخرى لها السمة الأساسية ذاتها، فيتحوّل إلى فاعلية خلق للشعرية ومؤشر على وجودها" (ديب، 1987، صفحة 14)؛ أي أن مفهوم الشعرية عند "كمال أبو ديب" ينصب حول مجموع العلاقات التي تكون بين مكونات النصوص، والتي تخلق سمة الشعرية فيها.

أما حسن ناظم فيرى أن الشعرية هي " محاولة وضع نظرية عامة ومجردة ومحايثة للأدب، بوصفه فناً لفظيا، إنها تستنبط القوانين التي يتوجه الخطاب اللغوي بموجبه وجهة أدبية، فهي إذن تشخص قوانين الأدبية في أي خطاب لغوي، وبغض النظر عن اختلاف اللغات" (ناظم، 1994، صفحة 9)، بمعنى أن الشعرية، حسب "حسن ناظم"، هي نظرية تستنبط القوانين التي تحدد أدبية النصوص اللغوية، مهما كانت لغتها.

في حين نجد محمد بنيس يرى بأن "الشعرية العربية كانت فرعا من فروع الدراسات اللغوية المتمركزة حول تفسير النص القرآني، وإبراز لغته المعجزة، التي لا قدرة لأي نص غيره على التشبه بها؛ فبالأحرى تحديدها، هكذا كانت كل من دراسات الإعجاز القرآني ودراسات الشعر والنثر تضع الحدود" (بنيس، 2001، صفحة 43)، فالشعرية العربية حسب محمد بنيس تركز على اللغة للكشف عن بلاغة النصوص القرآنية.

نجد من خلال التعاريف السابقة لمصطلح الشعرية أن مفهوم الشعرية لم يأخذ تعريفا واحدا، بل تعددت المفاهيم وفق أشكال مختلفة، وفق وجهة نظر كل باحث وناقد، لكنها تنصب كلها حول جمالية النص الأدبي بكل عناصره المختلفة.

2- مفهوم الحوار وأنواعه:

2-1- لغة:

يعرف ابن منظور الحوار بأنه من "الحَوْر (بفتح الحاء وسكون الواو) الرُّجُوعُ عَنِ الشَّيْءِ وَإِلَى الشَّيْءِ. حَارَ إِلَى الشَّيْءِ وَعَثَهُ حُورًا وَمَحَارَةً: أَي رَجَعَ عَنْهُ وَإِلَيْهِ، وَفِي الْحَدِيثِ يَقُولُ (مَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكَفْرِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ حَارَ عَلَيْهِ)؛ أَي رَجَعَ إِلَيْهِ مَا نَسَبَ إِلَيْهِ" (ابن منظور، 2005، صفحة 264).

ويضيف ابن منظور: "والمُحَاوَرَةُ المُجَاوِبَةُ وَالتَّحَاوُرُ: التَّجَاوُبُ؛ وتقول: كَلَّمْتُهُ فَمَا أَحَارَ إِلَيَّ جَوَابًا وَمَا رَجَعَ إِلَيَّ حَوِيْرًا وَلَا حَوِيْرَةً وَلَا مَحْوَرَةً وَلَا حَوَارًا أَي مَا رَدَّ جَوَابًا" (ابن منظور ج.، 2003، صفحة 218)

ويعرفه الفيروز أبادي في معجمه القاموس المحيط فيقول: "الْحَوْزُ وهو الرُّجُوعُ كالمُحَارِ والمُحَارَةُ والحَوْزُ والنُقْصَانُ والمُحَاوَرَةُ، والمُحَوَّرَةُ، الجَوَابُ، كالحَوَائِزِ، والجَوَارِ، ويُكْسَرُ والحِيزَةُ والحَوَائِزُ مُرَاجَعَةُ النُّطْقِ وتَحَاوَرُوا تَرَاجَعُوا الكَلَامَ بَيْنَهُمْ والتَحَاوَرُ: التَّجَاوُبُ" (الفيروز أبادي، دت، صفحة 15).

وبناء على ما سبق يتضح لنا أن الحوار لغة عبارة عن مراجعة للكلام بين الأشخاص المتحاورين، وتبادله بينهم.

2-2-اصطلاحاً:

بعد الحوار عبارة عن تبادل الحديث بين شخصين أو أكثر، ويكون دالا على شخصيات المتحاورين؛ حيث يعتبر الحوار "الوسيلة المعتمدة في نقل الأقوال أو حكايتها الضامنة للتواصل المباشر بين الشخصيات فتتضح مواقفها وآراؤها إزاء الأحداث التي تجري حولها، وفي الوقت ذاته يشي تلفظ الشخصية بما يعتمل في داخلها من مشاعر وأحوال نفسية مختلفة" (الخليفي، دت، صفحة 145)

وبعبارة أخرى، فالحوار هو كلمة يقصد بها "محادثة وتجادبا لأطراف الحديث وهي تستتبع تبادلا للآراء والأفكار وتستعمل في الشعر، القصة القصيرة والروايات والتمثيلات لتصوير الشخصيات ودفع الفعل إلى الأمام" (فتحي، 1986، صفحة 148)، فالحوار عبارة عن تبادل الحديث والكلام بين عدة شخصيات بالتناوب، وقد يكون الحوار "بين اثنين على الأقل ويتناول شتى الموضوعات، أو هو كلام يقع بين الأديب ونفسه، وهذا الأسلوب طاغ في المسرحيات، وشائع في أقسام مهمة من الروايات ويفرض فيه الإبانة عن المواقف والكشف عن خبايا النفس وربما الأدق والأوسع أنه كلام الشخصيات ومحادثاتها في أي نوع من الأنواع الأدبية" (جبور، 1984، صفحة 100)، فالحوار اذن يدور بين شخصين أو أكثر، أو بين الأديب ونفسه، وبناء على ذلك يمكن استنباط أنواع الحوار إلى قسمين هما: الحوار الخارجي (Dialogue) والحوار الداخلي (Monologue)؛ حيث نقصد بالحوار الخارجي ذلك الحديث الذي يكون بين شخصين أو أكثر، و يتناوب فيه شخصان أو مجموعة من الأشخاص على الكلام، أما الحوار الداخلي فهو يصور ويحاكي "المحتوى النفسي للشخصية والعمليات النفسية لديها دون التكلم بذلك على نحو كلي أو جزئي" (همفري، 2000، صفحة 59)، كما أن الحوار الداخلي حسب تعريف "جيرار برنس" هو عبارة عن "حوار طويل تفضي به شخصية واحدة وليس موجها لأشخاص آخرين، وإذا كان الحوار غير منطوق ذي الصوت العالي للشخصية؛ فإنه يشكل مونولوجا داخليا، وإذا كان منطوقا فإنه يشكل مونولوجا خارجيا ومناجاة للنفس" (برنس، 2003، صفحة 136)

3- تجليات الحوار وصيغته في رائية أبي فراس الحمداني:

يتراوح الحوار في رائية أبي فراس الحمداني بين الحوار الخارجي (الصريح) والحوار الداخلي (المونولوج)، غير أننا نجد أن الحوار الخارجي جاء بنسبة قليلة، ويمكن التفصيل في ذلك فيما يأتي:

1-3- الحوار الخارجي:

يتجلى الحوار الخارجي في رائية أبي فراس الحمداني في قوله: (الحمداني، 1944، صفحة 213)

وَقَالَ أَصْبِيْحَابِي: الْفَرَارُ أَوْ الرَّدَى؟ فَقُلْتُ: "هُمَا أُمَّرَانٌ أَخْلَاهُمَا مَرْ"

وَلَكِنِّي أُمَّرَانِي لِمَا لَا يَعِينِي وَحَسْبُكَ مِنْ أُمَّرَيْنِ خَيْرُهُمَا الْأَسْرُ

يَقُولُونَ لِي: "بَعْتَ السَّلَامَةَ بِالرَّدَى" فَقُلْتُ: "أَمَا وَاللَّهِ مَا نَسَّالْنِي خُسْرُ"

وَهَلْ يَتَجَافَى عَنِّي الْمَوْتُ سَاعَةً إِذَا مَا تَجَافَى عَنِّي الْأَسْرُ وَالضَّرُّ؟
هُوَ الْمَوْتُ فَاخْتَرْ مَا عَلَا لَكَ ذِكْرُهُ فَلَمْ يَمُتِ الْإِنْسَانُ مَا حَيَّيَ الذِّكْرُ
وَلَا خَيْرَ فِي دَفْعِ الرَّدَى بِمَذَلَّةٍ كَمَا رَدَّهَا يَوْمًا بِسَوْءَتِهِ "عَفْرُو"

يمثل هذا الحوار الخارجي تعبيراً عن رأي أبي فراس الحمداني عن الفرار أو الموت، وذلك حين خيّر أصحابه بين الفرار من ساحة المعركة أو تفضيل الموت والهلاك، فكان رده أن كلاهما صعب وطعمه مر؛ فإذا اختار الفرار فسيلحق به العار المخزي، وإن فضّل البقاء في ساحة المعركة فقد يواجه أحد الأمرين، إما الموت أو الأسر، وفي الأخير اختار الشاعر المخاطرة بحياته عوض الفرار؛ لأنه في النهاية لا فرار من الموت في الحياة، فليمت عزيزاً كريماً، لكنه في النهاية وقع أسيراً، وقد اعترض رفاقه على موقفه هذا، لكنه لم يأخذ برأيهم، وفضل مواجهة العدو.

وقد وظّف أبو فراس الحمداني في هذا الحوار الشعري صيغة القول (قَالَ، فَقُلْتُ)، وهي صيغة الحوار الصريح، كما وظف الشاعر ضمير المتكلم المفرد "أنا" (فَقُلْتُ، أَمْضِي، قُلْتُ، مَا نَالِي) الذي يحدد شخصية الشاعر، وكذلك ضمير الغائب الجمع "هم" (أَصْحَابِي، يَقُولُونَ) الذي يعود على أصحاب الشاعر الذين كانوا يحاولون إقناع الشاعر بمغادرة ساحة الحرب والنجاة بنفسه، ولكنه رفض ذلك، كما يتخلل هذان الضميران ضمير المخاطب "أنت" لكنه قليل جداً في هذا المقطع الشعري (بِعْتِ، فَاخْتَرْ)، إذ يوظفه الشاعر لنقل حوار مع أصحابه بشكل مباشر، في حين يوظف الشاعر ضمير الغائب (هم) حين ينقل إلينا ما كان بينه وبين أصحابه من حوار كان هدفه إقناع الشاعر بالانسحاب من المعركة، لذلك كان حضور ضميري المتكلم "أنا" والغائب "هم" المهيمين في هذا المقطع الشعري، تأكيداً على وفاء الشاعر لقومه، وإيثارهم على نفسه.

وقال أبو فراس الحمداني مجيباً على سؤال حبيبته (الحمداني، 1944، صفحة 210، 211):

تُسَالِلُنِي: "مَنْ أَنْتَ؟" وَهِيَ عَلِيمَةٌ وَ هَلْ بَفَتَى مِثْلِي عَلَى خَالِهِ نُكْرُ؟
فَقُلْتُ: كَمَا سَاءَتْ وَشَاءَ لَهَا الْهَوَى قَالَتْ: "أَيُّهُمْ؟ فَهَمْ كُنْزٌ! قَتِيرٌ أَلِكِ
فَقُلْتُ أَنْتَ لَهَا: "لَوْ شِئْتَ لَمْ تَتَّعَنِّي" !وَلَمْ تَسْأَلِي عَنِّي وَعِنْدَكَ بِي خُبْرُ
"إِفْقَالَتْ: "لَقَدْ أُرزَى بِكَ الدَّهْرُ بَعْدَنَا "إِفْقَالَتْ: "مَعَادَ اللَّهِ بَلْ أَنْتِ لَا الدَّهْرُ
وَمَا كَـمَـانَ لِأَخْرَانَ لَوْلَاكَ مَسْأَلُكَ إِلَى الْقَلْبِ لَكِنَّ الْهَوَى لِلْبَلْبَى جَسْرُ
وَتَهْلِكُ بَيْنَ الْهَزْلِ وَالْجِدِّ مُهْجَةٌ إِذَا مَا عَادَا الْبَيْنُ عَذْبَهَا الْهَجْرُ
فَأَيَّقَنْتُ أَنْ لَا عِزَّ بَعْدِي لِعَاشِقٍ وَأَنْ يَدِي مِمَّا عَلَّقْتُ بِهِ صِـفْرُ

يخاطب الشاعر أبو فراس الحمداني محبوبته طالبا منها عدم إنكارها له، وقد استاء من سؤالها، فهل فتى مثله يُنكّر؟، فيجيبها بما ترغب: "قتيلك"، لكنها تجيبه بسخرية "أَيُّهُمْ؟ فَهَمْ كُنْزٌ"، ثم تدعي محبوبته أنها لم تستطع التعرف عليه نتيجة ما فعله به الدهر، لكنه ينفي عن الدهر أي أثر سيء، بل يؤكد أن السبب هو معاملتها السيئة له بالغدر والنكران، ويقر في نهاية المطاف إنهاء مشاعره اتجاه محبوبته.

لقد وظّف أبو فراس الحمداني في هذا المقطع الشعري الحوار الخارجي بناء على استعماله لصيغة "تساللني" التي استهل من خلالها الحوار بينه وبين محبوبته، وكذلك أسلوب الاستفهام (من أنت؟)، بالإضافة إلى صيغة القول (قَالَتْ، فَقُلْتُ)، وقد استعمل أبو فراس الحمداني ضمير المتكلم "أنا" الذي يعود على الشاعر (فَقُلْتُ، فَأَيَّقَنْتُ، عَلَّقْتُ) وكذلك

ضمير الغائب "هي" الذي يعود على المحبوبة (تَسَائِلُنِي، فَقَالَتْ، شَاءَتْ، لها) التي غدرت به وخانت عهده، ويتخلل هذين الضميرين ضمير المخاطب "أنت" (فَتَيْلُكِ، شِئْتِ، تَتَعَنِّي، لَمْ تَسْأَلِي، عِنْدَكَ، لَوْلَاكِ)، وهو حوار صريح بين الشاعر ومحبوبته التي لم تف بعهدها، وكانت سببا آخر في حزنه على حاله، وإنما كان المقصود من ضمير المَخَاطَبِ "أنت" هو ابن عم الشاعر؛ إذ يسرد الشاعر على لسان محبوبته حوارا يومي من خلاله عن حزنه على عدم وفاء ابن عمه، و لومه على عدم مساندته له في سجنه، ودفعه الفدية لإخراجه من السجن، إذ لم يصرح الشاعر بحقيقة محبوبته أو اسمها، رغبة في عدم التصريح بعتاب ابن عمه، دفاعا عن كرامته وعزة نفسه.

لقد ساهم الحوار الخارجي في تحفيز الشاعر على البوح بمشاعره وموقفه من الأسر، والتصريح بما يختلج صدره من حزن وأسف على حاله، محاولا رغم ذلك التعبير عن صبره ومقاومته لضعفه.

3-2- الحوار الداخلي:

يزخر نص رائية أبي فراس الحمداني بالحوار الداخلي أو ما يسمى بالمونولوج، و يمثل حوار أنا الشاعر لنفسه، مفصحا عما يجول بخاطره ونفسه من مشاعر وأحاسيس، ومعبرا عن نظرتة لبعض الأمور والمواقف، فالشاعر يسأل نفسه ويجيب، ليكشف عن معاناته النفسية والصراع الذي يعيشه بينه وبين نفسه، ومثال ذلك ما استهل به رائيته من مناجاة نفسية (الحمداني، 1944، صفحة 209، 210):

أَرَكَ عَصِيَّ الدَّمْعِ شِيمَتُكَ الصَّبْرُ أَمَا لِلْهُوَى نَهْيٌ عَالِيكَ وَلَا أَمْرُ؟
بَلَى أَنَا مُشْتَاقٌ وَعِنْدِي لَوْ عَـ____ةٌ وَلكَـ____نْ مِثْلِي لَا يَدَاغُ لَهُ سِرُّ
إِذَا اللَّيْلُ أَضْوَانِي بَسَطَتْ يَدَ الْهُوَى وَأَذَلَّتْ دَمْعًا مِنْ حَـ____لَانِقِهِ الْكِبْرُ
تَكَادُ تُضِيءُ النَّارُ بَيْنَ جَـ____وَاجِحِي إِذَا هِيَ أَذْكَتْهَا الصَّبَابَةُ وَالْفُكْرُ

يصور الشاعر أبو فراس الحمداني في هذه الأبيات محاورته لنفسه، فيعبر عن مشاعره والمعاناة النفسية التي يعيشها، فيفصح لنفسه ما يأبى إظهاره لغيره من البشر؛ إذ يمنعه من ذلك كبرياءه، و رفضه لإحساس الضعف، فيفتعل شخصية من نسيج خياله تحاوره، وتساءله عن حاله، ويجيب تلك الشخصية المتخيلة التي تمثل ذات الشاعر، عما يكتمه من إحساس بالشوق، لكنه يرفض الإفصاح عنه إرضاء لكبريائه، فالحوار هنا عبارة عن مونولوج؛ إذ يحاور الشاعر نفسه، ويتساءل عما إذا كان له حصانة ضد الهوى، و يجيب بأنه مشتاق، لكنه يقر أنه لا يمكن أن يُفشي أسراره، وعندما يحل الليل يشعر بقوة مشاعره فتندفق دموعه بغزارة، وقد استفتح الشاعر أبو فراس الحمداني حواراه مع نفسه من خلال استفهام إنكاري، يتم الرد عليه من قبل الشاعر من خلال البيت الثاني والثالث، فالشاعر يسأل نفسه عن حاله ويجيب في الآن ذاته، معبرًا عما يؤرقه ويحزنه.

وقد وظف أبو فراس الحمداني في هذا الحوار الداخلي ضمير المتكلم "أنا" (أَرَكَ، أَنَا مُشْتَاقٌ، عندي لوعة، أَضْوَانِي، بَسَطَتْ، أَذَلَّتْ)، وكذلك ضمير المخاطب "أنت" (شيمتك، عَلِيَّكَ)، غير أن ضمير المتكلم هو الطاغية في هذا الحوار؛ إذ يبوح الشاعر لنفسه ما يؤرقه، ويؤذي كبرياءه، في حين يتخلل هذين الضميرين ضميرا الغائب "هو، هي" (لا يُدَاغُ لَهُ، تَكَادُ، تُضِيءُ، إِذَا هِيَ أَذْكَتْهَا)، والذي يعبر عن ألم الشاعر النفسي، وإحساسه بزوال مكانته، وهذا التعدد في الضمائر يسمح للشاعر بالبوح، والتعبير عما يجول بخاطره وعقله وقلبه، ونقله إلى القارئ نقلا فنيا.

ونجد الحوار الداخلي أيضا في رائية أبي فراس في قوله: (الحمداني، 1944، صفحة 210)

مُعَلَّلِي بِالْوَصْلِ وَالْمَسْـُـوُتِ دُونَهُ إِذَا مِتُّ ظَمَانًا فَلَا نَزَلَ الْقَطُّ
حَفِظْتُ وَصَيَّغْتُ الْمَسْـُـوَدَةَ بَيْنَنَا وَأَحْسَنَ مِنْ بَعْضِ الْوَفَاءِ لِكَ الْعُدُوِّ
وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا صَحَابَةٌ خَائِفٌ لِأَخْرُفِهَا مِنْ كَفِّ كَاتِبِهَا بِشْرُ
بِنَفْسِي مِنَ الْغَادِيَيْنِ فِي الْحَيِّ غَادَةٌ هَوَايَ لَهَا ذَنْبٌ وَبَهْمُ جَبْتُهَا عُدُوِّ
تَرْوَعُ إِلَى الْوَاشِيَيْنِ فِيَّ وَإِنَّ لِي لَأَدْنَا بِهَا عَنْ كُلِّ وَاشِيَةٍ وَقُرُ
بَدُوْتُ وَأَهْلِي حَاضِرُونَ لِأَنِّي أَرَى أَنَّ دَارًا لَسْتُ مِنْ أَهْلِهَا قَفُورُ
وَحَارِبْتُ قَوْمِي فِي هَوَاكِ وَإِنَّمَا وَإِيَّايَ لَوْلَا حُبُّكَ الْمَسَاءِ وَالْحَمْرُ
فَإِنْ كَانَ مَا قَالَ الْوُشَاءُ وَلَمْ يَكُنْ فَقَدْ يَهْدِمُ الْإِيْمَانَ مَا شَدَّ الْكُفْرُ
وَقَيْتُ وَفِي بَعْضِ الْوَفَاءِ مَذَلَّةٌ لِأَنِّي فِي الْحَيِّ شِيمَتُهَا الْعُدُوِّ
وَقُورُ وَرِيْعَانُ الصِّبَا يَسْتَفْرِهُمَا فَتَأْرُنُ أَحْيَانًا كَمَا يَأْرُنُ الْمُهْرُ

يستحضر الشاعر أبو فراس الحمداني صورة محبوبته التي تمنى الشاعر بالوعود ثم تخلفها، مخاطبا إيها بـ "مُعَلَّلِي"، مصرحا بياسه من لقائه بها، فقد صيغت مودته، في حين حافظ هو على ذلك الود، وقد تسبب حبه لمحبوبته في عدا بينه وبين قبيلته، لكنه بقي وفيا لحبها الذي جعله يشعر بالذل، وكان على محبوبته ألا تصدق كلام الواشين، لمعرفة وإيمانها بصدقه وكذبهم، وكان الشاعر يومي بقصته مع محبوبته، إلى عتابه ابن عمه سيف الدولة الذي خذله وهو مسجون، وصدق كلام الواشين الذين زرعوا الفتنة بينهما، فأبى أن يدفع الفدية ويخرجه من السجن.

وقد استعمل أبو فراس الحمداني في هذا المقطع الشعري ضمير المتكلم المفرد "أنا" الذي يعود على الشاعر (إذا مِتُّ، حَفِظْتُ، بِنَفْسِي، هَوَايَ، فِيَّ، بَلَوْتُ، أَرَى، حَارِبْتُ، إِيَّايَ، وَقَيْتُ، وَقُورُ)، وكذلك ضمير الغائب "هي" (مُعَلَّلِي، صَيَّغْتُ، لِكَ، لَهَا، تَرْوَعُ، لَسْتُ، هَوَاكِ، حُبُّكَ، يَسْتَفْرِهُمَا، تَأْرُنُ، يَسْتَفْرِهُمَا)، إذ أن الشاعر يكي عن لومه ابن عمه على خذلانه، وعدم السعي لإخراجه من السجن من خلال دفع الفدية.

ونجد أيضا الحوار الداخلي في قوله: (الحمداني، 1944، الصفحات 211-213)

وَقَلْبْتُ أَمْرِي لَا أَرَى لِي رَاحَةً إِذَا الْهَمُّ أَسْلَانِي أَلَحَّ بِي الْهَجْرُ
فَعُدْتُ إِلَى حُكْمِ الزَّمَانِ وَحُكْمِهَا لَهَا الذَّنْبُ لَا تُجْرِي بِهِ وَلِي الْعُدُوِّ
كَأَنِّي أَنَادِي دُونَ مَيْثَاءَ ظَبْيِيَّةَ عَلَى شَرَفِ ظَمْبَاءَ جَلَّلَهَا الذُّعْرُ
تَحْفَلُ حِينًا ثُمَّ تُدْنُو كَأَنَّ مَا تُنَادِي طَلًّا بِالْوَادِ أُعْجَزَهُ الْخُضْرُ
فَلَا تُتَكْرِبِي بِإِبْنَةِ الْعَرَمِ إِنَّهُ لَيَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَهُ الْبَدُوِّ وَالْحَضْرُ
وَلَا تُتَكْرِبِي إِنِّي غَيْرُ مُتَكْرِبٍ إِذَا رَأَيْتِ الْأَقْدَامَ وَاسْتَنْزَلَ النَّصْرُ
وَإِنِّي لَجَرَّارٌ لِكُلِّ كَتِيبَةٍ مُعَوَّدَةٍ أَنْ لَا يُجَلَّ بِهَا النَّصْرُ
وَإِنِّي لَسَلْبٌ نَزَّالٌ بِكُلِّ مَخُوفَةٍ كَثِيرٍ إِلَى نَزْلِهَا النَّظْرُ الشَّرُّ
فَأَطْمَأ حَتَّى تَرْتَوِي الْبَيْضَ وَالْقَنَا وَأَسْعَبُ حَتَّى يَشْبَعِ الذَّنْبُ وَالنَّسْرُ

وَلَا أَصْبِحُ الْحَيَّ الْخَائِبَ أَوْفَ بَعَارَةٍ وَلَا الْجَيْشَ مَا لَمْ تَأْتِهِ قَبْلِي النَّدْرُ
 وَ يَا رَبُّ دَارٍ لَمْ تَخْفِنِي مَنِيَعَةٍ طَلَعْتُ عَلَيْهَا بِالرَّدَى أَنَا وَالْفَجْرُ
 وَ حَيِّ رَدَدْتُ الْخَيْلَ حَتَّى مَلَأْتُ كُنْفَهُ هَزِيمًا وَرَدَدْتَنِي الْبِرَاقِعَ وَ الْخُمْرُ
 وَسَاحِبَةَ الْأَذْيَالِ نَحْوِي لَقِيْتُهَا فَلَمْ يَلْقَهَا جَهْمُ الْأَلْبِيقَاءِ وَلَا وَعْرُ
 وَ هَبَّتْ لَهَا مَا حَسَّرَهُ الْجَيْشُ كُلَّهُ وَرُحْتُ وَ لَمْ يُكْتَفَ لِأَتُوا بِهَا سِنْرُ
 وَلَا رَاحٍ يُطْفِئُ بِنِي بَأْتُوا بِهِ الْغَنَى وَلَا بَاتَ يَتْنِينِي عَنِ الْكَمْرِ الْفَقْرُ
 وَ مَا حَاجَتِي بِالْمَالِ أَبْغِي وَ فُورُهُ؟ إِذَا لَمْ أَفِرْ عَرَضِي فَلَا وَ قَسْرَ الْوَفْرِ
 أَسِرْتُ وَ مَا صَحْبِي بَعُزْلٍ لَدَى الْوَعَى وَلَا فَرَسِي مُهْرٌ وَلَا رَبُّهُ غَمْرُ
 وَ لَكِنْ إِذَا حَمَّ الْقَضَاءُ عَلَى امْرِئٍ فَلَأَنْ يَسَّ لَهُ بَرٌّ بِقِيهِ وَلَا بَحْرُ

يخاطب الشاعر نفسه في هذا المقطع الشعري، مفصحا عن عدم إحساسه بالراحة، فقد حاصره الهم وهجر المحبوبة، فلم يعد يرى مخرجا للحزن الذي يحيط به من كل جانب، سوى أن يتقبل ما قُدِّر له، ويتحمل هجر محبوبته له، بل ربما عليه الاعتذار منها، وفي ذلك كناية عن رغبته بالاعتذار من ابن عمه سيف الدولة، رغم خذلانه له، ثم ينتقل الشاعر إلى مناداة ظبية بتردد، فيقترب منها تارة، ويتردد في ذلك تارة أخرى.

ويواصل أبو فراس الحمداني محاورة نفسه، والتخفيف عنها من وطأة حكم الزمان الذي جعله أسيرا، ويلتمس لنفسه العذر في ذلك، ثم يطلب الشاعر من محبوبته ألا تنكره، فهو معروف بخصاله الحميدة لدى البدو والحضر؛ فيرد على إنكارها له، ويعدد لها ضمنا صفاته، مفتخرا بنفسه، فالشاعر شجاع وفارس قوي ونبل، ولا يتنعم بالحياة أثناء الحروب، إلا إذا ارتوت السيوف والرماح بالدماء، وتنال الذئاب والنسور من جثث الأعداء حتى تشبع، فالشاعر يفتخر بفروسيته وقوته في النزال، ويؤكد على ذلك من خلال توظيفه لصيغة المبالغة فعال (جزار، نزال)، كما يفتخر الشاعر ردا على إنكار محبوبته له، بكرم أخلاقه، إذ أنه لا يهاجم الضعفاء، ممن لا يملكون من يدافع عنهم، ولا يهاجم الأقوياء على حين غرة، بل يهاجمهم في وضوح النهار، وقد تم تنبيههم وإنذارهم بذلك الهجوم، وحين كان يحقق الانتصار على العدو، لم يكن يتهجم على النساء ولا يفضح سترهن، ولا تغريه غنائم المال والثروة؛ لأنها ليست مصدر سعادته، ولا الفقر كان مدعاة لحزنه أو بخله.

و يحاور الشاعر نفسه في آخر هذه الأبيات مفصحا عن أسفه على وقوعه في أسر البنزطين، والذي لم يتوقعه نتيجة قوة أصحابه، وفرسه الخبير بالحروب، وهو فارس يتقن النزال والقتال، وكي يخفف عن نفسه من ألم الأسر يجعل سبب أسره قدرا كتب عليه، فلا مفر منه.

و نجد في هذا المقطع الشعري من خلال الحوار الداخلي المتخيل بين الشاعر وحبيبته حضور ضمير المتكلم المفرد "أنا" بقوة، إلى جانب ضمير المخاطب "أنت"؛ حيث يتجلى ضمير المتكلم من خلال حديث الشاعر عن نفسه، وافتخاره بمناقبه، وتبريره لوقوعه في الأسر (قَلْبْتُ، لا أرى، أَسْلَانِي، بِي، قَعَدْتُ، أَنَادِي، إِلَيَّ لَجَرَّارٍ، إِلَيَّ لَنَزَالٍ، فَأَصْمَأُ، وَأَسْعَبُ، لا أَصْبِحُ، لَمْ تَخْفِنِي، طَلَعْتُ، رَدَدْتُ، مَلَكْتُهُ، رَدَدْتَنِي، لَقِيْتُهَا، وَهَبْتُ، رُحْتُ، يُطْعِنِي، يَتْنِينِي، وَمَا حَاجَتِي، أَيْغِي، أَفِرُّ أَسِرْتُ)، ويحاول الشاعر من خلال ضمير المتكلم "أنا" الرد على إنكار محبوبته المتخيل، له ولصفاته الحميدة، والتخفيف عن نفسه من ألم وقوعه في الأسر، مقيد الحرية، بعد أن كان سيد قومه، وفارسا تشهد له البدو والحضر

بخصال الفارس القوي، فافتعل ذلك الحوار بينه وبين محبوبته، كي يهين سياق الحوار للافتخار بنفسه وأخلاقه وبسالته في الحروب، وأن أمر أسره قضاء وقدر، بينما يتجلى ضمير المخاطب "أنت" من خلال مخاطبة الشاعر لنفسه على لسان حبيبته، ليؤكد لنفسه قيمته بين قومه (يا ابنة العم، لا تُنكريني، أنكرته).

ويقول أبو فراس الحمداني في آخر نص رائيته ضمن الحوار الداخلي (الحمداني، 1944، صفحة 213، 214):

يَمُنُونَ أَنْ حَـ____أَوْا ثِيَابِي وَإِنَّمَا عَلَيَّ تِيَابٌ مِنْ دِمَائِهِمْ حُمُرُ
وَقَائِمٌ سِنْفِي فِيهِمْ أُنْدَقٌ نَمْلُهُ وَأَعْقَابُ رُمُوحِي فِيهِمْ حُطَمَ الصَّنْدُرُ
سَيِّدُكَرْنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جُدُهُمْ وَفِي النَّيْلَةِ الظَّلْمُــــــــــــــــاءِ يُفْتَقَدُ البَدْرُ
فَإِنْ عَشْتُ فَالطَّغْنُ الَّذِي يَعْرِفُونَهُ وَتِلْكَ القَنَا وَالبَيْضُ وَالضُّمْرُ الشُّفْرُ
وَإِنْ مِتُّ فَالْإِنْسُــــــــــــــــانُ لَأَبْدُ مَيِّتٌ وَإِنْ طَالَتْ الأَيُّــــــــــــــــامُ وَأَنْفَسَحَ العُمُرُ
وَلَوْ سَدَّ عَيْرِي مَا سَدَّدْتُ أَكْتَفُوا بِهِ وَمَا كَانَ يَغْلُو الثَّبِيرُ لَوْ نَفَقَ الصُّفْرُ
وَنَحْنُ أَنَاسٌ لَا تَوَسُّطَ عــــــــــــــــندَنَا لَنَا الصَّدْرُ دُونَ العَالَمِينَ أَوْ القَبْرِ
تَهُونُ عَلَيْنَا فِي المَعَالِي نَفُوسَنَا وَمَنْ حَطَبَ الحَسَنَاءَ لَمْ يُغْلِبْهَا المَهْرُ
أَعَزَّ بَنِي الدُّنْيَا وَأَعْلَى دَوِي الغَلَا وَأَكْرَمُ مَنْ فَوْقَ التُّــــــــــــــــرابِ وَلَا فَحْرُ

يخاطب الشاعر أبو فراس الحمداني في نهاية القصيدة العدو (البرنظيين) الذين لم يجردوه من ثيابه الملطخة بدمائهم، مفتخرا بكثرة الجنود الذين نال منهم وقتلهم قبل وقوعه في الأسر، فمقبض سيفه ورمحه قد انكسرا في أجساد العدو، ويواصل حديثه مع نفسه مبررا لها سبب وقوعه في الأسر، وأن ما حلّ به كان نتيجة شجاعته، وقوته وعدم استسلامه للعدو، وعدم أخذه بنصيحة أصحابه، ولذلك سيفتقده قومه إذا حلّ بهم مكروه أو سوء، كما يفتقد البدر في الليلة الظلماء؛ لأنه لو لم يقع في الأسر لواصل الدفاع عن قومه بكل قوته وإقدامه وشجاعته، ولو تم فداءه لواصل الدفاع عنهم كما اعتادوا ذلك، فهو وقومه لا يرضخون ولا يرضون إلا بالمراتب العليا أو الموت.

ونلاحظ في هذا الحوار الداخلي أن الضمير السائد فيه هو ضمير الجمع الغائب "هم" الذي يعود على أعداء الشاعر الذين أسروه (يَمُنُونَ، حَلَّوْا، دِمَائِهِمْ، فِيهِمْ)، كما يرمز أيضا إلى قوم الشاعر الذين سوف يفتقدون فارسا شجاعا لطالما دافع عنهم (قَوْمِي، جَدُّهُمْ، يَعْرِفُونَهُ)، كما يتجلى أيضا ضمير المتكلم المفرد "أنا" (ثِيَابِي، عَلَيَّ، سِنْفِي، رُمُوحِي، سَيِّدُكَرْنِي، عَشْتُ، مِتُّ، مَا سَدَّدْتُ) الذي يحدد شخصية الشاعر الذي يلوم ابن عمه تلميحا لا تصريحاً في نهاية القصيدة على عدم تقديم الفدية لإخراجه من السجن؛ لأنه يستحق ذلك فقد بذل كل ما في وسعه لنصرة قومه، وما وقوعه في الأسر إلا تأكيدا على ذلك، فلا يمكن لقومه أن يجدوا فارسا آخر بديلا له بقوته وبسالته في الحروب ووفائه لهم.

ثم يختم الشاعر أبو فراس الحمداني حواراه الداخلي في نهاية القصيدة بافتخاره بنفسه وقومه موظفا ضمير المتكلم الجمع "نحن" ("نَحْنُ أَنَاسٌ، عِنْدَنَا، لَنَا، تَهُونُ عَلَيْنَا)، كي يؤكد الخصال الحميدة التي يتصف بها الشاعر وقومه، قصد تعظيم شأنه بانتمائه إليهم رغم وقوعه أسيرا، فهو وقبيلته دائما يتصدرون الصفوف الأولى في المعارك، ويختارون أسمى المنازل والرتب، ويضحون بحياتهم من أجل المجد والمكانة الرفيعة.

4- وظائف الحوار في رائية أبي فراس الحمداني:

4-1- الكشف عن الشخصيات المتحاوره:

يعد الحوار مرآة للشخصيات التي تتحاور؛ حيث يساهم الحوار في التعريف بالشخصيات، من حيث طبائعها وصفاتها، وسلوكها، ودورها في تطور الأحداث؛ حيث يكشف الحوار عن أعماق الشخصيات، وحقيقتها، ومواقفها اتجاه الأحداث، إذ أن " الشخصية لا تبدو كاملة الوضوح والحيوية إلا إذا سمعها القارئ وهي تتحدث" (كاظم، ط (1)، 2004، صفحة 77)؛ حيث يقوم الحوار بـ "وظيفة مهمة في التعريف بالشخصية ومن خلاله تراءى للقارئ ملامح الشخصية ودورها" (كاظم، 2004، صفحة 80).

لقد جسد الحوار بنوعيه في رائية أبي فراس الحمداني شخصية أبي فراس الفارس القوي، والذي يأتي أن يفصح عن ضعفه بسبب الأسر، كما أبرز الحوار الداخلي في الرائية أيضا الحالة النفسية للشاعر، والتي اجتمعت فيها مشاعر الضعف واليأس واللوم والكبرياء، بسبب وقوعه في أسر البزنطيين، فقد حاول التخفيف عن نفسه من وطأة الإحساس بمشاعر الضعف والذل والهوان، من خلال عرضه لقوته ومراسه في النزال، وحاجة قومه إليه حين تشتد بهم الشدائد، وهي شخصية الشاعر الحربية التي تواجه العدو بكل قوة وإقدام، كما يتجلى الشاعر أيضا في شخصية الشاعر المحب الوفي لمحبيبته، وذلك من خلال حوارها معها.

كما أن الحوار الخارجي كشف عن شخصية الحبيبة التي لم يفصح الشاعر أبو فراس عن اسمها، وإنما عرّفها من خلال حديثه عن غدرها وعدم وفائها بوعددها والعهد الذي كان بينهما.

بالإضافة إلى شخصيات أصحاب الشاعر أبي فراس الحمداني الذين حاولوا أن يخففوا من إحساس الشاعر باليأس والخوف من المصير المجهول منذ بداية المعركة إلى غاية نهايتها بأسر الشاعر، دون أن يضطر الشاعر إلى ذكر تفاصيل المعركة، والذين حاولوا اقناع الشاعر بالاستسلام أو الفرار من المعركة، خوفا عليه من الهلاك، لكنه لم يعمل بنصيحتهم، وواصل المعركة إلى غاية وقوعه في الأسر.

نجد الحوار الداخلي يصور شخصية قوم الشاعر الذين لا يرضون إلا بالمكانة الرفيعة والمجد، وميّزهم الشاعر بأنهم لا يعرفون التوسط في الأمور، بل يقبلون فقط بالمقدمة والصفوف الأولى القيادية، سواء في ساحة الحرب أو في الأعمال التي تحقق لهم المجد والرفعة، وأنهم أعز وأعلى وأكرم من فوق التراب، وفي ذلك تعظيم لقوم الشاعر وله أيضا.

لقد ساهم الحوار بنوعيه في نص رائية أبي فراس الحمداني في إبراز الشخصيات المتحاوره، والعلاقات التي تربط فيما بينها، لكن تقديمها كان عن طريق صفاتها المعنوية، والتي تحدد صفاتها النفسية، وبالمقابل نجد غياب السمات الحسية لهذه الشخصيات، وسبب ذلك اهتمام الشاعر بالإفصاح عما يؤرقه، نتيجة أسره، و عن علاقاته بتلك الشخصيات، وموقفه منها.

4-2- عرض الأحداث وتتبع تطورها:

يساهم الحوار في عرض الأحداث وتتبع تطورها إلى غاية نهايتها؛ حيث يقوم مشهد الحوار بعرض الأحداث من خلال الحديث الذي يدور بين شخصين أو بين شخصية واحدة ونفسها، فالحوار "في الفن الروائي، وفي كل نوع أدبي يرد فيه يتعدى كونه لغة إلى أن يكون، كما يرى البعض جزءا من السرد وأحيانا وسيلة تقنية تسهم في تطوير الحدث والسير بالخط الروائي إلى الأمام" (منيف، 2002، صفحة 25).

لقد كشف الحوار بنوعيه عن تسلسل الأحداث وترباطها وتطورها في رائية أبي فراس الحمداني، بداية من عرض الشاعر لحواره مع حبيبته التي خانت عهده، وقطعت حبل وصلها معه، والتي أوماً من خلالها عن خذلان ابن عمه سيف الدولة الحمداني له، وعدم دفع الفدية لإنقاذه من الأسر، مروراً بحوار الشاعر مع أصحابه، وحديثه عن أسرته بعد مشاركته في المعركة ضد العدو والدفاع عن قومه، ونصح أصحابه له بالفرار من المعركة والنجاة من الموت أو الأسر، لكنه فضل قتال العدو إلى آخر رمق، فيما أن ينجو هو وقومه أو يستشهد، لكنه في الأخير يجد نفسه أسيراً مكبلاً بقيود الذل والرضوخ والضعف، ووصولاً إلى عرض الشاعر لقوته وفروسيته، وما قدمه لقومه حين كان حراً، ولولا الأسر لكان قومه دائماً في حاجته لينير ظلمة ليلهم كالقمر.

4-3- سمة الدرامية:

لقد أضفى الحوار بنوعيه على نص رائية أبي فراس الحمداني صفة درامية؛ حيث كشف ذلك الحوار عن أفكار الشاعر ومشاعره، وعن الشخصيات المشاركة في الحوار في نص الرائية، كما ساهم في سرد تجربة الشاعر ونقلها إلى القارئ بشكل فني درامي، بشكل متنامي يكشف عن رؤى الشاعر أبي فراس الحمداني ومواقفه من المحبوبة التي خانت عهده، والتي يومئ من خلالها عن عدم وفاء ابن عمه له، وعدم دفعه للفدية لإخراجه من السجن، وموقفه من نصيحة رفاقه، ووفائه لقومه، وكل ذلك كان بطريقة جعلت القارئ يتجلى كمشارك في تلك الأحداث، كما أبرز الحوار الداخلي بصفة خاصة موقف الشاعر من سجنه، وعدم تقبله لهوانه وزوال سلطانه ومكانته.

ونجد صفة الدرامية في نص الرائية وغيرها من نصوص الشعر العربي القديم سمة راسخة فيه؛ إذ يجب " للقصيدة أن تقترب من الروح الدرامية وأن تعبر عن الصراع والتأزم الذي وقع تحت وطأته الشاعر المحدث بتشابك حياته الفكرية القائمة" (الخياط، 1982، صفحة 6)، ولا تتعارض سمة الدرامية مع نص رائية أبي فراس الحمداني، بل ساهمت في تجسيد تجربة الشاعر ونقلها إلى المتلقي نقلاً فنياً، كما أن الدرامية تحدها خصوصية تلك التجربة الفنية التي تحفز الشاعر لسرد تفاصيل تجربته الإنسانية، بأساليب فنية وأدبية.

وخلاصة القول:

اتسم الحوار الخارجي والداخلي في نص رائية أبي فراس الحمداني بجمالية فنية نقلت إلينا البعد الانفعالي والدرامي لتجربة الشاعر الشعورية والشعرية؛ مما ساهم ذلك في تجسيد وتصوير الأحداث الدرامية التي سردها الشاعر من خلال حوار مع ذاته وغيره من الشخصيات، مما يؤكد قدرة ذلك الحوار على نقل أفكار ومواقف ومشاعر جميع الشخصيات المتحاورة إلى المتلقي؛ وبالتالي نجد أن الحوار في نص الرائية كان وسيطاً بين الشخصيات المتحاورة، وناقلاً لذلك التفاعل الدرامي بينها، مما خلق ذلك نوعاً من الصراع بين مختلف الشخصيات والشاعر، وما يسرده من تجارب، وأحداث عبّرت عن مواقفه ومشاعره الحياتية المختلفة، والتي سردها في نص رائيته.

ملحق نص الرائية كما وردت القصيدة في ديوان أبي فراس الحمداني، برواية ابن عبد الله الحسين بن خالويه الجزء(2)،وقد عُني بجمعه ونشره وتعليق حواشيه ووضع فهرسه: سامي الدّهان): (الحمداني، 1944، الصفحات (214 -209)

أَرَاكَ عَصِيَّ الدُّمُوعِ شَيْمَتَاكَ الصَّبْرُ
بَلَى أَنَا مُشْتَاقٌ وَعِنْدِي لَوْ عَسَاةٌ
إِذَا اللَّيْلُ أَضْوَانِي بَسَطَتْ يَدَ الْهَوَى
تَكَادُ تُضِيءُ النَّارَ بَيْنَ جَوَانِحِي
مُعَلَّتِي بِالْوَصْلِ وَالْمَوْثُوثُ دُونَهُ
حَفِظْتُ وَصَنِعْتُ الْمَوْدَةَ بَيْنَنَا
وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا صَحَابَةٌ حَانِفٌ
بِنَفْسِي مِنَ الْعَادِيْنَ فِي الْحَيِّ غَادَةٌ
تَرْوُغُ إِلَى الْوَأَشِيْنَ فِيَّ وَإِنَّ لِي
بَدُوْتُ وَأَهْلِي حَاضِرُونَ لِأَنْبِي
وَحَارِبْتُ قَوْمِي فِي هَمَّوَاكُ وَإِنَّهُمْ
فَإِنْ كَانَ مَا قَالِ الْوَأَشَاءُ وَلَمْ يَكُنْ
وَقَيْتُ وَفِي بَعْضِ الْوَفَاءِ مَذَلَّةٌ
وَقُورٌ وَرَبِيعَانُ الصَّبَابَا يَسْتَوِرُهَا
تَسْأَلُنِي: "مَنْ أَنْتَ؟" وَهِيَ عَلِيْمَةٌ
فَقُلْتُ: كَمَا شَاءَتْ وَشَاءَ لَهَا الْهَوَى
فَقُلْتُ لَهَا: "لَوْ شِئْتَ لَمْ تَتَعَنَّتِي
"إِفْقَالْتُ: "لَقَدْ أَرَزَى بِكَ الدَّهْرُ بَعْدَنَا
وَمَا كُنَّا لِلْأَحْزَانِ لَوْلَاكَ مَسْأَلُكَ
وَتَهْلِكُ بَيْنَ الْهَمِّ زَلِّ وَالْجِدِّ مُهْجَةٌ
فَأَيَّقَنْتُ أَنْ لَا عِزَّ بَعْدِي لِعَاشِقٍ
وَقَلْبْتُ أَمْرِي لَا أَرَى لِي رَاحَةً
فَعُدْتُ إِلَى حُكْمِ الزَّمَانِ وَحُكْمِهَا
كَأَنِّي أَنَادِي دُونَ مَيْتَاءِ طَبِيْبَةٍ
تَجْفَلُ حِينًا ثُمَّ تَدْنُو كَأَنَّهَا
فَلَا تُنْكِرِيَنِي يَا بِنْتَةَ الْعَمِّ إِنَّهُ

أَمَّا لِلْهَوَى نَهْيٌ عَالِيكَ وَلَا أَمْرٌ؟
وَلَكِنَّ مِثْلِي لَا يَدَاغُ لَهُ سِرٌّ
وَأَذَلْتُ دَمْعًا مِنْ حَلَايِقِهِ الْكِبْرُ
إِذَا هِيَ أَذْكَتُهَا الصَّبَابَةُ وَالْفِكْرُ
إِذَا مِتُّ ظَمَانًا فَلَا نَزَلَ الْقَطْرُ
وَأَحْسَنَ مِنْ بَعْضِ الْوَفَاءِ لَكَ الْغَدْرُ
لَأَحْزُرُ فِيهَا مِنْ كَفِّ كَاتِبِهَا بِشْرُ
هَوَايَ لَهَا دَنْبٌ وَبِهَا جَنْتُهَا غُرُ
لَأَدْنَا بِهَا عَنْ كُلِّ وَاشِيْبَةٍ وَقُرُ
أَرَى أَنْ دَارًا لَسْتُ مِنْ أَهْلِهَا قَفْرُ
وَإِنِّي لَوْلَا حُبُّكَ الْمَسَاءِ وَالْحَمْرُ
فَقَدْ يَهْدُمُ الْإِيْمَةَ مَا شِئْتَ الْكُفْرُ
لَأَيْسَةَ فِي الْحَيِّ شَيْمَتُهَا الْغَدْرُ
فَتَأْرُنُ أَحْيَانًا كَمَا يَأْرُنُ الْمُهْرُ
وَهَلْ بَقِيَ مِثْلِي عَلَى خَالِهِ نُكْرُ؟
قَالَتْ: "أَيُّهُمْ؟ فَهَمْ كُنْتُ" إِقْبَرِي أَيْ
"وَلَمْ تَسْأَلِي عَنِّي وَعِنْدَكَ بِي خُبْرُ
"إِفْقَالْتُ: "مَعَاذَ اللَّهِ بَلْ أَنْتَ لَا الدَّهْرُ
إِلَى الْقَلْبِ لَكِنَّ الْهَوَى لِلْبَلَى جَسْرُ
إِذَا مَا عَدَاهَا النَّيْنُ عَدَبَهَا الْهَجْرُ
وَأَنَّ يَدِي مِمَّا عَلَّقْتُ بِهِ صَبْرُ
إِذَا الْهَمُّ أَسْلَانِي أَلْحَ بِي الْهَجْرُ
لَهَا الدُّنْبُ لَا تُحْزِي بِهِ وَلِي الْعُدْرُ
عَلَى شَرَفِ ظَمِيَاءِ جَلَّلَهَا الذُّعْرُ
تُنَادِي طَلًّا بِالْوَادِ أَعْجَزَهُ الْخُصْرُ
لِيَعْرِفَ مَنْ أَنْكَرَتِهِ الْبَدْوُ وَالْحَضْرُ

وَلَا تُكْرِبْنِي إِنِّي غَيْرُ مُنْكَرٍ
 وَإِنِّي لَجَرَّارٌ لِكُلِّ كَتِيبَةٍ
 وَإِنِّي لَأَسْتَنْزِلُ الْفُجْرَ
 فَاطْمَأَنَّ حَتَّى تَرْتَوِي الْبَيْضَ وَالْقَنَا
 وَلَا أَصْبِحُ الْحَيَّ الْخَالُوفَ بِغَارَةٍ
 وَ يَا رَبُّ ذَارِ لَمْ تَحْفَنِي مَنِيْعَةً
 وَ حَيَّ رَدَدْتُ الْحَيْلَ حَتَّى مَأْكُتُهُ
 وَسَاجِبَةَ الْأَذْيَالِ نَحْوِي لَقِيْتُهَا
 وَ هَبْتُ لَهَا مَا حَازَهُ الْجَيْشُ كُلُّهُ
 وَلَا رَاحَ يُطْعَمُ بَيْنِي بِأَثْوَابِهِ الْغَنَى
 وَمَا حَاجَتِي بِالْمَالِ أَبْغِي وَفُورَهُ؟
 أَسِرْتُ وَمَا صَحْبِي بِغَزَلٍ لَدَى الْوَعَى
 وَلَكِنْ إِذَا حُمَّ الْقَضَاءُ عَلَى امْرئٍ
 وَقَالَ أَصَيْحَابِي: الْفِرَارُ أَوْ الرَّدَى؟
 وَلَكِنِّي أَمْضِي لِمَا لَا يَعْيْبُنِي
 يَقُولُونَ لِي: "بَغْتَ السَّلَامَةَ بِالرَّدَى"
 وَهَلْ يَتَجَافَى عَنِّي الْمَوْتُ سَاعَةً
 هُوَ الْمَوْتُ فَاخْتَرِ مَا عَلَا لَكَ ذِكْرُهُ
 وَلَا حَيْرٍ فِي دَفْعِ الرَّدَى بِمَذَلَّةٍ
 يَمُنُونَ أَنْ خَافُوا نِيَابِي وَإِنَّمَا
 وَقَانِمُ سِنْفِي فِيهِمْ أَنْدَقُ نَصْلُهُ
 سَيِّدُكُرْنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جُدُّهُمْ
 فَإِنْ عَشْتُ فَالطَّعْنُ الَّذِي يَعْرِفُونَهُ
 وَإِنْ مِتُّ فَالْإِنْسَانُ لَا يُدَّ مَيِّتٌ
 وَلَوْ سَدَّ غَيْرِي مَا سَدَدْتُ اكَتْفُوا بِهِ
 وَنَحْنُ أَنَاسٌ لَا تَوَسُّطَ عِندَنَا
 تَهُونُ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالِي نَفُوسُنَا
 أَعَزَّ بَنِي الدُّنْيَا وَأَعْلَى دَوِي الْعُلَا

إِذَا زَلَّتِ الْأَقْفَادُ وَاسْتَنْزَلَ النَّصْرُ
 مُعَوَّدَةٌ أَنْ لَا يُخْلَلَ بِهَا النَّصْرُ
 كَثِيرٌ إِلَى نَزَالِهَا النَّظْرُ
 وَأَسْعَبُ حَتَّى يَشْبَعَ الذُّبُّ وَالنَّسْرُ
 وَلَا الْجَيْشُ مَا لَمْ تَأْتِهِ قَبْلِي النَّذْرُ
 طَلَعْتُ عَلَيْهَا بِالرَّدَى أَنَا وَالْفَجْرُ
 هَزِيمًا وَرَدَّتْنِي الْبَرَاقِعُ وَالْخُمْرُ
 فَلَمْ يَلْقَهَا جَهْمُ اللَّيْلِ قَاءً وَلَا وَعْرُ
 وَرُحْتُ وَلَمْ يُكْشَفْ لَأَثْوَابِهَا سِثْرُ
 وَلَا بَاتَ يَتَنَبَّيْ عَنِ الْكَمْرِ الْفَقْرُ
 إِذَا لَمْ أَفِرْ عَرْضِي فَلَا وَفَرَّ الْوَفْرُ
 وَلَا فَرَسِي مُهْرٌ وَلَا رَبُّهُ عَمْرُ
 فَلَمْ يَسْ لَهْ بَرٌّ يَقِيهِ وَلَا بَحْرُ
 فَقُلْتُ: "هُمَا أَمْرَانِ أَخْلَاهُمَا مَرْ"
 وَحَسْبُكَ مِنْ أَمْرَيْنِ خَيْرُهُمَا الْأَسْرُ
 فَقُلْتُ: "أَمَا وَاللَّهِ مَا نَالَنِي حُسْرُ"
 إِذَا مَا تَجَافَى عَنِّي الْأَسْرُ وَالصُّرُ؟
 فَلَمْ يَمُتِ الْإِنْسَانُ مَا حَيِّي الذُّكْرُ
 كَمَا رَدَّهَا يَوْمًا بِسَوْعَاتِهِ "عَمْرُو"
 عَلَيَّ تِيَابِ مِنْ دِمَائِهِمْ حُمْرُ
 وَأَعْقَابُ رُمُجِي فِيهِمْ حُطْمُ الصُّدْرُ
 وَفِي اللَّيْلَةِ الظَّلَمَاءُ يُفْتَقَدُ الْبِذْرُ
 وَتِلْكَ الْقَنَا وَ الْبَيْضُ وَالصُّمْرُ الشُّفْرُ
 وَإِنْ طَالَتْ الْأَيَّامُ وَانْفَسَحَ الْعُمْرُ
 وَمَا كَانَ يَغْلُو النَّبْرُ لَوْ نَفَقَ الصُّفْرُ
 لَنَا الصُّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوْ الْقَبْرُ
 وَمَنْ حَطَبَ الْحَسَنَاءَ لَمْ يُغْلَهَا الْمَهْرُ
 وَأَكْرَمُ مَنْ فَوْقَ التَّوَابِ وَلَا فَخْرُ

قائمة المصادر والمراجع:

- ابراهيم فتحي. (1986). معجم المصطلحات الأدبية. المؤسسة العربية للناشرين المتحدنين، دط.
- أبو الفضل جمال الدين محمد ابن منظور. (2005). لسان العرب (المجلد 3)). بيروت - لبنان: دار صادر، ط(4).
- أبو فراس الحمداني. (1944). الديوان، برواية ابن عبد الله الحسين بن خالويه. (الجزء 1))، (عني بجمعه ونشره وتعليق حواشيه و وضع فهارسه: سامي الدّهان) بيروت: المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، مكتبة مروان العطية.
- أبو فراس الحمداني. (1944). الديوان، برواية ابن عبد الله الحسين بن خالويه (الجزء 2)). (عني بجمعه ونشره وتعليق حواشيه ووضع فهارسه: سامي الدّهان) بيروت: المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، مكتبة مروان العطية.
- أبو فراس الحمداني. (1994). الديوان. (شرح: خليل الدويهي) بيروت: دار الكتاب العربي، ط(2).
- تزيطان تودروف. (دت). الشعرية. (ترجمة: شكري مبخوث و رجاء بن سامية، المترجمون) الدار البيضاء: دار توبقال، ط(2).
- جاسم خلف إلياس. (2010). شعرية القصة القيروة جدا. دمشق، سوريا: دار نينوى، دط.
- جاكسون رومان. (1988). قضايا الشعرية. (ترجمة: محمد الولي، و مبارك حنون، المترجمون) الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال، ط (1).
- جلال الخياط. (1982). الأصول الدرامية في الشعر العربي. بغداد، العراق: دار الحرية للطباعة، دط.
- جمال الدين ابن منظور. (2003). لسان العرب (المجلد الجزء 5)). بيروت: دار صادر، دط.
- جون كوهن. (1986). بنية اللغة الشعرية. (ترجمة: محمد الوالي و محمد العمري، المترجمون) الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال، ط(1).
- جيرار برنس. (2003). المصطلح السردى. (عابد خزندار، المترجمون) القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ط(1).
- جيرار جنيت. (1986). مدخل لجامع النص. (ترجمة: عبد الرحمن أيوب، المترجمون) المغرب: دار توبقال، ط(2).
- حسن ناظم. (1994). مفاهيم الشعرية - دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط(1).
- روبرت همفري. (2000). تيار الوعي في الرواية الحديثة. القاهرة: دار غريب، دط.
- عبد الرحمن منيف. (2002). رحلة ضوء. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دط.
- عبد الله الغدامي. (1998). الخطيئة والتكفير، من النبوية إلى التشرحية، قراءة نقدية لنموذج معاصر. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط(4).
- عبد النور جبور. (1984). المعجم الأدبي. بيروت، دار العلم للملايين، ط(2).
- ابن فارس. (2002). مقاييس اللغة. (المجلد الجزء 3)). (تحقيق: عبد السلام هارون) سوريا: اتحاد الكتاب العرب، دط.

- كمال أبو ديب. (1987). *في الشعرية*. بيروت- لبنان: مؤسسة الأبحاث العربية، ط(1).
- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي. (دت). *القاموس المحيط* (المجلد الجزء (2)). القاهرة: دار الحديث، دط.
- محمد بنيس. (2001). *الشعر العربي الحديث بنياته وابدالاتها الجزء (1)*، (التقليدية). الدار البيضاء: دار توبقال، ط(2).
- محمد فتوح أحمد. (2009). *مفارقات الشعرية*. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط(1).
- نجم عبد الله كاظم. (2004). *مشكلة الحوار في الرواية العربية، دراسة*. الشارقة: اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، ط (1).
- نزيهة الخليفة. (دت). *البناء الفني ودلالته في الرواية العربية الحديثة*. الدار التونسية للكتاب، ط(1).
- يوسف وغليسي. (2006). *الشعريات والسرديات، قراءة اصطلاحية في الحدود والمفاهيم*. الجزائر: منشورات مخبر السرد العربي، جامعة منتوري قسنطينة.

الأبعاد الدلالية للحوار القصصي في سورة مريم

د. رشيدة كلاع¹

<http://dx.doi.org/10.47832/soci.con1-20>

الملخص:

حظي القرآن الكريم قديما وحديثا بعدد الدراسات الأدبية، التي أكتبت على البحث في سرّ إعجازه، وتميّز نظمه. إذ أقبل الدارسون على قراءة الخطاب القرآني وتفسيره وتحليله، فتعددت مناهجهم ورؤاهم تبعا لتعدد خلفياتهم. لما كان الحوار وسيلة لسرد الأحداث والوقائع، وشكلا من أشكال التواصل مع المتلقي وصاحب النص حيناً، وبين المبدع وشخصياته القصصية حيناً آخر، فقد أسهم في ربط عناصر النص، ودفع تنامي الأحداث فيه. تضمّن الخطاب القرآني أحداثاً قصصية كثيرة، شملت قصص الأنبياء وعلاقاتهم بأقوامهم. احتل فيها الحوار حيزاً معتبراً، مسهماً - بشكل كبير - في تقريب تلك الصور وتوضيحها. تعددت دلالات الحوار في القرآن الكريم وتنوعت أساليبه، ليشمل حوار الخالق مع الملائكة، وحواره مع الرسل والأنبياء، وحوار الإنسان مع الإنسان، وحوار الأنبياء مع أقوامهم. وقد يأتي الحوار أحياناً في صورة مناجاة بين العبد وربه... . تسعى هذه الدراسة إلى البحث في دور الحوار في تشكيل السرد القصصي في النص القرآني، وذلك من خلال بحث موسوم: " الأبعاد الدلالية للحوار القصصي في سورة مريم " في محاولة للكشف عن دلالات الحوار في هذه السورة، ومظاهره الأسلوبية، ودورها في بناء النص وتشكيله. وهو ما طرح جملة من الأسئلة لعل أهمها:

- ما هو مفهوم الحوار؟ وما هي وظائفه؟
- ما مدى خدمة الحوار للسياق ودلالاته في السورة؟
- ما هي أهم المظاهر الأسلوبية التي طرحها الحوار القصصي في هذه السورة؟
- ما مدى إسهام الحوار في إنماء الحدث في سورة مريم؟
- هل ساعد الحوار في إبراز الحالة النفسية للشخصيات، والتعبير هواجسها في هذه السورة؟
- كيف أسهم الحوار في تشكيل المعنى وبنائه في سورة مريم؟

¹ جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، الجزائر

rachidaklaa@yahoo.fr

المقدمة:

لما كان التعبير عن الأحداث والوقائع أمرا تتيحه طرائق مختلفة، مباشرة وغير مباشرة، فإن صياغتها في قالب قصصي مثير من شأنه أن يرسخها في الذهن، فتكون أقرب للنفس، وأقدر على استثارة انفعالات المتلقي. أكبت العديد من الدراسات على القرآن الكريم قديما وحديثا، بحثا في سر إعجازه، وتميز نظمه. فتعددت مناهجهم ورؤاهم تبعا لتعدد خلفياتهم. لما كان الحوار وسيلة لسرد الأحداث والوقائع، وشكلا من أشكال التواصل مع المتلقي وصاحب النص حيناً، وبين المبدع وشخصياته القصصية حيناً آخر، فقد أسهم في ربط عناصر النص، ودفع تنامي الأحداث فيه.

تضمن الخطاب القرآني أحداثا قصصية كثيرة، شملت قصص الأنبياء وعلاقاتهم بأقوامهم. احتل فيها الحوار حيزا معتبرا، مسهما - بشكل كبير - في تقريب تلك الصور وتوضيحها. تعددت دلالات الحوار في القرآن الكريم وتنوعت أساليبه، ليشمل حوار الخالق مع الملائكة، وحواره مع الرسل والأنبياء، وحوار الإنسان مع الإنسان، وحوار الأنبياء مع أقوامهم. وقد يأتي الحوار أحيانا في صورة مناجاة بين العبد وربّه... .

تسعى هذه الدراسة إلى البحث في دور الحوار في تشكيل السرد القصصي في النص القرآني، وذلك من خلال بحث موسوم: " الأبعاد الدلالية للحوار القصصي في سورة مريم " في محاولة للكشف عن دلالات الحوار في هذه السورة، ومظاهره الأسلوبية، ودورها في بناء النص وتشكيله. وهو ما طرح جملة من الأسئلة لعل أهمها:

- ما هو مفهوم الحوار؟ وما هي وظائفه؟
 - ما مدى خدمة الحوار للسياق ودلالاته في السورة؟
 - ما هي أهم المظاهر الأسلوبية التي طرحها الحوار القصصي في هذه السورة؟
 - ما مدى إسهام الحوار في إنماء الحدث في سورة مريم؟
 - هل ساعد الحوار في إبراز الحالة النفسية للشخصيات، والتعبير عن هواجسها في هذه السورة؟
 - كيف أسهم الحوار في تشكيل المعنى وبنائه في سورة مريم؟
- اكتسب الحوار في الخطاب القرآني أهمية كبيرة، بوصفه عنصرا تكوينيا مهما في بناء المشاهد القصصية. تعبيراً عن مواقف الأطراف المتحاور، وتفسيرا لانفعالاتها المختلفة. كما تعددت أشكاله وتنوعت أساليبه. الأمر الذي دفعنا إلى البحث في: " الأبعاد الدلالية للحوار القصصي في سورة مريم " سعياً للكشف عن دور الحوار في تشكيل السرد القصصي في السورة محور الدراسة.

قبل الولوج إلى دراسة هذه الأبعاد سيحاول البحث ضبط بعض المفاهيم النظرية.

1- تعريف الحوار:

أ/ لغة: جاء في لسان العرب أن كلمة الحوار مشتقة من مادة (ح و ر)، إذ يقال: "حور: أحر عليه جوابه رده، وأحرت له جوابا وما أحر بكلمة. والاسم من المحاوراة الحوير، تقول: حورهما وحوارهما. والمحاورة: المجاورة، والتحاور: التجاوب. وتقول: كلمته فما أحر إليّ جوابا وما رجع إليّ حويرا، ولا حورة ولا محورة ولا حوارا أي ما ردّ جوابا" (منظور، 2000، صفحة 751). وقال أيضا: "المحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، قد حاوره" (منظور، 2000).

يرى ابن فارس أن لكلمة الحوار "ثلاثة أصول: أحدهما لون، والآخر رجوع، والثالث أن يدور الشيء دورانا. فأما الأول: فالحوار: شدة بياض العين في شدة سوادها. قال عمرو: الحور أن تسود العين كلها مثل الأطباء والبقر... ويقال: لأصحاب عيسى عليه السلام الحواريون؛ لأنهم كانوا يحورون الثياب أي: يبيضونها. هذا هو الأصل، ثم قيل: لكل ناصرٍ حورٍ... والحواريات النساء البيض.

أما الأصل الثاني: فيدل على: الرجوع، يقال: حار، إذ قال تعالى: "إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ" والعرب تقول: "الباطل في حور" أي: رجوع ونقص. وكل نقص ورجوع حور... وتقول كلمته فما رجع إليّ حوارًا وحوارًا ومحورة وحويرًا. والأصل الثالث: المحور: الخشبة التي تدور فيها المحالة، ويقال: حورت الخبرة تحويرا، إذ هيأتها وأدرتها لتضعها في الملة." (فارس، 1389 هـ)

يفهم من تعريف ابن منظور أن الحوار والمحاورة تعني المجاورة، بمعنى أن هناك تبادل للكلام بين المتحاورين؛ بحيث يقع التفاعل والتبادل في الإرسال والتلقي. أما ابن فارس فقد تركّز فهمه لكلمة حور على عنصري: الشكل والحركة (اللون والاستدارة).

ب/ اصطلاحا: الحوار هو: "حديث يدور بين اثنين على الأقل، ويتناول شتى الموضوعات، أو هو كلام يقع بين الأديب ونفسه، أو من ينزله مقام نفسه كربة الشعر أو خيال حبيبته مثلا" (جبور، 1984، صفحة 100). تمحور هذا التعريف حول جانب التبادل والدوران في الحديث، فالحديث المتناول فيه أخذ ورد كل يحاول الإدلاء برأيه وتقديم فكرته أو قناعته حول أمر ما، إذ يمكن للحوار أن يكون ذاتيا أو غيريا.

أو بطريقة أخرى هو: "مناقشة بين طرفين أو أطراف، يقصد بها تصحيح كلام، أو إظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، ورد الفاسد من القول والرأي" (حميد، د ت، صفحة 3)، من ثم كانت الغاية من الحوار إثبات شيء محل نزاع بين طرفين أو أكثر، إذ يحرص كل طرف على الإقناع بصحة كلامه، وقوة حجته.

2- أنواع الحوار:

الحوار نوعان:

أ/ حوار خارجي: هو تبادل كلام بين شخصين أو أكثر، "غالبا ما يكون هذا النوع من الحوار في مشهد يجمع الشخصيتين في حدث واحد، وفي زمان ومكان محددين" (البناء، 2014، صفحة 115)، هو ما يكشف عن علاقة وطيدة بين الشخصيات والنص، فهو يساهم في تنامي الأحداث، وتسريع سيرورتها. تجلى الحوار السردى في النص الأدبي القديم بشكل واضح "هذا الأسلوب الذي ينتشر... ويمتد إلى كثير من الأحداث الواقعية والخيالية، إلا أن بروزه قد يتجلى في الجانب الواقعي بكثرة" (السهيمي، 2013، صفحة 128). كثيرا ما يعتمد هذا النوع من الحوار على الفعل: (قال وقلت).

ب/ الحوار الداخلي: لا يشترط في هذا النوع من الحوار حضور طرف ثان؛ لأنه "حوار صامت يدور بين الشخصية وذاتها، فالمرسل والمتلقي هما الشخصية نفسها" (البناء، 2014، صفحة 117) ويعرف أيضا بأنه: "حوار من جهة واحدة يوجه إلى الداخل ليبلور موقف الذات اتجاه أشياء لا تظهر في الحوار الخارجي، وهو حوار يتجه نحو الذات ويعود إليها، لأنّ الذاتية تحكم هذا النوع من الحوار" (قيس، د ت، صفحة 57)، فمنطلق هذا الحوار هو ذات الشاعر والعودة إليها ذاتها؛ سعيا للكشف عن الاضطرابات التي تعترى نفسه، والتي لا يعرفها إلا الشاعر.

3- وظائف الحوار: يؤدي الحوار وظائف متنوعة منها:

أ/ وظائف تواصلية:

يساهم الحوار في التعريف بالشخصيات، وتقديم صورة عما يعترىها من عواطف وأحاسيس. فهو انعكاس لبواطن هذه النفس، وما تشهده من تقلبات. تتجلى أهمية الحوار في أنّه: "يدور في فلك موضوع ما، تتحاور الشخصيات وتتجادل فيه، وصولا إلى رحلة التفاهم، فهو قناة الاتصال" (البناء، 2014، صفحة 114). التواصل هو الغاية الأساس التي يستعمل لأجلها الحوار، سواء أكان داخليا أم خارجيا؛ حيث يلتقي بالشخصيات، ويرسم صورا قصصية مؤثرة لها.

ب/ وظائف حركية وسردية:

يوظف الحوار القصصي لسرد واقعة أو حادثة معينة، خيالية كانت أم واقعية. فالحوار القصصي "يساهم في بناء الحدث وبلورته، لأنّه يبني الوقائع الصغيرة. ويدخلها في خضم الحدث لتكون منه، كما أنّه يكشف عن الزمان والمكان بوصفهما محركا للحدث والشخصية" (البناء، 2014، صفحة 113)، هو ما يساعد في تنامي حركية الأحداث وصيرورتها.

4- مفهوم القصة:

أ/ لغة: ذهب ابن منظور إلى أن: "القصة بالفتح: الخبر المقصوص، وُضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه. والقصة بكسر القاف: جمع القصة التي تكتب" (منظور، 2000، صفحة د ص) أما صاحب مقاييس اللغة فيجعل: "القاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبع الشيء. من ذلك قولهم: اقتصبت الأثر إذا تتبعته. ومن ذلك اشتقاق القصاص في الجراح، وذلك أنه يُفعل به مثل فعله. فالأول فكأنه اقتص أثره. ومن باب القصة والقصص، كل ذلك يُتتبع فيذكر" (فارس، 1389 هـ)

ويعرف أيضا: "القص تتبع الأثر، يقال: قصصت أثره. والقصص: الأثر، والقصص: الأخبار المتتبعة" (الأصفهاني، 1412 هـ، صفحة 6641)

نستشف من هذه التعريفات اللغوية أن القصة هو: تتبع الحدث بالشكل والصورة التي حصل بها؛ أي نقل الحدث بذات الصورة دون أي تغيير، لا بالزيادة ولا بالنقصان.

ب/ اصطلاحا: "الاشتقاق اللغوي للقصة يفيد أنها كشف عن آثار مضت، وتنقيب عن أحداث نسيها الناس أو غفلوا عنها، وغاية ما يراد من ذلك هو إعادة عرضها من جديد لتذكير الناس بها ولفتحهم إليها، لتكون العبرة والعظة" (حجازي، 1970، صفحة 289). ارتبطت لفظة (قصص) في القرآن الكريم برواية أخبار الأنبياء والحوادث الغابرة قبل البعثة المحمدية. وهو ما يؤكد أن "القصة الخبر عن حادثة غائبة عن المخبر بها. فليس ما في القرآن من ذكر الأحوال الحاضرة في زمن الرسول نزوله قصصا مثل ذكر وقائع المسلمين مع عدوهم" (عاشور، 1981، صفحة 64)، إذ ركزت آيات القرآن الكريم على العناصر الكبيرة التي تعبر عن الموقف الحواري لكل قصة سواء بشكل موجز أو مفصل.

تميز القرآن الكريم بكثرة الحوارات المبنوثة في آياته، وتنوع أساليبها وموضوعاتها؛ حيث انقسم الحوار فيه إلى نوعين: قصصي، وغير قصصي "الحوار القصصي هو الذي حكاها الله على لسان أطراف شكّل تفاعلها أحداثا مضت، وصراعات تأزمت، يندرج جلّها بين عناصر الخير والشر. وذلك في إطار الرسائل السماوية وما يدور في فلكها. أما الحوار غير القصصي فيشمل المقولات التي لقنها الله لرسوله محمد -صلى الله عليه وسلم- ليقوم بتبليغها إلى أتباعه أو إلى خصومه من المشركين وأهل الكتاب. كما يشمل المقولات التي حكاها الله على ألسنة البشر وغير البشر يوم القيامة" (نزال، 2003، صفحة 28)، فعناية القرآن بالدليل والبرهان جعله معيارا للقبول.

5- أشكال الحوار القصصي في سورة مريم:

أولى القرآن الكريم عناية بالقصص فزخرت به سوره الكريمة، مشكلا أبنية فنية متكاملة ميزت مختلف آياته. جاء القرآن ليخاطب أمة كان الشعر خطابها المهيمن والطاغي، متوسلا القص وسيلة للتأثير في المخاطب، ليقلب بذلك المعادلة لصالح القص على حساب الشعر. "فالقصة القرآنية بنيت بناء محكما من لبنات الحقيقة المطلقة، التي لا يطوف بحماها طائف من خيال ولا يطرقها طارق منه" (الخطيب، دت، صفحة 40)، فجاء ذكر تلك القصص التي منطلقها الحقيقة، لأخذ العبرة، أين أسهم الحوار في توضيح الفكرة وتطوير الأحداث فيها.

بذلك "فالقرآن هو كتاب الحوار، إنّه يجعله سبيلا لجلّ قضاياها، ابتداءً بباب الحوار الأول الذي فتحه الله أمام الملائكة والشیطان، لما أراد خلق آدم. مروراً بحوارات رسله مع أقوامهم، وانتهاءً بحواره مع خلقه يوم القيامة" (نزال، 2003، صفحة 26)، وقد ارتبط هذا الحوار بالقصص بوصفه وسيلة تبليغية لها تأثيرها على نفوس الناس على اختلاف عقائدهم، وجذب انتباههم إلى محتوى الحديث الدائر في هذا القصص. ليؤسس الحوار في النص القرآني على عنصر الإقناع في مختلف مفاصله، تحقيقاً لفاعلية المحاور.

أ/ الحوار القصصي في قصة زكريا:

افتتحت "سورة مريم" بالحديث عن قصة "زكريا". لعلها السورة الوحيدة التي تلج للحديث عن قصة دون مقدمات. بلغت آياتها (14 آية)، إذ لا نجد تفصيلاً لهذه القصة إلا في هذا الموضع من "سورة مريم". إذا تأملنا "سورة مريم" نجدها قد استهلكت بالحديث عن "الرحمة" التي اجتبى بها الله عبده الصالح "زكريا"، من خلال استجابته لدعائه بأن يهب له غلاماً بعد طول عمر، وعقر زوجته. هذا الدعاء الذي وصفه الله تعالى بأنّه خفي/مناجاة ﴿إِذ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾، فقد حرص "زكريا" على إخفاء دعواه عن الأجانب، ما جعله يختار جوف الليل حيزاً زمنياً للتقرب إلى الله بالدعاء. أجملت مقدمة القصة في هذه السورة ما جاء تفصيله في الآيات التالية؛ إذ ذكر في هذه المقدمة الرحمة التي خصّ بها الله تعالى عبده "زكريا"، بأن أنعم عليه بتحقيق رغبته في وهبه ولداً، بعد عمر من الافتقار.

تضمّنت الآيات التاليتان دعاءه بطلب الولد ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ ﴿٥﴾ يَرْتِي وَيَرْتِي مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾، موظفاً الفعل (وهب) في دعائه. وقف وراء اختيار هذا الفعل فقدانه للأسباب التي تؤهله لتحقيق رجائه، وهو ما أشار إليه زكريا في مقدمة دعائه. اجتمع لدى "زكريا" ضعف باطن/وهن في القوى، وآخر ظاهر/اشتعال الرأس شيباً، يضاف إلى ذلك العجز والقصور الذي اتصفت به زوجته بسبب العقر (فهو فاقد للمؤهلات التي تمكنه من إنجاب الولد، وهي أسباب تدعو أي شخص إلى اليأس من تحقيق الرغبة في ذلك الأمر والمعطيات هذه)، بيد أنّ "زكريا" لم يمنعه ذلك من أن يأمل عطف الله، ورجاء نعمته، وهو ما عبّر عنه: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾.

تجلى الحوار الخارجي في توظيف الفعل قال في عدة مواضع من قصة "زكريا". ورد فعل القول أولاً على لسان "زكريا" في مناجاته لربه، محاولاً وصف الحال التي آل إليها: ضعف جسدي سببه التقدم في السن، وعقر الزوجة وعدم قدرتها على وهبه الولد الذي يتمناه، في رغبة ضميمة منه بأن ينظر إليه الله -وهو الأعلّم بحاله- بعين الرحمة فيغيّر عليه واقعه.

تبرز قمة القصة الحوارية في "محاولتها تبسيط الفكرة في جميع مجالاتها، فلا يترك جانباً خفياً فيها، لأنّ كلّ طرف من أطراف الحوار يحاول أن يثير الجوانب التي يؤمن بها ويدافع عنها" (محمد، 1979، صفحة 216). يحضرنا في هذا المقام ما ورد في "سورة آل عمران" من أن زكريا كافل مريم قد سألها عن الرزق الذي يجده عندها كلما دخل عليها المحراب: ﴿كَلِمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، هو ما جعله يجرأ ويتشجع على طلب الولد من ربه.

تأتي استجابة الله عز وجل في صيغة نداء (يا زكريا) لفتنا للانتباه، وتقديمها للبشارة، ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾.

يتواصل الحوار بتوظيف الفعل (قال) في ردة فعل "زكريا" على استجابة الله لدعائه ووهبه الولد الذي يتمناه ﴿قَالَ رَبِّ أُنَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَأَنَّتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾، فقد تداخل لدى زكريا شعوران: شعور بالتعجب من تحقق ما يأمل في ظل استحالة المسببات. وشعور بالسرور والاستبشار بقدم الولي. الاستفهام نابغ من قلب المشكلة (كبر السن، وعقر الزوجة)، فالسؤال يتعلّق بكيف يكون لي ولد والحال هذه (عقر الزوجة)، فجاء رد الخالق: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾، فيما يرى بعض المفسرين أنّ ما يقف وراء الاستفهام هو طول المدة بين الدعاء والاستجابة.

إنّ "من شأن من بُشِّر بما يتمناه أن يتولّد له من فرط السرور عند أول ما يرد عليه استبثبات ذلك الكلام، إما لأنّ شدة فرحه به توجب ذهوله عن مقتضيات العقل والفكر... وإما طلبا للالتذاذ بسماع ذلك مرة أخرى" (الشافعي، 2004، صفحة 160). ليأتي تأكيد الله تعالى من خلال تكرار الفعل (قال)، لطمأنة قلب زكريا مذكرا إياه بأنّ ما حدث معه هو أمر هيّن أمام عظمة الله الذي خلقه من عدم (تأكيد قدرة الله النافذة التي لا يعجزها أي شيء) بقوله: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾.

يأتي طلب زكريا من ربه -على غرار كثير من الأنبياء- لعلامة تزيد في اطمئنان قلبه، وتحقق له اليقين عبر قوله: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾، وهي واحدة من المعجزات التي أيد بها الله أنبياءه، إحياء للأمل في نفوسهم. جاء "إلحاح السورة الواضح على اقتران النصر الإلهي بالاعتزال عن القوم. فزكريا كان يعتزل قومه للتفرّد للعبادة، حتى وصف دعاؤه بأنّه خفي. ومريم (انتبذت من أهلها مكانا شرقيا)، وإبراهيم عليه السلام لم توهب له الذرية إلّا بعد أن (اعتزلهم وما كانوا يعبدون من دون الله)، وغير خاف ترك موسى لأهله والتوجّه جانب الطور الأيمن لاستماع الخطاب الإلهي ثم بداية النبوة" (عبد، الدلالة النفسية في سورة مريم، 2007، صفحة 85). بذلك كان اعتزال الناس وعدم تكليمهم، بداية تحقق وعد الله بالاستجابة لدعائه، وبداية نبوة وهداية الناس إلى دين الله. فلما كان الكلام ممتنعا على زكريا فقد خرج على قومه من المحراب ليحدثهم رمزا بما أوحى إليه.

أما من الناحية الأسلوبية فقد ورد التكرار للفظ الجلالة (رب) في قصة زكريا (8 مرات)، خمسة منها مجردا من أي إضافة. كان زكريا يكرر لفظ الجلالة في كل دعاء، تقريبا من الله، وتوكيدا للحاجة إلى عطفه (رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي)، (رَبِّ شَقِيًّا)، (رَبِّ رَضِيًّا)، (رَبِّ أُنَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ)، (قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً). فيما أضيفت إليه كاف الخطاب (رَحِمَتِ رَبُّكَ)، (كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ)، وإلى الهاء في (نادى رَبَّهُ). وفي هذا تكريم لزكريا وإعلاء لشأنه، وتقوية لعزيمته.

ب/ الحوار القصصي في قصة مريم:

تضمنت "سورة مريم" قصة أخرى هي قصة (مريم) عليها السلام -كفيلة زكريا- امتدت هذه القصة من الآية (16-34). تبدأ هذه القصة بمسألة الاعتزال التي انتهجت مريم، وخلوتها تفرغا للعبادة. وهي مسألة تنبئ بنبوة، كما حدث مع (زكريا) في القصة السابقة.

فُجئت (مريم) وهي في خلوتها تناجي ربه بهذا الغريب الذي يخترق تلك العزلة. هنا يبدأ الحوار بين الطرفين. تتخذ (مريم) مبادرة الحوار ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾، فرغم خوفها من هذا الغريب الذي فاجأها

في خلوتها، فقد لجأت إلى ربها في مشهد من الطمأنينة والثقة بالله، طالبة العون منه. فهي بقولها هذا جمعت بين الاعتصام بالله/منجاتها الوحيدة، وبين التحذير المبطن/المضمر لهذا الغريب، ودعوته لالترام تقوى الله.

إن قراءة هذه الآية في سياقها القرآني يكشف عن الحالة النفسية التي كانت تمر بها السيدة مريم عليها السلام، "فهي في حالة خوف وذعر شديدين، وهذا يقتضي التلعثم في أحيان أخرى. فالإنسان الخائف لا يستطيع أن يعبر عن المعنى الذي يريده بإسهاب، وإنما يكون كلامه مقتصرًا على ما هو مهم. فربما يكتفي بالإشارة أو الكلمة. ومريم هنا تستعيد من أي أذى يمكن أن يلحقه هذا الرجل بها. لكنّها بالمقابل تحاول أن تستثير فيه عاطفة الخوف من الله؛ لتحمله على أن يكون تقيًا، وأن لا يمسها بسوء ولو كانت نيته خلاف ذلك" (الحليم، 2014، صفحة 143)، معتمدة أسلوب التوكيد عند استعانتها بالرحمن في هذه اللحظة من الخوف. مردفة توكيدها بأسلوب شرطي (إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا)، في شكل من الترهيب لهذا الزائر المفاجئ. حذف جواب الشرط (إني أعوذ) لضيق المقام ودلالة السياق عليه.

جاء رد الملك/ جبريل في صورة من التعريض، أراد من خلالها نفي إضمار الشر لها ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾. أعقب فعل القول أسلوب القصر (إنما) فمهمته هي حمل الرسالة (رسول)، رغم ذلك فقد نسب فعل الهبة إلى نفسه (لأهب) مجازًا.

فبالرجوع إلى كتب البلاغة نجد أن (إنما) "إذا استقرت مواضعها وجدتها أقوى ما تكون وأعلق ما ترى بالقلب، إذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناه، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه" (الجرجاني، 2004، صفحة 354)، فقد وظفت إنما في هذا السياق بغرض طمأنة (مريم)، وإبعاد الخوف عنها.

إذا كانت السيدة (مريم) لا تعرف حقيقة هذا الملك، الذي صور لها في شكل بشري، فقد "نزلت منزلة غير المنكر وغير الجاهل. وقد رأت كثيرا من الكرامات، وكيف جاءها الروح الأمين؛ حيث لا يستطيع أن يصلها أحد. حري بمريم -إذن- أن لا تُنكر هذا الأمر" (عباس، 2005، صفحة 388)

الملاحظ من الناحية الأسلوبية في هذا الحوار الذي دار بين مريم عليها السلام والملك جبريل: التقديم والتأخير. فجبريل وحتى يزيل عن مريم ما اعتراها من خوف، قام بالتعريف بنفسه (أنا رسول ربك)،-هذا أمر أساسي في أصول الحوار والتواصل- قبل حديثه عن المهمة الموكلة إليه (لأهب لك غلامًا زكيًا).

بدأ جبريل بنفي أي إرادة للسوء تكون قد تبادرت إلى ذهن (مريم). فإذا ما تم ذلك فسح المجال للحديث عن سبب تلك الزيارة والمهمة الكبيرة التي أنيطت به من طرف رب العالمين.

كانت المهمة التي جاء جبريل لتأديتها خرقًا لأفق انتظار مريم، ما جعلها تتعجب من وقوع الفعل لها ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾. بادرت مريم بهذا الاستفهام التعجبي، فكيف وهي المرأة الطاهرة أن تلد غلامًا من غير زواج. مظهرة عدم افتناعها، وكذا تنزهها عن الوصم بالعار. بيد أن هذا الاعتراض المبدئي سرعان ما أبطله رد الخالق ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾. فالأمر حاصل لا محالة، فقدرة الله التي تجاوزت كل شيء تجعل من الأمر (هيئنا، لنجعله آية، وكان أمرًا مقضيا). إن الله عالم بحال مريم، لذلك فقد أقنعها ضمينا بأن هذا الغلام هو (رحمة منا). موظفًا أسلوب التوكيد بطريقة الاختصاص والتقديم (هو علي هين).

تحول الإحساس بالخوف لدى مريم من هذا الغريب أثناء هذا الحوار، إلى تعجب من تلك البشارة التي حملها إليها جبريل عليه السلام. ليزيل قوله تعالى: ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾. أثر كل تعجب، ليردغه ببشارة أخرى ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾.

انتقل الحوار في هذه السورة من حوار خارجي توسّل فيه فعل القول، إلى آخر داخلي دار بين مريم وذاتها. فهو لون من حوار الذات، لجأت إليه مريم في تجريد غير محض، لا نلمس فيه انفصالا بين الذاتين. يعد هذا الحديث شكلا من أشكال الحوار الذي تغيب عنه الضمائر، فرضه الموقف، وطبيعة التجربة الصعبة التي تمر بها مريم. تجلى هذا الحوار في قولها: ﴿ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴾ جاء هذا الحديث ليختصر ما دار بداخل مريم من صراع؛ حيث عكس فعل التّمني ما اعترى نفسها من هواجس وانفعالات.

إنّ الألم المزدوج الذي كانت تعانيه مريم (ألم النفس/وألم الجسد بسبب المخاض) دفعها إلى أن تتمنى أن تكون شيئا حقيرا (نَسِيًّا مَنْسِيًّا). متوسلة أداة النداء (يا) لنداء ما لا ينادى. فاضطراب المشاعر داخل نفسها وتصارعها وقف وراءه رغبتها في البحث عن كرامة لها ولابنها، خوفا من الموقف المعادي من قبل المجتمع الذي تعيش فيه. والذي تتوقع عدم سكوته ورضاه عما أتت به من فعل. ففي تمنيتها الموت رغبة في عدم مواجهة قومها لإدراكها سلفا لموقفهم غير الرحيم. "تكنن المفارقة هنا في أنّ مريم تمنى الموت رغم إيمانها وتسليمها بقضاء الله وقدره. ولعل ما كانت تعانيه من ضغط وتوتر نفسيين وبالذات لحظة المخاض، إضافة إلى الألم الجسدي هو ما وقف وراء تلك الأمنية" (الحليم، 2014، صفحة 23). فهي تعي سلفا ما ينتظرها من تقريع، وما قد تتعرض له من أذى متعدد الوجوه. ما جعل المشاعر تتضارب بداخلها تحسبا لذلك الموقف.

صنع الطفل/الوليد مشهدا حواريا آخر، سعى من خلاله لطمأنة والدته، وتقديم حل يمهّد لانفراج الأزمة. ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾، إذ كان يدرك حالتي الألم والهم اللتان استحوذتا على نفس مريم. فجاء قول الحق ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾، أدخل على الجملة الفعلية حرف (قد) لإفادة التحقيق. عبّر الوليد/عيسى عن هذه الطمأننة بتوظيف فعل (ألا تحزني)، وكأنّه يقول أن الأجدرك بك أن تسري. "وجملة (قد جعل ربك تحتك سرّيا) خبر مراد به التعليل لجملة (لا تحزني) أي: أن حالتك حالة جديرة بالمسرة دون الحزن لما فيها من الكرامة الإلهية" (عاشور م.، د ت، صفحة 87).

يأتي التفصيل في عناية الخالق بمريم وابنها، وتوفير ظروف رعايته تعالى: ﴿ وَهَزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ﴾، فقدره الله التي تجاوزت كل شيء تؤيدها بمعجزات جديدة؛ إراحة لنفسها المضطربة، وهي تعاني من هذا الضعف المزدوج، المتمثل في: جريان الماء من غير عين، وكذا تساقط الرطب من جذع نخلة يابس. هو ما عكسه قوله: (قري عينا)، إشارة إلى أنّ الله سيكون معها، وسيبرؤها أمام قومها.

فسّرت هاتان الآيتان عند واحد من الصوفية بالقول: "عندما كانت مجردة بلا علاقة فقد كان زكريا -عليه السلام- يجد عندها رزقا من غير أن أمرت بتكليف. فلما جاءت علاقة الولد أمرت بهزّ النخلة اليابسة، وهي في أضعف حالها، زمان قرب عهدها بوضع الولد، ليعلم أنّ العلاقة توجب العناء والمشقة" (القشيري، د ت، صفحة 97). ومن الناحية الأسلوبية نلاحظ أسلوب التوكيد، الذي تجلّى بإلحاق حرف الباء بالاسم/المفعول به (بجدع) تأكيدا للعناية بالفعل (هزي). والتوكيد ذاته ورد على لسان وليدها/عيسى حين طلب من أمه الامتناع عن الحديث ﴿فَإِمَّا تَرِينَّ

مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقَوْلِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾، إِنَّ الرِّغْبَةَ فِي إِزَالَةِ الْإِحْرَاجِ عَنْ مَرْيَمَ، وَرَفَعِ الْمَسْئُولِيَّةَ عَنْ كَاهِلِهَا، هُوَ مَا حَذَا بَعْيسَى أَنْ يَطْلُبَ مِنْهَا: ﴿قَوْلِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾، جَسَدَ هَذَا التَّوَكُّيدِ بِ (إِذَا الشَّرْطِيَّةِ) وَ(نُونِ التَّوَكُّيدِ الثَّقِيلَةِ: تَرْتِيْبًا).

يتواتر الحوار في قصة مريم، لكن هذه المرة بين (مريم) وقومها، إثر المواجهة التي رغبت (مريم) ضمناً ألا تكون ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾، كاشفاً عن استنكار القوم لفعالها الذي يروونه شنيعاً. إذ كان "للحوار هنا أثر في مسار الأحداث فيما بعد، ففيه تنبؤ وإرهاص بموقف القوم من مريم عليها السلام. ولذا اشتمل على حل للمشكلة التي تشابكت خيوطها في هذا المشهد، وكان انفراجها لاحقاً في المشهد التالي" (إدريس، 1437، صفحة 771)، الملاحظ في هذه الآية تنوعاً في الضمائر، فعند الحديث عن مريم أسند الفعل إلى ضمير الغائب (أنت به، تحمله)، إعلاءً لشأنها ومكانتها الاجتماعية في قومها. أما عندما تعلق الحديث بالقوم فقد جيء بالكلام صريحاً (السوء، البغاء).

إنَّ إظهار تعجب القوم من فعل مريم وجرأتها على المواجهة، وُظفت فيه أداتي التوكيد: (لقد: اللام، قد) لإبداء سخطهم، وإنكارهم لذلك الفعل. من المتعارف عليه أنَّ "الأقوال الضمنية كانت دائماً مرتبطة بالمعارف المشتركة للمتخاطبين، وتتوقف الظواهر الضمنية المضمرة على القدرات الاستنتاجية للمتخاطبين، التي تستند بدورها على المعطيات اللغوية البحتة للملفوظات، وعلى معطيات مقامية، ترتبط بما سماها غرايس: أحكام المخاطبة أو قوانين الخطاب حسب ديكر" (بصل و نور، 2014، صفحة 344).

جاء رد (عيسى) على سؤال القوم لمريم بعد أن أشارت إلى وليدها ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ في تعجبهم الإنكاري، لصدور فعل الكلام من طفل وليد، لا يحمل مؤهلات النطق. بيد أن المعجزة التي تبرئ (مريم) وتعيد لها كرامتها قد حدثت، وهو ما يثبته الكلام الوارد على لسانه: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾. فإذا كان الحق تعالى لم يُفصل في مسألة حمل مريم وما مرت به، فإنَّ رد عيسى الذي برأ فيه أمه من اتهامات القوم جاء طويلاً؛ حيث أسهب في التعريف بهذا المولود/عيسى.

وظف أداة التوكيد (إنَّ) للتعريف بنفسه ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ وبرسالته ﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾. لينتقل بعد هذا لبيان أنه عبد الله، واضعاً حداً لكل ما كان يدور بينهم من لغط ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، وأنَّ عيسى ليس إلهاً، ولا ابن الله كما زعمت النصارى، بتوظيف حرف الجر (من) في سياق النفي. كما وظف أسلوب القصر (إنَّما) ليقصر صفة الألوهية على الله في قصر قلب.

ج/ الحوار القصصي في قصة إبراهيم:

تضمنت سورة مريم قصة أخرى هي قصة (إبراهيم) عليه السلام، والتي تمتد من الآية (41-50)؛ إذ تخللتها أساليب الحوار القصصي، التي أسهمت في رسم ملامح مختلفة في بسط الفكرة، وإجرائها بين المتحاورين، وترسيخها في الذهن.

يبدأ الحوار بكلام ورد على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾، وجّه إبراهيم كلامه إلى والده (يا أبت)، في أسلوب استنكاري فيه نهج مبطن عن عبادة ما هذه

صفاته: (لا يسمع، ولا يبصر، ولا يُعني...). ممهداً لنهيته بتذكير والده بأنه نبي، وله من العلم شيئا كثيرا ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾، مكررا اسم المنادى (يا أبت) أربع مرات، رغبة منه في استمالة قلب والده. ليأتي رد الأب صادما لإبراهيم في استفهام إنكاري ﴿قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾، لم يقف فيه عند حدود الرفض والتمرد على دعوة إبراهيم، متجاوزا إياها إلى التهديد بالرجم، في موقف عدائي يعكس قمة الرفض والامتناع عن السماع.

كان رد إبراهيم البار بوالده -رغم كفره- أن قابل الإساءة بالإحسان معلنا أنه سيدعو لهذا الأب ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾، فاحترام سيدنا إبراهيم لمقام الأبوة جعله يترفع عن أسلوب التهديد والوعيد، متخذاً موقف الاعتزال والبعد عن المكذبين بدين الله.

كانت هذه بداية مرحلة جديدة، بداية نبوة على غرار ما حدث في القصتين السابقتين؛ مع زكريا الذي وُهب يحيى بعد اعتزاله ومناجاته الطويلة لربه. ومع مريم التي بعد اعتزالها وُهب عيسى، الذي كلف بهداية الناس إلى دين الحق. ﴿فَلَمَّا اعْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾. ثم التحول من أسلوب المخاطب عند الحديث عن سيدنا إبراهيم (وهبنا له) إلى ضمير جمع الغائبين (وهبنا لهم، وجعلنا لهم).

د/ ملامح الحوار القصصي في قصص أنبياء آخرين:

وردت بعدها قصة سيدنا موسى عليه السلام، الذي يخبرنا الله أنه كان (رسولا نبيا)، معلنا إكرامه له ورفعته لشأنه، وتقريبه له، والدليل أنه كلم الله دون باقي الأنبياء. ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾. ليتوالى ذكر الأنبياء: إسماعيل وإدريس، الذين وصفهم الله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾.

جاءت قصص الأنبياء في سورة مريم مفصلة حيناً، وموجزة أخرى، فقد "بدأت السورة المباركة بالحديث عن الرحمة التي غمرت زكريا (عليه السلام) ... وهي السورة القرآنية الوحيدة التي تبدأ بالحديث عن الرحمة التي ينعم الله سبحانه وتعالى بها على عباده. ثم تتابعت الأجزاء المكونة للسورة مروراً بمريم، وإبراهيم، وموسى، وإسماعيل، وإدريس (عليهم السلام)، مفصلة الأنعام المتوالية التي أغدق الله سبحانه بها على خالص عبده. وكيف أنه ناصرهم في نهاية المطاف، ثم نجد في ختام السورة رحمة أخرى وعد بها عباد الله المتقون (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا). وهكذا تنقلت السورة بين رحمة من الله قد خلت أفاض بها على السابقين من أوليائه، ورحمة ستأتي هي من نصيب النبي (ص) وأتباعه" (عبد، الدلالة النفسية في سورة مريم، 2007، صفحة 74)؛ إذ من صفة أوليائه الصالحين الالتزام بأوامر ربه ﴿إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرَوْا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾.

ورد بعدها حديث عن مواقف استحق أصحابها الرحمة، وأخرى جاءت في سياقات تهديد لمن ظل السبيل، بأن عقابه شديد وواقع لا محالة. موضحة مصير من تاب وتراجع عن ذنبه فسيدخله جنات عدن.

وظف فعل القول في مواضع أخرى منها: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾، هذا الاستفهام الإنكاري أتى الله ليضحده مؤكدا قدرته النافذة ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾.

جاء في حوار الكفار مع المؤمنين قولهم: ﴿وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِم آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾، ليأتي رد ربك حاسماً، فصلاً بين الفريقين ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾. يتوعد الله الكافرين المكذابين بالله وبدينه، بأنهم سيعلمون حقيقة الأمر بما سيذيقهم إياه من عذاب، سواء في الدنيا أو في الآخرة.

ف "مما يتميز به الحوار في القصة القرآنية تلك الذاتية التي يحتفظ بها الحوار لشخصيات المتحاورين في القصة. فالحوار عن طريق كلماته وجمله يحكي مقولات المتحاورين، والمتجادلين، والمنحرفين والظالمين" (خالد، 1997، صفحة 45) إذ ارتبطت المشاهد الحوارية بصيرورة الأحداث، وضمن السياق السردى القصصي من جهة، ودلالة على المساندة الربانية لهؤلاء الأنبياء الذين اجتباهم الله برحمته الواسعة من جهة أخرى.

خاتمة:

خلصت هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

- 1- اكتسب الحوار في الخطاب القرآني أهمية كبيرة، بوصفه عنصرا تكوينيا مهما في بناء المشاهد القصصية.
- 2- أسهم الحوار في بناء الحدث وبلورته، كما كشف عن الزمان والمكان بوصفهما محركا للحدث والشخصية. ليمتد الاهتمام إلى الأحداث التي تشكل المادة القصصية الأولى أو الموضوع الذي تثيره الشخصيات من خلال أفعالها. وما بين عنصري الشخصية والحدث تدخل عناصر بنائية أخرى كالزمان والمكان، إذ تتفاعل بوصفها مقوما قصصيا في البناء السردي، أو الوصفي أو اللغة الحوارية.
- 3- تنوع الحوار في قصة زكريا بين حوار الذات الذي عكس آلام زكريا النفسية وآماله في نيل الولد. وحوارا آخر خارجي تعددت مواضعه في السورة، وظف فيه فعل القول (قال)، جاء لوصف ما آلت إليه حاله من وهن وضعف، إضافة إلى عجز وقصور الزوجة.
- 4- تداخل لدى زكريا شعوران: شعور بالتعجب من تحقق ما يأمله في ظل استحالة المسببات، وشعور بالسرور والاستبشار بقدم الولي. ما جعله يوظف بعض الأساليب منها الاستفهام، النداء، التوكيد، والتكرار.
- 5- تراوح الحوار في قصة مريم بين داخلي وخارجي، استعملت فيه مجموعة من الأساليب: منها التعريض باستعمال أداة القصر إنما، إضافة إلى التقديم والتأخير، الاستفهام، التعجب، التوكيد
- 6- كان للحوار في هذه القصة أثر في مسار الأحداث فيما بعد، ففيه تنبؤ وإرهاص بموقف القوم من مريم عليها السلام. لذا اشتمل على حل للمشكلة التي تشابكت خيوطها في هذا المشهد، وكان انفراجها في المشهد اللاحق.
- 7- في قصة مريم حوار آخر داخلي دار بين مريم وذاتها. في تجريد غير محض لا نلمح فيه فصلا بين الذاتين، أين غابت الضمائر، مفسحة المجال للنفس لتشكل مصدرا لإحساس الإنسان، وهو اجسه وانفعالاته.
- 8- ومن الناحية الأسلوبية نلاحظ تنوعا في الضمائر، بين الغائب والمتكلم. كما شاع أسلوب التوكيد بأدوات وحروف عدة في هذه القصة،
- 9- تخلل قصة (إبراهيم) عليه السلام، أساليب من الحوار القصصي، أسهمت في رسم ملامح مختلفة، في بسط الفكرة، وإجرائها بين المتحاورين وترسيخها في أذهان المتلقين.
- 10- جاءت قصص الأنبياء في سورة مريم مفصلة حيناً، وموجزة أخرى. بدأت بالحديث عن الرحمة التي غمرت زكريا، ومريم، وإبراهيم عليهم السلام. فيما جاءت قصص في الأجزاء الأخرى منها مختصرة لأنبياء الله موسى، إسماعيل، وإدريس.
- 11- نتج عن التفاعلات الحوارية مقاطع بدأت في أغلب الأحيان بكلمة (وكذلك)، التي ترتبط بالسرد القصصي للأحداث في سورة مريم، ودلالة على المساندة الربانية لهؤلاء الأنبياء الذين اجتباهم الله وشملتهم رحمته.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور. (2000). *لسان العرب* (المجلد 1) (د ط). بيروت: دار لسان العرب.
إدريس، بلقيس بنت محمد الطيب. (1437). قصة مريم عليها السلام دراسة فنية بلاغية. *مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية*، ع 11 (السنة الخامسة)، جدة.
الأصفهاني الراغب، (1412). هـ. *المفردات في غريب القرآن*. (ط 1). دمشق: دارالقلم.
البناء، بان. (2014). *البناء السردى في الرواية الإسلامية*. (ط 1). إربد: عالم الكتب الحديث.
الجرجاني، ع. أ. (2004). *دلائل الإعجاز*. (ط 15). القاهرة، الرياض: مكتبة الخانجي، مكتبة المعارف.
الحليم، ر. أ. (2014). *جماليات المفارقة في القصص القرآني*. (د ط). عمان: وزارة الثقافة، دار حلاوة النموذجية.
الخطيب، ع. أ. (د ت). *القصص القرآني في منطوقه* (د ط). بيروت: دار المعرفة.
السهيمي، ص. (2013). *الحوار القصصي في شعر الهذليين العلاقات السردية والتشكلات الفنية*. (ط 1). الطائف، بيروت: النادي الأدبي الثقافي، الانتشار العربي.
الشافعي، ف. أ. (2004). *التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب*. (ط 2). بيروت: دار الكتب العلمية.
القشيري، ع. أ. (د ت). *لطائف الإشارات*. (د ط). القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.
بصل، م. & نور، ح. (2014). *المضامين الاتصالية والإخبارية في قصة مريم*. *مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، ساسلة الآداب والعلوم الإنسانية*، ع (3) مج 36، د ب.
جبور، ع. أ. (1984). *المعجم الأدبي*. (ط 2). بيروت: دار العلم للملايين.
حجازي، م. (1970). *الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم*. (ط 1). القاهرة: دار الكتب الحديثة.
حميد، ص. ب. (د ت). *أصول الحوار وآدابه في الإسلام*. (د ط). جدة: دار المنارة.
خالد، ع. أ. (1997). *الحوار ورسم الشخصية في القرآن الكريم*. (د ط). القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.
عاشور، ع. أ. (1981). *التحرير والتنوير*. (د ط). تونس: الدار التونسية.
عاشور، م. أ. (د ت). *تفسير التحرير والتنوير*. د ب: دار سحنون.
عباس، ف. ح. (2005). *علم البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني*. (ط 10). عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع.
عبد، ع. ع. (2007). *الدلالة النفسية في سورة مريم*. *مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية*، عدد 3 و 4 (مج 6).

فارس، أ. ب (1389). معجم مقاييس اللغة . (ط 2). إيران : دار الكتب العلمية.

قيس، ع. م. د ت. (البنية الحوارية في النص المسرحي ناهض رمضان أنموذجا (د ط). د ب : دار غيداء.

محمد، ف. ا. (1979). الحوار في القرآن (د ط). بيروت: الدار الإسلامية.

نزال، ف. (2003). لغة الحوار في القرآن الكريم . (ط 1). عمان : دار الجوهرة.

FLOWERS IN SOCIETY
ROLE, IMPORTANCE, AND SYMBOLS

Researcher. Alissar Nayef EL SHAMI

<http://dx.doi.org/10.47832/soci.con1-21>

Abstract:

Lebanon is blessed with a rich and diverse flora, and the distance varies between flowers and people in Lebanon. We find some varieties that still adorn the plains and valleys from afar, while others are of interest to the Lebanese and are planted in their gardens either for treatment and food or for aesthetic purposes. Cultural anthropology has been interested in studying the relationship between humans and plants through a special cognitive discipline called ethnobotany. Through this discipline, we can study flowers in society, where special relationships arose between humans and flowers. They adopted them in social life, gave them various symbolic meanings, and exchanged them on various occasions, used them in economy, incorporated them in popular culture, and this gave the flowers a role and function in society.

Humans consider flowers to have their language, where each flower has a specific symbol. The red rose is associated with love and the yellow with jealousy, and so on... Symbols are used to link active social elements together, through various means of communication that they put at their disposal. We can say that flowers are one of the means of communication that connect people. A group of people are interested in flowers and knowing their symbolic meanings more than other groups in society. Cultural openness has led to a new distribution of flowers, where their use has varied from the past, the types of flowers used have changed, and the shape of the bouquet has also changed, all in line with the requirements of the era.

This research paper aims to demonstrate the meanings, symbols, and effects of flowers in society, how their types change between different occasions and generations, and show the differences between types of flowers among social classes, where the terms as popular flowers and high-class flowers emerged

Keywords: Flowers, Society, Culture, Symbols, Ethnobotany, Cultural Anthropology.

الأزهار في المجتمع أهميتها، تبادلها، دلالاتها

الباحثة أليسار نايف الشامي¹

الملخص:

ينعم لبنان بفلورا وافرة الغنى والتنوع، وتتفاوت المسافة بين الأزهار والسكان في لبنان، فنجد أصنافاً لا تزال بعيدة تزين السهول والأودية، وأخرى اهتم بها اللبناني وزرعها في حديقته إمّا للعلاج والغذاء وإمّا لغايات جمالية. اهتمت الأنثروبولوجيا الثقافية بدراسة علاقة الإنسان بالنبات من خلال فرع معرفي خاص وهو الإثنوبوتانيك، ومن خلال هذا الفرع المعرفي نستطيع دراسة الأزهار في المجتمع، حيث نشأت علاقات خاصة بين الإنسان والأزهار، فاعتمدها في حياته الاجتماعية، أعطاه دلالات رمزية متنوعة، تبادلها في مناسباته المختلفة، اعتمدها في اقتصاده، وأدخلها ضمن ثقافته الشعبية، وبات لها دور ووظيفة في المجتمع.

يعتبر الإنسان أن للأزهار لغة خاصة بها، حيث أعطى لكل زهرة رمزاً معيناً. فاقترن اللون الأحمر للوردة بالحب والأصفر بالغيرة، وهكذا... وتستخدم الرموز من أجل أن تربط العناصر الاجتماعية الفاعلة مع بعضها البعض، وذلك بمختلف وسائل التواصل التي تضعها تحت تصرفها. ونستطيع القول أن الأزهار من وسائل التواصل التي تصل الناس بعضهم ببعض الآخر. فتهتم فئة من الناس بالأزهار وبمعرفة دلالاتها الرمزية أكثر من فئات أخرى في المجتمع. وأدى الانفتاح الثقافي إلى توزيع جديد للأزهار، حيث اختلفت طريقة استخدامها عن السابق، وتغيّرت أنواع الأزهار المستخدمة، وتغيّرت شكل الباقة أيضاً، وذلك كله تماشيًا مع العصر ومتطلباته.

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تبيان دلالات الأزهار ورموزها وتأثيرها في المجتمع، وكيفية تغيّرها بين المناسبات والأجيال المختلفة، كما تسعى إلى إظهار الاختلاف بين أنواع الأزهار بين مختلف الفئات الاجتماعية، فنجد بروز مصطلحات الأزهار الشعبية والأزهار الراقية

الكلمات المفتاحية: الأزهار، المجتمع، الثقافة، الرموز، الإثنوبوتانيك، الأنثروبولوجيا الثقافية .

¹ ID الجامعة اللبنانية، لبنان

alisarshami@gmail.com

[ORCID ID: 0009-0000-4089-7594](https://orcid.org/0009-0000-4089-7594)

المقدمة:

تزين الطبيعة بالأزهار المتنوعة بأشكالها وألوانها، فجذبت الإنسان بشكلها وعطرها وألوانها، بسحرها وجمالها، حاملةً معانٍ متنوعة، وفلسفة روحية ذات بعد حضاري وتاريخي تتعاقب مراحلها. استأثر الإنسان بجمال ألوانها الزاهية وعبيرها الفواح، اهتم بها ودرسها، جعل منها مملكة يستمد منها الفرح والسعادة، فكسب صداقتها في مجالات متعددة. أصبحت الزهرة في عصرنا، الدليل الواضح للتعبير عن المشاعر، قدّمتها الإنسان في معظم مناسباته الاجتماعية: معاً، مباركاً بالنجاح والولادة والزفاف، عربون مودة وإعجاب، وقدّمتها في حالات الوفاة ليعبّر بها عن الأسى والحزن. فهي تعبّر عن مشاعر الفرح والأسى في مختلف مراحل دورة الحياة.

اهتمت الأنثروبولوجيا الثقافية بدراسة علاقة الإنسان بالنبات من خلال فرع معرفي خاص هو الإثنوبوتانيك، وذلك لمعرفة هذه العلاقة التي تربط الإنسان بالنبات وكيفية تفاعل الإنسان معها في مختلف مراحل حياته. إن "الإثنوبوتانيك هو دراسة التفاعلات والعلاقات بين النباتات والسكان عبر الزمان والمكان. ويشمل هذا التعريف الاستخدامات، والمعرفة، والمعتقدات، وأنظمة الإدارة، والتصنيف، واللغة التي توفرها كل من الثقافات الحديثة والتقليدية للنباتات، ويشمل أيضاً ارتباطهم بالنظم الإيكولوجية البرية والمائية" (Prance, 2007, p. 1).

وتهدف هذه الدراسة إلى تبيان دور ووظيفة الأزهار في المجتمع المدروس، فهي دراسة ميدانية تمّت جنوب لبنان، في خمس قرى من قرى قضاء الزهراني هي تفاحتا، العدوسية، الصرفند، السكسية، البابية. وتمتد هذه القرى على مساحة جغرافية تتمتع ببيئة متشابهة نوعاً ما، وهي قرى ساحلية لا ترتفع عن سطح البحر أكثر من 350 متر. ويتنوع إنتاجها الاقتصادي بين الزراعة والتجارة والخدمات وصناعة بعض الحرف. وتشتهر بلدة العدوسية بزراعة الأزهار، فهي تنتج 60 في المئة من إنتاج الأزهار في لبنان.

والسؤال الأساسي للدراسة هو ما هي مكانة الأزهار في حياة الناس، ونتج عن هذا السؤال عدة فرضيات حاولنا الإجابة عنها من خلال هذه الدراسة وهي:

فرضية التوافر وسهولة الوصول: تساهم البيئة المحيطة في استعمال الأزهار المتوفرة فيها بكثرة.

فرضية الأزهار وتحديد الفئات الاجتماعية: تساهم الأزهار في تحديد الفئات الاجتماعية وذلك حسب نوع الأزهار المستخدمة وطريقة تقديمها.

فرضية التمدن وخسارة المعرفة النباتية الموروثة: تساهم المدينة والابتعاد عن الطبيعة المحيطة في اندثار المعرفة النباتية المتعلقة بالأزهار البرية.

وللإجابة عن السؤال الأساسي وعن الفرضيات السابقة، تم الاعتماد على المقابلات الميدانية مع أهالي القرى لمعرفة أنواع الأزهار المستخدمة في الحياة اليومية، بالإضافة إلى التعرف إلى أنواع الأزهار المحلية والوافدة، البرية والمزرعة المتداولة من قبل سكان القرى في قضاء الزهراني.

ومن خلال البحث الميداني، تم إحصاء 52 نوعاً من الأزهار في مجتمع البحث، تنوعت بين الأزهار البرية والأزهار المنتجة محلياً والأزهار الوافدة.

زرع الإنسان قرب منزله النباتات التي يستفيد منها في الغذاء والعلاج، مثل الحبق والمردكوش² لاستعمالها في الطعام، والقصعين³ لمعالجة بعض الأمراض، بالإضافة إلى الورد الجوري والقرنفل للزينة، وهما الأكثر شيوعًا وانتشارًا، ومن خلال هذه الدراسة، اتضحت أهمية الورد الجوري عند المبحوثين.

انتشر استعمال الأزهار في الحياة اليومية، فقد طالت نواحٍ متعددة من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. ومع اهتمام الإنسان بالأزهار، نشأت مهن مختلفة: المزارع صاحب الحقول والمشاتل الزراعية، تجار الأزهار، منسقوها، صانعو بعض المنتجات الاستهلاكية مثل العطور، الشمع، الصابون. ولم يكتفِ الإنسان بالاستعمال المادي للأزهار، بل أدخل أسماءها في الثقافة الشعبية كالأغاني والأمثال الشعبية.

قسّم المزارعون والمنسقون الأزهار إلى نوعين: الراقية والشعبية. فالأولى قليلة، نموها موسمي، كلفة إنتاجها عالية، تستورد في معظم الأحيان، سعرها مرتفع، إنها أزهار الطبقة المخملية. أما الثانية، تتواجد على مدار السنة، سعرها منخفض، كلفة إنتاجها تناسب المزارعون، وهي ما يتعارف عليها بالأزهار الشعبية.

أعطى الإنسان الأزهار دلالات رمزية متنوعة، فهو يتبادلها في جميع مناسباته، يعتمد عليها في اقتصاده، وأدخلها ضمن ثقافته الشعبية، وتهدف هذه الورقة البحثية إلى تقديم مادة بحثية حول الأزهار تعنى بأهميتها وتبادلها ودلالاتها الرمزية في المجتمع.

1. البعد الاجتماعي للأزهار:

تظهر الأهمية الاجتماعية للأزهار من خلال تبادلها في المناسبات الاجتماعية المختلفة، منها الفرح، النجاح، الشفاء من المرض، الأعياد مثل عيد الميلاد، عيد المعلم، عيد الأم، عيد العشاق، وتعتبر الأزهار هدية مميزة في بعض المناسبات لأنها تحمل تعبيرًا ورموزًا مميزة، وذلك حسب شكل الباقة وكيفية تنسيقها، وأنواع الأزهار المستخدمة فيها واعتبر مارسيل موس أن الهدية أو الهبة هي شكل من التنظيم الاجتماعي، فهو لا يتعلق بالأشياء المادية فحسب، بل يمتد أكثر من ذلك مثل تبادل الطقوس أو الرقصات وغيرها (بن موسى، ي.، 2016). والهدية عند مارسيل موس ملزمة أي أن مستقبل الهدية ملزم بردها في وقت لاحق. وعندما نتحدث عن تبادل الأزهار، نحن لا نعني التبادل المادي فقط بل للأزهار دلالات رمزية، فلكل مناسبة أزهار متنوعة وألوان مختلفة.

تزيّن المنازل والمستشفيات بالأزهار الملونة والجميلة، لكي تعبر عن الفرح بالمولود الجديد. يقدم الأهالي باقات الأزهار الملونة للأم عند زيارتهم لها في المستشفى، لأنها تعبر عن الفرح والحب والحياة، والولادة هي الفرح بحد ذاته. لا يوجد نوع محدد من الأزهار لتقديمها عند الولادة، بل يختار الإنسان ما يراه جميلًا، وما يتوافر من أنواعها وألوانها في تلك الفترة. ولكن منسقي الأزهار يعتبرون أن اللونين الأحمر والأبيض هما المفضلان لتقديمهما في مناسبة الولادة.

تحمل العروس، في حفل زفافها، باقة من الأزهار متنوعة الألوان والأنواع، مثل الورد الجوري الأبيض والأحمر، والزنابق (الليليوم) الأبيض، لأنها تعبر عن الفرح فهي تحمل باقة من الفرح (الأزهار) في ليلة عرسها. لكن هذا التقليد قديم يعود إلى عهد الرومان، حيث حملت العروس باقة من الأعشاب والأزهار، لاعتقادهم أن هذه الباقات تبعد الأرواح الشريرة وتؤكد الخصوبة، ومن الأعشاب التي حملتها العروس في العصر الروماني نذكر الشبت، القمح، اللبلاب، إكليل

² المردكوش نوع من النباتات التي تستخدم في الطعام، رائحتها عطرية.
³ القصعين: إنه عيزقان باللهجة المحلية، وبعض القرى تطلق عليه اسم مريمية.

الجبل، الصعتر، والريحان (Mackey, 2022). لا يوجد اليوم لون محدد لأزهار الزفاف، لكن البعض يفضل أن تكون أزهار العرس بيضاء وحمراء، وتزين صالة العرس بالأزهار مثل الورد الجوري، القرنفل، الكريزيتين، الليليوم، وغيرها من الأنواع لإضفاء رونق جميل على الحفلة.

يوضع الورد الجوري والقرنفل والدفلى وأوراق الريحان على القبور في القرى والمدن، وتعود عادة وضع الأزهار على القبور إلى عهد الفراعنة حيث قدموا الأزهار للموتى، وذلك لأنهم يعتبرون أن "الأكاليل هي التبرئة الإلهية، وتُمنح للمتوفين وإلى حاكمهم في العالم الآخر أوزيريس" (لوركر، م.، 2000، صفحة 210).

تُهدى الأزهار في الأعياد، كعيد الأم والمعلم والعشاق. وعيد الأم الذي سصادف في 21 آذار/مارس من كل عام، هو اليوم الأكثر مبيغًا في السنة، ولا يوجد أزهارًا محددة له، بل يختار الأبناء أنواعًا تفضلها الأمهات، مع أن بعض منسقي الأزهار يعتبرون أن زهرة التوليب هي النوع الأكثر ارتباطًا بهذا العيد. ومنهم من اعتبر أن زهرتي "الأوراكيد والأرطاسيا" هما المفضلتين لإهدائهما للأم في عيدها.

أما في عيد المعلم، الذي يصادف في 9 آذار/مارس من كل عام، فإن التلامذة يهدون أساتذتهم الأزهار ليعبروا لهم عن احترامهم، وفي هذا العيد أيضًا، تتنوع الأزهار ولا يوجد زهرة محددة مرتبطة به.

عيد العشاق هو العيد الأكثر التصاقًا بالأزهار، وخاصة الوردية الحمراء، حيث يتبادل العشاق الورد للتعبير عن حبه في 14 شباط/فبراير من كل عام.

يدلّ تقديم الأزهار في مختلف المناسبات الاجتماعية على ارتباطها بالناس بشكل أو بآخر، فمن خلالها تمّ تقسيم الناس إلى أربع فئات. الفئة الأولى تهدي الأزهار لأنها عادة اعتادت عليها، دون الرجوع إلى خلفيتها أو أصولها. أما الثانية فإنها تستخدمها لأنها تحب الأزهار وتعبّر من خلالها عن مشاعر لا تستطيع أن تقولها بشكل مباشر. يوجد فئة ثالثة تقدّم الأزهار من باب المجاملة فقط. أما الفئة الرابعة فإنها تهديها للدلالة على طبقتها الاجتماعية، حيث يستهلكون الأزهار الغالية الثمن.

واستخدم السكان في المجتمع الأزهار في الطب الشعبي وفي إنتاج العطور وفي بعض الأطعمة على الشكل الآتي:

1. الأزهار في الطب الشعبي:

أخذت الأزهار حيزًا واسعًا في وصفات الطب الشعبي، حيث يعتمد بعض الناس إلى زراعة بعض أصنافها للاستفادة من فوائدها الطبية.

"يتضمن كتاب بلينوس⁴ (Pliny) التاريخي إثنا وثلاثون علاجًا حُضرت من الورد الجورية من خلال دراساته للنباتات والحيوان" (Swinson, 2004, p. 29).

"استخدمت الورد بكثافة عند العرب في العصور الوسطى. ولا يزال زيت الورد يباع عند العطارين لخصائصه الطبية والعلاجية، حيث يستعمل في كريمات الوجه والشعر، ويساعد البشرة الجافة والحساسة ويعالج الأمراض الجلدية مثل الإكزيما. وهو مضاد للتسمم أيضًا ومضاد للاشتعال، ويساعد على الانتعاش، ويزيل الإحباط والضغط والتوتر، ويعتبر ماء الورد مسكن للألام" (Swinson, 2004, p. 28).

⁴ بلينوس (Pliny): عالم روماني عاش بين 23 و79 للميلاد. اشتغل بالفلك والجغرافيا، درس التاريخ الطبيعي، أي دراسة الحيوانات والنباتات. قُتل من جراء الدمار الذي أحدثه انفجار بركان "فيزيفيو" في مدينة نابلي في إيطاليا.

جمع الأنتروبولوجيون عددًا من الوصفات الطبية المعتمدة على الأزهار، خاصة عند شعب النافاهو الذي درسه عدد من العلماء بينهم (1948-1950) Reichard، (1941) Wyman et Haris، (1952) Vestal، (1943) Elmore. يصنف النافاهو النباتات وفق "ميزات ثلاث: الجنس المفترض، الفوائد الطبية، المظهر والملمس" (ليفي ستراوس، ك.، 1987، صفحة 62).

أما في لبنان، فأظهرت الدراسة الميدانية أن معظم الأزهار المستعملة في الوصفات الطبية الشعبية هي أزهار برية، تنبت في فصل الربيع بين شهري آذار وحزيران، ويتم قطفها وتجفيفها وتخزينها لوقت الحاجة. وعمد بعض الناس إلى زراعتها قرب منازلهم للاستفادة من فوائدها الطبية، مثل البابونج وإكليل الجبل والحبق والمردكوش وغيرها. وتم جمع 133 وصفة طبية شعبية من خلال الدراسة الميدانية جميعها تعتمد على الأزهار البرية.

2. الأزهار والعطور:

"تستعمل الأزهار لإنتاج العطور، وتحتاج إلى كميات كبيرة من الأزهار لإنتاج كمية قليلة من العطر. واستعملت الحضارات القديمة مثل مصر، بلاد فارس، الصين، بلاد ما بين النهرين، بابل، واليونان، الزيوت الخليطة والمعطرة التي استخرجوها من النباتات والتوابل لدهن أجسامهم بها وخاصة في الاحتفالات الدينية. واستعمل العطارون في أثينا الأزهار مثل الزنبق والسوسن لإنتاج العطور". و"وجدت لوحات طينية في بلاد ما بين النهرين أفادت عن تسليم كميات كبيرة من ماء الورد لسلطان بغداد من أجل تعطير نسائه" (Swinson, 2004). "كان نيرو⁵، الإمبراطور الروماني، يدعو زواره للاغتسال ببتلات الورد الجوري في حفلاته المسرفة، وكانت كليوباترا تنشر بتلات الورد في أرجاء قصرها لإغواء مارك أنطوني" (Swinson, 2004, p. 27). ولا يزال زيت الورد يستعمل في العديد من العطور الغالية⁶. وتنتج العطور من الأزهار، وتحمل اسمها.

أما في لبنان فيتم تقطير بعض أنواع الأزهار واستخراج زيوتها لبيعها لبعض الأماكن الخاصة بإنتاج العطور خارج لبنان.

3. الأزهار في الغذاء:

تستخدم بعض أنواع الأزهار في الغذاء، وتنتج بعض المواد الغذائية منها، مثل السحلب والفانيليا الذين يستخرجان من زهرة الأوراكيد، وتضاف الفانيليا إلى الحلويات والشراب، وتستعمل الورد في الطعام كالسلطة، ويضاف ماء الزهر الذي يستخرج من زهرة الأبوصفير وهو نوع من أنواع الحمضيات المتوفرة في لبنان إلى الطعام، أما ماء الورد فإنه يستخرج من الورد الجوري، ويضاف ماء الورد إلى الشراب والحلويات وبعض أنواع الأطعمة. وتوضع بعض النباتات العطرية مثل العطرية في كيس صغير من القماش، وتضاف إلى الوعاء الذي يطبخ فيه الأرز بالحليب، كما يضاف الحبق والقرنفل بعد

⁵ نيرو: عاش من سنة 37 إلى سنة 68 ميلادية، وعُين إمبراطوراً لروما في سنة 54 للميلاد. هو شاعر من ذواقة الفن. قتل والدته وزوجها، وزوجاته. أعدم المسؤولين عن الحريق الكبير الذي نشب في روما سنة 64 للميلاد. انتحر في سنة 68 ميلادية، بعد تمرد الجيش عليه، وحكم عليه مجلس الشيوخ بالإعدام.

⁶ ألف الشاعر سعيد الشيرازي، في القرن الثالث عشر، كتابه المشهور "حدايق الورد" ضمنه رحلاته وأسفاره وما زال يُقرأ حتى الآن. وليعبر عن رائحة الأزهار الذكية، يقول: عمدت أن أملاً عبائتي بالورد كهدايا لأصدقائي، ولكنني انتشيت بسبب رائحتها الذكية، فما كان مني إلا أن تركتها عن غير قصد. (أنظر Antonia Swinson، ص 17).

تجفيفه إلى تحويجة الكتبة، وهي نوع من الأطعمة اللبنانية الشعبية. أما المشروب الأكثر تناوُلًا خلال فصل الشتاء في لبنان فهو الزهورات، وتتكوّن الزهورات من الأزهار المجففة مثل الورد الجوري، القرنفل، البنفسج، وغيرها، وتشرب في الشتاء، بعد إضافتها إلى الماء المغلي، للشعور بالدفء.

4. الأزهار الراقية والأزهار الشعبية:

يهتم الإنسان بالأزهار لأنها تفيده بعدة مجالات في حياته، ولكنه يستخدمها أحياناً دون هدف أو غاية بل مجرد تعبير عن الرقي الاجتماعي، وأحياناً لا يكون الهدف من وراء تقديمها إظهار مشاعر معينة. وباتت تستخدم للدلالة على الطبقة الاجتماعية، حيث يعمد الأغنياء إلى وضع الأزهار في الحفلات والجنائز للدلالة على مستواهم الاقتصادي. وذلك لأنه يوجد أزهار راقية وأخرى شعبية، فهي تصنف حسب أسعارها وتوافرها على مدار السنة. فالأزهار الشعبية مثل الورد الجوري والقرنفل تتوفر دائماً، ولا يتطلب إنتاجها مبالغ مالية ضخمة. أما النوع الثاني مثل الزنبق (الليليوم)، الأوركيد، التوليب، عصفور الجنة، والكاميليا لا تنمو كل أيام السنة، وبالتالي يرتفع سعرها، وتعتبر أزهاراً راقية. إن الاعتماد على الأزهار لمعرفة الطبقة الاجتماعية موجود منذ القرن السادس عشر حيث شجعت العناصر الراديكالية آنذاك، صناعة الأزهار للمناسبات والتعزية، وذلك لأنها النوع الأمثل للرقي.

يعتبر تقديم الأزهار نوعاً من الرقي والرياء الاجتماعيين أحياناً، ويميز بين طبقات المجتمع وبين سكان القرى والريف، لا تقدم الطبقات الفقيرة الأزهار إلا في حالات نادرة، لأنهم يعتبرونها غير ذي فائدة. أما الطبقات الغنية فإنها تقدم الأزهار بشكل أكثر من أي طبقة أخرى، وتزين منزلها بالأزهار، وتعتبرها هدية جيدة، ويحاول الأغنياء دائماً اختيار الأزهار الغالية الثمن، لأن شكل الباقة والأزهار المستخدمة فيها تدل مباشرة على المستوى الاقتصادي للأشخاص، لأن قيمة الأزهار المادية معروفة. وهكذا تختلف باقات الأزهار المقدمة بين الطبقات الاجتماعية المختلفة. أما بالنسبة لسكان القرى فإنهم يفضلون أن يهدوا الأزهار في مناسبات خاصة مثل الزفاف والنجاح، وذلك لأنهم يعيشون قرب الحقول البرية، حيث الأزهار قريبة منهم دائماً، بعكس سكان المدن الذين يتوقون إلى الطبيعة، ويحاولون أن يستعوضوا عنها بشراء الأزهار الطبيعية. تستهلك الأزهار الاصطناعية في القرى أكثر من الطبيعية، وذلك لأن محلات الأزهار الاصطناعية طغت على القرى، بسبب قلة عدد السكان، مما يؤدي إلى تلف الأزهار الطبيعية إذا لم تباع يومياً، بعكس المدن، الذي يلعب عدد سكانها الكثيف دوراً كبيراً في المحافظة على محلات الأزهار الطبيعية أكثر من الاصطناعية.

II. البعد الاقتصادي للأزهار:

استفاد الإنسان من أهمية الأزهار في حياته، ونشأت مهن مختلفة تعتمد عليها، ولعبت دوراً في الاقتصاد، لأنها تدخل ضمن نطاق تبادل السلع من حيث البيع والشراء، وتزرع أيضاً بهدف البيع والتجارة. امتهن البعض مهنة بيع وتنسيق الأزهار، حيث تعتبر هذه المحلات المكان الرئيسي الذي يقصده الناس لشراء الأزهار لمختلف المناسبات. استدعت زراعة الأزهار في البيوت البلاستيكية أو الزجاجية إنشاء مكان خاص لتسويق الإنتاج، فكانت سوق الجملة الخاصة بالأزهار أو ما يعرف بـ "الحسبة" هي المكان الأساسي لمزارعي الأزهار الذين يأخذون إنتاجهم إليها لتصريفه.

وعدا عن ذلك يتم تنسيق المعارض كل سنة في معظم دول العالم، منها لبنان، بهدف التعرف إلى أنواع جديدة من

الأزهار وتسويقها.

لم ينتج لبنان في السابق كل أنواع الأزهار، بسبب المناخ الذي لا يناسب أزهارًا معينة، ولكن بفضل البيوت الزجاجية والبلاستيكية التي نستطيع التحكم بدرجة حرارتها، بات بإمكان المزارع إنتاج أصنافًا متنوعة. وأصبحت زراعة الأزهار من المهن المنتشرة في لبنان، وذلك بسبب الانفتاح على العالم من خلال الإنترنت والفضائيات، مما أدى إلى إكثار تبادل الأزهار بين الناس.

يزرع مزارعو قرية العدوسية في جنوب لبنان، أنواعًا عديدة من الأزهار، منها الورد الجوري، الجربارة، الليليوم، التراشيلىيوم، السوليداغو، الأضاليا، المنتور، كريزنتين، أستوما، كاموميل (بابونج). تنتج الأزهار كل أيام السنة، ويخف إنتاجها في فصل الشتاء بسبب برودة الطقس. يوزع المزارعون إنتاجهم على محلات الأزهار بشكل مباشر، أو ينقلونها إلى سوق الجملة (الجسبة)، حيث يتم بيعها إلى التجار.

يستورد لبنان أنواعًا محددة من الأزهار منها التوليب والليليوم في فصل الشتاء فقط بسبب قلة الإنتاج الذي لا يغطي كل احتياجات السوق المحلي، أما زهرة الأوراكيد فتستورد بشكل دائم لأنها لا تزرع في لبنان بسبب تكلفة إنتاجها العالية. قبل وجود البيوت البلاستيكية والزجاجية، استورد التجار في لبنان أصنافًا عديدة مثل سوليداغو، تراشيلىيوم، ليليوم، منتور، كريزنتين، لذلك نستطيع أن نقسم الأزهار إلى محلية ووافدة. الأزهار البرية والورد الجوري والقرنفل هي محلية، أي تزرع في لبنان منذ وقت طويل، أما الليليوم، التراشيلىيوم، سوليداغو وغيرها هي وافدة، استوردت من الدول الأجنبية مثل هولندا وفرنسا، وحاليًا تستورد بعض الأنواع مثل التوليب في فصل الشتاء من الدول العربية مثل السعودية. ولتخفيف كلفة الاستيراد، يعمل بعض المزارعين والتجار على استيراد الأصبال من الخارج وزراعتها في لبنان.

الأزهار المحلية هي الأزهار البرية، استقدمها الإنسان وزرعها قرب منزله للاستفادة منها في الطعام والعلاج والزينة، ولكن هناك أنواعًا محلية بقيت برية، لأن المسافة بينها وبين الإنسان لا تزال بعيدة، مع أنه يستخدم بعضها مثل شقائق النعمان للعلاج.

ساهمت أهمية الأزهار في حياة الناس بنشوء محلات تجارية تختص ببيع وتنسيق الأزهار بسبب استهلاكها في عدد من المناسبات الاجتماعية، وتنقسم محلات بيع الأزهار إلى ثلاثة أقسام: محلات الأزهار الطبيعية، الأزهار الاصطناعية، والأزهار المشتركة (طبيعة واصطناعية). وتختلف طريقة تنسيق الباقات والسلال بين منسق وآخر تبعًا لذوق المنسق والزبون. تنسق سلال الأزهار الاصطناعية بعدة طرق وألوان، وتعرض في المحلات، وكذلك تنسق سلال الأزهار الطبيعية في وقت سابق، ولكن أحيانًا يطلب الزبون أن تنسق السلال أمامه.

توجه الناس إلى إهداء الأزهار الاصطناعية أكثر من الأزهار الطبيعية، وذلك لأن السوق المحلية أُغرقت بالأزهار الاصطناعية التي تدوم وقتًا طويلًا، بعكس الطبيعية التي تتلف خلال ثلاثة أيام ولا يستطيع التاجر بيعها بعد ذلك، مما يؤدي إلى خسارته، وهكذا يعمل على إقناع الناس بشراء الأزهار الاصطناعية. ويعتبر الناس أنه من الممكن الاحتفاظ بها، وهكذا يتذكروهم الشخص المهدى دائمًا. وهذا ما أشار إليه "مارسل موس" بقوله أن "الشيء المعطى ليس جامدًا، بل فيه روح الشخص"، وهكذا، كلما رأينا هديته تذكرناه.

III. البعد الثقافي للأزهار:

تنشأ الثقافة الشعبية من العلاقة المتبادلة بين الإنسان والبيئة التي يعيش فيها، إنها موروث ثقافي يتناقله أفراد المجتمع من جيل إلى آخر. وتتغير الثقافة الشعبية تبعاً للتغيرات الاجتماعية والثقافية في المجتمع، وأشار عاطف عطية (2022) إلى أن الثقافة الشعبية هي محتوى الفعل الإنساني منذ وجوده وتفكره وتعقله وعلاقته مع البيئة التي يعيش فيها.

الثقافة الشعبية هي من تأليف الناس، تحاكي همومهم وتطلعاتهم، أفراحهم وأحزانهم التي تتبلور في الأغاني والأمثال والحكايات الشعبية. ويخاطب السكان في هذه الثقافة الشعبية كل ما يتعلق بثقافتهم المادية، وبرزت أسماء الأزهار في الثقافة الشعبية، فهي تدخل في الأغاني، والأمثال، وأطلقها الإنسان على أسماء أولاده، ولا سيما الإناث منهم. ولا يزال السكان يرددون الأمثال والأغاني الخاصة بها للتعبير عن حالة معينة، أو للتغزل بالحبیب أو للتعبير عن فراق الحبيب.

1. الأزهار في الأمثال الشعبية:

المثل الشعبي هو جملة شفوية قصيرة مجهولة المؤلف، متوارثة عبر الأجيال، تروي حكاية أو عبرة، يستعيدتها الناس للتعبير عن تجربة مشابهة لقصة المثل الأصلية أو لإيصال رسالة معينة. المثل الشعبي هو نتاج الثقافة المحلية، وقد تتشابه الأمثال الشعبية بين ثقافة وأخرى. ويدل المثل الشعبي على الثقافة المحلية من خلال الألفاظ والعبارات المستعملة، ومن الأمثال الخاصة بالأزهار نذكر:

- الشوكة بتجيب وردة، والوردة بتجيب شوكة.
- وردة بتخلف قرده، وقرده بتخلف وردة.
- كم وردة خلفت قرده، وكم أصيلة جابت حمار.

تعبّر هذه الأمثال عن معنى واحد، فهي تدل على المرأة الجميلة أو القبيحة اللواتي يلدن أطفالاً لا يشبههن. وكذلك تعبّر عن التناقض بين تصرفات الأهل والأبناء.

- وردة ما بتعمل ربيع.

يشجع هذا المثل على التعاون، وعدم البقاء في الوحدة والعزلة.

- عيّروا الورد، قالوا له: يا بو خدود الحمر.
- ما عيبوا الورد، قالوا يا أحمر الخدين.

يقصد هنا الورد الجوري، ويقال هذا المثل إلى الشخص الخالي من العيوب، وذلك لأن الأزهار خالية من العيوب بنظر الناس.

- بأيار⁷ نور الورد، اقعد بالفي واتذكر أيام البرد.

⁷ بأيار: أي شهر أيار/ مايو، نور بمعنى زهر أي نبت، اقعد: أي اجلس، الفي: تعني الظل،

يقصد بهذا المثل، أنه في شهر أيار يتفتح الزهر، وتنقضي أيام البرد، ويحلو للإنسان أن يجلس في ظلال الأزهار والشجر، ويتذكر أيام البرد القاسية.

• ع حجة الورد بيثرب العليق.

العليق نبات كثير الشوك يعلق بالزرع والشجر، وهو كثير الضرر، ويضرب هذا المثل للشخص السيئ الذي يرافق الأشخاص الجيدين، فيكتسب كل ما يقال للآخرين.

• مثل شجر اللوز، أول ما تزهر آخر ما تطعم.

تأخذ وقتًا طويلاً لإعطاء الثمر مع أنها تزهر باكراً.

• زهر البلان وصار الحكم للنسوان.

"كان لشهر نيسان الدور المهم في الاعتناء بدودة القز. وكانت المرأة تنصرف بكليتها للسهر على هذا الموسم. وكان الرجل يعاون إمرأته في أعمالها البيتية العادية، ويولي طلباتها كي تنصرف إلى العناية بدودة القز. لذلك قيل بنيسان صار الحكم للنسوان" (يعقوب، إ، 1993، صفحة 491).

من خلال هذه الأمثال، نلاحظ أهمية الورد في حياة الناس، ويقصد بها الورد الجوري، وهذا ما يدل على أن المبحوثون يفضلون الورد الجوري على غيره من الأنواع. واستعمل السكان لفظة الورد في الأمثال الشعبية دون غيرها للدلالة على معرفتهم به وأيضاً بسبب ألوانه المتعددة ورائحته العطرة وشكله الجميل.

2. الأزهار في الأغنية الشعبية:

الأغاني الشعبية هي أغاني مجهولة المؤلف والملحن متداولة بين الأجيال، تُغنى في المناسبات الاجتماعية والإحتفالية وخلال العمل. وقد شكّلت الأغاني مع الأمثال والحكايات الشعبية وظيفية اجتماعية وهي تنشئة الأجيال الجديدة وتعريفها إلى العادات والتقاليد السائدة، فهذه الثقافة تخبرنا عن العادات والتقاليد السائدة في المجتمع.

إنّ الأغاني الشعبية هي وسيلة من الوسائل التي يعبر فيها الإنسان عن مشاعره، ويستوحى كلمات أغانيه من البيئة التي يعيش فيها، وبعض هذه الأغاني تتضمن تشبيهاً بالأزهار أو بأنواع معينة منها. وهذا التشبيه يعتبر قليل نسبياً، لأن الأزهار لا تتوافر على مدار السنة، بل في فصل الربيع فقط. ومن خلال البحث الميداني، اتضح أنّ استعمال الأزهار في الأغنية الشعبية، هو للدلالة على جمال المرأة، وللتغني بجمالها.

لا نسمع أسماء الأزهار غالباً في الأغاني الشعبية، بل يستخدم الشاعر أو المغني كلمة زهرة أو وردة بالمطلق دون تحديد نوعها، وهذا يدل على عدم معرفتهم بأسماء الأزهار كافة، وعندما يستخدمون كلمة وردة، فإنهم يقصدون بها الوردة الجورية، على اعتبار أنها الأكثر انتشاراً في القرى خاصة، وفي المجتمع اللبناني عامة. تعبر الأزهار عن الحب وجمال المحبوبة، أو على ألم الغيرة والفراق.

ومن بعض الأغاني الشعبية المستقاة من المجتمع الدروس نذكر:

– "بُعَارِ السَّيْمَةِ عَوْرُودِكُ تَعْمَلُ مَشَاوِرُ

بِتَسْرِقُ مِنْ لَوْنِ خُدُودِكِ لَلَّيْلِ نَهَارُ

كُلُّ دَقِيقَةٍ مِنْ وُجُودِكَ فِيهَا أَوْتَارٌ

عَمَّ بِتَقَسُّمِ عَ عُودِكَ نَعْمَةٌ قَلْبَيْنِ"

تدل الورود على خدي المحبوبة، وذلك للدلالة على لون خديها الأحمر، وللتغزل بجمالها، ويقول لها أنه يغار من النسمة إذا مرت على حدودها.

– "كُلُّ مَا بُتَشَّقَى زَهْرَةَ طَيْفَكَ بِحُومٍ

يُخْلُقُ بَغْيُونِي سَهْرَةَ لِلصُّبْحِ نُدُومٍ

رَضِيَتِ البَيْضَا والسَّمْرَا وَقَلْبِي مَحْرُومٍ

اشْلَحْلَكَ⁸ صَوْبِي⁹ شِي نَظْرَةَ واحْسَبْهَا دَيْئُ"

تذكر العاشقة حبيبها كما تشقت عطر الأزهار، فإنها تذكّرها بحبيبها الذي لا يلتفت إليها.

– "مَسِيكَ بِالْخَيْرِ يَلِي مِنَ الْخَرِيرِ لَابِسٍ

تَمَكَّ¹⁰ مَلَبَسٌ وَجَوَاتُهُ¹¹ العَسَلُ كَابِسٍ

وإن كَانَ يَا مُنْبِي¹² مِنْ يَمَنَّا¹³ عَابِسٍ

يَضْحَكُكَ الْوَرْدُ لَوْ كَانَ الْوَرَقُ يَابِسٍ"

فمن خلال هذه الأغنية، يحاول الشاعر إيصال رسالة إلى محبوبته وهي أن الورد يفرح ويضحك عند مرورها حتى لو كان ورقه يابس، بمعنى أنه عندما يرى الحبيب محبوبته يتغير مزاجه نحو الأفضل.

– "مَسِيكَ بِالْخَيْرِ يَلِي كِحَلِ عَيْنِكَ حَلٍ

يَلِي بُتْدَعَسُ¹⁴ عَ أَرْضِ يَابِسَةٍ بِتَخْضَرُ

شَبَّهْتُ حُمْرَةَ حُدُودِكَ لِحُمْرَةِ الْبَرِّ

يَا وَرْدُ جُورِي وَلَوْ رَشَّ النَّدَى بِحَمَرٍ"

في هذه الأغنية، يشبه الشاعر لون حدود محبوبته للون الورد الجوري الأحمر وهو لون جميل وشديد الحمرة.

من خلال هذه المقاطع من الأغاني الشعبية، يتضح لنا أن الأزهار المستعملة فيها هي أزهار مزروعة إلى جانب البيوت، وليست أزهارًا برية، مما يعني أن الأولى لها قيمة أكبر من الثانية، على اعتبار أنها لا تأخذ نفس الاهتمام التي تأخذها الأزهار المزروعة، حيث يتم الاهتمام والعناية بها بشدة وانتباه، على عكس الأزهار التي تنبت برية في فصل الربيع. وينتظر القروي هذا الفصل لتتفتح أزهاره التي زرعها قرب منزله في شهر شباط.

⁸ اشلحك: إرم

⁹ صوبي: نحوي

¹⁰ تمك: فمك

¹¹ جواته: في داخله

¹² منبني: مني عيني

¹³ من يمنا: من جهتنا

¹⁴ بتدعس: تدوس

لا يستعمل المغنون ألوان الأزهار في أغانيهم، بل يركزون على الورد الجوري للدلالة على حمرة الخدود، وكان اللون الأحمر اقتصر على هذا النوع من الأزهار دون سواها. ويتضح أيضًا، أن الأزهار تستعمل في الأغاني للدلالة على الرائحة العطرة للمحبوب، حيث لا يجد العاشق أفضل من روائح الأزهار لتشبيه رائحة محبوبه بها.

3. الأزهار والأسماء:

تطلق أسماء الأزهار على الإناث للدلالة على جمالهن من جهة وللتعبير عن فرح الأهل بالمولودة الجديدة من جهة أخرى. وغالبًا ما يطلق اسم وردة أو زهرة بالمطلق على الإناث دون تحديد نوع الزهرة، ولكن هناك من يحدد هذه الأسماء مثل: ياسمين، غاردينيا، سوسن، نرجس، فلة، في مجتمع البحث. يوجد عدد من الإناث تحملن أسماء الأزهار مثل: زهرة، زهور، أزهار، وردة، ورد، فل، نرجس، رنجس، ياسمين، غاردينيا، سوسن، عنبرة، بيلسان... أو ما يعبر عن الأزهار مثل عبير.

تغيرت الأسماء في القرن الحادي والعشرين، حيث يفضل الأهل تسمية بناتهم بأسماء الأزهار مثل جوري، ليلاندي، غاردينيا أو ياسمين على عكس جيل الأجداد قبل منتصف القرن العشرين حيث استعملوا أسماء مثل وردة، زهرة، زهور... وهذا يدل على عدم معرفة الناس بأسماء الأزهار في الماضي.

IV. البعد الرمزي للأزهار:

تستخدم الرموز من أجل أن تربط العناصر الاجتماعية الفاعلة مع بعضها البعض، وذلك بمختلف وسائل الاتصال التي تضعها تحت تصرفها. والأزهار هي من وسائل الاتصال التي أعطتها الإنسان رموزًا معينة، حتى بات لها لغة خاصة بها، استخدمها ليعبر بها عن مشاعره الداخلية التي تخونها الكلمات في التعبير عنها أحيانًا.

يعطي الإنسان رموزًا معينة لأشياء عديدة في حياته، ويعتبر "ليزلي وايت" أن "السلوك غير الرمزي عند الإنسان العاقل هو سلوك المرء من حيث هو حيوان، أما السلوك الرمزي فهو سلوك الشخص نفسه من حيث هو إنسان... كذلك لا يصبح الطفل إنسانًا بالمعنى الاجتماعي للكلمة، إلا حين يبدأ في استخدام الرموز، أي حين يبدأ في الكلام والتواصل" (عبد الرحمن، ع، 1994، صفحة 41).

وأظهرت دراسة بعنوان **An Environmental Approach to Positive Emotion: Flowers** التي نُشرت في مجلة **Evolutionary Psychology**، أن الأزهار هي محفز قوي للعواطف الإيجابية. وقد بينت الدراسة أن الأزهار لها تأثيرات فورية وطويلة الأمد على المزاج والسلوك الاجتماعي. فعند تقديم الأزهار للإناث في الشارع، ترتسم على وجوههن ابتسامة فورية، وتسببت أيضًا الأزهار التي قدمت للذكور والإناث في الأماكن العامة بسلوك إيجابي فوري (Haviland Jones, Rosario, Wilson, & McGuire, 2005).

ويؤكد علماء النفس أن النباتات تؤمن لنا الشعور بالرفاهية وراحة البال، لذلك ننسق الحدائق في مدننا وباحات منازلنا، والأزهار هي الهدية الدائمة في الأعراس، والجنائزات، وشعائر دورة الحياة الأخرى" (Young, 2007, p. vii).

إن لغة الأزهار هي شرقية الأصل أتت من تركيا، (Goody, 1997, p. 11)، وهناك رأي آخر اعتبرها عادة فارسية أدخلت إلى القارة الأوروبية في القرن السادس عشر على يد شارلز الثاني، ملك السويد آنذاك. واستُعملت كثيرًا في فرنسا في

القرن التاسع عشر، ثم قلدها البلدان الأوروبية الأخرى، و"أصبحت جزءًا أساسيًا في تربية شابات العائلات الغنية، فكل وردة لها معناها الخاص، وصنع باقة من الزهور تخلق جملة، أو شعور على الأقل" (Goody, 1997, p. 12). بلغت لغة الأزهار ذروتها عند الفيكتوريين¹⁵، الذين استعملوا الرموز لإيصال رسائل غامضة تعبر عن العاطفة. وشكلت لغة الأزهار خلال العصر الفيكتوري جزءًا مهمًا من العادات الاجتماعية في ذلك الوقت (Urrutia, 2023).

تغيرت العادات الاجتماعية حول تقديم الهدايا في الحب بسبب لغة الأزهار، ولكن لا تزال رموز بعض الأزهار متداولة في القرن الحادي والعشرين، كالورد الجوري الأحمر الذي يرمز للحب. شكلت لغة الأزهار تقليدًا متخصصًا في فترة زمنية محددة، ولكن لا تزال تداعياتها الثقافية حاضرة بعد أكثر من مئة عام. ربما اندثرت اليوم فكرة إيصال رسائل معينة من خلال الأزهار عن رسائل العصر الفيكتوري، ولكن التقليد الفيكتوري حول التزيين بالأزهار وتقديمها كهدايا لا يزال قائمًا.

اتخذت الأزهار، في مجتمع البحث، في جنوب لبنان، رموزًا معينة تبعًا للونها، وليس تبعًا لنوعها، فاللون هو أول ما يلفت نظر الإنسان إلى الأزهار، وأعطيت ألوان الورد الجوري الرموز دون سواها من أنواع الأزهار الأخرى. ومن خلال المقابلات الميدانية، ذكر المبحوثون رموزًا للألوان التالية: الأبيض، الأسود، الأحمر، الأصفر، والزهري. وهذه الرموز تتناقل بين الأجيال، فالأجداد يعرفونها كما الأولاد والأحفاد. وهذا ما يوضح انتقال الموروث الشعبي بين الأجيال. وفيما يلي رموز الأزهار المستقاة من المجتمع المدروس:

_ الأزهار الحمراء: تعبر عن الحب، الشغف، الإخلاص. واللون الأحمر هو المفضل عند المبحوثين، والوردة الجورية الحمراء هي المفضلة بالدرجة الأولى. فضله المبحوثون في المرحلة العمرية من 12 إلى 30 سنة أكثر من الفئات العمرية الأخرى، فهو يعبر عن الحب، ذاك الشعور النبيل الذي يعبر عنه بوردة جورية حمراء، ولا يمكن التعبير عنه بوردة أخرى أو لون آخر.

تعبر الوردة الجورية الحمراء عن الحب. يقدم العشاق الورد الجوري لبعضهم البعض وذلك للتعبير لهم عن حبهم، على اعتبار أن هذه الأزهار ترمز للحب الذي لا يمكن أن يعبر عنه بالكلمات.

إن الوردة الجورية (Cabbage Rose) هي سفيرة الحب، وترمز البراعم الحمراء إلى الحب والطهارة (النقاء)، والوردة الحمراء ترمز للحب، ويقول الشاب لحبيبتة أنه يحبها إذا قدم لها وردة واحدة حمراء متفتحة. وكذلك يرمز اللون الأبيض للحب الأبدي والبراءة (Swinson, 2004, p. 55).

يدل ارتباط الوردة الجورية الحمراء بالحب على تواصل العصور ببعضها البعض، ولا يزال الناس حتى الآن منذ عهد الحضارة اليونانية يقدمون الورد الجوري الأحمر إلى أحبائهم تعبيرًا لهم عن حبهم، لا يرضى العشاق بغير هذه الوردة، لأنهم يربطونها دائمًا بالحب. إن انتقال العادات والتقاليد بين الحضارات والشعوب يدل على انفتاح الدول على بعضها البعض.

_ الأزهار البيضاء: يفضلها المبحوثون بعد اللون الأحمر، وغالبًا ما تستعمل الأزهار الحمراء والبيضاء مع بعضها البعض. يقدرها الناس، ويعتبرونها رمزًا للنقاء، والطهارة، والسلام. "إن اللون الأبيض من دون لون بالنسبة للعين المادية، لكن العين الداخلية ترى كل الألوان في كل لون" (ساندري، س.، 2002).

¹⁵ نسبة إلى عهد الملكة فكتوريا (1819-1901) التي حكمت بريطانيا من الفترة الممتدة بين 1837 إلى 1901.

_ **الأزهار الصفراء:** مثل النرجس الجوي والبري والورد الجوري والدحنون. يرمز الورد الجوري الأصفر للغيرة، ولكن لها رمز ديني مسيحي، فهي ترمز إلى التجدد والقيامة، وتزيّن مذابح الكنائس في عيد الفصح باللون الأصفر. إن اللون الأصفر هو أقرب الألوان إلى الأبيض، وهو بالتالي أزهارها على الإطلاق.

_ **الأزهار الزهرية،** ترمز إلى القهر، مع أن لون الزهر هو لون جميل، لكن ربما لأنه يميل إلى الألوان الباردة، ويتناسب مع قافية القهر بالنسبة للغة.

_ **الأزهار السوداء:** ترمز إلى الشؤم. إنه لون الحداد في مجتمعنا. لا يوجد أزهارًا سوداء اللون، بل يميل لونها إلى النبيذي الغامق، وهو قريب جدًا من الأسود، نقيض الأبيض.

الخلاصة والاستنتاجات:

اهتم الإنسان بالأزهار وأخذت حيزًا في حياته، زرعها واهتم بها، ودخلت في حياته الاجتماعية والاقتصادية، وفي ثقافته الشعبية. زرع الناس الأزهار بهدف الزينة، للتمتع بها ولإضفاء رونق جميل على منازلهم، وللإستفادة من بعض فوائدها العلاجية، أو بهدف التجارة. ابتعد الإنسان في المدينة عن الأزهار البرية في الوقت الحالي، ولكنه يعرف عددًا من الأنواع المزروعة، مما يدل على تواصله مع الطبيعة بشكل أو بآخر، واكتسب معرفته بالأزهار من خلال المحلات التجارية والمنسوق والمشاغل المتواجدة في المدن، ومن خلال أدوات الاتصال مثل التلفزيون والإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي.

ومن خلال هذا البحث تمّ التحقق من الفرضيات التالية:

فرضية التوافر وسهولة الوصول: اعتمد جيل الأجداد على الأزهار الموجودة في البيئة المحيطة لاستعمالها في بعض العلاجات الشعبية، وبحثوا عن بعض الأزهار لاستعمالها في العلاج على الرغم من من عدم توافرها بكثرة ولكنهم استعملوها بسبب إفادتها العلاجية. كذلك تدخل الأزهار في الغذاء والطب الشعبي، واتضح من خلال الوصفات الطبية، أن السكان لا يزالون يستعملون الأنواع البرية من الأزهار التي يجمعها ويجففها بعض المختصين في تلك المهنة، وتباع في محلات العطارة على مدار السنة. قربت المسافة بين الإنسان وبعض الأزهار للتمتع بمنظرها أو للاستفادة من فوائدها الطبية، مثل إكليل الجبل، الذي زرعه معظم المبحوثين في القرى للاستفادة من فوائده العلاجية لبعض الأمراض. ولكن هناك أزهار لم تزرع قرب المنازل مثل الدحنون وشقائق النعمان بسبب رائحتها المزعجة أو لتوفرها بكثرة في الحقول.

فرضية الأزهار وتحديد الفئات الاجتماعية: لعبت الأزهار دورًا في تحديد أربع فئات من الناس تبعًا لاهتمامهم بها. الفئة الأولى تهتم بالأزهار ورموزها وتعتبرها هدية مميزة تهديها في مناسبات متنوعة للتعبير بها عن المشاعر، ولا يكتمل عيد العشاق دون تقديم الوردية الجورية الحمراء للأحباء. الفئة الثانية لا تعني لها الأزهار شيئًا، ولا تفضلها كهدية. وهناك فئة ثالثة تعودت عليها لأنها موجودة في مرعى نظرها دائمًا، دون أن تهتم لرموزها أو أبعادها. أما الفئة الرابعة، فإنها تهتم بالأزهار للدلالة على مكانتها الاجتماعية، حيث يوجد أزهاراً راقية وأخرى شعبية. وتعددت رموز الأزهار في المجتمع المحلي، ولكنها تعطي لنوع واحد منها هو الورد الجوري، بعكس المجتمع العالمي الذي يعطي لكل نوع زهرة ولونها رمزاً خاصاً بها.

فرضية التمدن وخسارة المعرفة النباتية الموروثة: ابتعد الناس عن الأزهار البرية في المدن، وابتدوا يعرفون الأنواع الموجودة في المحلات التجارية. ودخلت الأزهار في الاقتصاد واعتمد عليها الإنسان في معيشتة ونشأت مهن مختلفة خاصة بها مثل زراعة، بيع، إنتاج وتنسيق الأزهار، وصناعة الصابون والعطور منها. ابتعد الجيل الحالي عن الأزهار البرية على الرغم من توافرها في القرى المحيطة وأهملوا أسماءها وفضلوا الأزهار المزروعة المحلية أو الوافدة التي تعرفوا عليها من خلال محلات بيع الأزهار الطبيعية المحلات، ومن خلال مواقع التواصل الاجتماعي.

ومن خلال هذه الدراسة، تمّ ملاحظة أن بعض الأزهار لها أهمية خاصة في حياة الناس، حيث قلما نجد حديقة منزل خالية منها الغاردينيا والورد الجوري بأنواعه وألوانه المختلفة. واتضح، أيضًا، أن الأزهار تدخل ضمن الثقافة الشعبية للمجتمع المحلي، فاستعملت في الأغاني والأمثال الشعبية، وتستعمل كلمة وردة بشكل عام، مما يدل على بساطة معرفة أهل المجتمع المحلي بأسماء الأزهار. واستعملت أسماء بعض الأزهار في تسمية المواليذ الجدد ولا سيما الإناث. ويدل استخدام الأزهار في الثقافة الشعبية على أهميتها في حياة الناس. وتشبه المرأة الجميلة بالأزهار لرفقتها ودلالها. إن عدم ذكر أسماء الأزهار بكثرة في الأغاني والأمثال الشعبية يدل على عدم معرفة أسمائها من قبل الناس. إن الأمثال والأغاني الشعبية التي تتضمن الأزهار قليلة بالنسبة للكلم الهائل لها، بسبب عدم توفر الأزهار طيلة أيام السنة، فالإنسان يدخل ضمن ثقافته ما يستعمله باستمرار.

نشأت لغة خاصة للأزهار، من خلال استخدام الإنسان لها، فتقوم على أشكال وأحاسيس ورموز، فالأزهار تقول بطريقتها، بألوانها ورائحتها ما لا تقوله الكلمات. والحال فإن المعنى الرمزي الأول لعلاقة مجتمع بأزهاره، نجده في ما أمكن أن ندعوه لغة تواصل مميزة. في لغة العرب ومجتمعاتهم الحالية، يتكافأ الزهر والورد. يقال وردت الشجرة بمعنى أخرجت وردها. ورد الشجر أخرج الورد، كما تزهو النبتة فتخرج زهرها. لكن يقال للمرأة أنها وردت أي احمرّ خدها، وكان لون الورد وقف على اللون الأحمر ورموزه وتفصيله، فيما هو متعدد، وارتبطت الأزهار دائمًا بالأُنثى.

شكلت ألوان الأزهار وروائحها العطرة عامل جذب للإنسان، وتعمل حاسة النظر مباشرة عندما نرى الزهرة، يتبعها حاسة الشم، وبما أن اللون الأحمر لون حار ومثير، فإنه يجذب الإنسان مباشرة، وله تأثير بصري قوي، واللون الأبيض هو لون متوافر بكثرة في الطبيعة، لذلك أعطاه الإنسان رمزًا محددًا، إنه لون هادئ يعطي شعورًا بالأمان. وتُقدم الأزهار لإيصال رسالة للشخص الآخر، وأحيانًا مجرد نوع من العادات الاجتماعية.

أهمل السكان اليوم الثقافة الشعبية، فتركوا اللباس الشعبي وأهملوا الأغاني والأمثال الشعبية، لكنهم احتفظوا برموز الأزهار التي لا تزال مستمرة منذ الحضارات اليونانية والرومانية والمصرية، فهي رموز عالمية تنتشر من جيل إلى جيل، وتساهم مواقع التواصل الاجتماعي اليوم في تثبيت هذه الرموز، وهذا ما يدل على أن الجيل الجديد يحتفظ بما هو متداول اليوم أكثر مما هو متوارث عبر الأجيال.

المراجع:

- Goody, J. (1997). Fleurs d' Orient et fleurs d'Occident. *Regards Sociologiques*, 14, 5-13.
- Haviland Jones, J., Rosario, H. H., Wilson, P., & McGuire, T. R. (2005). An Environmental Approach to Positive Emotion: Flowers. *Evolutionary Psychology*, 3, 104-132.
- Mackey, J. (2022, May 13). *Everything You Need To Know About the Bridal Bouquet*. Retrieved from Brides: <https://www.brides.com/story/wedding-bouquet-etiquette>
- Prance, G. (2007). Ethnobotany, Science of Survival: A declaration from Kaua'i. *Economic botany*, 61(1), 1-2.
- Swinson, A. (2004). *Roses*. London: Ryland Peters and Small.
- Urrutia, M. S. (2023, May 14). *Floriography: The History and Traditions of the Language of Flowers*. Retrieved from Arcadia: <https://www.byarcadia.org/post/floriography-the-history-and-traditions-of-the-language-of-flowers>
- Young, K. J. (2007). *Ethnobotany*. New York: Chelsea House Publishers.
- بن موسى، ي. (2016). أنثروبولوجيا الهدية وأنساق التبادل. تأليف يونس الوكيل، تراث الأنثروبولوجيا الفرنسية في تقدير الممارسة الفكرية لمارسيل موس (الصفحات 60-69). بيروت: مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.
- ساندرى، س. (2002). *الصوت بوابة الكون* (الطبعة الأولى). (ماري بدين أبو سمح، المترجمة) بيروت: رياض الريس.
- عبد الرحمن، ع. (1994). *سحر الرمز، مختارات في الرمزية والأسطورة* (الطبعة الأولى). دمشق: دار الحوار للنشر والتوزيع.
- لوركر، م. (2000). *معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة*. (صلاح الدين رمضان، المترجم) القاهرة: مكتبة مدبولي.
- ليفي ستراوس، ك. (1987). *الفكر البري* (الطبعة الثانية). (نظير جاهل، المترجم) بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
- يعقوب، إ. (1993). *موسوعة الأمثال اللبنانية* (الجزء الأول). طرابلس: جروس برس.

FEATURES OF LEGITIMATE POLITICS IN BUILDING THE CONTEMPORARY STATE

Research. ABDI Abderrahmane

<http://dx.doi.org/10.47832/soci.con1-22>

Abstract:

This research seeks to study Sharia politics in its broad sense, its features and principles, to build the state in order to facilitate the life of human society, reform it, and achieve its immediate and future interests. This can only be achieved by managing the affairs of the state, which must have three conditions and pillars: the people, the territory, and the authority. We establish a harmonious society based on the principles of justice, freedom, and consultation. The Prophet, may God bless him and grant him peace, relied in his policy for the people while building the Islamic state on these landmarks and principles, and after him the Rightly Guided Caliphs, and therefore the state must preserve these landmarks and principles so that it can manage and manage public affairs. In a way that ensures achieving interests and eliminating harms, within what does not exceed the limits of Sharia law and its universal principles

Keywords: Sharia Politics - State Building - Pillars of The State - Political Thought.


معالم السياسة الشرعية في بناء الدولة المعاصرة

الباحث عبيد الرحمن¹

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى دراسة السياسة الشرعية بمفهومها الواسع ومعالمها ومبادئها إلى بناء الدولة من أجل تسهيل حياة المجتمع الإنساني وإصلاحه وتحقيق مصالحه العاجلة والآجلة، ولا يتأتى ذلك إلا بإدارة شؤون الدولة التي لا بد لها أن تتوفر على ثلاثة شروط وأركان: الشعب والإقليم والسلطة، ومن تم نؤسس لمجتمع متجانس على أساس مبدأ العدل والحرية والشورى، ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتمد في سياسته للناس أثناء بناءه للدولة الإسلامية على هذه المعالم والمبادئ ومن بعده الخلفاء الراشدون، وبالتالي يجب على الدولة الحفاظ على هذه المعالم والمبادئ حتى تتمكن من إدارة وتسيير شؤون العامة بما يكفل تحقيق المصالح ورفع المضار فيما لا يتعدى حدود الشريعة وأصولها الكلية.

الكلمات المفتاحية: السياسة الشرعية - بناء الدولة - أركان الدولة - الفكر السياسي.

¹  جامعة السلطان مولاي سليمان، المغرب

a4abdi4@gmail.com

<https://orcid.org/0009-0002-7349-6521>

المقدمة:

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وعلى آل بيته الأطهار الذين بحبهم نسعد، وعلى صحبه الكرام، وعلى التابعين والصالحين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين وبعد، يعد موضوع بناء الدولة من أهم المواضيع التي تشكل الفكر السياسي المعاصر وتعد قضية السياسة الشرعية أحد العلوم الجليلة في التراث الاسلامي، وهي أداة بيد ولاة الأمر في الدولة لقيادة الأمة وتحقيق مصالحها الدينية والدنيوية، وبالتالي يقصد بها تدير الشؤون العامة للدولة الإسلامية بما يكفل تحقيق المصالح ورفع المضار فيما لا يتعدى حدود الشريعة وأصولها الكلية، ومن تم فإن من بين معالم التي تركز عليها السياسة الشرعية في بناء الدولة هي مسايرة التطورات الاجتماعية في كل حال وزمان على الوجه الذي يتفق مع المبادئ العامة للشريعة الإسلامية، وبالتالي لا يمكن لنا الاستغناء عن السياسة الشرعية، فالسياسة الشرعية هي التي تستوعب التطور الحادث للدولة أثناء البناء وفي حياة الأمة الإسلامية كذلك وتؤكد بالدليل أن الشريعة الإسلامية صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

إشكالية البحث:

ما مفهوم السياسة الشرعية؟ وما أهميتها؟

ما هي مراحل نشأة وتطور مفهوم الدولة في الإسلام؟

ماهي أهم المعالم التي تركز عليها السياسة الشرعية في بناء الدولة المعاصرة؟

ماهي أهم الاركان التي تركز عليها الدولة في الفكر السياسي المعاصر؟

أهمية البحث:

إن للسياسة الشرعية أهمية كبرى في حفظ مصالح الفرد والأسرة والمجتمع والدولة والأمة بأسرها وتتجلى هذه الأهمية في كون هذه الدراسة تعالج قضية تعتبر من القضايا الهامة، والتي شغلت بال المسلمين على مدار تاريخهم، منذ العهد النبوي ولغاية العصر الراهن، ألا وهي قضية الدولة في الإسلام.

أهداف البحث:

الهدف الرئيس للدراسة هو: محاولة بيان معالم بناء الدولة في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر.

خطة البحث:

مقدمة

المبحث الاول: مفهوم السياسة الشرعية وأهميتها

المطلب الاول: معنى السياسة

المطلب الثاني: معنى الشرعية

المطلب الثالث: أهمية السياسة الشرعية

المبحث الثاني: معالم بناء الدولة في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر

المطلب الاول: مفهوم الدولة في الاسلام

المطلب الثاني: أركان الدولة في الفكر السياسي المعاصر

المطلب الثالث: معالم السياسة الشرعية في بناء الدولة

خاتمة.

المبحث الأول: مفهوم السياسة الشرعية وأهميتها

مصطلح السياسة الشرعية مصطلح مركب من مفردتين، وقبل معرفة معنى المركب لابد من معرفة معنى الصفة والموصوف.

المطلب الأول: معنى السياسة

لغة: عرفها ابن الأثير فقال: "السياسة: القيام على الشيء بما يصلحه"² وتابعه على ذلك أكثر علماء اللغة، قال ابن منظور: "وساس الأمر سياسةً: قام به، ورَجُلٌ ساسٌ مِنْ قَوْمٍ سَاسَةً وَسَوَّاسٌ وَسَوَّسَهُ الْقَوْمُ: جَعَلُوهُ يَسُوسُهُمْ. وَيُقَالُ: سُوَّسَ فُلَانٌ أَمْرَ بَنِي فُلَانٍ أَيْ كَلَّفَ سِيَاسَتَهُمْ"³.

وقال أيضا: "والسياسة: القيام على الشيء بما يصلحه، والسياسة: فِعْلُ السَّائِسِ يُقَالُ: هُوَ يَسُوسُ الدَّوَابَّ إِذَا قَامَ عَلَيْهَا وَرَاضَهَا، وَالْوَالِي يَسُوسُ رَعِيَّتَهُ"⁴.

وقال الجوهري: "سُتُّ الرعيّة سياسةً، وسُوَّسَ الرجلُ أَمْرَ النَّاسِ، على ما لم يسم فاعله، إذا مُلِّكَ أمرهم"⁵، وقال الفيومي في: "وساس زيد الأمر يسوسه سياسةً دبره وقام بأمره"⁶.

فالمعنى اللغوي للسياسة لا يخرج عن تعريف ابن الأثير لها بقوله السابق: السياسة: القيام على الشيء بما يصلحه.

شرعا: لم يرد في نصوص الشريعة مصطلح السياسة ولا ما هو مشتق من جذرها إلا في حديث واحد للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله: "كانت بنو إسرائيل تُسوسُهُمُ، الأنبياء، كلما هلك نبي خَلَفَهُ نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون بعدي خلفاء فيكثر، قالوا: يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال: أوفوا ببيعة الأول فالأول، ثم أعطوهم حقهم، واسألوا الله الذي لكم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم"⁷.

وهي واردة هنا في الحديث بالمعنى اللغوي السابق، قال ابن حجر: "قوله: (تسوسهم الأنبياء) أي أنهم كانوا إذا ظهر فيهم فساد، بعث الله لهم نبيا يقيم لهم أمرهم، ويزيل ما غيروا من أحكام التوراة، وفيه إشارة إلى أنه لا بد للريعية من قائم بأمرها، يحملها على الطريق الحسنة، وينصف المظلوم من الظالم"⁸.

لذا قال النووي في شرحه للحديث: "أي يتولون أمورهم كما تفعل الأمراء والولاة بالريعية والسياسة: القيام على الشيء بما يصلحه"⁹، وزاد ابن الملتن لفظاً توضيحياً مؤكداً، فقال: "السياسة: القيام على الشيء والتعهد له بما

² ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك الشيباني الجزري بن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر احمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ - 1979م، ج2، ص 421.

³ ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1414هـ، ج6، ص 108.

⁴ المرجع نفسه.

⁵ الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية مرتبا ترتيبا ألفبائيا وفق أوائل الحروف، مادة: سوس، تحقيق: محمد محمد تامر، أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، الناشر: دار الحديث، القاهرة، سنة النشر: 1430هـ - 2009م، ص 571.

⁶ أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تحقيق عبد العظيم الشناوي، الناشر: دار المعارف، القاهرة، الطبعة: الثانية، ج 2، ص 295.

⁷ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء صلوات الله عليهم، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، ج4، رقم الحديث: 3455، ص 169.

⁸ ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي بن محمد الكناني أبو الفضل شهاب الدين، فتح الباري شرح صحيح البخاري، الناشر: المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، الطبعة: الأولى، ج6، ص 497.

⁹ النووي يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين، صحيح مسلم بشرح النووي، الناشر: المطبعة المصرية بالأزهر، سنة النشر: 1347هـ - 1929م، ج12، ص 231.

يصلحه¹⁰، وعرفها ابن عقيل كما نقلها عنه ابن القيم: "السياسة ما كان من الأفعال بحيث يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد"¹¹.

وهذه التعاريف فيها شمول لأفعال الإمام ولكل من أوكل إليه رعاية شيء، كالناظر على الوقف وولي اليتيم ونحوهما، فالقيام على كل شيء يسمّى سياسة، سواء كان شؤون الدولة أو البيت أو مؤسسة ما.

وعرفها المقرئزي بأنها: "القانون الموضوع لرعاية الآداب والمصالح وانتظام الأحوال"¹²، وعرفها ابن نجيم الحنفي بقوله: "السياسة هي فعل شيء من الحاكم لمصلحة يراها، وإن لم يرد بذلك الفعل دليل جزئي"¹³.

خلاصة فهذا التعريفان يظهر منها قصر معنى السياسة على تصرفات الإمام، أو في مجال الحكم، على أن تعريف ابن نجيم هو تعريف للسياسة الشرعية في حقيقته وليس للسياسة فقط.

المطلب الثاني: معنى الشرعية

الشرعية نسبة إلى الشرع، وفيما يأتي معناه:

الشرع لغة: قال ابن فارس: "الشين والراء والعين أصل واحد، وهو شيء يفتح في امتداد يكون فيه، من ذلك الشريعة، وهي مورد الشاربة (الماء)، واشتق من ذلك الشرعة في الدين والشريعة"¹⁴، فأصل الجذر فتحة ممتدة في شيء، ومنه سميت ترعة الماء شريعة، لأنها فتحة ممتدة في جانب من الأرض، ثم سميت الأحكام شريعة تشبيهاً بشريعة الماء التي ينهل منها الناس ويرتوون، وكأن الدين منهل يقصده الناس ليرتووا منه.

قال ابن منظور: "والشريعة والشراع والمشرفة: المواضع التي ينحدر إلى الماء منها، قال الليث: وبها سمي ما شرع الله للعباد شريعة من الصوم والصلاة والحج والنكاح وغيره"¹⁵، والشرعة والشريعة بمعنى واحد، قال الطبري: "والشرعة هي الشريعة بعينها، تجمع الشرعة شريعاً، والشريعة شرائع، ولو جمعت الشرعة شرائع، كان صواباً، لأن معناها ومعنى الشريعة واحد"¹⁶

وشرعا وردت في القرآن الكريم بمعنيين:

أحدهما: التوحيد أو أحكام وتعاليم الدين الإيمانية التي بعث بها كل الرسل، والتي يكون بها المرء مسلماً، وذلك في قوله تعالى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ¹⁷}. قال القرطبي: "شرع لكم من الدين ما شرع لنوح وإبراهيم وموسى وعيسى، ثم بين ذلك

¹⁰ ابن الملقن، عمر بن علي بن أحمد الأنصاري سراج الدين أبو حفص، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث بإشراف: خالد الرباط - جمعة فتحي، تقديم فضيلة الاستاذ الدكتور احمد معبد عبد الكريم، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية - قطر، سنة النشر: 1429 هـ - 2008 م، الطبعة: الأولى، ج19، ص 609.

¹¹ ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 هـ - 1991 م ج4، ص 283.

¹² المقرئزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئزية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1418 هـ، ج3، ص 383.

¹³ ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم بن محمد المصري، البحر الرائق شرح كثر الدقائق، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، بدون طبعة، ج5، ص 11.

¹⁴ ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، 1399 هـ - 1979 م، ج3، ص 262.

¹⁵ ابن منظور، المرجع السابق، ج8، ص 175.

¹⁶ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي أبو جعفر، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م، ج10، ص 384.

¹⁷ سورة الشورى، الآية 11.

بقوله تعالى: { أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ } وهو توحيد الله وطاعته، والإيمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء، وبسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلماً، ولم يُرد الشرائع التي هي مصالح الأمم على حسب أحوالها، فإنها مختلفة متفاوتة¹⁸.

وقال ابن كثير: "والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو: عبادة الله وحده لا شريك له القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم"¹⁹، وقال الشوكاني: "بين وأوضح لكم من الدين ما وصى به نوحاً من التوحيد ودين الإسلام وأصول الشرائع التي لم يختلف فيها الرسل وتوافقت عليها الكتب والذي أوحينا إليك من القرآن، وشرائع الإسلام، والبراءة من الشرك"²⁰.

والثاني: الأحكام الفقهية العملية التي تختلف من رسالة إلى رسالة، كما في قوله تعالى: { لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا }²¹، قال القرطبي: "ومعنى الآية أنه جعل التوراة لأهلها، والإنجيل لأهله، والقرآن لأهله، وهذا في الشرائع والعبادات، والأصل التوحيد لا اختلاف فيه"²² وعرفها الشيخ المراغي بقوله: "الشريعة هي الأحكام العملية التي تختلف باختلاف الرسل"²³، فجعلها قاصرة على الأحكام العلمية، وسمى الأحكام العقديّة (ديناً)، فقال: "الدين هو الأصول الثابتة التي لا تختلف باختلاف الأنبياء"²⁴.

وبين أن هذا باعتبار استعمال وعرف العلماء واصطلاحهم، وليس من حيث اللغة أو الشرع، فقال: "وهذا هو العرف الجاري الآن، إذ يخصون الشريعة بما يتعلق بالقضاء وما يتخاصم فيه إلى الحكم، والخلاصة أن الشريعة اسم للأحكام العملية، وأنها أخص من كلمة (الدين)، وتدخل في مسمى الدين من جهة أن العامل بها يدين لله تعالى بعمله، ويخضع له ويتوجه إليه، مبتغياً مرضاته وثوابه بإذنه"²⁵.

وعرفها الشيخ أبو زهرة: "ما جاء من أحكام تكليفية يجب العمل بها أمراً ونهياً وندباً وإباحة"²⁶، وهو موافق للشيخ المراغي بقصرها على الأحكام العملية، ويلاحظ أن هذين التوجيهين في الاصطلاح هما امتداد للاستعمالين الشرعيين، وإن كان الغالب استعمالها في المعنى الثاني كما أشار لذلك الشيخ المراغي.

بعد معرفة مفردات المصطلح، نأتي إلى تعريف المصطلح من حيث كونه لفظاً مركباً، بناء على ما فهمناه من معاني مفرداته، فنقول: السياسة الشرعية هي: رعاية الشؤون العامة في مختلف نواحي الحياة من خلال الحكم، بما يحقق مصالح العباد من جلب ما ينفعهم ودفع ما يضرهم، وفق أحكام الدين الإسلامي التي جاءت في الكتاب والسنة واجتهادات أهل العلم، أو يمكن اختصاره بالقول: (هي رعاية الشؤون العامة وفق أحكام الشريعة الإسلامية).

غير أن بعض الباحثين يرون للسياسة الشرعية معنى أضيق دائرة مما ذكرناه، فقصرها على أفعال الحاكم التي تحقق المصلحة مما لم يرد فيه نص²⁷.

¹⁸ القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، 1427هـ - 2006م، الطبعة: الأولى، ج16، ص10.

¹⁹ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة: الأولى، 1419هـ، ج7، 194-195.

²⁰ الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، فتح القدير، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، الطبعة: الأولى، 1414هـ، ج4، ص607.

²¹ سورة المائدة، الآية 50.

²² القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، ج6، ص211.

²³ أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365هـ - 1946م، ج6، ص130.

²⁴ المرجع نفسه.

²⁵ المرجع نفسه.

²⁶ أبي زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، زهرة التفاسير، الناشر: دار الفكر العربي، بدون طبعة، ج4، ص2227.

ويلاحظ أن هذه المعنى يضيق البحث إلى دائرة المسكوت عنه فقط من باب أفعال الإمام، ولكننا نرى أن الضرورة والحاجة تقتضي بحث السياسة الشرعية بمعناها الذي قلناه، فليس المعنى العام الشامل لكل رعاية مقصودًا لنا ولا لدارسي السياسة الشرعية اليوم، ولا المعنى الضيق لأفعال الإمام مما لا نص فيه مقصودًا لنا أيضًا، بل أفعال الإمام وما يتعلق بمجال الإمام هو مراد لنا، وهو ما نرى الواقع والحاجة تقتضيه.

المطلب الثالث: أهمية السياسة الشرعية

تتجلى أهمية السياسة الشرعية من خلال كلام نفيس لابن القيم في كتابه الطرق الحكمية فيقول: "وهذا موضع مزلة أقدام، ومضلة أفهام، وهو مقام ضنك، ومعتك صعب، فرط فيه طائفة، فعطلوا الحدود، وضيعوا الحقوق، وجروا أهل الفجور على الفساد، وجعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد، محتاجة إلى غيرها، وسدوا على نفوسهم طرقًا صحيحة من طرق معرفة الحق والتنفيذ له، وعطلوها، مع علمهم وعلم غيرهم قطعًا أنها حق مطابق للواقع، ظنا منهم منافاتها لقواعد الشرع.... وأفردت طائفة أخرى قابلت هذه الطائفة، فسوغت من ذلك ما ينافي حكم الله ورسوله، وكلتا الطائفتين أتيت من تقصيرها في معرفة ما بعث الله به رسوله، وأنزل به كتابه. فإن الله سبحانه أرسل رسوله، وأنزل كتبه، ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به الأرض والسموات.

فإذا ظهرت أمارات العدل وأسفر وجهه بأي طريق كان، فثم شرع الله ودينه، والله سبحانه أعلم وأحكم، وأعدل أن يخص طرق العدل وأماراته وأعلامه بشيء، ثم ينفي ما هو أظهر منها وأقوى دلالة، وأبين أمانة. فلا يجعله منها، ولا يحكم عند وجودها وقيامها بموجبها، بل قد بين سبحانه بما شرعه من الطرق، أن مقصوده إقامة العدل بين عباده، وقيام الناس بالقسط، فأى طريق استخرج بها العدل والقسط فهي من الدين، وليست مخالفة له"²⁸.

يفهم من كلام ابن القيم أن أهمية السياسة الشرعية تقتدي بكونها شرعية يعني أنها تستند إلى الشرع ولا تخالفه، ومن المعلوم أن لكل دولة عقيدة تبنى عليها وتستند إليها كمرجعية أصيلة، والدولة في الإسلام عقيدتها ومرجعيتها الإسلام، وبناء عليه فإن قضية السياسة الشرعية لها السيادة والحاكمة في بناء الدولة.

²⁷ سعد بن مطر العتيبي، أضواء على السياسة الشرعية، الناشر: دار الألوكة للنشر، تاريخ النشر: 1434هـ - 2013م، ص 18.
²⁸ ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الطرق الحكمية، الناشر: مكتبة دار البيان، بدون طبعة وبدون تاريخ، ص 13-14.

المبحث الثاني: معالم بناء الدولة في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر

المطلب الاول: مفهوم الدولة في الاسلام

الدولة لغة: الدولة في اللغة العربية مأخوذة من الدال والواو واللام. وهو أصل واحد يدل على تحول شيء من مكان، وتطلق الدولة على الاستيلاء والغلبة وانقلاب الزمان، وعلى الشيء المتداول، والدولة في الحرب بين الفئتين: أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى، فتَهْزَم هذه مره وهذه مره، والدولة: أي الغلبة يقال: أدبل لنا على أعدائنا أي نُصِرنا عليهم²⁹.

وقد وردت في القرآن الكريم حروف كلمة دولة في قوله تعالى: {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَاللِّرْسُولِ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْقُرَىٰ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمَسْكِينِ وَالْبَنِينَ وَالْمَرْجُومِينَ وَبَيْنَ أَلْيَانِهِم مِّنْكُمْ} ³⁰، بمعنى التداول والتغيير والتحويل. وقيل في تفسيرها إن دولة بضم الدال أو فتحها لغتان، وقيل إن الضم تشير إلى المال، والفتح إلى الحرب، والمعنى العام حتى لا يقع مال الفيء في أيدي الأغنياء فيتداولوه بينهم دون الفقراء وهو ذات معنى التغيير والتحويل³¹ وكذلك وردت في القرآن الكريم في موضع آخر، وقد استخدمت بصيغة الفعل في قوله تعالى: {وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ} ³²، أي بمعنى نجعل الدولة والغلبة فيها لقوم وفي غيرها لآخرين³³.

إن العديد من الألفاظ الدالة على مفهوم الدولة قد وردت في القرآن الكريم على النحو التالي:

أولاً: لفظ القرية

وهذا ما ورد في قوله تعالى: {إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا} ³⁴، وهذا ما جاء على لسان ملكة سبأ، فقد كانت سبأ لها صفة الدولة المنظمة، ففيها حكومة ترأسها ملكة قوية لها وزارة وقادة إداريون، وقد قامت هذه الدولة على أساس التشاور وأخذ الرأي الآخر. وهذا ما يؤكد قوله تعالى: {مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُون} ³⁵، كما أن هذه الدولة توفرت لها السلطة ذات القوة والمنعة والشدة، وهذا ما أكدته الآية على لسان وزراء ملكة سبأ ومستشاريها في قوله تعالى: {نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدٍ} ³⁶، وعليه يلاحظ أن دولة سبأ التي أطلق عليها القرآن الكريم لفظ القرية لها مقومات الدولة من الشعب والإقليم وهي أرض اليمن وحكومة على رأسها ملكة ذات عرش عظيم³⁷.

وكذلك وردت لفظ "قرية" في قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ كَثِيرًا مَّجْرِمِينَ لِيَمْلِكُوا فِيهَا وَمَا يَمْلِكُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} ³⁸، فالقرآن الكريم في تسميته للدولة بالقرية يقدم لنا الدولة في أصغر صورها، حتى يمكن البناء أو القياس عليها، إذ ما دام أن قرية واحدة يمكن أن تكون دولة، فإن عدة قرى يمكن أن تكون دولة³⁹.

²⁹ عثمان جمعة ضميرية، النظام السياسي والدستوري في الإسلام دراسة مقارنة، الناشر: جامعة الشارقة، الإمارات، ط 1، 1428هـ - 2007م، ص 67.

³⁰ سورة الحشر، الآية 7.

³¹ شلبي صلاح عبد البديع، إقليم الدولة في الفكر الإسلامي والقانون الدولي، الناشر: دار النهضة العربية، القاهرة، ط 1، 1996م، ص 21.

³² سورة آل عمران، الآية 14.

³³ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المرجع السابق، ص 7.

³⁴ سورة النمل، الآية 34.

³⁵ سورة النمل، الآية 32.

³⁶ سورة النمل، الآية 33.

³⁷ شلبي صلاح، المرجع السابق، ص 32.

³⁸ سورة الانعام، الآية 123.

³⁹ العتيبي محمد طلعت، قانون السلام في الإسلام، الناشر: منشأة المعارف، الإسكندرية، ط 1، بدون تاريخ، ص 32.

ثانيا: لفظ المدينة

وقد وردت في القرآن الكريم لتدل على دولة صغيرة العدد والمساحة، مثل قوله تعالى في شأن سيدنا موسى عليه السلام: {وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا}⁴⁰، فالمقصود هنا عاصمة الدولة ومقر حكومتها.

ثالثا: لفظ البلدة

وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم بمعنى الدولة في سياق قصة سبأ في قوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتِنٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ}⁴¹، ومن استخدامات البلدة بمعنى الدولة قوله تعالى: {وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبَلَدِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ}⁴²، أي الذين طغوا في مدن مصر وقرائها⁴³.

ولقد عرف الإسلام فكرة الدولة كشخصية مستقلة عن شخصية الحكام الذين يعتبرون أمناء على السلطات يمارسونها نيابة عن الأمة في فترة ولايتهم. وعليه فالدولة في الإسلام نشأت من التشريع الإسلامي المستمدة قواعده من القرآن والسنة والأدلة التابعة لهما وفقا للقواعد الكلية. فإذا كانت السلطة التي تحكم الدولة هي سلطه تقوم على التزام عقيدة التوحيد وأحكام الشرع الإسلامي فهي دولة إسلامية. وعليه يمكن تعريف الدولة الإسلامية "بأنها مجموعة من الناس يقيمون على إقليم معين تحكمهم الشريعة الإسلامية"⁴⁴.

ولازال للفظ يدور حول مفهوم الدولة خاصة اللغظ المجتمعي والأكاديمي والإعلامي، إذ سعى باحثون على مدار تاريخ استخدام هذا المفهوم لإلحاق كثير من الصفات والأفكار بهذا المفهوم وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد دولة المدينة، ودولة الخلافة، والدولة الاشتراكية، والدولة الديمقراطية، والدولة الإمبريالية، وغير ذلك من المصطلحات التي ظلت لصيقة بمفهوم الدولة خاصة في زمننا المعاصر وبالتالي فهذا المفهوم يحتاج إلى مزيد من الاهتمام من قبل الباحثين والاكاديميين خاصة المهتمين بالشأن التاريخي.

المطلب الثاني: أركان الدولة في الفكر السياسي المعاصر

تقوم الدولة على ثلاثة أركان وهي:

أولا: الشعب: لا يتصور وجود دولة دون وجود مجموعة من البشر، ولا بد أن ينشأ لدى هذه المجموعة، إحساس بضرورة إشباع حاجات شتى، والتعاون على أداء المناشط المطلوبة لإشباع هذه الحاجات، ويتكون شعب أي دولة من وطنيين يتمتعون بجنسية الدولة، وتربطهم بها رابطة الولاء، وأجانب يوجدون على إقليم الدولة لا تربطهم بها سوى رابطة التوطن أو الإقامة حسب الأحوال⁴⁵.

⁴⁰ سورة القصص، الآية 15.

⁴¹ سورة سبأ، الآية 15.

⁴² سورة الفجر، الآيات 10-12.

⁴³ الحلو ماجد، الدولة في ميزان الشريعة، الناشر: دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ط 1، 1994م، ص 34.

⁴⁴ عثمان جمعة ضميرية، النظام السياسي والدستوري في الإسلام، المرجع السابق، ص 69-70.

⁴⁵ سعد عصفور، المبادئ الأساسية في القانون الدستوري والنظم السياسية، الناشر: منشأة المعارف، الإسكندرية، 1980م، القسم الأول، ص 95.

ثانيا: الإقليم: إذا وجد الشعب فلا بد له من الاستقرار على إقليم ما، يكون مستقرا للشعب ومصدرا رئيسا لثروة الدولة، وإقليم الدولة هو ذلك الجزء من الكرة الأرضية الذي تباشر الدولة عليه سلطاتها، ولا يمارس عليه سلطان غير سلطاتها، ويتكون إقليم الدولة من ثلاثة أجزاء، جزء أرضي، وهو الجزء اليابس الذي تعينه حدود الدولة، ويستعمل سطح الأرض وما دونه من طبقات إلى ما لا نهاية، وما فوق ذلك السطح من مرتفعات كالجبال والهضاب وجزء مائي، ويشمل المياه الموجودة داخل حدود الدولة من أنهار وبحيرات ونصيب من البحار العامة الملاصقة لإقليم الدولة، وتسمى المياه الإقليمية، وجزء هوائي ويشمل طبقات الهواء فوق الإقليمين الأرضي والمائي حسب ما هو محدد في أحكام القانون الدولي العام⁴⁶، وقد يكون إقليم الدولة متصلا بشكل واحد وهو الغالب، أو منفصلا كالباكستان سابقا عندما كانت تنقسم إلى قسمين شرقي وغربي حتى انفصلت باكستان الشرقية وأصبحت دولة مستقلة تسمى بنجلادش فظل اسم باكستان يطلق على باكستان الغربية.

ثالثا: السلطة: لا يكفي لقيام الدولة وجود شعب معين على إقليم معين، فلا بد من قيام حكومة تباشر السلطات باسم الدولة، وركن الحكومة أو السلطة هو الذي يميز الدولة عن الأمة، فالأمة تتفق مع الدولة في ركني الشعب والإقليم، ولكنها تختلف عنهما في ركن السلطة السياسية، وإذا ما تيسر لأمة ما أن تقيم حكومة تخضع لسلطانها فإنها تصبح دولة⁴⁷.

والسلطة حسب شحور، بوصفها حجر الأساس في تشكيل الدولة ومؤسساتها، وبالإمكان تحليل مفهوم السلطة على ثلاثة مستويات تتكامل فيما بينها، مستوى القوة ومستوى القانون، بمعنى أن القوة كأداة للإكراه لا بد أن تخضع لتقنين القاعدة القانونية، لتدخل الشرعية كمستوى ثالث يضمن الرضا والقبول، بعبارة أخرى حينما وجدت الدولة وجدت السلطة، وحينما وجدت السلطة وجد الإكراه الذي يعده شحور وغيره ظاهرة طبيعية وضرورية في بناء الدولة⁴⁸.

من خلال ما سبق يكمن القول أن لكل دولة لا بد لها أن تتوفر على ثلاثة شروط أو أركان: الشعب والإقليم والسلطة أي الهيئة الحاكمة ذات السيادة بحيث لا يمكن أن تعرف الدولة إلا وجدت فيها مجموعة بشرية تعيش فوق إقليم محدد تحت سلطة وهيئة حاكمة ذات سيادة، وبالتالي أندك يكتمل بناء الدولة من خلال معالمها وأركانها.

المطلب الثالث: معالم السياسة الشرعية في بناء الدولة

من معالم السياسة الشرعية في بناء الدولة:

أولاً: العدل: يعتبر العدل جوهر السياسة والحكم داخل الدولة الإسلامية، والعدل في السياسة كالرأس من الجسد، وإن أردنا أن نبحت له عن شبيهه من الأحكام الشرعية فهو كعرفة في الحج، وكالنية في العبادات، فإن ذهب العدل ذهب معه مقاصد السياسة الشرعية في بناء الدولة، وإن تحقق العدل تحققت كل معالم بناء الدولة وهو ما نحتاجه في زمننا هذا من أجل بناء دولة معاصرة تستمد كل مقومات النجاح من الشريعة الإسلامية فالسياسة الشرعية هي التي تستوعب التطور الحادث للدولة أثناء البناء، ولهذا يقول ابن تيمية: "وأمر الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه

⁴⁶ يحيى الجمل، الأنظمة السياسية المعاصرة، الناشر: دار النهضة المصرية، 1969م، ص 96.

⁴⁷ سعد عصفور، القانون الدستوري والنظم السياسية، المرجع السابق، ص 223.

⁴⁸ محمد شحور، الدين والسلطة: قراءة معاصرة للحاكمية، الناشر: دار السواقي، بيروت، 2015م، ص 240.

الاشتراك في أنواع الإثم: أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم؛ ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة؛ ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة. ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر والظلم مع الظلم الإسلام⁴⁹.

وهو أساس الملك والحكم كما قال ابن خلدون: "الظلم مؤذن بخراب العمران" ثم ساق قصة رجل الدين عند بهرام ملك فارس وجاء فيها: "أيها الملك إن الملك لا يتم عزه إلا بالشرعية والقيام لله بطاعته والتصرف تحت أمره ونهيه ولا قوام للشرعية إلا بالملك ولا عز للملك إلا بالرجال ولا قوام للرجال إلا بالمال ولا سبيل إلى المال إلا بالعمارة ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل والعدل الميزان المنصوب بين الخليقة نصبه الرب وجعل له قيما وهو الملك"⁵⁰.

يقول الماوردي: "شريعة وأدب سياسة فأدب الشريعة ما أدى الفرض، وأدب السياسة ما عمر الأرض. وكلاهما يرجع إلى العدل الذي به سلامة السلطان، وعمارة البلدان، لأن من ترك الفرض فقد ظلم نفسه، ومن خرب الأرض فقد ظلم غيره"⁵¹.

وقد أوجز القرآن جوهر الشريعة وروحها في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ مِمَّا ذُكِرَ عَلَيْهَا} وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ⁵².

فجعل العدل جامع الأوامر والفرائض لما يريده الله تعالى، وحين ذكر ما أمر به في الحكم اقتصر على العدل، فقال عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ⁵³.

فاعتبر العدل أساس الحكم، وجعله الله حقا للناس أجمعين فهو حق للجميع وواجب على الحاكم لجميع الناس، مسلمهم وكافرهم، وهذا منهج من مناهج السياسة الشرعية الإسلامية في بناء الدولة.

ثانيا: الحرية: وما يهمنا هنا هو الحرية في الفقه السياسي، وهي حرية الإنسان في اختيار من يحكمه وحرية في ممارسته حقوقه السياسية من الترشح والاختيار والولاية والتنقل والإقامة والانتفاع بمرافق الدولة من التعليم والصحة ونحو ذلك، والحرية السياسية هي روح الشورى فلا معنى للشورى بدون الحرية، بل ستصبح كالانتخابات العربية للأنظمة الاستبدادية، ولهذا يمكن القول إن الشورى هي ركن أصيل ومبدأ راسخ في السياسة الشرعية من أجل بناء الدولة.

ومن تأمل سنة النبي صلى الله عليه وسلم في سياسة الرعية وسياسة الصحابة الخلفاء بعده، يلاحظ الحرية الحقيقية والضوابط الصحيحة لها في أسمى صورها، ولعل كلمة عمر بن الخطاب راحت في التاريخ خالدة مدوية: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا"⁵⁴، وسبقت ميثاق الأمم المتحدة في حقوق الإنسان.

والشريعة خير من ضبقت وقيدت الحرية، فهي فتحت باب الحرية بالقدر الذي يحصن المجتمع من الاستبداد وقد طبق رسول الله صلى الله عليه وسلم مبدأ الحرية بين أصحابه وسار على نهج الخلفاء الراشدين من بعده

⁴⁹ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، الناشر: مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، 1416هـ - 1995م، ج28، ص 146.
⁵⁰ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، بيروت، الناشر: دار الفكر، ط2، 1408هـ - 1988م، ج1، ص 354.

⁵¹ الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، أدب الدنيا والدين، الناشر: دار مكتبة الحياة، بدون طبعة، 1986م، ص 134.

⁵² سورة النحل، الآية 90.

⁵³ سورة النساء، الآية 58.

⁵⁴ علوي بن عبد القادر السقاف، تخریج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن لسيد قطب، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1416هـ - 1995م، ص 197. وقال الشيخ علوي السقاف أن هذا الحديث إسناده ضعيف، رواه ابن عبد الحكم في "فتوح مصر"، فقال: حُدِّثْنَا عَنْ أَبِي عَبْدِ عَنِ ثَابِتِ الْبَنَانِيِّ وَحَمِيدِ بْنِ أَنَسٍ. وَيُظْهِرُ مِنَ السَّنَدِ أَنَّ فِيهِ انْقِطَاعًا بَيْنَ ابْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ وَأَبِي عَبْدِ عَدَةَ، وَأَبُو عَبْدِ لَا أَدْرِي مَنْ هُوَ.

والإسلام حينما نادي بالحرية وجعلها مكفولة للجميع وضع لها من الضوابط ما يحول بينها وبين الفوضى فلا ضرر ولا ضرار فإذا استغلت الحرية في غير موضعها أصبحت فوضى ومن ثم يرفضها الإسلام.

ثالثا: الشورى: وهي أهم مبدأ وركيزة تأسيسية في معالم السياسة الشرعية، بل تعتبر قلبها النابض، الذي يمنحها سائر المبادئ من العدل والحرية وأخواتها، وإذا فقدت الشورى في بناء الدولة ووقع الاستبداد واحتكر القرار وتهاوت باقي المبادئ وانزلت عجلة السياسة الشرعية نحو الهاوية، ولهذا كان مبدأ الشورى واضحا في السياسة الشرعية، إذ نصت عليها نصوص الشريعة، ومن النصوص قول الله تعالى في محكم تنزيهه: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} ⁵⁵.

قال القرطبي: "قال ابن عطية: والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب، هذا ما لا خلاف فيه" ⁵⁶. وقال أيضا: "وقال ابن خويز منددا: واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون، وفيما أشكل عليهم من أمور الدين، ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب، وجوه والناس فيما يتعلق بالمصالح، ووجوه الكتاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها" ⁵⁷.

إذا تأملنا كلام ابن عطية في وصفه لمبدأ الشورى بأنه من أهم معالم وقواعد الشريعة، أي من أسسها وأحد الأركان التي بنيت عليها، وهي في باب السياسة الشرعية أهم وأخطر، لأن السياسة باب مبني على الاجتهاد الفقهي واختيار الأصوب والأصلح لقيادة منصب من مناصب الدولة، يقول الامام الحسن البصري رحمه الله: "ما شاور قوم قط إلا هُودوا لأرشد أمورهم" ⁵⁸. ولقد سار النبي صلى الله عليه وسلم في سياسته للناس أثناء بناء الدولة الإسلامية ومن بعده الخلفاء الراشدون على مبدأ الشورى في كل سلوكياتهم الحياتية.

وأهم ما يجب أن يلتزم فيه مبدأ الشورى هو حسن اختيار الحاكم، فلا شرعية لحاكم لم يأت بشورى المسلمين، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "من بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي يبايعه، تغرة أن يقتلا" ⁵⁹، فالمعنى واضح أنه من انفرد ببيعة دون مشورة من المسلمين فحكمه القتل ⁶⁰.

وفي الأخير نجد أن معالم الثلاث التي ذكرناها سابقا من أهم عوامل المساهمة في بناء الدولة الإسلامية إضافة الى أهمية النظام الإسلامي من حيث الديمقراطية، والتضامن والتكافل بين الناس، ومن ثم فإن الدولة من الواجب عليها الحفاظ على هذه المعالم والمبادئ من أجل بناء الدولة بناء شاملا متكامل متوازنا وخاضعا لسنن الله في المجتمعات، وهذا البناء يحتاج إلى مد الدولة بجميع أنواع العون، المادية والمعنوية، والعلمية، والعملية وغيرها. ففي فلاح الدولة فلاح للأمة، بل فلاح للبشرية جمعاء.

⁵⁵ سورة آل عمران، الآية 159.

⁵⁶ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المرجع السابق، ج4، ص 24.

⁵⁷ القرطبي، المصدر نفسه، ص 250.

⁵⁸ القرطبي، المصدر نفسه، ج7، ص 344.

⁵⁹ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب: رجم الحبلى إذا أحصنت، رقم الحديث: 6830، ج8، ص 168.

⁶⁰ ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ط1، 1406هـ - 1986م، ج8، ص 278.

خاتمة:

نستخلص مما سبق أن غاية السياسة الشرعية في بناء الدولة يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

- تضع السياسة الشرعية الخطط اللازمة في بناء الدولة بحيث تنظم حياة الأمة، وتنقلها من السوء إلى الحسن ومن الحسن إلى الأحسن، حتى يتحقق لها الشهود الحضاري المنشود.
- تحقق السياسة الشرعية للدولة الإسلامية عزتها وكرامتها، وتصون لها حدودها وأراضيها، بما تقوم به من ضبط العلاقة بينها وغيرها من الدول.
- تبحث السياسة الشرعية في تدبير النظم والقوانين التي تتطلبها شؤون الدولة من حيث مطابقتها لأصول الدين، وتحقيقها مصالح الناس وحاجاته.
- الدولة بمفهومها الإسلامي، تعتبر المؤسسة الأم التي من واجبها حفظ النظام الأساسي في جوانبه المختلفة ومن أهمها الجانب الاقتصادي والاجتماعي.
- تقوم الدولة على ثلاثة شروط أو أركان: الشعب والإقليم والسلطة بحيث لا يمكن أن تعرف الدولة إلا وجدت فيها مجموعة من الشروط وبالتالي يكتمل بناء الدولة.
- من أهم معالم وقواعد الشريعة التي بنيت عليها السياسة الشرعية في بناء الدولة: العدل والحرية والشورى ولقد اعتمد النبي صلى الله عليه وسلم في سياسته للناس أثناء بناءه للدولة الإسلامية على هذه المعالم والمبادئ ومن بعده الخلفاء الراشدون، وبالتالي على الدولة الحفاظ على هذه المعالم والمبادئ.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
- ابن الاثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك الشيباني الجزري بن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر احمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، 1399 هـ - 1979 م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1414 هـ.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية مرتبا ترتيبا ألفبائيا وفق أوائل الحروف، مادة: سوس، تحقيق: محمد محمد تامر، أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، الناشر: دار الحديث، القاهرة، 1430 هـ - 2009 م.
- أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تحقيق عبد العظيم الشناوي، الناشر: دار المعارف، القاهرة، الطبعة: الثانية.
- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، صحيح البخاري، تحقيق: مركز البحوث وتقنية المعلومات، الناشر: دار التأصيل، ط 1، 1433 هـ - 2012 م.
- ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي بن محمد الكناني أبو الفضل شهاب الدين، فتح الباري شرح صحيح البخاري، الناشر: المطبعة السلفية ومكنتها، القاهرة، الطبعة: الأولى.
- النووي يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين، صحيح مسلم بشرح النووي، الناشر: المطبعة المصرية بالأزهر، 1347 هـ - 1929 م.
- ابن الملقن، عمر بن علي بن أحمد الأنصاري سراج الدين أبو حفص، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث بإشراف: خالد الرباط، جمعة فتحي، تقديم فضيلة الاستاذ الدكتور احمد معبد عبد الكريم، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية - قطر، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 هـ / 1991 م.
- المقرئ، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1418 هـ.
- ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم بن محمد المصري، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، بدون طبعة.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، 1399 هـ - 1979 م.

I. International Century Congress for Social Sciences

- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420هـ - 2000م.
- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1427هـ - 2006م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة: الأولى، 1419هـ.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليميني، فتح القدير، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، الطبعة: الأولى، 1414هـ.
- أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365هـ - 1946م.
- أبي زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، زهرة التفاسير، الناشر: دار الفكر العربي، بدون طبعة.
- سعد بن مطر العتيبي، أضواء على السياسة الشرعية، الناشر: دار الألوكة للنشر، تاريخ النشر: 1434هـ - 2013م.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الطرق الحكمية، الناشر: مكتبة دار البيان، بدون طبعة وبدون تاريخ.
- عثمان جمعة ضميرية، النظام السياسي والدستوري في الإسلام دراسة مقارنة، الناشر: جامعة الشارقة، الإمارات، ط 1، 1428هـ - 2007م.
- شلي صلاح عبد البديع، إقليم الدولة في الفكر الإسلامي والقانون الدولي، الناشر: دار النهضة العربية، القاهرة، ط 1، 1996م.
- العتيبي محمد طلعت، قانون السلام في الإسلام، الناشر: منشأة المعارف، الإسكندرية، ط 1، بدون تاريخ.
- الحلو ماجد، الدولة في ميزان الشريعة، الناشر: دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ط 1، 1994م.
- سعد عصفور، المبادئ الأساسية في القانون الدستوري والنظم السياسية، الناشر: منشأة المعارف، الإسكندرية، 1980م.
- يحيى الجمل، الأنظمة السياسية المعاصرة، الناشر: دار النهضة المصرية، 1969م.
- حمد شحور، الدين والسلطة: قراءة معاصرة للحاكمية، الناشر: دار السواقي، بيروت، 2015م.
- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، الناشر: مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، 1416هـ - 1995م.
- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، بيروت، الناشر: دار الفكر، ط 2، 1408هـ - 1988م.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، أدب الدنيا والدين، الناشر: دار مكتبة الحياة، بدون طبعة، 1986م.

- علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن لسيد قطب، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1416 هـ - 1995 م.
- ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ط 1، 1406 هـ/1986 م.

**ENVIRONMENTAL EDUCATION IS A MEANS TO MANAGE THE ENVIRONMENT
AND ADDRESS SUSTAINABLE DEVELOPMENT ISSUE**

Researcher. Abdellaziz HAMDI

Researcher. Mohammed GALLAD

<http://dx.doi.org/10.47832/soci.con1-23>

Abstract:

This research aims to find out the load of environmental components provided to the geography student of the 3rd years of university in regard to the concepts of environmental education, and the extent to which this cognitive load leads the student to develop an environmental awareness and deal properly with the field and achieve a sustainable development within it.

The study was conducted on an intentional sample of 120 female and male students distributed Between 3 class "the second, the fourth and the sixth" of the Geography Department of the interdisciplinary Faculty of Safi.

To collect the necessary data, the form was used as a tool. As for the results obtained, the adoption was made On the program statistical packages of Social Sciences "SPSS" .The field study resulted in the following:

The presence of a knowledge load of environmental education at the level of environmental components of Geography in the 3rd year of university despite the Lack of progressivity.

The weak pedagogical role of environmental components in solidifying adequate environmental awareness of the geographical student.

The shortness of geographical environmental curriculum to provide the student methods, skills and directions to deal Positively with the field and achieve sustainable development within it.

In the light of these results, the student suggested some alternative scenarios and proposals to enhance the role of environmental components In order to play the correct role assigned to it on reality ground, especially with achieving education on Sustainable Development..

Keywords: Environmental Education; Field; Sustainable Development.

التربية البيئية سبيل لتدبير المجال وخدمة قضايا التنمية المستدامة

الباحث عبدالعزيز حمدي¹

الباحث محمد كلاد

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى معرفة حمولة المجزوءات البيئية المقدمة لطالب الجغرافيا سلك الإجازة فيما يخص مفاهيم ومعارف التربية البيئية، ومدى خدمة هذه الحمولة للطالب الجغرافي على مستوى وعيه وتمكينه من طرق التعامل السليم مع المجال وتحقيق التنمية المستدامة داخله. وقد تم إجراء الدراسة الميدانية لهذا البحث على عينة قصدية تتكون من 120 طالبة وطالبا موزعة بين ثلاثة فصول "الفصل الثاني، الرابع والسادس" على مستوى شعبة الجغرافيا بالكلية المتعددة التخصصات بأسفي. ولجمع المعطيات الضرورية تم الاعتماد على الاستمارة كأداة. أما بخصوص تفرغ النتائج المتوصل إليها فقد استعمل لهذا الغرض برنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية "spss"، حيث أسفرت نتائج الدراسة الميدانية على ما يلي:

حضور حمولة معرفية للتربية البيئية على مستوى المجزوءات البيئية للجغرافيا سلك الإجازة بالرغم من انعدام التدرج. ضعف الدور البيداغوجي للمجزوءات البيئية في تمتيع الطالب الجغرافي بوعي بيئي كاف. قصر المجزوءات البيئية لمنهاج الجغرافيا من تمكين الطالب من طرق ومهارات واتجاهات التعامل الإيجابي مع المجال وتحقيق تنمية مستدامة داخله. في ضوء هذه النتائج اقترح الطالب الباحث بعض التصورات البديلة والمقترحات الكفيلة بتعزيز دور المجزوءات البيئية حتى تؤدي الدور المنوط بها على أرض الواقع خصوصا فيما يخص تحقيق التربية على التنمية المستدامة.

الكلمات المفتاحية: التربية البيئية؛ المجال؛ التنمية المستدامة.

¹ جامعة القاضي عياض، المغرب
abdel.hamdi15@gmail.com

شهد العالم منذ سبعينيات القرن الماضي اهتماما بالدور الذي تلعبه البيئة في حياة الإنسان، وجاء هذا الشعور نتيجة التأثير السلبي للإنسان على النظم البيئية الذي بلغ حد التجاوز، فعقدت المؤتمرات والندوات للنظر في هذا الأمر ومحاولة إيجاد حلول مناسبة لحماية الأوساط والحفاظ عليها، في ظل هذا الوضع كان ولا بد من مراقبة ممارسات الأفراد والجماعات كأول خطوة لحل المشكلات البيئية، ولأن الإدراك والوعي البيئيين لا يمكن تحقيقهما إلا من خلال المؤسسات التربوية أصبحت الدول والمنظمات تتحدث عما يعرف بالتربية البيئية. فجاءت هذه الأخيرة بهدف زيادة معرفة ووعي الناس حول محيطهم والتحديات المرتبطة به، والمساهمة كذلك في تطوير المهارات والخبرات والسلوكيات اللازمة لمواجهة هذه التحديات وتعزيز المواقف والدوافع والالتزامات المتعلقة باتخاذ قرارات مستنيرة وإجراءات مسؤولة. وبالتالي كان لزاما دمج الموضوعات البيئية في المناهج الدراسية والجامعية، فهي النهج الأمثل الذي يثري الإنسان بالمعرفة والمهارة للوصول به إلى الفهم الصحيح لما يحيط به، وهي السبيل الفعال الذي يجب أن يكون متقنا ومحددا في أهدافه وحمولته وموزعا توزيعا تدرجيا وشاملا حسب الفصول والوحدات وحسب خطط بيداغوجية مدروسة ومتقنة تقوم على تنويع الأساليب والطرق حتى تؤدي هذه المناهج الدور الذي وضعت من أجله. والمغرب كغيره من الدول انخرط بدوره في هذا الباب، وسن بدوره سياسة تدعو إلى إدماج برامج التربية البيئية ضمن المناهج التعليمية على اختلاف مستوياتها وشعبها، والتي تبقى من بينها شعبة الجغرافيا بحكم ملامستها للعديد من المواضيع البيئية ضمن وحداتها المدرسة. ونظرا للأهمية التي يكتسبها هذا الموضوع بما كان من جهة، أضف إلى ذلك ضعف مناقشة مثل هذه المواضيع على مستوى الكليات العامة بالشعب التي تلامس في وحداتها مواضيع بيئية من جهة أخرى، جاءت موضوعنا التالي تحت عنوان :

" التربية البيئية سبيل لتدبير المجال وخدمة قضايا التنمية المستدامة "

- إشكالية البحث:

يعرف المغرب كغيره من البلدان عدة تحديات بيئية حقيقية، تهدد موروثه الطبيعي وأوساطه البيئية، مما جعله ينخرط كغيره من البلدان في عدة مشاريع واستراتيجيات الغاية منها الحفاظ على أوساطه الطبيعية وضمان استمرارية موارده للأجيال القادمة، فنهج بذلك سياسة تنوير العقول من خلال زرع المواضيع البيئية الراهنة ضمن مناهجه ووحداته التربوية، ممنا نفسه بتكوين أجيال تعرف معنى مسؤولياتها وواجباتها البيئية، مساهمة في خلق ذلك التوازن البيئي المنشود. غير أنه والملاحظ للوضع العام الناتج عن مخرجات النظام التربوي يظهر عكس ذلك، مما يثير انتباهنا للتساؤل حول القاعدة المعرفية والمفاهيمية التي تحملها المناهج البيئية التي يتم تلقينها لمختلف المستويات الدراسية بما فيها الطالب الجامعي، خصوصا الذي يتلقى مجزوءات تلامس البيئة.

من هذا المنطلق جاء هذا البحث لتسليط الضوء حول شعبة الجغرافيا، كشعبة تزوج ضمن منهاجها بين مجزوءات بشرية وأخرى طبيعية، بغية الوقوف على مدى حمولة هذه الأخيرة فيما يخص التربية البيئية. ولنتساءل أيضا من خلال هذه المجزوءات عن مدى حضور هذه الأخيرة كمفاهيم وسلوكات ومهارات لدى طلبة الجغرافيا سلك الإجازة داخل الحرم الجامعي للكلية المتعددة التخصصات بأسفي، وبناء على ما سبق يتمثل التساؤل المركزي لإشكالية البحث فيما يلي:

هل تستتضمّر المجزوءات البيئية التي يقدمها منهاج سلك الإجازة لطلبة الجغرافيا مفاهيم ومعارف التربية البيئية؟ وهل ينعكس ما يتم اكتسابه كسلوكيات ومهارات حياتية على المجال وخدمة قضايا التنمية المستدامة؟

➤ هل تتركز عبر المجزوءات البيئية المقدمة لطلبة الجغرافيا سلك الإجازة مفاهيم ومعارف التربية البيئية.

➤ هل ترسخ المجزوءات البيئية المقدمة لطلبة الجغرافيا سلك الإجازة وعيا بيئيا.

➤ هل تساهم المفاهيم التي تحملها المجزوءات المقدمة في خلق معارف، مهارات، ينعكس أثرها على المجال وقضايا التنمية المستدامة.

- فرضيات البحث:

بناء على الإشكالية السالفة الذكر، وإجابة عن التساؤلات المطروحة يمكن صياغة الفرضية المركزية كالتالي:

تستتضمّر المجزوءات البيئية التي يقدمها منهاج سلك الإجازة لطلبة الجغرافيا مفاهيم ومعارف التربية البيئية، و ينعكس ما يتم اكتسابه لدى هؤلاء كسلوكيات ومهارات حياتية على المجال وخدمة قضايا التنمية المستدامة.

وانطلاقا من التساؤلات الفرعية لإشكالية البحث قمنا بصياغة الفرضيات التالية تمهيدا لتمحيصها:

➤ تتركز عبر المجزوءات البيئية المقدمة لطلبة الجغرافيا سلك الإجازة مفاهيم ومعارف التربية البيئية.

➤ ترسخ المجزوءات البيئية المقدمة لطلبة الجغرافيا سلك الإجازة وعيا بيئيا.

➤ تساهم مفاهيم ومعارف المجزوءات البيئية في خلق سلوكيات ومهارات ينعكس أثرها على المجال وخدمة قضايا التنمية المستدامة.

- أهداف البحث:

نهدف من خلال هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

➤ تقديم إطار نظري يخص موضوع التربية البيئية.

➤ الكشف عن مدى حضور مفاهيم ومعارف التربية البيئية في المجزوءات البيئية المقدمة لطلبة الجغرافيا سلك الإجازة.

➤ الوقوف عن مدى ترسيخ المجزوءات البيئية لدى طلبة الجغرافيا سلك الإجازة للوعي البيئي.

➤ إدراك العلاقة بين حمولة المجزوءات البيئية تجاه المجال وقضايا التنمية المستدامة.

➤ التعرف على التصورات البديلة والمقترحات الرامية إلى تفعيل أدوار التربية البيئية داخل المجزوءات الملامسة للبيئة.

- أهمية البحث:

يكتسي البحث الحالي أهمية خاصة نظرا لتناوله لموضوع معاصر ومهم، صار في ظل اهتمام دول العالم على اختلاف أهدافها، يقتضي إيجاد وتطبيق أخلاقيات معينة تقوم وفق عمليات تغيير وتعديل لسلوكيات الإنسان اتجاه مجاله نظرا لما يخلفه فيه من مشكلات بيئية عن طريق استراتيجية التربية البيئية من أجل التنمية المستدامة. كما تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تأتي كبادرة من البوادر الأولية لمعالجة موضوع التربية البيئية على المستوى الجامعي من خلال إلقاء الضوء على مدى حضور مفاهيم التربية البيئية وتمثلها داخل محيط الطالب الجامعي الذي يتلقى مجزوءات تتعلق بالبيئة "طالب الجغرافيا إجازة نموذجاً". وتكمن أهمية هذه الدراسة أيضا في كونها قد تساهم في إثراء الدراسات الوصفية المرتبطة بالكلية وعلاقتها بالبيئة، انطلاقا من مساهمتها في كشف وتحليل واقع ما يتلقاه الطالب ومدى أثر هذا الأخير في خلق مواطن بيئي. كما يمكن لهذا البحث العمل على مساعدة الباحثين والمهتمين في إيجاد أرضية لمتابعة البحث في الموضوع.

- حدود البحث:

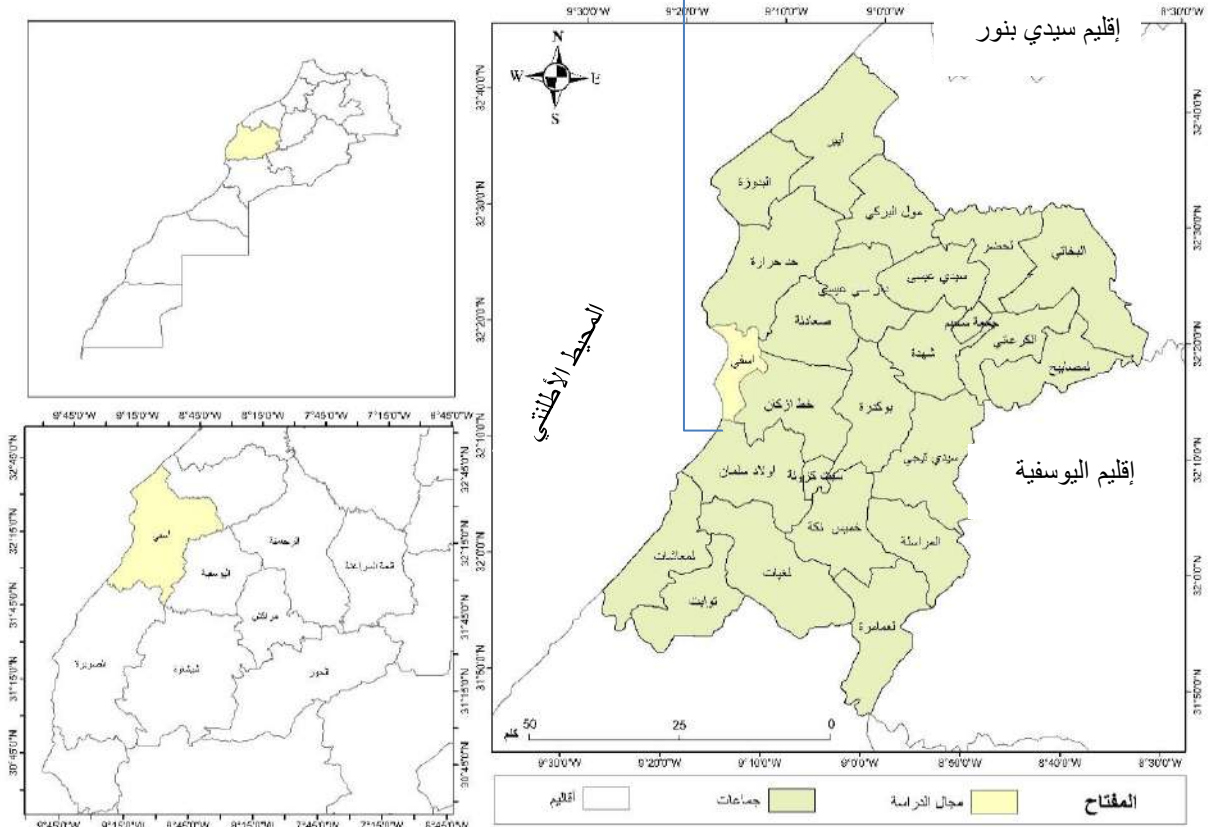
يقف هذا البحث عند ما يلي:

البعد الزمني:

✚ أجريت الدراسة خلال الفصل الثاني من الموسم الجامعي (2022/2021).

البعد المكاني:

✚ أجريت الدراسة بشعبة الجغرافيا التابعة للكلية المتعددة التخصصات بآسفي، جامعة القاضي عياض، التابعة إداريا حسب التقسيم الجهوي لسنة 2012 لجهة مراكش -آسفي (الخريطة أسفله).



خريطة توطين مجال الدراسة/ المنوغرافية مراكش - آسفي(2014)، بتصرف.

- المرحلة الأولى "الدراسة النظرية":

- مصطلحات البحث:

مفهوم التربية البيئية:

تعريف محمد فتوح وآخرون 1993:

التربية البيئية برنامج تربوي يسعى إلى التحسيس بأهمية الإنسان داخل المحيط الحيوي وإبراز علاقته من خلال طبيعة التفاعلات بينه وبين الأنظمة البيئية، كما أنه يسعى إلى تنمية سلوكيات واتجاهات رشيدة تجاه مكونات البيئة لدى الأفراد (متعلمون وغيرهم) والجماعات (مسؤولون سياسيون، صانعو القرار) وأصحاب رؤوس الأموال(المستثمرون) وهي بذلك توجه حديث في المجال التربوي (فتوح، ج. الدين، وبركيعة، ع.م، 1991).

تعريف محمد صابر سليم 1976:

"...هي عملية تكوين القيم والاتجاهات والمهارات، والمدرجات اللازمة لفهم وتقدير العلاقات المعقدة التي تربط الإنسان وحضارته بمحيطه البيو فيزيقي وتوضيح حتمية المحافظة على مصادر البيئة وضرورة حسن استغلالها لصالح الإنسان وحفاظا على حياته الكريمة ورفع مستويات معيشتة" (سليم، 1976).

من خلال ما سبق يمكن اقتراح تعريف إجرائي للتربية البيئية كما أوردته حنان مساعديه (2020) حيث قالت أن التربية البيئية "عملية تعليمية تهدف إلى إكساب التلاميذ المعارف والقيم اللازمة لفهم وتقدير العلاقة التي تربط بين الإنسان وبيئته، وتنمية وعيهم بالمشكلات البيئية وتدريبهم على المشاركة في حلها، بهدف إعداد جيل مدرك لبيئته وقادر على اتخاذ القرارات المناسبة لحمايتها وحل مشكلاتها واستغلال مواردها من أجل تحسين نوعية الحياة وتلبية حاجاته وحاجات مجتمعه". بناء على ما تم تقديمه يمكن القول أنه ليس هناك تعريف موحد للتربية البيئية، بل تعاريف تختلف حسب الزمن والمكان وطبيعة المشكلات البيئية.

مفهوم المجال:

على اعتبار أن الجغرافيا قبل كل شيء طريقة ومنهج للتفكير في المجال (savoir penser à l'espace)، كما أن دراستها له تتميز عن بقية العلوم بنظرة شمولية للظواهر المجالية حيث يتفاعل لديها ما هو بشري وما هو طبيعي.

وقد دخل مصطلح المجال إلى حقل الجغرافيا خلال الثمانينيات من القرن العشرين، وصار أكثر شيوعا بين الجغرافيين وغيرهم من التخصصات العلمية الأخرى، وتباينت بشأن تعريفه الآراء والتوجهات لا سيما بين الجغرافيين، ويمكن ملامسة ذلك فيما يلي:

"المجال: ليس فقط مكان للحياة اليومية، وإنما مكان للسلطة والنفوذ." (raffestin, 1980)
"المجال: مجموعة من الأماكن التراتبية والمنصلة بشبكة من الطرق والمشحونة ثقافيا ورمزيا."
(Bonnemaison, 1981)

"المجال: يدل على العلاقة بين المجتمع ككيان شامل وحيز من المجال الجغرافي."

(Girault & Barthes, 2018)

"المجال: مجموع العمليات الذهنية التي يقوم بها العقل لتنظيم الأشياء التي نراها على سطح الأرض". (اللياني، 2021)

يتضح من خلال هذه التعريفات أن "المجال يتخذ أبعادا وتصورات مختلفة فهو مكان للعيش، مكان للنفوذ، كذلك يجسد العلاقة بين المجموعة ومحيطها، أيضا هو مكان لاتخاذ مجموعة من التدابير والإجراءات بهدف تنظيمه، المجال يحتضن ما هو ملموس وما هو مجرد، المجال منتوج اجتماعي"، مما يحتم علينا اعتماد تعريف يقرب ويجمع بين هذه التعاريف فنقول بالتالي: "أن المجال هو القاعدة المادية التي تنبني عليها علاقات تفاعلية بين مختلف المكونات الطبيعية والبشرية، مما يؤسس لاعتماد مقارنة شمولية في مسألة تديره وتنظيمه من أجل صيانة وحماية موروثه الثقافي الملموس والمجرد" (اللياني، 2021).

مفهوم التنمية المستدامة:

"التنمية لغة من نما ينمو ونموه إليه، ونميت الشيء على الشيء رفعته وتقول: نميت الحديث إلى فلان نميا إذا أسندته ورفعته، ونمت النار تنمية إذا ألقيت عليها حطبا، والنامي هو الناجي"، أما "المستدامة لغة من الفعل استدام الذي جذره دوم فقد جاء بمعان متعددة منها: التأي في الشيء، وطلب دوامه، والمواظبة عليه. فالتنمية تحتاج إلى تأن في رسم سياساتها وديمومة في مشاريعها. وآثارها في المجتمع بحاجة إلى مواظبة في تنفيذ برامجها للمحافظة على مكتسباتها" (الجوهري، 1956).

كما تعددت مفاهيم التنمية المستدامة باختلاف وجهات النظر الأكاديمية والفلسفية والتطبيقية، وباختلاف الترجمات العربية لمصطلح (development sustainable أو développement durable)، فقد تم ترجمتها بأنها مطردة أو أنها قابلة للاطراد، ويرى آخرون أنها قابلة للإدامة، كما يحتج البعض على أنها مستمرة، ويرى آخرون أنها قابلة للاستمرار ومستديمة ومتواصلة، وأخيرا مستدامة (محارب، 2011).

ومن الأوصاف الرائدة للتنمية المستدامة، ما جاء عن مفوضية براتلاند: "التنمية المستدامة هي التي تلبي حاجات الحاضر دون المساس بحق الأجيال المستقبلية في الحصول على حاجاتها كذلك" (طويل، 2013).

- التربية البيئية وطرق ادماجها في مسالك التعليم الجامعي المغربي

للجامعة دور كبير يمكن أن تلعبه في حماية البيئة من خلال تركيزها على التربية البيئية أو ما يعرف بالمنحى البيئي للتعليم الجامعي حيث يمكن لها من خلال وظائفها المتعددة أن تعمل على تغيير تفكير الإنسان وسلوكه وتسليحه بأخلاق البيئة، وثقافة بيئية مناسبة وكفيلة بجعله فاعلا ومشاركا في حماية البيئة وحماية مكوناتها، أو ما يصطلح عليه المواطن البيئية التي تراعي خلق استدامة المجال في الحاضر والمستقبل، غير أنه لا يمكن الجزم في هذا الأمر إلا إذا تم استدخال التربية البيئية وفق مناهج قوامها استحضار المجتمع في قلب الجامعة والتربية البيئية في قلب المجتمع.

وتلعب الجامعات دورا هاما وأساسيا في تنمية المجتمعات البشرية وتطورها، فهي التي تصنع حاضرها وتخطط معالم مستقبلها، باعتبارها تشكل القاعدة الفكرية والفنية للمجتمعات البشرية. أما دور الجامعات في التنمية فيتم من خلال القيام بأدوار متعددة ومتشعبة، اتفق خبراء التعليم العالي على اختزالها في ثلاث رئيسية كوظائف للجامعات الحديثة، هذه الوظائف الثلاث مترابطة ومتشابكة، ويصعب فصل أحداها عن الأخرى. بحيث يمكن للجامعة أن تسهم في حماية البيئة ودرء الأخطار عنها (كجانب وقائي)، والتصدي لما أصاب البيئة من أخطار، ومعالجة ما اعترها من أذى (كجانب علاجي) عبر وظائفها الرئيسية الثلاث والمتمثلة في:

✚ الوظيفة التأهيلية؛

✚ الوظيفة البحثية؛

✚ الوظيفة الاجتماعية (المقدادي، 2006).

وبالنسبة للجامعة المغربية يظهر أن هناك عزمًا قويًا وتحسنًا ملموسًا في إدراج مواضيع التربية البيئية - خاصة بعد ما عرفه المغرب من تطورات همت الاهتمام بالبيئة والذي جاء نتيجة الوثائق الرسمية الصادرة في هذا الصدد كالميثاق الوطني للبيئة والتنمية المستدامة والاستراتيجية الوطنية للتنمية المستدامة وما حملته رؤية النموذج التنموي

الجديد - ، ويتضح ذلك من خلال الاستدماج التي تعرفه المواضيع البيئية على مستويات مختلفة ضمن برامج معظم هذه الجامعات ، وأن توصيف مناهج هذه الأخيرة تستجيب لقضايا البيئة والاهتمام بها وتتضمن مفاهيم ذات صلة وثيقة بالتربية البيئية، لكن يبقى التساؤل مدى تنوع الأساليب البيداغوجية التي من شأنها أن تحث المتلقي على المشاركة والاستقلالية والتفكير، دون نسيان ضرورة إدماج أبعاد أخرى تساعد في الحث على بناء قيم المواطنة الحقيقية لديه، لي طرح التساؤل عن الدور الذي تلعبه هذه المؤسسات في ترسيخ التربية البيئية.

وهنا يظهر جليا أن هناك تنوعا للمداخل التي يمكن عن طريقها تضمين التربية البيئية في المناهج الجامعية، هذا التنوع جاء نتيجة لاختلاف آراء المختصين في كل دولة، ويمكن إجمال أهم هذه المداخل فيما يلي (مساعدية، 2020):

✚ المدخل الاندماجي(المتداخل)؛

✚ مدخل الوحدات الدراسية؛

✚ المدخل المستقل.

إن الأدوار والوظائف التي يمكن أن تلعبها الجامعة في مجال المشكلات البيئية والتربية البيئية يجب أن تستند إلى رؤية شاملة لعلاقة الجامعة بالمجتمع الذي تنتمي إليه، ومن ثم فإن إدماج التربية البيئية ضمن مسالك التعليم الجامعي المغربي ينبغي أن تتطور وتتبلور في إطار استراتيجية بيئية تعبر عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وتضع أسس خطة عمل وطنية لمواجهة المشكلات البيئية من خلال طرق متعددة أهم خيوطها وحدات التربية البيئية على اختلاف مساراتها.

- أبعاد التربية البيئية وترسيخ الوعي البيئي اتجاه المجال وقضايا التنمية المستدامة

جاءت الإجراءات الحكومية لحماية البيئة وترسيخ التنمية المستدامة متجسدة في استراتيجية تقوم على أربعة أبعاد: البعد القانوني، البعد التقني، البعد المؤسسي والبعد التشاركي. هذا الأخير الذي يسعى من خلاله المغرب إلى معالجة وتحويل المشكلات البيئية إلى قضايا تربوية يتم تكوين الأجيال فيها من خلال مؤسسات التربية والتعليم والبرامج والمناهج التي تلقنها، كبرنامج المدارس الإيكولوجية وتنزيل ورش الأندية البيئية على صعيد المؤسسات...إلخ، مما يضمن أجيالا مستقبلية يكون البعد البيئي عنصرا أساسيا في وعيهم وسلوكياتهم من خلال أنشطة تتمحور حول مجالهم المحيط بهم يتم تخطيطها وبرمجتها على ضوء مبادئ سيكولوجية وتربوية واجتماعية موجهة للمتلقى والعمل على جعلها جزءا من بنيته السيكولوجية.

لهذا أصبح المجال من حيث هو حاو ومحتوى محدودا، وجبت المحافظة عليه للإبقاء على البشرية وتمكينها من العيش اللائق، وبالتالي كان لا بد من التوجه بعد تطويع الإنسان للطبيعة إلى التأقلم ثم إلى المحافظة (بالحادي، 2012)، فإدراك الإنسان لهويته المجالية وتحقيقه لمصفوفة التربية البيئية بأبعادها المعرفية والوجدانية والمهاراتية لا يمكن أن يتم إلا من خلال تعزيز دور التربية البيئية من وجهة نظر جغرافية أو بالأحرى الفكر الجغرافي، الذي يعتبر صلب موضوعه المجال. لذلك يبقى الانتقال إلى التربية المجالية وسيلة كفيلة لتحقيق المعرفة الشاملة بمكونات المجال وبالتالي الرقي بالتربية البيئية إلى تربية شمولية تراعي التنمية المستدامة وتتجاوز كل التحديات التي يمكن أن تتعرض لها البيئة المحلية والعالمية (اللحياني، 2021).

لذلك تبقى مفاهيم البيئة، التربية، التنمية، الاستدامة، الثقافة، الإنسان... تعبر عن مفاهيم متداخلة، تتفاعل وتكمل إحداها الأخرى، وتأثر إحداها في الأخرى، ويصعب كذلك تحديد أي منها الفاعل أو النتيجة. وإذا أخذنا بمنطق أن التنمية المستدامة نتيجة لجهود متراكمة من الأدوار الإنسانية التي تخططها السياسة والتكنولوجيا والاقتصاد، فالتربية البيئية تعتبر نقطة ينمو بها الوعي الإنساني من أجل تحقيق مبتغى الانتقال من التربية البيئية إلى التربية على التنمية المستدامة التي تحفظ تراث الإنسان القديم وكرامة الحالي وحقوق الأجيال القادمة، لذلك وجب الحديث عن مجموعة من الأمور، بحيث أن التربية على التنمية المستدامة لا ترتبط فقط بالتعليم المدرسي والتعليم النظامي كيفما كان بل تمتد إلى أبعد من ذلك، إلى التعليم مدى الحياة والقدرة على التعلم من أجل الحياة (بوقس، 2015).

لذلك تعتبر التربية البيئية الحل المنطقي والفعال لمواجهة المشكلات البيئية في الحاضر والمستقبل من أجل الوصول إلى ذلك التغيير في سلوك واتجاهات الأفراد في التعامل مع المجال الذي يعتبر الكنز النفيس الذي يتوفر عليه الإنسان، ولذلك كان لزاما وضع أسس فلسفية حقيقية مؤطرة لنموذج التربية البيئية المراد الوصول إليه وبذل المزيد من الجهود الفعلية والميدانية المفضية إلى ترسيخ ذلك الانتقال من التربية البيئية إلى التربية المجالية، ومن التربية البيئية إلى التربية على التنمية المستدامة قصد تحقيق أبعاد هذه الأخيرة على أرض الواقع وبالتالي حماية البيئة لأجيال اليوم والغد. فهل يمكن القول أن ما يكتسبه الطالب اليوم داخل الحرم الجامعي خاصة في الشعب التي تدرس بها مجزوءات ذات حمولة بيئية كشعبة الجغرافيا كفيلا بتحقيق ما سبق ذكره.

المرحلة الثانية "الدراسة الميدانية":

- المنهج المستخدم:

المنهج المستخدم في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي الذي يعد من أنسب الطرق في مجال الدراسات الاجتماعية، لذلك اتبعت الدراسة بشقيها النظري والميداني إجراءات المنهج الوصفي باعتباره يتوافق مع طبيعة الموضوع المتمثل هنا في التربية البيئية سبيل لتدبير المجال وخدمة قضايا التنمية المستدامة، وذلك من خلال تشخيصها ووصفها أي جمع المعلومات حولها وتفسيرها وهذا بالتأكيد ما يتماشى مع الخطوات البحثية للمنهج الوصفي، والتي تتكامل بوصف الظاهرة أو الموضوع اعتمادا على جمع الحقائق والبيانات وتصنيفها ومعالجتها وتحليلها تحليلا دقيقا لاستخلاص النتائج والوصول إلى تعميمات عن الظاهرة أو الموضوع محل البحث (ملحم، 2002).

- أدوات البحث:

اعتمدنا في الدراسة الحالية على أداة الاستمارة حتى نتمكن من دراسة الموضوع بطريقة دقيقة ونلم بجميع جوانبه وأبعاده من خلال المزج بين الأسئلة المفتوحة والمغلقة لإعطاء الدراسة مصداقية أكثر. ولقد اشتملت الاستمارة على 31 سؤالاً تم صياغته ليعكس دور التربية البيئية وعلاقتها بتدبير المجال وخدمة قضايا التنمية المستدامة من خلال طلبية الجغرافيا سلك الإجازة. تم عرض محتوى الأداة على أعضاء الهيئة التدريسية، وذلك لإبداء آرائهم في صدق المضمون ومن تم اقتراح التعديلات المناسبة. وبناء على آراء المحكمين تم تعديل بعض الفقرات من ناحية الصياغة لزيادة وضوحها، واعتبر الباحث آراء المحكمين وتعديلاتهم دلالة على صدق محتوى أداة الدراسة مما

يشير للصدق الظاهري للأداة أما بالنسبة للصدق الداخلي فقد بلغ معامل ألفا كرومباخ " ألفا=0.82" وهي نسبة تباث جيدة.

بعد جمع البيانات من الميدان، قام الباحث بمعالجتها باستخدام برنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (spss). وقد اعتمد الباحث على نوعين من الجداول بسيطة ومركبة، حيث تم في الجداول البسيطة استخراج التكرارات والنسب المئوية، أما في الجداول المركبة فتم استخراج التكرارات والنسب المئوية وحساب كاي مربع لدراسة استقلالية المتغيرات المستقلة والتابعة.

- مجتمع البحث:

تكون مجتمع البحث من كافة طالبات وطلبة سلك الإجازة والبالغ عددهم 564 طالبة وطالبا.

- عينة البحث:

تم توزيع 150 استمارة همت طالبات وطلبة سلك الإجازة جغرافيا بالكلية المتعددة التخصصات بأسفي - الأسدس الثاني من الموسم الجامعي 2021/2022- بطريقة عشوائية، غير أنه لم يتم استرجاع إلا 120 استمارة منها فقط، والتي أضحت تمثل العينة المقصودة بالدراسة.

نتائج الدراسة ومناقشتها:

أ- مناقشة نتائج البحث على ضوء الفرضية الأولى

والتي صيغت على النحو التالي: " تتركز عبر المجزوءات البيئية المقدمة لطلبة الجغرافيا سلك الإجازة مفاهيم ومعارف التربية البيئية."

من خلال تحليلنا لاستمارات المبحوثين اتضح لنا بأن الفرضية الأولى قد تحققت، بحيث عبر أكثر من نصف العينة؛ أي 53% عن وجود مجزوءات بيئية تلامس التربية البيئية بشعبة الجغرافيا سلك الإجازة، لكن هذا الإيجاب تميز بالتباين بين الفصول، حيث بقي دون المتوسط خصوصا بالفصلين الثاني والرابع. وقد أمكننا أن نستشف ذلك من خلال مجموعة من المؤشرات، فقد كانت أجوبة أفراد العينة حول المعرفة المسبقة بمفهوم التربية البيئية تصب لصالح الفصل السادس بنسبة وصلت لنصف حصيصه، أيضا التعبير حول مدى اكتساب المهارات من المجزوءات البيئية المقدمة مالت فيه الكفة للفصل السادس، بالرغم من تعبير 51% من أفراد العينة بالإيجاب عن نفس المتغير، إضافة إلى أن متغير مدى توليد المجزوءات البيئية المقدمة اهتمام لدى الطالب بالقضايا البيئية مالت فيه الكفة لصالح الفصل السادس. ومنه نستشف أن هناك شبه قطيعة في توليد المجزوءات البيئية لمعارف ومفاهيم التربية البيئية، وبالتالي غياب التدرج بين مستويات سلك الإجازة على مستوى المجزوءات البيئية في توليد معارف ومفاهيم التربية البيئية. وتتفق هذه النتيجة مع دراسة سعيد محمد رفاع (2003)، التي أكدت أن المقررات التعليمية للتعليم الجامعي لا تولي الاهتمام المطلوب لتنمية المفاهيم والاتجاهات البيئية الكفيلة بتحقيق أهداف التربية البيئية. ودراسة محمد شاني(2018)، والتي أكدت أن التربية البيئية تحضر وتوزع بشكل غير متكافئ بين الكتب المدرسية بمختلف أسلاكها، كما أن الوثائق الرسمية لم تعط الأهمية البالغة للتربية البيئية، إذ أبانت أنها لا ترقى إلى مستوى تطلع الفاعل التربوي والفاعل البيئي. واختلفت مع دراسة عبد الكبير العاطي الله(2005)، التي أكدت على غياب مفاهيم التربية البيئية في النظام

التعليمي القديم أي السلك الثاني من التعليم الأساسي، ودراسة سعيد السعيد (1993) التي خلصت إلى أن مناهج التعليم العالي تسعى إلى تحقيق أهداف التربية البيئية من خلال إعطاء الاهتمام المطلوب بتنمية المفاهيم والاتجاهات البيئية .

ب- مناقشة نتائج البحث على ضوء الفرضية الثانية

والتي صيغت على النحو التالي: " ترسخ المجزوءات البيئية المقدمة لطلبة الجغرافيا سلك الإجازة وعيا بيئيا".

بينت النتائج المحصل عليها من برنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية عدم قبول الفرضية الثانية، فقد عبر 70% من أفراد العينة بعدم تمتع الطالب الجغرافي بالوعي البيئي الكافي، ونظرا لكون الوعي كمفهوم يبقى صعب القياس والمناولة المباشرة، فقد تم الاعتماد على التقاطعات والمتغيرات الغير المباشرة التي أكدت صحة ما تم التوصل إليه بخصوص هذه الفرضية، حيث عبر ثلاثة أرباع أفراد العينة؛ أي 75% منها عن عدم سبق مشاركتهم أو حضورهم لنشاطات أو ندوات ذات طابع تحسيسي بالبيئة أو تحمل في لغتها أو مضمونها مفهوم الوعي البيئي، أيضا عبر قرابة سبعون ونيف من اجمالي العينة عن عدم سبق مشاركتهم في أنشطة جمعوية خارجية. كما دلت تقاطعات اختبار(ك²) لمجموعة من المتغيرات تأكيد المتوصل إليه بخصوص هذه الفرضية، فجاءت الفروق غير دالة إحصائيا في علاقة كل من متغيري الوسط والتدرج في المستوى الجامعي بمتغير تمتع الطالب بالوعي البيئي الكافي، بحيث سجلت قيمة (ك²) في العلاقة الأولى 2.536 والثانية 4.622 عند مستوى دلالة 0.09 وهي بذلك أكبر من قيمة 0.05، وبالتالي انتفاء حصول وعي بيئي لدى العينة المقصودة يعود لهذين المتغيرين. ويمكن تفسير ذلك أنه لم يعد هناك تأثير لوسط التنشئة والعيش على الاتجاهات البيئية من جهة، أضف إلى ذلك التغيرات على مستوى أنماط العيش والتحولات المجالية التي عرفت القرى والمراكز شبه الحضرية، دون نسيان التجانس الثقافي والمجتمعي الذي أصبحنا نعيش فيه اليوم في زمن العولمة. أما بالنسبة لعلاقة متغير توليد المجزوءات للاهتمام بقضايا البيئة و متغير عمل المجزوءات على تنمية الوعي البيئي فقد جاءت قيمة (ك²) دالة إحصائيا حيث سجلت 8.761 عند مستوى دلالة 0.03، وبالتالي يمكن القول أن فراغ بعض المجزوءات من محاور ومدخلات تساهم في نشر وتعزيز الثقافة البيئية، ينعكس سلبا على عدم توليد المجزوءات للاهتمام بالقضايا البيئية الشيء الذي ينتفي معه عدم قدرة هذه المجزوءات على خلق وعي بيئي لدى الطالب الجغرافي لسلك الإجازة. وبصيغة أخرى فغياب المحتوى التربوي الذي استقيناه من اختيار الصعوبات المعبر عنه من طرف عينة الدراسة، والرامي بالأساس إلى تمكين الطالب من معارف ومهارات التربية البيئية يؤدي بالضرورة إلى غياب الوعي البيئي الذي من المفروض أن يتمتع به الطالب الجغرافي لسلك الإجازة. وقد وافقت نتائج هذه الفرضية مع دراسة زيادات(2012)، التي كشفت عن عدم اختلاف الوعي البيئي عند عينة البحث رغم اختلاف سنوات الخبرة، أيضا دراسة الفاري (2016)، التي أكدت أن تدني مستوى الوعي البيئي راجع لقلة محتوى وأنشطة مقررات العلوم بالرغم من اختلاف المستوى. بينما تعارضت نتائج هذه الفرضية مع دراسة بزخامي(2020)، التي أكدت على أن المناهج التربوية تساهم وبشكل كبير في تنمية الوعي البيئي لدى عينة الدراسة (اسحافات، 2021).

ج- مناقشة نتائج البحث على ضوء الفرضية الثالثة

والتي صيغت على النحو التالي: " تساهم مفاهيم ومعارف المجزوءات البيئية في خلق سلوكيات ومهارات ينعكس أثرها على المجال وخدمة قضايا التنمية المستدامة."

بينت النتائج المحصل عليها من خلال التعرض لتفريغ وتحليل التساؤل الثالث عدم تحقق الفرضية الثالثة أيضا، فقد عبرت نسبة 82% من عينة الدراسة عن عدم تعزيز المجزوءات البيئية المقدمة للسلوكيات الإيجابية للتعامل مع المجال، وهو ما يدل على غياب قدرة حمولة المجزوءات البيئية على تحقيق مهارات حياتية لدى الطالب الجغرافي لسلك الإجازة، والذي يمكن أن يكون قد ساهم فيه حضور التلقين السطحي. كما عبر ما يعادل 55% من عينة الدراسة بالسلب تجاه سعي الطالب تحقيق التنمية المستدامة داخل المجال بالرغم من استقرار 84% من عينة الدراسة على سبق معرفتهم بالمفهوم. وما زاد من تأكيد ذلك هو ما دلت عليه قيمة (ك²) التي سجلت 4.770 عند مستوى دلالة 0.02 في تقاطع كل من متغير توليد المجزوءات البيئية اهتماما بقضايا البيئة ومدى تحقق التنمية المستدامة على أرض الواقع، وهو ما يفضي إلى أن غياب قدرة المجزوءات البيئية على تحقيق الاهتمام بقضايا البيئة ينعكس سلبا أيضا على عدم تحقيق الطالب لقيم التنمية المستدامة داخل المحيط. وما زاد من تأكيد دحض الفرضية هو ما أكدته عينة الدراسة حول غياب الحمولة على مستوى تزويد المجزوءات البيئية الطالب الجغرافي بطرق وكيفيات التعامل مع المجال بنسبة 73% من جهة، ومن جهة أخرى غياب الخرجات البيئية والتعرف على مشاكل المجال بنسبة 82.5% من جهة أخرى. هنا يمكن القول أن غياب ازدواجية النظري أي ما يلحق بالمجزوءات، والتطبيقي من خرجات بيئية، أنشطة، ندوات...- هذا الأخير الذي يمكن أن يكون ناتجا هو أيضا عن عوامل خارجة عن المنهاج في حد ذاته، كقلة الموارد البشرية والمادية، أو الظرفية التي تعيشها البلاد جراء جائحة كورونا- والتي كان من شأنها خلق ذلك التكامل على مستوى منهاج المجزوءات البيئية زاد من تأزيم غياب تمكن الطالب من طرق وسلوكات ومهارات يمكن أن ينعكس أثرها على حسن التعامل مع المجال ومن تم الوصول إلى غاية التربية على التنمية المستدامة. وقد توافق ما تم التوصل إليه بخصوص هذه الفرضية مع النتائج التي توصل بها ع.الرحيم أو عشاء، والذي أكد على انعدام حضور الحمولة التربوية على مستوى قيم المجال والتنمية المستدامة لدى عينة الدراسة بالسلك الثاني شعبة الجغرافيا. في حين اختلفت مع النتائج التي توصلت إليها فوزية المرساوي(2010)، والتي أكدت أن هناك حضور قوي ضمني لمكون التنمية المستدامة طيلة المجزوءات الأولى لعينة الدراسة.

ت- التصورات البديلة والمقترحات

✚ التصورات البديلة:

✓ محاولة إدخال مجزوءة للتربية البيئية قائمة بذاتها، أصبح مطلب جامعي أساسي لجميع طلاب الجامعة، وبالأخص طلاب الجغرافيا سلك الإجازة.

✓ الاعتناء بمفاهيم ومعارف التربية البيئية على التنمية المستدامة على مستوى المجزوءات البيئية المقررة على طلبة الجغرافيا سلك الإجازة، وذلك من خلال نهج مقارنة تشاركية عند بناء المجزوءات البيئية أو إعادة النظر في محتوياتها أو عند التخطيط لإرساء مواردها من خلال إشراك أساتذة الاختصاص والجهات المسؤولة عن تدير القطاع البيئي على المستوى المحلي، والأخذ بآراء الطلبة.

- ✓ إبراز الجانب الوظيفي في تناول المفاهيم و القضايا البيئية خاصة المتصلة بالمحيط البيئي للطلاب.
- ✓ تناول القضايا و المشكلات البيئية من منظور شمولي متكامل الأبعاد ضمن المجزوءات البيئية.
- ✓ محاولة الرفع من مستوى الوعي الطلابي بمفاهيم وأبعاد التربية البيئية لتكون عند المستوى المرجو، وذلك من خلال وضعهم في وضعيات تعليمية تجريبية تروم تحقيق المطلوب.
- ✓ إقامة أيام بيئية طلابية، الاحتفال بالأيام البيئية العالمية، بقصد إثارة الانتباه إلى السلوك البيئي الجيد؛ حملات النظافة، التشجير، عرض إنجازات للطلبة في هذا الباب.
- ✓ التركيز على الأنشطة البيئية التطبيقية والمشاريع البحثية والزيارات الميدانية عند معالجة المواضيع البيئية في المناهج الجامعية مع التطبيق على البيئة المحلية و مشكلاتها بغية خلق ازدواجية في الممارسة.
- ✓ المرور لفكرة النوادي الخضراء التي جاءت من ضمن الاقتراحات المعبر عنها بنسبة كبيرة "41%" من طرف عينة البحث.
- ✓ تشجيع طلبة الجغرافيا سلك الإجازة على تنظيم معارض بيئية تضم أعمال و منجزات خاصة بهم قصد خلق الحافزية والدافعية الكفيلة بجعلهم رسل لما يلقن إليهم.
- ✓ خلق حلقات علمية الغاية منها اكتساب وتنمية القيم والاتجاهات والمهارات و الجوانب السلوكية التي تؤدي إلى تنمية الوعي نحو البيئة المحلية والعالم ككل.
- ✓ التأكيد على أهمية الاتجاهات والعادات السلوكية التي تؤدي لحياة بيئية سليمة بدءاً من المحافظة على نظافة وصحة المرافق الجامعية كسلوك أولي.
- ✓ خلق شراكات علمية بين الشعب التي تعالج في منهاجها مجزوءات بيئية قصد تبادل الخبرات والتجارب من جهة، ومن جهة أخرى توطين المهارات والاتجاهات الإيجابية للتربية البيئية لدى الطالب وذلك بتمكينه من أسس الاكتشاف لدى دراسة البيئة والتفكير العلمي الناقد والمشاركة في الأعمال البيئية.
- إن تناسب المعارف البيئية و القيم والمهارات والسلوكات الإيجابية للطلاب الجغرافي والواقع المحيط ككل، يبقى مطمئناً وغاية يمكن الوصول إليها، وذلك من خلال العزم على إرساء أسس ومبادئ التربية البيئية على التنمية المستدامة داخل الجامعة المغربية.

🚩 المقترحات:

- بناء على نتائج الدراسة وتوصياتها يقترح الباحث إجراء البحوث والدراسات المستقبلية التالية:
- دراسات وبحوث نوعية تهتم أكثر بتقويم المجزوءات البيئية في المنهاج الجامعي لشعبة الجغرافيا بشكل عام في ضوء قضايا التربية البيئية.
- دراسة تهتم بتقويم وعي الطالب الجغرافي كنموذج والطالب الجامعي ككل.
- دراسة تتعلق ببناء وحدات جامعية تتضمن أهداف التربية البيئية وتجربتها في سلك الإجازة.
- دراسة تهتم بمدى تأثير المجزوءات البيئية المدرسة في بناء قيم التربية البيئية.
- إجراء دراسة ارتباطية تبين العلاقة بين تعزيز الموضوعات البيئية وأثرها على التنشئة البيئية للطلبة.

I. International Century Congress for Social Sciences

- دراسات تهتم بمدى تعزيز الوعي البيئي بقضايا التربية البيئية في المجزوءات البيئية لشعبة الجغرافيا ولاسيما في القيم والمفاهيم البيئية التالية:

التمييز بين حقوق الفرد وواجباته البيئية في المجتمع.

كيفية إيجاد حلول مناسبة لصيانة القدرات البيئية والحفاظ عليها.

الحفاظ على عملية التوازن البيئي.

خاتمة:

تعتبر التربية البيئية شكل من أشكال التعليم الذي ينظم علاقة الإنسان ببيئته الطبيعية والاجتماعية وذلك قصد ترشيدها لتحقيق حياة نوعية أفضل، تتضمن استعادة التوازن بين حياته ومتطلباته وبين المجال الجغرافي الذي يعيش فيه ككل، لذلك جاءت الجهود لإنشاء برنامج دولي تربوي يهدف إلى تسطير البرامج التربوية في المجال البيئي عبر مراحل التعليم بأنواعه المختلفة وفي مختلف المستويات العمرية. وقد حرصت أغلب الدول بما فيها المغرب على تطبيق هذه القرارات و التوصيات وذلك بالعمل على تضمين موضوعات البيئة وأبعاد التربية البيئية في كنف الأوساط الدراسية بمختلف مراحلها. ولعل من أبرز هذه الأوساط ذات التأثير القوي في هذا المجال الوسط الجامعي، إحدى أبرز وأهم البيئات التربوية الكفيلة بتحقيق أبعاد التربية البيئية وتكوين أفراد مدركين لبيئتهم ومزودين بالقيم والمهارات البيئية اللازمة لحمايتها، فالجامعة مركز إشعاع في البيئة بل أكثر من ذلك وسيلة فعالة في إحداث التغيير من خلال ما تطرحه من فكر وعمل، فكلما نجحت الجامعة في رفع المستوى الثقافي للطلاب كان مجهودها أكثر نجاحا مع البيئة ، وكلما كانت القيم وأنماط السلوك التي تمارس داخل الجامعة ذات اتجاهات إيجابية تجاه المجال وخدمة قضايا التنمية المستدامة عمت فائدتها على سائر المجتمع. ومن هذا المنطلق حاولت الدراسة الميدانية لهذا البحث التعرف على مدى العلاقة بين المجزوءات البيئية المدرسة لطلاب الجغرافيا سلك الإجازة بالكلية المتعددة التخصصات بآسفي والتربية البيئية، من خلال الوقوف على الجانب المعرفي للطلاب حول الموضوع من جهة، ومن جهة أخرى تحسس هذه العلاقة على مستوى وعي الطالب من خلال اتجاهاته وسلوكاته تجاه المجال وقيم التنمية المستدامة. وبالرجوع للدراسة الميدانية توصلنا إلى أن التربية البيئية التي تتم عبر المجزوءات البيئية الجامعية التي يتم تدريسها للطلاب الجغرافي والتي تحاول ترسيخ مفاهيم ومعارف التربية البيئية تبقى عاجزة على تغطية جل الفصول من جهة ومن جهة أخرى تقف عاجزة أمام تحقيق وعي بيئي لدى الطالب ينعكس أثره على المجال وخدمة قضايا التنمية المستدامة. ذلك أن حضور التلقين السطحي المكرس لنظرية التعليم البنكي غير سامح بتاتا بتكوين كفايات ومهارات حياتية قادرة على خلق رصيد معرفي واهتمام بيئي لدى الطالب الجغرافي لسلك الإجازة بشكل أعمق وأشمل. أضف إلى ذلك أن حضور النشاطات البيئية الجامعية قد جاء شبه منعدم ومقتصر فقط على شيء نزر من العروض داخل بعض المجزوءات، بالإضافة إلى بعض الندوات والخرجات الميدانية التي كانت تقام سابقا من حين لآخر على قلتها والتي حدث منها جائحة كورونا. الأمر الذي انعكس سلبا على تطوير وتنمية مهارات العمل الجماعي البيئي لدى الطلبة.

من خلال ما سبق يتضح أن دور المجزوءات البيئية يبقى قاصرا وغير معزز أو محفز أو مرسخ بالقدر الكافي لأهداف التربية البيئية في حياة الطالب الجغرافي. فانقطاع التدرج الجامعي للمجزوءات الحاملة للتربية البيئية، وما يضاف إليه من ضيق الوقت المخصص لها، قصر الحس التربوي والتوعوي داخلها، نقص الترابط بين ما هو نظري وما هو تطبيقي داخلها وفيما بينها، عدم كفاية الموارد البشرية والمادية الناتج عن غياب الدعم من طرف الكلية أو الوزارة الوصية، زد على ذلك مشاكل مردها للطالب نفسه، كعدم الاهتمام وغياب الحافزية والدافعية لديه، كلها أمور ساهمت في عدم الوصول لتحقيق التربية على التنمية المستدامة من خلال المجزوءات البيئية المقدمة داخل شعبة الجغرافيا. وعليه يجب الأخذ بما قيل في توصيات ومقترحات هذه الدراسة بغية الانتقال بالمجزوءات البيئية المدرسة للطلاب الجغرافي لتكون أكثر فاعلية وتأثير على أحداث التغيير المنشود الرامي إلى تمثل حمولة هذه المجزوءات فيما يخص أبعاد وأهداف التربية البيئية على أرض الواقع.

المراجع:

المراجع العربية:

✚ الجوهري، ا (1956). تاج اللغة وصحاح العربية ،مصر، مطبعة دار العلم للملايين، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار.

✚ المققادي، ك (2006). *التربية البيئية [كتاب الكتروني]*. متاح على الرابط

www.ao-academy.org

✚ بالهادي، ع. (2012). المجال والتنمية. قرطاج، المركز الوطني لتكوين المكونين، تونس. [كتيب الكتروني] متاح على

الرابط <https://amorbelhedi.wordpress.com>

✚ محارب، ع. ق. (2011). التنمية المستدامة في ظل تحديات الواقع من منظور إسلامي. الإسكندرية: دار الجامعة الجديدة.

✚ ملحم، س. (2002). مناهج البحث في التربية وعلم النفس. عمان. دار المسير للنشر والتوزيع والطباعة.

✚ سليم، م. ص. (1992). المفاهيم الرئيسية للتربية البيئية- مرجع في التعليم البيئي من مطبوعات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

✚ فتوح، م. جمال الدين، م. بركيعة، ع. م. (1991). *واقع التربية البيئية في الوطن العربي*. (بحث جماعي) كلية علوم التربية، جامعة محمد الخامس الرباط.

✚ أوغشا، ع. (2019). الوظيفة التربوية للجغرافيا المدرسية ودورها في التربية على التنمية المستدامة (رسالة ماجستير). كلية علوم التربية، جامعة محمد الخامس الرباط.

✚ اسحاق، د، س. (2021). *دور كتب العلوم في مرحلة التعليم الأساسي في نشر الوعي البيئي لدى الطلبة من وجهة نظر المعلمين في لواء وادي السير (رسالة ماجستير)*. جامعة الشرق الأوسط. متاح على الرابط <http://dspace.univ-jijel.dz:8080/>

✚ اللحياني، ي. (2021، 25 أبريل). المجال الجغرافي وقضايا التربية المجالية. *مجلة العلوم الإنسانية والطبيعة*. متاح على الرابط، www.hnjournal.net.

✚ المرساوي، ف. (2010). المعالجة التربوية لموضوع التنمية المستدامة من خلال المناهج التعليمية والكتب المدرسية - نموذج السنة الأولى بكالوريا علوم:- مادة الجغرافيا. (رسالة ماجستير) كلية علوم التربية، جامعة محمد الخامس الرباط.

✚ السعيد، م. س. (2002): "تنمية القيم البيئية لدى طلاب الجامعة". وقائع المؤتمر القومي الأول حول نشر وتأصيل الثقافة العلمية في المجتمع. مركز تطوير تدريس العلوم. متاح من خلال الرابط <https://www.asu.edu.eg/ar>

✚ العاطي الله، ع . (2005). من البعد البيئي إلى مفاهيم التربية البيئية في مادة الجغرافيا- دراسة مقارنة بين الكتب القديمة والجديدة - بالتعليم الثانوي الإعدادي نيابة سطات (رسالة ماجستير). كلية علوم التربية، جامعة محمد الخامس الرباط.

✚ بوقس، ن. م. (2015، شتبر). *درجة وعي معلمات العلوم بالتربية المستدامة ومتطلبات تنميتها*. دراسات عربية في التربية وعلم النفس (ASEP) متاح على الرابط <http://search.shamaa.org>

الأطروحات

✚ بزخامي، ا. (2020). دور المناهج التربوية في تفعيل التربية البيئية لدى المتعلم في المرحلة الابتدائية (رسالة دكتوراه). كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم متاح من خلال الرابط <http://e-biblio.univ-mosta.dz/handle/123456789/17365>.

✚ طويل، ف. (2013). التربية البيئية ودورها في التنمية-دراسة ميدانية بمؤسسات التعليم المتوسط بمدينة بسكرة- (رسالة دكتوراه)، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية. جامعة محمد خيضر بسكرة. متاح من خلال الرابط <https://theses-algerie.com>.

✚ شاني، م. (2018). التربية البيئية من خلال مناهج الاجتماعيات بالثانوي الإعدادي (رسالة ماجستير). كلية علوم التربية، جامعة محمد الخامس الرباط.

✚ مساعدي، ح. (2020). الوسط المدرسي ودوره في ترسيخ أبعاد التربية البيئية (كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية. جامعة محمد خيضر بسكرة. متاح من خلال الرابط <https://theses-algerie.com>

✚ منوغرافية مراكش- آسفي [خارطة]. (2014). متاح على الرابط hcp.ma/region-marrakech

✚ حمدي، ع.ع. (2021). الكلية المتعددة التخصصات آسفي [صورة]. متاح على الرابط <https://www.google.com/imgres?imgurl=https%3A%2F%2Ffrue20>

المراجع الأجنبية:

✚ BONNEMAISON, J.(1981) Voyage autour du territoire. Espace géographique. Tome 10, n°4, pp. 249-262.

✚ GIRAULT , Y. & BARTHES , A. (Janvier 2015 - Décembre 2018). Postures épistémologiques et cadres théoriques des principaux courants de l'éducation aux territoires,(UNESCO).Retrieved from <https://search.openedition.org>.

✚ RAFFESTIN, C.(1979) Pour une géographie du pouvoir. Paris, Litec.

**SUB-SAHARAN MIGRATION, CHALLENGES AND OPPORTUNITIES IN A
CHANGING WORLD: THE MOROCCAN EXPERIENCE AS AN EXAMPLE**

Researcher. Hamza TIJANI

<http://dx.doi.org/10.47832/soci.con1-24>

Abstract:

Given its Geographical Location, Morocco is a market between Africa and Europe. This current privileged situation, in essence, creates significant challenges and opportunities in the field of sub-Saharan migration, a crucial question that affects not only Morocco's national policy, but also regional and international dynamics.

Historically, Morocco has been considered an immigration country. As a result, the establishment of a large Moroccan community over the years has been essential in Europe. Over the last ten years, the country has become a place of transit and migration for a large number of sub-Saharan populations wishing to travel to Europe. In addition, thanks to a set of controls on the EU borders, Morocco has become a stabilization push.

Managing sub-Saharan migration is a complex game for Morocco. This is why the Moroccan government is seeking reforms aimed at improving the living conditions of migrants in a regular situation and combating the traffic of people. Adopting national strategies for migration and asylum allows the operations of organizing millions of foreigners residing on their lands.

Despite these efforts, challenges persist. Irregular migration in Sub-Saharan Africa remains a topic of concern, particularly with regard to border security and the preservation of migrants' rights. There are many factors that delay this migratory flow. Despite demographic pressure in countries of origin, linked to conflict, poverty, and political instability, many sub-Saharan people can seek opportunities.

Aware of the dynamism of migration and its effects, at the present time, on the African and European environment and on social cohesion, Morocco has adopted a special approach to confront this problem. We must examine in detail the Moroccan migration strategy in the subject of migration management and identify instructions that can help in managing European migration in order to better understand the challenges related to migration, especially in this time of uncertainty and complexity

Keywords: Immigration, Social Protection, International Migration Agreement.

الهجرة من جنوب الصحراء الكبرى، التحديات والفرص في عالم متغير:

التجربة المغربية أنموذجاً

الباحث حمزة تجاني¹

الملخص:

بالنظر إلى موقعها الجغرافي، تعد المغرب بمثابة سوق بين أفريقيا وأوروبا. وهذا الوضع المتميز حالياً، من حيث الجوهر، يخلف تحديات وفرص كبيرة في مجال الهجرة إلى جنوب الصحراء الكبرى، وهو سؤال حاسم لا يؤثر فقط على السياسة الوطنية للمغرب، بل على الديناميات الإقليمية والدولية.

تاريخياً، اعتبر المغرب بمثابة بلد هجرة. ونتيجة لذلك، فإن إنشاء مجتمع مغربي كبير منذ سنوات هو أمر أساسي في أوروبا. على مدار السنوات العشر الأخيرة، أصبحت البلاد بمثابة مكان للعبور والهجرة لعدد كبير من سكان جنوب الصحراء الكبرى الراغبين في السفر إلى أوروبا. بالإضافة إلى ذلك، وبفضل مجموعة من الضوابط على حدود الاتحاد الأوروبي، فإن المغرب قد أصبح بمثابة دفع التثبيت.

إن إدارة الهجرة إلى جنوب الصحراء الكبرى هي لعبة معقدة للمغرب. وهذا هو السبب في أن الحكومة المغربية تسعى إلى إجراء إصلاحات تهدف إلى تحسين ظروف حياة المهاجرين في وضع منتظم ومكافحة حركة مرور الأشخاص. اعتماد الاستراتيجيات الوطنية للهجرة واللجوء، يسمح بعمليات تنظيم ملايين الأجانب المقيمين على أراضيهم.

وعلى الرغم من هذه الجهود، فإن التحديات المستمرة. ولا تزال الهجرة غير النظامية في جنوب الصحراء الكبرى موضوعاً للقلق، لا سيما فيما يتعلق بأمن الحدود والحفاظ على حقوق المهاجرين. هناك العديد من العوامل التي تؤخر هذا التدفق المهاجر. على الرغم من الضغط الديموغرافي في البلدان الأصلية، والمرتبطين بالنزاعات، والفقر، وعدم الاستقرار السياسي، يمكن للعديد من سكان جنوب الصحراء الكبرى البحث عن الفرص المتاحة.

وإدراكاً لديناميت الهجرة وتأثيراتها، في الوقت الحاضر، على البيئة الأفريقية والأوروبية وعلى التماسك الاجتماعي، اعتمد المغرب نهجاً خاصاً لمواجهة هذه المشكلة. يجب علينا أن نفحص بالتفصيل استراتيجية الهجرة المغربية في مادة إدارة الهجرة وتحديد التعليمات التي يمكن أن تساعد في إدارة الهجرة الأوروبية من أجل فهم أفضل للتحديات الكاذبة المتعلقة بالهجرة، خاصة في هذا الزمن التي تتسم فيه بعدم اليقين والتعقيد.

الكلمات المفتاحية: الهجرة، الحماية الاجتماعية، الاتفاقيات الدولية للهجرة.

¹ جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس، المغرب

Hamzatijani@usmba.ac.ma

على مدى العقود الماضية، كانت الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية المتدهورة، فضلا عن الصراعات المسلحة وانعدام الأمن والتدهور البيئي والفقر، أسبابا جذرية هامة للهجرة الجماعية والتشريد القسري في أفريقيا. كما يسرت عملية العولمة حركة الناس عبر مختلف مناطق أفريقيا، وإلى مناطق أخرى خارج القارة، مع استمرار ازدياد عدد المهاجرين. وبسبب هذه الاتجاهات، تشكل الهجرة قضية رئيسية في القرن الحادي والعشرين، وتطرح تحديات اجتماعية واقتصادية وسياسية لصانعي السياسات العاملين في إدارة الهجرة من أجل تحسين القارة. وتعتبر الهجرة عبر الحدود في أفريقيا استراتيجية هامة لكسب الرزق والتكيف في أوقات الانكماش الإيكولوجي والاقتصادي، كما أنها أساسية لفهم، وكذلك تنبؤ، بداية الكوارث الإنسانية وتطورها.

ومن المؤكد أن علاقة وضع المهاجرين واحترام حقوق الإنسان هي علاقة وطيدة (حقوق الإنسان)، ما دامت أن الهجرة هي ظاهرة اجتماعية ذات بعد إنساني. لهذا كانت مسألة الحماية الدولية مطروحة منذ عقود على المجتمع الدولي، وتشكل مسؤولية ملقاة على عاتق الحكومات، لاسيما في بلدان الإقامة (البزاز، 24 و 25 نونبر 2005). ذلك فقد أولى القانون الدولي لحقوق الانسان بالغ العناية لوضعية المهاجرين والأجانب التي ترتبط في جوانب كثيرة منها بنظام حقوق الانسان، خصوصا أن مشاكل المهاجرين تعد عن أكثر القضايا إلحاحا التي تواجه المجتمع الدولي، وعلى اعتبار أن هذه الفئة المستضعفة، من بين أكثر مجموعات الناس تعرض للمعاناة وغيرها من الانتهاكات لحقوق الإنسان (محيو، 7 فبراير 2000).

إن أي سياسة تشكل مجمل الأقوال والتوجهات والاستراتيجيات والأفعال الصادرة عن صانعي تلك السياسة والذين يحددون أهدافهم لتحقيقها. إذ حتمت العديد من المعطيات الذاتية والموضوعية على المغرب تبني خيارات ونهج سياسات متفاعلة مع البيئة الداخلية ومع كل التحولات التي عرفتها المنطقة، وإن لم يكن في اتجاه تكريس فكرة التفوق ولعب أدوار حاسمة في المحيط الدولي. فعلى الأقل الدفاع عن مصالحه الراهنة، ودوام استمرارية دور الدولة المغربية بالمنطقة، والتفاعل مع سياسات واستراتيجيات الفاعلين في المحيط الإقليمي.

إن أهداف السياسة المغربية مدعوة لأن تتأقلم مع معطيات البيئة الداخلية، حيث أن الرهانات المطلوبة تتجاوز محاولة التوفيق بين التوازنات وتتعدها إلى إيجاد حلول للمعضلات والإشكالات الأصلية التي يتخبط فيها المغرب، كما هو الحال بالنسبة لقضية الهجرة.

وكما سبقت الإشارة، أن المغرب كغيره من بلدان المغرب العربي وبقية بلدان العالم (تركيا)، يعاني من ظاهرة الهجرة وذلك بحكم موقعه الاستراتيجي على المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط الذي يشكل على الدوام واجهة مفتوحة على أوروبا، وفضاء للتلاقح الحضاري والتواصل البشري عن طريق الهجرة القانونية. إلا أن العقدين الأخيرين، عرفا منعطفا خاصا تجلى في تنامي ظاهرة الهجرة السرية. وتبعاً لذلك فإن المغرب بات متضررا من الهجرة غير المنظمة، حيث أخذ يتحول تدريجيا إلى معبر لها وبلد إقامة واستقبال لبعض المهاجرين القادمين من بلدان إفريقية، لتصبح الأراضي المغربية موطن استقرار لهم لا نقطة عبور، مما يفرض التعاطي بشكل جدي مع تلك الظاهرة ومن هنا برزت إرادة المملكة المغربية في معالجة ملف الهجرة في أبعاده الحقوقية والاقتصادية والاجتماعية سواء في إطار فردي أو جماعي وسواء تعلق الأمر بالهجرة غير القانونية التي ينبغي أن تكون منظمة أو بالهجرة القانونية التي ينبغي أن تكون محمية.

في ضوء التحديات التي تفرضها الهجرة وتداعياتها (الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والصحية وغيرها)، أصبح مجال حماية حقوق وحرية المهاجرين والاتفاقيات الدولية في هذا الصدد تحت مسائلة التفعيل لهذه القوانين من عدمها.

دواعي اختيار البحث: الأسباب الذاتية: حيث وقع الاختيار على موضوع الهجرة والتحديات الأمنية، لأنه من المواضيع الحديثة المرتبطة بالأمن، فقد حظي هذا الموضوع باهتمامي منذ أن هاجرة من البادية إلى المدينة من أجل الدراسة في شمال المغرب وهناك التقيت بالمهاجرين من جنوب الصحراء واللاجئين السوريين، وكنت على قرب من معيشتهم اليومي كما أنني قد شاركت في عملية الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2014 بصفة باحث في الأحياء التي يقطنها المهاجرين جنوب الصحراء بالإضافة إطار التبادل العلمي بين طلبة أجنيبين بالجامعات المغربية حيث تداولت الحديث معهم حول التكوين في اللغة والثقافة. **الأسباب الموضوعية** التي دعت لاختيار الموضوع تتجلى في أن: ظاهرة الهجرة من أهم النقاط المثارة على مستوى النقاشات في المنتديات والمؤتمرات الدولية، إذ تتنوع المناظرات والمقاربات التي تتناول هذه النقطة من زوايا مختلفة، لذا هناك نوع من الصعوبة في توحيدها على المستوى الدولي وذلك بسبب تضارب مصالح الدول.

تكمّن الإشكالية في:

راهن المغرب بالتزامه مؤسساتيا وتشريعيا بالتعاطي مع ظاهرة الهجرة، من أجل تعزيز السياسات والأطر القانونية الوطنية لضمان حماية حقوق المهاجرين من خلال إدراج الصكوك القانونية الرئيسية المتعلقة بحقوق المهاجرين وحقوق الإنسان، خاصة ما مع ظهور الأزمة الصحية " فايروس كوفيد 19" وما ترتب عنه من أوضاع ومتغيرات فيما بعد، من هنا نطرح الإشكال التالي:

ما مدى فعالية البعد الحقوقي في ملف الهجرة بالمغرب في ظل التحولات والتحديات التي تطرح حولها في عالمنا المعاصر؟

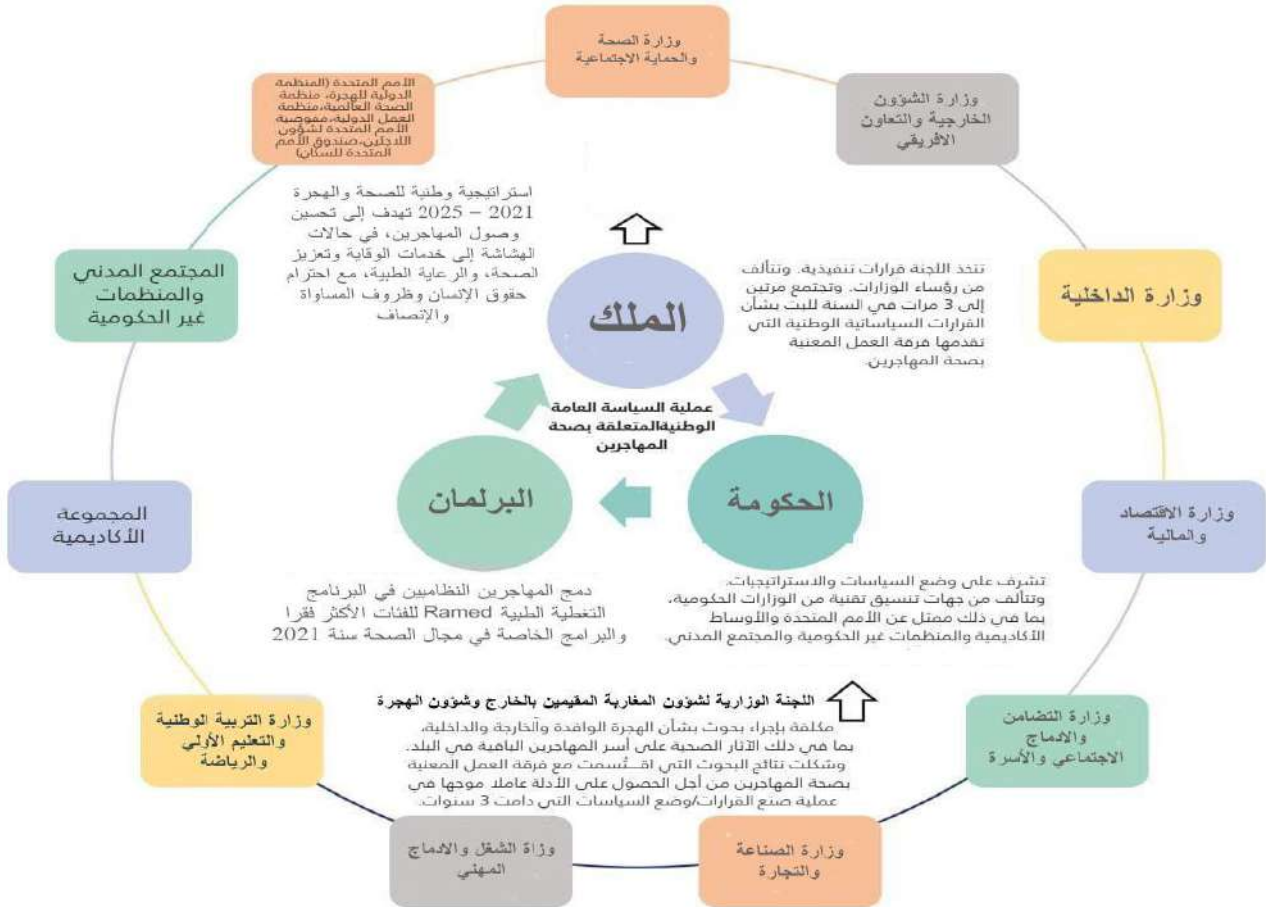
تفترض الدراسة أنه رغم كل الاستراتيجيات والتدابير المتخذة على المستويين الدولي والوطني لن تكون فعالة وناجعة نظرا لعدم معالجتها لجوهر ولب إشكالية الهجرة وهي الإنسان الذي يعاني المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والإقصاء والتهميش.

كما تهدف الدراسة إلى بيان الأسباب الكامنة وراء الهجرة بالمغرب ودول إفريقيا والأهداف المتوخاة من الاتفاقيات والاستراتيجيات الوطنية والدولية في مجال الهجرة سواء ما هو اجتماعي -اقتصادي.

1 / السياسة المغربية في مجال الهجرة واللجوء.

إن عملية صنع سياسة المغرب في مجال الهجرة هي بمثابة تضافر ومساهمة مجموعة من الفاعلين في صنع هاته السياسة وتنفيذها، حيث شكلت المؤسسة الملكية الفاعل الرئيسي في تحديد توجهاتها إلى جانب الجهاز الحكومي الذي يتولى تنفيذ هذه السياسة بالإضافة إلى مساهمة فاعلين غير رسميين كالمنظمات الدولية والأحزاب السياسية في صنع هاته السياسة انطلاقا من الأدوار المنوطة بهم (David، 1997).

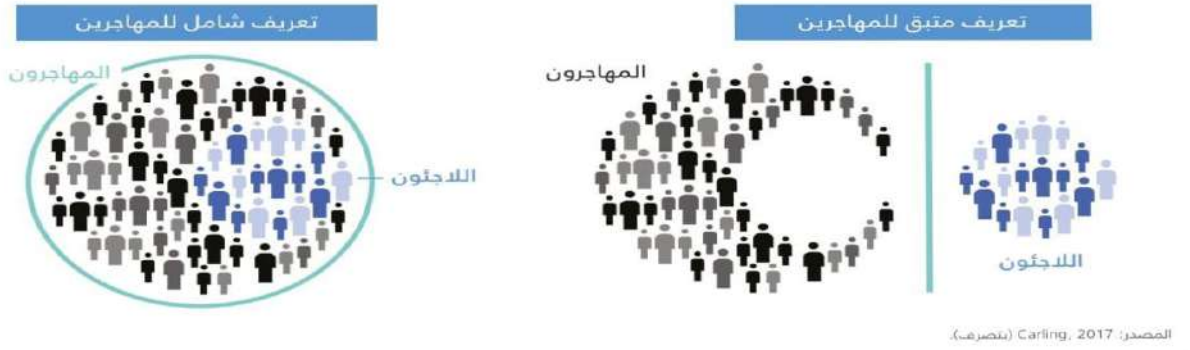
- النهوض بعملية سياسية وطنية للهجرة والصحة في المغرب



يتضح أن دراسة العلاقة بين النظام السياسي والسياسة العامة يتحدد من خلال معرفة أدوار المؤسسات والقوى المكونة للنظام السياسي الرسمية وغير الرسمية في صنع سياسة الهجرة، حيث ترتبط درجة تحقيقها للأهداف ، بشكل مباشر بكفاءة وتوازن عمل تلك المؤسسات، وبالذات الهام الذي تقوم به المؤسسة الملكية وهذا ما لاحظناه بعد تكليف الملك محمد السادس المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان سابقا والمجلس الوطني لحقوق الإنسان حاليا، بمهمة إنشاء مجلس الجالية، وكذلك الاعتراف لهم بالحقوق السياسية وبحقهم في المشاركة في المؤسسات المنتخبة أو المعنية بشؤونهم، وتجلي ذلك في دستور 2011، الذي شكل اعترافا دستوريا لحقوق المواطنين المقيمين بالخارج، بما في ذلك الحق في الانتخاب والتمثيلية والمساهمة في تنمية بلدهم الأصلي ، خاصة مع دسترة مجلس الجالية المغربية بالخارج كمؤسسة تسهر على مصالح الجالية. وتمكين المهاجرين بالمغرب بحقوق وواجبات متساوية مع المواطنين والمواطنات المغاربة.

ويمكن إدراج هذا التوجه كذلك في بلورة سياسة شاملة جديدة في مجال الهجرة وفق مقاربة إنسانية تتطابق مع القانون الدولي وتراعي حقوق المهاجرين. وذلك من خلال فعالية أهم الأجهزة الحكومية التي كانت تلعب دورا هاما في تنفيذ سياسة المغرب في مجال الهجرة وهي وزارة الشؤون الخارجية والتعاون لما تتوفر عليه من أجهزة إدارية مركزية وخارجية منها مديرية الشؤون القنصلية والاجتماعية، التي تعمل على حماية مصالح المهاجرين، إضافة إلى البعثات الدبلوماسية المتواجدة بدول الاستقبال، وكذا الوزارة المنتدبة لدى الوزير الأول المكلفة بالجالية المغربية بالخارج سابقا. ونظرا لتداخل العلاقات الدولية المعاصرة وتشعب مجالاتها، لم تعد قضية الهجرة في مختلف أبعادها الاجتماعية والثقافية والسياسية حكرا على وزارة الشؤون الخارجية بل تدخلت باقي الوزارات في حدود اختصاصها في تدبير هذا الملف، بالإضافة إلى الدور الذي أصبح يمارسه البرلمان بفضل شبكة العلاقات التي ينسجها مع البرلمانات الأجنبية ومشاركته في المنتديات الدولية والإقليمية الخاصة بقضايا الهجرة والمهاجرين، إضافة إلى الأسئلة البرلمانية المتعلقة بقضية الهجرة والجالية المغربية ثم الدور الذي تقوم به جمعيات المجتمع المدني في هذا المجال.

الشكل 1: ما المقصود من "المهاجر"؟



ومن تم يمكن القول، بأن دور المؤسسات الرسمية وغير الرسمية في صنع سياسة الهجرة، ينصرف إلى كل ما يتعلق بالمحددات الداخلية أو الخارجية التي تتحكم في هذه السياسة بغية تحقيق أهدافها. وإجمالاً يمكن القول فيما يخص تنظيم مسألة الهجرة ما يلي:

1. فعلى المستوى الوطني: برهنت المملكة المغربية بالتزامها من خلال إرادة سياسية وتدابير مؤسساتية وتشريعية، واضطلعت بمسؤولياتها في التصدي للهجرة السرية بتعاون مع شركاتها على المستوى الجهوي لمكافحة شبكات الهجرة السرية، وكذا الدفاع عن الحقوق المشروعة للجالية المغربية بالخارج. وفي هذا السياق يمكن تقسيم التدابير التي اتخذها المغرب في ميدان الهجرة إلى إجراءات تنظيمية وأخرى عملية.

أ/ بالنسبة الاجراءات التنظيمية: يمكن أن تشير إلى القانون رقم 03-02، حول دخول وإقامة الأجانب في المغرب والهجرة غير المشروعة الذي دخل حيز التنفيذ في نونبر 2003 (قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة 158/45 المؤرخ في 18 دجنبر 1990 رقم براءة الاختراع للمادة 87 من الاتفاقية، بتاريخ 01 يوليوز 2003)، كان الهدف منه توحيد القوانين السابقة وضمان الانسجام بين المقتضيات الجديدة والقانون الجنائي وترشيد معايير إقامة الأجانب في المغرب خاصة تقنين المخالفات المرتبطة بالهجرة السرية. كما حدد أيضا شروط دخول الأجانب للتراب المغربي مع ترك السلطات

المغربية حق رفض دخول أي شخص أجنبي للتراب الوطني، نظرا لما يمكن أن يشكله بعض الأجانب من تهديد للأمن الداخلي والخارجي للدولة.

ب/ بالنسبة للإجراءات المؤسسية: صيانة لحقوق الإنسان ودعم مساراتها وتوفير الضمانات القانونية والإجرائية لذلك، أنساق المغرب بدوره إلى هذا التيار الدولي الحقوقي والإنساني الرامي إلى تعزيز حقوق الإنسان، وأنشأ بنيات وآليات لحمايتها والنهوض بها كمجلس الجالية المغربية المقيمة بالخارج، ومؤسسة محمد الخامس للتضامن والمجلس الوطني لحقوق الإنسان.

إضافة إلى الإصلاحات التي سنها في جميع الميادين. وتنفيذا للتعليمات الملكية تم إحداث هيأتين متخصصتين لتعزيز الترسانة القانونية، ويتعلق الأمر بإنشاء مديرية الشؤون الهجرة ومراقبة الحدود على مستوى وزارة الداخلية وترصد الهجرة، تتجلى المهمة المناطة بهذه الهيئة في مستويين التحليل المستوى الأول: حول شبكات الهجرة السرية على الصعيدين الوطني والدولي، مستوى ثان يخص الدعم العملي لمراقبة الحدود. ويمكن دور المرصد في إشراك كل الأطراف المعنية في التفكير متعدد الاختصاصات حول مسألة الهجرة خاصة المجتمع المدني، كما أنه يقوم مقام بنك المعلومات الإحصائية على الصعيد الوطني.

2. أما على المستوى الدولي: عرف المغرب إصلاحا انصب معظمه في ترسيخ دولة الحق والقانون، وبناء دولة المؤسسات وذلك لمسايرة التطورات المتسارعة التي شهدتها القوانين الدولية، يضاف إلى ذلك تعهد المغرب الصريح بالمرجعية الدولية لحقوق الإنسان من خلال تضمينها في ديباجة الدستور، الذي تضمن أيضا بنودا ومقتضيات تهم الضمانات التي يستلزمها احترام حقوق الإنسان وحرياته. وفي هذا الصدد، برهن المغرب عن التزامه دعم وحماية حقوق المهاجرين بمشاركته الفعالة في تنمية إطار قانوني دولي في هذا المضمار، ولعب دورا مهما في المساهمة في صياغة توصية المقررة الخاصة بلجنة حقوق الإنسان حول موضوع حقوق المهاجرين. ولقد انخرط في المنظومة الدولية لحقوق الإنسان بانضمامه لاتفاقية حماية اللاجئين لسنة 1951، ومصادفته على اتفاقية الأمم المتحدة لحماية حقوق المهاجرين لسنة 1990، كما التزم باحترام المبادئ والقواعد الدولية التي تضمنتها، حيث شارك بشكل مكثف في مسلسل التقنين وصياغة الاتفاقية الدولية المتعلقة بحماية حقوق جميع العمال المهاجرين وأفراد أسرهم التي تمت المصادقة عليها من طرف المغرب في 14 يونيو 1993، ودخلت حيز التنفيذ في فاتح يوليوز 2003.

وعلى هذا الأساس، فإن وجود اتفاقيات تنظم العلاقات المغربية الأوربية في مجال الهجرة، جاءت تجسيدا لرغبة الأطراف في تنظيم قضية الهجرة التي تؤثر على مستقبل العلاقات المغربية الأوربية، كقضية مشتركة، ونظرا لأهميتها في هاته العلاقات باعتبارها أحد أهم القضايا التي لم يتم استحضارها في اتخاذ أية مبادرة أو سياسة لدول الاتحاد اتجاه المغرب، فإنها أصبحت تشكل تحديا للطرفين نتيجة اتصالها وتشابكها بعدة قضايا. وهو ما حدا بالمغرب والاتحاد الأوروبي إلى الاتفاق سويا لمعالجة ملف الهجرة سواء كانت قانونية أو غير قانونية طبقا للمعايير والمواثيق الدولية المتعلقة بحماية حقوق الإنسان بصفة عامة، وحقوق المهاجر بصفة خاصة (Belguendouz، 4 avril 2005).

فالتزام المغرب لحماية حقوق المهاجرين على ضوء الاتفاقيات الثنائية أو متعددة الأطراف يعد ترجمة حقيقية للجهود المبذولة من طرفه في مجال حماية حقوق المهاجرين المغاربة بالدول الأوروبية. وتشكل الاتفاقيات الدولية الثنائية المبرمة بين المغرب ودول الاستقبال مجالا للتعاطي مع هاته الظاهرة، حيث قام المغرب في إطار مواصلة العمل من أجل تعزيز الإطار القانوني للجالية المغربية بالخارج، وحماية مصالحها وتنظيم الاستفادة من بعض حقوقهم بإبرام اتفاقيات تختلف باختلاف مراحل الهجرة. فقد تأتي قبل عملية الهجرة وذلك لتنظيمها، وقد تأتي بعد عملية الهجرة من

أجل ضمان حق أو مجموعة من حقوق المهاجرين في إطار تشجيع الهجرة القانونية كاتفاقيات اليد العاملة والضمن الاجتماعي أو الثقافي، دون إغفال إبرام اتفاقيات ثنائية متعلقة بالهجرة غير القانونية على اعتبار أن هذه الظاهرة أصبحت تطرح إشكالات وتحديات مستجدة ليس على صعيد الدول المصدرة أو المستقبلة للهجرة، أو على المهاجرين أنفسهم على المستويات الإنسانية والاجتماعية والقانونية فحسب، بل كذلك على الدول التي تقع بحكم موقعها الجغرافي في الطرق الرسمية للهجرة العالمية وخاصة السرية منها، وما تشكله من تهديد على سيادة الدولة وأمنها لارتباطها بالجريمة المنظمة، وتجارة المخدرات والإرهاب كاتفاقيات التعاون في مجال الأمن والحدود، وإعادة المهاجرين في وضع غير قانوني. إلا أن أهم ما ميز هذه الاتفاقيات هي أنها ظلت محدودة نتيجة وجود مجموعة من العراقيل التي حدت من فعاليتها في ضمان حماية حقوق المهاجرين، الشيء الذي ينعكس على طبيعة الجهود المبذولة لتحقيق نوع من التعاون بخصوص تنظيم الهجرة وضمن حماية فعالة لحقوق المهاجرين. كغياب مبدأ المساواة في المعاملة، وضعف التنسيق التعاون بين الأطراف المعنية المغربية والأفريقية، إضافة إلى معالجة الملف بشكل انفرادي وهو الأمر الذي تمت محاولة تجاوزه في إطار العمل بشكل جماعي بتبني تشريعات.

وفي إطار اتفاقية الشراكة لسنة 1996، كنتاج لحوار عربي أوروبي من أجل تجاوز العلاقات الكلاسيكية بين الاتحاد الأوروبي ودول جنوب البحر الأبيض المتوسط، شراكة تعتمد على الاتحاد الأوروبي لم تكتف بطرح التعاون الاقتصادي فقط بل إن التعاون استهدف مختلف صيغة جديدة للتعاون تأخذ بعين الاعتبار التحولات الجيوستراتيجية التي شهدتها المنطقة. فدول المجالات السياسية والأمنية والاجتماعية والثقافية، حيث شكلت الهجرة وانتقال الأفراد أحد أهم مواضيع الجانب الاجتماعي في هذه الاتفاقية، إن هذه الشراكة كانت تخفي طموحات متباينة. فبالنسبة لدول الشمال، كان الهدف الرئيسي يكس في كيفية تطويق المخاطر الآتية من الجنوب كما هو الأمر بالنسبة للإرهاب والهجرة السرية، وتنامي الإسلام الراديكالي، بمعنى ان ما كان يشغلها هو الأبعاد الأمنية، وهي مقارنة لم يكن يحبذها الجنوب الذي كان يدافع عن مقارنة شمولية للمشكلات. فالهجرة مثلا لا يمكن مقاربتها دون التطرق إلى مسألة التنقل بين الضفتين، ورفع العوائق، أو على الأقل التخفيف منها لخلق حركية أوسع. فإذا كان الاتحاد الأوروبي في اتفاقية الشراكة قد ركز على الجوانب الأمنية على حساب الجانب الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والإنساني، فإن المغرب يركز بشكل أساسي على البعد التنموي لظاهرة الهجرة، ويبقى حل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. إطار مؤتمر برشلونة رهين بضرورة توحيد التصورات بين دول الاتحاد الأوروبي وإبعادها عن تضارب المصالح، ووجود سياسة تعاونية وليست إقصائية. لأن هذه الشراكة كانت محتاجة إلى نفس جديد.

وفي إطار البحث عن مقارنة شمولية بين دول الاستقبال ودول المصدر ودول العبور ثم التحضير لمؤتمر دولي حول الهجرة، يأخذ بعين الاعتبار تحقيق التنمية للدول الإفريقية التي تمثل مصدرا للأشخاص الراغبين في العبور للصفة الشمالية خاصة دول إفريقيا جنوب الصحراء. وإذا كان المؤتمر قد وضع إطارا مؤسساتيا للحوار حول الهجرة بين كافة الدول والمنظمات المعنية بالهجرة، فإن المقارنة الشمولية والمتوازنة التي تم الإعلان عنها في هذا المؤتمر، تستدعي الانخراط القوي للدول المعنية لضمان نجاح هذه المبادرات في إطار التعاون المشترك سواء تعلق الأمر بالشق المرتبط بتعزيز الهجرة القانونية ومحاربة الهجرة السرية أو الإسهام في تنمية حقيقية للبلدان المعنية (الإعلان النهائي للمؤتمر الإفريقي، 2008). وقد احتل موضوع التنمية السياسية والاقتصادية ومكافحة الفقر في الدول المصدرة للمهاجرين إطارا محوريا لمناقشة التحديات والمشكلات الناجمة عن الهجرة الدولية في كل من الدول المصدرة والمستقبلة، حيث اتفق المغرب والاتحاد الأوروبي على تعزيز آليات التعاون بين دول المصدر والعبور والاستقبال من خلال مواصلة الحوار بين

الطرفين، ودعم مسلسل تعزيز قدرات الأطراف المعنية بمحاربة الهجرة السرية، وتشجيع الهجرة القانونية وتحفيز مساهمة المهاجرين في التنمية.

II سؤال التنزيل الحماية الاجتماعية للمهاجرين

عمل المغرب على العديد من المستويات من أجل محاربة الهجرة السرية في معركة مفتوحة مع من يتاجر في البشر عبر آليات الادمج وفتح الطريق القانونية وتيسيرها. وفي هذا السياق فإن الهجرة والتنمية شكلان رهانا استراتيجيا سواء داخل القارة الإفريقية أو فيما بينها وبين الاتحاد الأوروبي. لذلك لا بد من تعزيز التفاعل بين حركات الهجرة والاستراتيجيات التنموية وفق المقاربة الأورو إفريقية التي تم اعتمادها بالرباط سنة 2006 (الإعلان النهائي للمؤتمر الإفريقي، 2008) لدعم جهود التنمية في الدول الإفريقية، كما تم تأكيد ذلك في المؤتمر الثاني في باريس 2008 من خلال تعزيز البعد التنموي في قضية تدبير الهجرات، وتوج المؤتمر الثالث بدارك سنة 2011 (المؤتمر الثالث بدارك، سنة 2011)، إلى اعتماد استراتيجية جديدة تحدد أولويات الحوار حول الهجرة بين البلدان الشريكة للفترة ما بين 2012-2014.

وقد عبر المغرب عن التزامه بالتعاون مع دول الجنوب، ويتجلى هذا الالتزام من خلال مواقف الملك محمد السادس الذي يدعو إلى تضامن فعال اتجاه إفريقيا جنوب الصحراء في إطار التعاون جنوب - جنوب. كما دعا خلال انعقاد الدورة 68 للجمعية العامة للأمم المتحدة في أكتوبر 2013 إلى إقامة " تحالف إفريقي للهجرة والتنمية "، الذي يشكل إطارا موحدًا يبحث مخاطر الهجرة غير الشرعية، وفرص الهجرة القانونية والتنمية المشتركة التي تعكس المسؤولية المشتركة بين أوروبا وإفريقيا في هذا المجال. وتجدر الإشارة، أن المغرب بدأ يعرف مؤخرا نوعا جديدا من المهاجرين بسبب تداعيات الأزمة الاقتصادية العالمية معظمهم من إسبانيا تم من فرنسا وبلدان أوروبية أخرى. وفي هذا الصدد عمل المغرب على ضرورة تسوية وضعيتهم من خلال القيام لدى السلطات المعنية بالإجراءات المتعلقة بإقامتهم والمهن التي يزاولونها، شأنهم في ذلك شأن المهاجرين القانونيين من جنسيات أخرى بمن فيهم مهاجري إفريقيا جنوب الصحراء.

ولعل السياسة المغربية الجديدة التي تم اعتمادها في شتبر 2013 تقوم على أساس احترام وحماية حقوق الإنسان والالتزامات الدولية للمملكة في مجال حماية وضمّان حقوق المهاجرين في إطار مقارنة إنسانية شمولية مسؤولة في احترام تام للجانب الحقوقي والإنساني. ولتأكيد هذا على أرض الواقع أطلق المغرب ما بين فاتح يناير وإلى غاية 31 دجنبر 2014 عملية استثنائية لتسوية وضعية الأجانب، والتي تندرج في إطار التوجيهات الملكية المتعلقة بالسياسة الجديدة للهجرة. وقد تم تسليم بطائق الإقامة للمستفيدين الأوائل من العملية الاستثنائية: لإدمج الأجانب المقيمين بالمغرب في وضعية غير قانونية في 14 فبراير 2014 و2016/2017 (للحجرة واللجوء، 2013).

ولذلك أصبح المغرب أول بلد يتناول موضوع الهجرة من عدة أبعاد، يحتل فيها البعد الإنساني المكانة الكبرى عن طريق التحكم العقلاني والمراجعة الجذرية لسياسة الهجرة، وتفعيل ووضع استراتيجية ومخطط عمل ملائمين والتنسيق في هذا الشأن مع المجلس الوطني لحقوق الإنسان على الصعيدين الجهوي والدولي، وباقي الفاعلين المعنيين بهدف بلورة سياسة شاملة متعددة الأبعاد لقضايا الهجرة، لما شأنه أن يوفر للمغرب قوة اقتراحية حقيقية في هذا المجال وتمكينه من القيام بدور ريادي في هذا الإطار، إذا كان الدستور المغربي لعام 2011 قد أرسى بكل وضوح المسار الحقوقي المتعلق بالعمال المهاجرين واللاجئين، فإن المبادرة المغربية المعلن عنها في " الأخير من سنة 2013 والداعية إلى نهج

سياسة جديدة في ميدان الهجرة واللجوء قائمة على مقاربة بديلة تجعل من منطلقها ومن أهدافها استحضار الأبعاد الحقوقية والإنسانية للتعاطي مع هذه القضايا، تأخذ كل قيمتها وأهميتها. إن معالجة هذه القضية لا ينبغي أن تحرم المغرب كبذل ذي سيادة من حقه في استعمال امكانياته لفرض احترام سيادته على أراضيهم، ولا يمكن بأي شكل من الأشكال التفاوض حول استقلالية القرار السياسي المغربي.

إن انخراط المغرب الذي له مصالحه الخاصة في إفريقيا في سياسة شاملة لمن شأنه تمكينه من تحقيق التوازن بين هذه المصالح المتشعبة. وفي هذا الإطار لا ينبغي للضغوطات الأوروبية أن تؤدي إلى المساس بالسياسة المغربية في إفريقيا، كما أن انعدام الصرامة لدى بعض الدول لا يجب أن يضر بالعلاقات بين المغرب وأوروبا. وهو ما يؤكد ضرورة معالجة مشكل الهجرة غير القانونية على الصعيد الإقليمي، حيث يتعين على كل بلد أن يتحمل مسؤولياته في هذا المجال. فالمغرب لا يمكن له ألا ينتبه إلى أن هذا المشكل الذي قد يشكل قيمة مضافة بالنسبة للسياسة الخارجية للدولة الجزائرية، التي تسعى جاهدة إلى افتعال مشاكل للمغرب مع أصدقائه الأفارقة التقليديين والدافع إلى ذلك هي مسألة الصحراء المغربية.

1. آثار تزييل الحماية الاجتماعية للمهاجرين.

بالنظر إلى ما توليه حكومات الدول في كل قارات العالم، وعدد الاجتماعات والمؤتمرات والاتفاقيات الدولية المبرمة، يتأكد بما لا يدعوا إلى الشك حجم الانعكاسات السلبية الناجمة عن هذه الظاهرة الاجتماعية على المجتمع، على كل المستويات الأمنية، السياسية، الاقتصادية والاجتماعية وحتى الصحية، الظاهرة التي زادت في الانتشار بعد رفض الدول الأوروبية الوجهة المفضلة، الدخول القانوني للراغبين في الهجرة إليها من أغلب الدول وعلى رأسها الإفريقية، ما أنعش تجارة الأوهام كما يسميها البعض، التي اختصت فيها شبكات إجرامية أفرزتها هذه الوضعية، حيث يدفع المرشح للهجرة مئات وحتى الآلاف الدولارات في رحلة لا يعلم مسارها ولا حتى نهايتها، وقد أضيفت إلى عالم وظيفة تهريب الراغبين في الهجرة بأسعار معتبرة، جرائم أخرى كالسرقة وكل جريمة يمكن أن توفر مالا للهجرة، والمهاجرين الذين يصلون إلى الضفة الأخرى، يجدون في انتظارهم مشاكل أخرى لعل أهمها الاستغلال السيئ لهم، واستعمالهم في مهن غير مناسبة هي الأقرب ما تكون إلى العبودية.

إن وصول عدد كبير من المهاجرين إلى المغرب خلق مشكلة بطالة في الدولة المستقبلية، وهو ما يفتح الباب لاقتحام مجال الاجرام للمهاجرين بكل أنواعه، بعد أن يقعوا في أيدي العصابات التي تصطادهم وتستغل سواء النساء في الجنس، وحتى القصر إن نجوا من عمليات بيع مباشرة فإنهم سيقعون لا محالة في أيدي عصابات الإجرام التي توظفهم في ترويج المخدرات خاصة باتجاه الجهة الشرقية لأن خوف المهاجرين الغير النظاميين أو المهاجرين الذين ينتظرون مآل إعادة تسوية وضعيتهم أو تسويتها من الموت جوعا أو بردا وكذا العودة خالي الوفاض إلى أوطانهم يجعلهم يرتمون في أحضان الجرائم وعصاباتة بكل نشاطاتها.

أ. آثار الهجرة النظامية بالسياسات المغربية.

يساهم الاندماج الناجح للمهاجرين في المجتمعات المضيفة وإعادة إدماجهم في مجتمعاتهم المحلية في تحقيق الاستقرار الاجتماعي والتماسك، والاحترام المتبادل والقبول الثقافي. ويتطلب الاندماج حصول المهاجرين النظاميين على الخدمات الاجتماعية الأساسية، مثل التعليم والصحة والعمل. وقد تتطلب إعادة إدماج المواطنين العائدين أيضا اتخاذ تدابير خاصة لضمان نجاح إعادة إدماجهم في مجتمعاتهم المحلية.

إذ أن موقع المغرب يؤهله لأن يكون على الدوام منطقة عبور المهاجرين المنحدرين من إفريقيا جنوب الصحراء الراغبين في الوصول إلى أوروبا، رغم ما عكسته بعض التقارير الصادرة سواء من المؤسسات الرسمية أو من المنظمات الحقوقية من واقع صعب للمهاجرين المنحدرين من إفريقيا جنوب الصحراء بالمغرب من جراء التعامل غير الإنساني معهم، الأمر الذي يدعو إلى حث السلطات المغربية على مزيد من الجهد الرامي إلى ضمان حماية حقوق هؤلاء المهاجرين.

ولطالما كان المغرب بلد عبور للمهاجرين، وقد وقع وصادق على العديد من الاتفاقيات والاتفاقات الثنائية بهدف حماية مصالح رعاياه في الخارج. وعلاوة على ذلك، فإن الفصل 31 من الدستور المغربي يتضمن قائمة من الحقوق الاقتصادية والاجتماعية التي تكفلها الدولة، إلا أنه يحصرها في بالمواطنين المغاربة، الأمر الذي دعا إلى إصدار تقرير للمجلس الوطني لحقوق الإنسان، رصد فيه واقع حقوق الإنسان بالمغرب ومن بينها تلك الآراء والتوصيات المرفوعة للملك محمد السادس، كما قدم المجلس تقريراً حول وضعية المهاجرين واللاجئين بالمغرب (تقرير، 2013)، والتي كشفت عن مجموع من التجاوزات على مستوى الحقوق والأمني المتعلقة بسلامة المهاجرين الغير النظاميين أو النظاميين.

وبعد تحول المغرب إلى بلد مستقبل للمهاجرين، وذلك دون الحرص على تطبيق الحقوق المنصوص عليها في المعاهدات المصادقة عليها، ما شكل قصورا في احترام حقوق الأجانب على أرضيه. كما يظهر أوجه القصور الهامة في القانون والممارسة العلمية، والتي يتم التعويض عنها على نحو منقوص جدا من خلال عمل الجمعيات.

وفي صميم الحديث عن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية للمهاجرين خصوصا النظاميين الذين تم تسوية أوضاعهم في الاستراتيجية المغربية للنهوض بأوضاع المهاجرين خاصة المنحدرين من إفريقيا جنوب الصحراء، يستوجب التطرق إلى آثار هذه الاستراتيجية على المستوى الحقوقي، إن على مستوى الحق في العمل أو فيما يتعلق بالحق في الصحة.

ب. آثار إدماج المهاجرين

بعد محاولات ومجهودات عديدة بذلت من أجل تحسين مركز الأجنبي بتنظيمه على نطاق دولي بدءا من عصبة الأمم (مصطفى، 2003-2004)، وما تلاها من معاهدات دولية في هذا الصدد (الوكيل، 1959)، أصبح الاعتراف للأجنبي بالشخصية القانونية بعد الاعتراف له بالشخصية الإنسانية، التزاما يفرضه القانون الدولي العام على أعضاء الجماعة الدولية بإجماع الفقهاء (التزام)، وأصبح التزاما مسلما به في كافة الانظمة الوضعية والاعتراف للأجنبي بالشخصية القانونية، باعتباره التزاما على الدولة يفرضه القانون الدولي العام، ويستوجب التزام الدولة بأن تكفل له احترام هذه الشخصية وعدم العدوان عليها.

كما يستوجب التزامها بأن تعترف له بالتمتع بالحقوق التي تعتبر مقومات لهذه الشخصية. وبعبارة أخرى، يتوجب على الدولة أن تعترف للأجانب بقدر من الحقوق التي لا تستقيم حياتهم بدونها، وهو ما يعرف بمبدأ: الحد الأدنى (سلطان، سنة 1962) من الحقوق للأجنبي، وهو التزام يفرضه العرف الدولي. ويستند إلى ما ورد بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في 10 ديسمبر 1948. وهذا المبدأ في معاملة الأجانب أجمع الفقه في التسليم به، وأكدته أحكام القضاء الدولي، وورد الاعتراف به في الاتفاقيات والمعاهدات الدولية (الوكيل، 1959).

وبالإضافة الى الحد الأدنى كقيد على حرية الدولة في تحديد حقوق الاجانب هناك قيودا آخر أساسه المعاهدات الدولية، حيث تلتزم الدولة وهي بصدد تحديد مركز الأجانب بتلك المعاهدات المتعلقة بهذا الشأن متى كانت قد انضمت إليها. (مسلم، 1952)

يشكل ضمان الحماية الفعالة لحقوق الإنسان للمهاجرين عنصرا أساسيا من عناصر نُظْم الادارة الشاملة والمتوازنة للهجرة. ومن الناحية التاريخية، كثيرا ما يُحرم المهاجرون من حقوقهم ويتعرضون لإجراءات وسياسات تمييزية وعنصرية بما في ذلك كراهية الأجانب والاستغلال والطرده الجماعي والاضطهاد وسوء المعاملة. وتنطوي صون حقوق الإنسان للمهاجرين على التطبيق الفعال للقواعد المكرسة في صكوك حقوق الإنسان ذات التطبيق العام، فضلا عن التصديق على الصكوك ذات الصلة تحديدا بمعاملة المهاجرين وإنفاذها.

بعد التوصيات الذي جاءت في تقرير المجلس الوطني لحقوق الإنسان، عقد الملك محمد السادس جلسة عمل، خصصت لتدارس مختلف الجوانب المرتبطة بإشكالية الهجرة على ضوء التقرير (تقرير المجلس الوطني لحقوق الإنسان، 2013).

تغيرت معالم التعامل مع ملف الهجرة والمهاجرين، حيث أصبحت تعطي السياسات والاستراتيجيات في هذا المجال الأولوية للجانب الحقوقي بمدلوله الإنساني، خصوصا بعد استراتيجية الادماج لسنتين 2013-2016، إذ تم إدماج ما يزيد عن 27332 في المرحلة الأولى، وذلك حسب تصريح صحفي لوزير الداخلية سنة 2015 رقم 17916، فيما تم تسوية وضع 21 ألف مهاجر بالمرحلة الثانية.



من هنا، تمكن المهاجرين الذين أصبحوا نظاميين من بطائق الإقامة ومجموعة من الحقوق وإصدار قوانين متعلقة بهم. من قبيل، قانون الانتخابات، تفعيلاً لمقتضيات مقتضيات الفصل 30 من الدستور الذي يضمن منح الأجانب المقيمين بالمغرب إمكانية المشاركة في الانتخابات المحلية، بالإضافة إلى النظر في إمكانية منحهم حق ولوج المناصب الإدارية ومناسب التسيير بالنقابات المهنية التي ينضون تحتها، علاوة على تمكينهم من الضمان الصحي الإجباري CNSS، كما تم إعداد مدارس تعليمية خاصة ومراكز تعليم اللغة العربية والدرجة المغربية. إلا أنه من الشواغل المتزايدة للدول ازدياد التمييز وكرهية الأجانب ضد المهاجرين. ويخلق التمييز ضد المهاجرين توترات اجتماعية؛ ويُعوق نجاح إدماج المهاجرين في المجتمعات المضيفة؛ ويحول دون أعمال حقوق الإنسان للمهاجرين. ومن ثم فإن مكافحة العنصرية وكرهية الأجانب عنصر أساسي في سياسة وطنية شاملة للهجرة.

كما أثيرت في الآونة الأخيرة الروابط بين الهجرة والشواغل الصحية في الخطاب الدولي بشأن الهجرة، ولا سيما في سياق انتشار الأمراض السارية مثل، إنفلونزا الطيور الجائحة، فيروس نقص المناعة البشرية الإيدز، السل والإيبولا وآخرها فيروس كورونا. والمهاجرون معرضون بشكل خاص للمخاطر الصحية بسبب ظروفهم المعرضة للخطر، بما في ذلك تقييد وصولهم إلى الخدمات الصحية، سواء أثناء فترات التنقل أو بعدها. ونظراً للطبيعة المعقدة للعلاقة بين الهجرة والصحة، فإن وضع استراتيجيات شاملة تعالج المسائل الصحية سيتطلب بالضرورة مزيداً من البحث بشأن

المشاكل الصحية الأساسية وأوجه الضعف لدى السكان المهاجرين، واعتبارات الحصول على الخدمات الصحية الأساسية واستحقاقها.

2. الحماية الاجتماعية للمهاجرين النظاميين في زمن الوباء.

الجدير بالذكر أن كراهية الأجانب تقوم اصلا بتهميش مجتمعات المهاجرين الضعيفة وتؤدي إلى تفاقم الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي يمكن أن تُسهم في استبعاد المهاجرين من الحصول على الخدمات الصحية، مما قد يؤدي إلى تفاقم انتشار الأمراض المعدية في كل من المجتمعات المُرسلة والمجتمعات المُضيفة للهجرة، وتهميش الحقوقي للمهاجرين(1) خاصة على المستوى الصحي (2).

وانسجاما مع التحولات التي عرفها المغرب خلال العقود الأخيرة، عند تحوله إلى بلد استقبال واستقرار (رأي) للآلاف من مهاجرين القادمين من مختلف الواجهات والأوربية، في ظل سياق دولي وإقليمي جديد طارد، يتسم بانعدام الاستقرار السياسي والأمني والاقتصادي، فقد تمت دسترة حقوق الأجانب في الوثيقة الدستورية لسنة 2011 (أولا)، كما تفاعل المغرب بشكل إيجابي مع هذه المتغيرات باعتماد سياسة جديدة للهجرة واللجوء سنة 2014، كسياسة ذات بعد انساني وحقوقي، تفعيلًا لالتزاماته الدولية، وتنزيلا لمقتضيات دستور سنة 2011 (ثانيا).

أ. الحقوق الاجتماعية للمهاجرين في الدستور المغربي لسنة 2011

لقد تعزز التزام المغرب بالمعايير الدولية لحقوق الإنسان، بالتكريس الدستوري لحمايتها من خلال ما تضمنه الدستور الجديد لسنة 2011، من أسس ومبادئ وضمائنات لحماية حقوق الإنسان، انطلاقا مما ورد في ديباجته من تشبث المملكة المغربية بحقوق الإنسان كما هي متعارف عليها عالميا، والتزامه بما تفتضيه المواثيق الدولية من مبادئ وحقوق وواجبات، وبحماية منظومتي حقوق الإنسان والنهوض بها، والإسهام في تطويرها، مع مراعاة الطابع الكوني لتلك الحقوق وعدم قابليتها للتجزئة، والتنصيب على سمو الاتفاقيات الدولية المصادق عليها من طرف المملكة، على

الشكل 1: ادماج المهاجرين



التشريعات الوطنية فور نشرها، وعلى ضرورة ملائمة هذه التشريعات مع متطلبات تلك المصادقة وفي هذا الصدد، فقد تضمن الدستور المغربي لسنة 2011، بابا خاصا للحريات والحقوق الأساسية، شمل 21 فصلا. وإذا كانت هذه الحقوق تتعلق بالأجيال الثلاثة لحقوق الإنسان، فإنه سيتم التركيز والخوض في الحقوق الاجتماعية الأساسية، ومنها:

- **الحق في الشغل:** وهو حق أشار إليه الدستور المغربي في الفصل 31 منه، حينما نص على هذا الحق الدستوري المنصوص عليه في جل الوثائق الدولية لحقوق الإنسان لا يقتصر على المواطنين فقط، بل يشمل العمال الأجانب، فقد خصص قانون الشغل المغربي في الفصل الخامس والسادس منه، إجراءات تشغيل الأجانب، وذلك بوضعه لقواعد أمره من خلال المواد 516 إلى المادة 521، حيث أُلزم المشرع كل مشغل يرغب في تشغيل أجير عن طريق عقد الشغل،

وأضافت المادة 517 من هذا القانون، الزامية مطابقة عقد الشغل أن يحصل على ترخيص من قبل السلطات الحكومية المكلفة بالشغل على شكل تأشيرة الأجانب بالنموذج 24 الذي تحدده هذه السلطة.

- **الحق في السكن:** وهو حق يضمنه دستور المغرب لسنة 2011 صراحة ولأول مرة في الفصل 31 منه، حيث نص على أن: " السكن اللائق " يدخل ضمن الحقوق التي تعمل الدولة استفادة المواطنين والمواطنين على قدم المساواة منها. والمؤسسات العمومية والجماعات الترابية على تعبئة كل الوسائل المتاحة، لتيسير أسبابه.

- **الحق في التعليم:** وهو حق أقره الدستور المغربي لسنة 2011 في فصله 31، حينما أكد بأن تعمل الدولة والمؤسسات العمومية والجماعات الترابية على تعبئة كل الوسائل المتاحة، لتيسير استفادة المواطنين والمواطنين على قدم المساواة من الحق في الحصول على تعليم عصري وذو جودة (الفقرة 03)، وعلى التكوين المهني والاستفادة من التربية البدنية والفنية (الفقرة 04). أيضا، أكدت الفقرة الرابعة من الفصل 32 من الدستور، على أن: التعليم الأساسي حق للطفل وواجب على الأسرة والدولة. وحيث إن الواضح من خلال هذا التععيد الدستوري والذي يندرج ضمن باب الحريات والحقوق الأساسية، ومن ذلك الحق في التعليم، أن التزام الدولة بشأن الحقوق المضمنة به، وهو التزام ببدل عناية، أي أن تعمل على تسخير جميع الوسائل والإمكانات المتاحة لها لضمانها ولتحقيقها للمواطن.

- **الحق في الصحة:** نص عليه دستور 2011 في الفصل 31، الذي أقر على أن تعمل الدولة والمؤسسات العمومية والجماعات الترابية على تعبئة كل الوسائل المتاحة لتيسير استفادة المواطنين والمواطنين على قدم المساواة من الحق في العلاج والعناية الصحية (الدستور المغربي السنة 2011).

ب. الحماية الصحية للمهاجرين الأفارقة بالمغرب.

منذ أن ظهر فيروس كورونا المستجد، والعالم منشغل بسبل الكشف عنه والعمل على الحد من انتشاره ومحاصرته. وقد اختلف سعي الدول إلى ذلك من حيث توقيت وطبيعة التدابير والإجراءات التي تم اتخاذها، ومن حيث درجة الصرامة في تنزيلها وعلى غرار باقي دول العالم، فقد عمل المغرب وتشكل استباقي على اتخاذ مجموعة من التدابير الوقائية لمواجهة الجائحة قبل نقشها، وهكذا عمدت السلطات المغربية إلى تقييد حركة المواطنين كتكتيك ومدخل المحاصرة الفيروس والسيطرة عليه، وقد نال ذلك إشادة من طرف المنتظم الدولي، خصوصا من طرف الدول التي تفشى فيها الوباء مخلفا ضحايا بالآلاف ولعل هذا الإجراء ذاته هو الذي لجأت إليه مختلف الدول إبان وباء إنفلونزا الخنازير التي خلف رغم ما تم اعتماده من تدابير عزل وتباعد اجتماعي ما يقارب 575 ألف شخص وفق دراسة نشرت سنة 2012 (سليمان، 25 مارس 2020) ما يدعو إلى مزيد من الدراسة والتعمق في البحث لفهم الأسباب وراء تلك الأرقام المهولة.

وبالحديث عن الحجر الصحي والتباعد الاجتماعي واللذان يرتبطان أساسا بتقييد مجموعة من الحقوق والحريات الفردية، فإن التوفيق بين تنزيلهما كتدابير وقائية من المساس بالحقوق الأساسية في حياة المواطنين، خصوصا حقوق أولئك الذين هم في وضع خاص أو هشاشة، يمثل تحديا غير هين أمام السلطات المغربية حتى قبل تخاد القرار بشأن اعتمادهما من عدمه. ولأن سرعان الحقوق في الحالات العادية ليس هو نفسه في حالة الطوارئ الصحية فنحن لسنا هنا بصدد التأسيس الفكري على الحقوق في الزمن العادي للمطارحة الفكرية في زمن الوباء. وفي ظل غياب سند دستوري صريح وواضح لمثل هذه الوضعية الوبائية، رغم ما قد يفهم من مقتضيات الفصل 21 و24 و81 من الدستور المغربي، من التزام الدولة بضمان الحقوق والأمن وإمكانية اتخاذ قرارات خاصة، إلا أن ذلك مرتبط أساسا بالحالات العادية، ما

يفسر خصوصية الإجراءات التي اتخذتها وتتخذها الحكومة المغربية في ظل الوباء بالموازاة مع تطوراتها، وعليه فقد عمدت السلطات المغربية في ظل غياب نص صريح يؤسس لمثل هذا الوضع الوبائي إلى حل قانوني صرف، يخول للحكومة إمكانية تدبير الأزمة بما تراه مناسباً.

وبموجبه، تم إقرار حالة الطوارئ الصحية (2.20.292) رجل التراب الوطني لمواجهة الجائحة، والإعلان عنها في مختلف وسائل الاعلام والتواصل مع المواطنين (2.20.293).

تجدر الإشارة إلى أن تداعيات التدابير المتخذة جراء هذا الوباء لا تنحصر فقد عبر هو قانوني أو اقتصادي، أو في عدد الضحايا في الأرواح، إذ أن له تداعيات تمس جمع مناحي الحياة اليومية، سواء اتعلق الأمر بأنشطة الأفراد اليومية وبأدق التفاصيل علاقتهم بذواتهم، أو تعلق الأمر بالدولة ككل، وبالسير اليومي لعمل مؤسساته، وتدبيرها لمختلف الملفات الوطنية الكبرى خصوصاً عند الأزمات كالتعليم والصحة والأمن والهجرة.

لعل قرار غلق الحدود البرية والبحرية والجوية من وإلى التراب الوطني أمام كل الرحلات، قرار سيادي لا يخلو من تداعيات، إن كان على المستوى السياسي والدبلوماسي أو الاقتصادي الاجتماعي أو الإنساني الحقوقي ... مما يفرض على السلطات المغربية ولم هاته اتخاذ جملة من التدابير والاجراءات الموازية لمثل نفس القرار، سيما وأن الأمرين بتقويض الحركة مصدر عيش الغالبية الساحقة، وفرض الحجر الصحي الذي يستلزم متطلبات عدة فضلاً عن انضباط معين وسلوكيات خاصة من طرف المواطنين.

ومن هنا ينطلق سؤالنا أولاً حول آليات التعامل المتاحة مع المهاجرين الغير شرعي المتواجدين في حل التراب الوطني من طالبي اللجوء السياسي والأفارقة جنوب صحرا على وجه الخصوص، وثانياً عن كيفية الاستجابة لنداءات العودة وغيرها من المطالب المدير عنها من طرف مغاربة العالم العالقين هنا وفي بلدان المهجر وبالأخص من هم منهم في وضعها غير قانونية؟

عرف المغرب في العقدين الأخيرين تحولات كثيرة فيما يتعلق بملف الهجرة وتدمر فمّن بلد طارد للمجرة وبلد عبور أصبح المغرب بلد استقبال بشكل ملحوظ في الآونة الآخرة. ومنه فقد أصبح أمام وضع يحتم عليه العمل على الالتزام بما صادق عليه من اتفاقيات دولية في ذات الصدد كما أصبح لزاماً عليه من تشريعات وسياسات جديدة تتناسب ووضع الهجرة الجديد.

في نفس السياق، فقد أحدث المغرب مجموعة من المؤسسات التي تعنى بالهجرة وقضاياها وأصبحنا نتحدث في الآونة الأخيرة -تقريباً منذ 2003- عن سياسة هجرة مبنية على مقاربة إنسانية، تستحضر البعد الأخلاقي في تعامل مع قضايا الهجرة والمهاجرين وكذا احترام حقوق الانسان والمواثيق الدولية ذات الصلة، سبق وصادق عليها المغرب إسوة بغالبية الدول. سياسة تتماهى حسب السلطات المغربية -في عمقها وانفتاح المغرب على دول افريقيا في إطار التعاون جنوب-جنوب، خصوصاً بعد عودته إلى المنتظم الأفريقي، وكذلك تم وضع ما يسمى بالاستراتيجية الوطنية للهجرة واللجوء بالإضافة SNIA إلى الاستراتيجية الوطنية الموجهة لمغاربة العالم SNDMRE كما تم سن مجموعة من القوانين الخاصة بوضعية الأفارقة جنوبي الصحراء أهمها قانون 03/02، فضلاً عن عقد مجموعة من اللقاءات والمؤتمرات والدورات الدراسية على المستوى المركزي والوطني للتداول وتتبع مستجدات هذا الملف.

إن أهميه هذه المعطيات يجعل من أي خلل في تدبير ملف المهاجرين الغير شرعيين من أفريقيا جنوب الصحراء، واحداً من تداعيات القرارات المتحدة ارتباطاً بالحالة الوبائية التي يبر منها البلد ، ما يدعو السلطات المغربية إلى ضرورة التفكير مستقبلاً في سن قوانين وتشريعات، تبعاً للمساطر الجاري بها العمل في التشريع صوناً للديموقراطية ودرءاً لانفراد

الأجهزة التنفيذية بالتشريع في الظروف الاستثنائية، من شأنها إسعاف الحكومة في تدبير هذا الباب من ملف الهجرة، وتسهيل عمل المنظمات الغير حكومية المتدخلة فيه وفق ما يسمح به القانون لتقديم مساعداتها وأداء وظيفتها الإنسانية على أحسن وجه.

وتجدر الإشارة إلى أن التدخل في مجال اشتغال هذه الأخيرة قد ينقلب سلبا على أوضاع المهاجرين خصوصا السريين منهم. ويعتبر التضييق على هذه المنظمات والأفراد سببا في تأزم أوضاع المهاجرين الغير شرعيين الصحية والنفسية والاقتصادية، وتعمق معاناتهم على مختلف الأصعدة كما هو حاصل في المجر مثلا، حيث يمنع عن الافراد والمنظمات من المساعدة لأي مهاجر سري في كل حدود البلد وفقا لتشريع سنته الحكومة الهنغارية سنة 2018. (فوريجر، 2018.)

لقد تمظهرت الرعاية الصحية للدولة مع انتشار فيروس كورونا كوفيد 19، حين تكلفت وزارة الصحة بعلاج المصابين والمخالطين لهم، حيث استفاد المهاجرين المصابين والمخالطين لهم من الاستشفاء والرعاية الصحية (486.11، صادر في 23 من رجب 1437/06 يوليوز 2010) (7 مارس 2011) على غرار باقي المواطنين المغاربة الصحية استفاد المهاجرين وأبنائهم من المجانية التي تقدمها مختلف المرافق الصحية العمومية في ظل حالة الطوارئ الصحية.

خاتمة:

صفوة القول، فالحماية الاجتماعية للفئة الهشة من المهاجرين الوافدين تعد مسألة ضرورية لتحقيق الاندماج داخل المجتمع المغربي كأحد الرهانات الأساسية للاستراتيجية الوطنية للهجرة واللجوء، لذلك، يبقى من الضروري تدخل الحكومة والسلطات العمومية لضمان استفادة المواطنين والمواطنات الأجانب من الرعاية الاجتماعية للدولة في ظل حالة الطوارئ الصحية، سواء بتمكينهم منولوج إلى برامج الدعم الاجتماعي التي وضعتها الحكومة لمساعدة الفئات الهشة من المواطنين المتضررين من هذه الأزمة غير المسبوقة، ومن أجل تأمين الاستقرار المعيشي والاجتماعي لهذه الفئة الهشة من المهاجري.

وأیضا في إطار تعزيز حقوق المهاجرين الوافدين ومكافحة كل أشكال الميز بين المواطنين والأجانب، أو من خلال منع طردهم من منازلهم بشكل غير قانوني عبر إصدار قوانين تعليق آجال تسديد الوسمة الكرائية أو تمديدتها، حتى لا ينعكس ذلك سلبا على حقوقهم الأساسية، وبغية الحفاظ على الصحة العامة لهؤلاء المهاجرين بالمغرب ليتسنى للمغرب الوفاء بالتزاماته الدولية تجاه المهاجرين وتنزيلا لمقتضيات دستور المملكة لسنة 2011 وضمان استمراريته في تفعيل الخطط والبرامج الاستراتيجية للهجرة.

توصيات:

- (i) تشجيع اندماج أطفال المهاجرين على المدى الطويل من خلال تزويدهم بالتعليم والتدريب والفرص الاقتصادية على قدم المساواة مع المواطنين، وتيسير تجنيسهم وتعزيز سياسات لم تشمل الأسر على النحو الموصي به في المادة 10 من اتفاقية حقوق الطفل والصكوك الدولية الأخرى ذات الصلة المعترف بها عالمياً لحقوق الإنسان.
- (ii) تنفيذ تدابير لاندماج العمال المهاجرين وإعادة إدماجهم من أجل تشجيع القبول الثقافي والاجتماعي المتبادل، وضمان احترام حقوق المهاجرين وأفراد أسرهم وحمايتهم.
- (iii) التأكد من أن سياسات الاندماج وإعادة الإدماج تراعي الفوارق بين الجنسين وتستوعب العائدات من النساء المهاجرات وأطفالهن وأزواجهن.
- (iv) تقديم خدمات اجتماعية واقتصادية ونفسية وقانونية وتوجيهية شاملة للنساء والفتيات العائدات قبل، وأثناء وبعد عملية العودة، بهدف تيسير إعادة إدماجهن. توفير إمكانية الوصول إلى آليات تقديم الشكاوى/ الإبلاغ التي تحمي المرأة من الأعمال الانتقامية، وتحديد ومعالجة الإكراه والتعسف، وضمان إعادة الإدماج الآمن والمستدام، بما في ذلك خدمات الاعتراف بمهارات واختصاصات النساء العائدات والتصديق عليها.
- (v) تعزيز السياسات والأطر القانونية الوطنية لضمان حماية حقوق المهاجرين من خلال إدراج الصكوك القانونية الرئيسية المتعلقة بحقوق المهاجرين وحقوق الإنسان، بما في ذلك الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، والاتفاقية الدولية لعام 1990 الخاصة بحماية حقوق جميع العمال المهاجرين وأفراد أسرهم، واتفاقية حقوق الطفل، واتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، واتفاقية مناهضة التعذيب، واتفاقيتي منظمة العمل الدولية 97 و 143، والاتفاقيات الإقليمية ذات الصلة بما في ذلك الميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب.
- (vi) ضمان معاملة المهاجرين الذين تحتجزهم السلطات العامة معاملة إنسانية ونزيهة بصرف النظر عن وضعهم كمهاجرين أو جنسيتهم أو جنسهم أو أصلهم الإثني أو عرقهم أو غير ذلك، وإتاحة لهم جميع أشكال الحماية القانونية الواجبة التطبيق، بما في ذلك عند الاقتضاء، خدمات الترجمة الشفوية المؤهلة والمراعية للمنظور الجنساني، والوصول إلى قنصلياتهم، والحماية من الاحتجاز التعسفي، وفقاً للقانون الدولي والقواعد والمعايير.
- (vii) إنهاء احتجاز الأطفال المهاجرين وأسرتهم لأسباب تتعلق بوضعهم كمهاجرين، وإقامة بدائل للاحتجاز تكون في صالح الطفل على أفضل وجه.
- (viii) وضع معايير لمعاملة القُصّر غير المصحوبين والمنفصلين عن ذويهم.
- (ix) تنفيذ بروتوكول الميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب بشأن حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة في أفريقيا وضمان حماية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة، بما في ذلك الأشخاص الذين يعانون من إعاقات ذهنية.
- (x) ضمان وصول جميع المهاجرين إلى المحاكم، والمحامين، والنظام القضائي، والهيئات الحكومية ذات الصلة، بما في ذلك فرصة الطعن في إجراءات الإعادة إلى الوطن/ الطرد بطريقة تتفق مع القانون الدولي والمعايير والقواعد. وتشمل السياسات الإنسانية العودة غير القسرية للمهاجر أو أسرته إلى دولته الأصلية بسبب المرض أو الإصابة التي لحقت به بعد دخوله.

(xi) تهيئة بيئة مواتية لاستيفاء حقوق المهاجرين، بما في ذلك السماح للمهاجرين بالدفاع عن حقوقهم من خلال تكوين جمعيات للمهاجرين.

(xii) تزويد المهاجرين بدعم إداري كافٍ وحُر فيما يتعلق بالخدمات الحكومية والقوانين الوطنية، بلغة يفهمونها.

(xiii) تزويد جميع المهاجرين بإمكانية الحصول على الرعاية الصحية الأساسية، بما في ذلك الصحة الإنجابية، ومضادات الفيروسات لمكافحة فيروس نقص المناعة البشرية، والأدوية المتعلقة بالأمراض غير المزمنة وغيرها من الخدمات.

(xiv) توسيع مسارات الدخول القانوني، سواء بالنسبة للمهاجرين الفارين من حالات الأزمات أو أولئك الذين يسعون إلى العمل في الخارج، فضلا عن ضمان حصول المهاجرين المحتملين على معلومات كافية، ومفهومة ومراعية للاعتبارات الجنسانية عن الفرص المتاحة لهم واللوائح المنظمة للهجرة النظامية.

(xv) معالجة الأسباب الجذرية التي تدفع الناس إلى مغادرة بلدانهم.

(xvi) تطوير حلول مجتمعية وفرص كسب العيش لمنع الشباب من الوقوع فريسة للمهرين وزيادة الوعي حول التجارب الحقيقية للمهاجرين أثناء رحلتهم وعند وصولهم إلى وجهتهم.

(xvii) تقييم أثر الهجرة على المجتمعات المحلية التي تم التغاضي عنها ووضع تدخلات إنمائية ملائمة ومراعية للمنظور الجنساني، حيث أن بعض المجتمعات المحلية ملتزمة ببيع أصولها، وربما تتعرض للفقر، من أجل دفع مبالغ ضخمة للمُهْرَبِينَ الذين يهددون بإيذاء أفراد أسرهم المُهْرَبِينَ، بينما بالإضافة إلى ذلك يتم فقدان السكان العاملين. وقد تُسبب هذه العوامل مزيدا من الهجرة غير النظامية.

(xviii) القيام بحملات إعلامية لتزويد وسائل الاعلام بمعلومات دقيقة وموضوعية ومتوازنة عن تهريب المهاجرين.

(xix) تنظيم حملات إعلامية عامة تشمل، على سبيل المثال، المدارس ووسائل الإعلام والشبكات الاجتماعية، من أجل زيادة الوعي بالآثار السلبية لتهريب المهاجرين، ولتحذير الأشخاص المعرضين للتهريب، ولا سيما الشباب وأسرهم، بشأن الأخطار التي ينطوي عليها ذلك.

(xx) تعزيز قواعد المعرفة من خلال تعزيز البحوث وجمع البيانات الرامية إلى تحسين تحليل طبيعة ومدى تهريب المهاجرين على طول الطرق المختلفة، وهيكلية وأصول الشبكات الإجرامية والروابط مع الأشكال الأخرى من الجريمة المنظمة، الفساد والإرهاب.

ملحق:

1/ ينص قانون حقوق الإنسان على أن جميع حقوق الإنسان هي حقوق غير قابلة للتصرف، وهي حقوق عالمية، ومترابطة وغير قابلة للتجزئة. حيث تفرض تعهدات ملزمة على الحكومات، بما في ذلك وبصورة خاصة، في أوقات الطوارئ، فهي تنطبق على الجميع دون تمييز وهي غير قابلة للتجزئة: لا يمكن التضحية بمجموعة واحدة من الحقوق لصالح مجموعة حقوق أخرى.

2/ بينما يسمح قانون حقوق الإنسان بتقييد أو انتقاص بعض الحقوق لأغراض مشروعة، مثل حماية الصحة العامة، هناك حدود صارمة على متى وكيف وإلى أي مدى قد يتم تقييد تلك الحقوق. يجب أن يرنو أي تقييد إلى تحقيق هدف مشروع ويجب أن يكون التقييد متناسبا مع هذا الهدف وضروريا (فعلا ومستنيرا بالأدلة) ومحدودا زمنيا وغير تعسفي (غير تمييزي) ووفقا للقانون.

3/ تعد المشاركة مبدأ أساسيا لحقوق الإنسان. يجب أن تسمح جميع السياسات والإجراءات الحكومية بالمشاركة المباشرة والهادفة للمجتمعات (خاصة المتضررين والأكثر عرضة)، مما يفترض بل ويستلزم الشفافية في المعلومات وصنع القرار. عندها فقط سترتكز الاستجابة على حقائق واحتياجات جميع الناس، وتجنب الانتهاكات غير المقصودة لحقوق الإنسان، وبناء الثقة بين المجتمعات والحكومة وتصبح الاستجابة أكثر فعالية تعد المجتمعات أيضا مصدرا للقوة ودورها في الاستجابة هو دور حاسم، حيث يساعد الناس بعضهم البعض في التماس الرعاية والعزل الذاتي والحصول على الأدوية عند الحاجة ولرعاية أسر بعضهم البعض.

4/ المساواة وعدم التمييز، يجب على الحكومات الامتناع عن التصرف بطريقة تسبب تمييزا بشكل مباشر أو غير مباشر ضد الأفراد أو الجماعات، بما في ذلك تجنب العواقب غير المقصودة للسياسات والبرامج والحماية من التمييز ضد الغير، وهذا يشمل الاعتراف بأن أوجه عدم المساواة ونقاط الضعف الحالية قد تعني أن الوباء والاستجابة قد يكون لهما تأثير غير متناسب على فئات سكانية معينة مع العمل على التخفيف من عدم المساواة وفقا لذلك.

5/ يجب أن يكون بإمكان المجتمعات الوصول إلى آليات المساءلة وسبل وتدابير الانتصاف في المواقف التي تكون فيها حقوقهم قد تعرضت للانتهاك أو معرضة لخطر الانتهاك: تشمل الحقوق الأساسية التي غالباً ما تكون متضمنة في حالات الطوارئ المعنية بالصحة العامة الحق في الصحة والحق في الخصوصية والسرية والحق في التنقل والحرية والحق في العمل والحق في عدم التمييز وحرية الاجتماع والتعبير والحق في الحصول على المعلومات.

6/ الاستراتيجية الوطنية للهجرة واللجوء:

الإطار المرجعي للإستراتيجية الوطنية للهجرة واللجوء



تشمل الرؤية 4 أهداف استراتيجية

ضمان إدماج أسهل للمهاجرين وتبدير أفضل لتدفقات الهجرة في إطار سياسة منسجمة، شاملة، ذات بعد إنساني ومسؤول



المراجع

الكتب والمقالات باللغة العربية:

محمد البزاز، الحماية الدولية للمهاجرين: حالة المهاجرين المغاربة بأوروبا، الهجرة المغربية، الرهانات الآتية والمنازعات، أعمال الندوة الوطنية بوجدة، 24 و 25 نونبر 2005، دفاتر الدراسات والأبحاث حول حركات الهجرة المغربية، العدد 8، ماي.

أحمد محيو، تقنين القانون الدولي وحماية الشخصية الإنسانية، المجتمع الدولي وحقوق الشخصية الإنسانية. أعمال اليوم الدراسي المنعقد في 7 فبراير 2000، في ذكرى وفاة المرحوم إدريس السلاوي، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2001.

الاتفاقيات الأساسية في مجال حقوق الإنسان، التي يعد المغرب طرفاً فيها، منشورات وزارة الدولة المكلفة بحقوق الإنسان، طبعة منقحة شتبر 2019.

شمس الدين الوكيل، الجنسية ومركز الأجنبي، المكتبة القانونية، الطبعة الأولى: 1959، عزالدين عبد الله، القانون الدولي الخاص، الجزء الأول في الجنسية والمواطن ومركز الأجنبي، الطبعة الخامسة 1960، الخ. أخذ عن: رمزي محمد علي دراز، فكرة تنازع القوانين في الفقه الإسلامي، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 2011.

أحمد مسلم، المركز القانوني للأجنبي، دار النشر للجامعات، الطبعة الأولى، 1952.

عامر سليمان، أشد الأوبئة فتكا في التاريخ ... كيف تصدى لها الانسان، مجلة نشرة الهجرة القسرية، 25 مارس 2020. ليس فوريجر، الاستراتيجيات الهجرة في الاتحاد الأوروبي الاساءة الى العمل الإنساني القائم على المبادئ.

(Report of the UN Special Rapporteur on the situation of human rights defenders (2018), A7HRC / 37 / 51)

الكتب والمقالات باللغة الفرنسية

N. yawl – David, National Spaces and Collective Identities: Border, Citizenship and Gender Relations, Inaugural Lecture, University of Greenwich, 1997.

Abdelkrim Belguendouz, U E-Maroc Afrique, migrante politique européenne de voisinage, Barrage Aux Sudiste de Schengen à « Barcelona +10", imprimerie Bni Janssen 13 Complexe Azzahara Oulja- salée, année d'édition 4 avril 2005.

Le rapport d'information déposer par la délégation de l'assemblée Nationale pour l'union européenne sur le développement de la politique européenne du voisinage et la question des frontières de l'union européenne, 2004.

TEACHING EFL TO PRIMARY SCHOOL PUPILS IN PRIVATE- SUPPLEMENTARY SESSIONS: WHAT AFTER UNIVERSITY DIDACTICS?


Dr. Assia BENETTAYEB¹

<http://dx.doi.org/10.47832/soci.con1-25>

Abstract:

At the university level, English as a Foreign Language (EFL) students study didactics for one year as part of their 'Licence Degree' (equivalent to Bachelor Degree). During a two semesters of didactics studies they are supposed to deal with different approaches and methods of foreign language teaching including Grammar Translation Method (GTM), Direct Method (DM), Audio-Lingual Method (ALM), Communicative Language Learning (CLL) and Competency-Based Approach (CBA). However, no classroom practice or training in these approaches is offered to them, something that may impede them to acquaint the real pros and cons of each method separately especially if applied in diverse teaching situations. The present paper tries to put particular consideration on novice bachelor degree holders teaching EFL to primary school pupils in private- supplementary sessions. It seeks to provide a didactic vision of the method they actually adopt/adapt to teach those beginners a language that is totally different from their first native language. It represents a case study held with novice licence holders who are teaching supplementary English courses to primary school students outside the schools doors. A questionnaire and a diagnostic test were used in order to elicit necessary data which were analysed both qualitatively and quantitatively. The main findings of the study illuminated important results about the misunderstanding and misuse of some approaches to EFL teaching/learning and the necessity of pre-service training for novice teachers in the implementation of these methods to teach children at primary level. In the same area of teaching young students, some useful recommendations are suggested in order to provide help for the concerned teachers.

Keywords: Teaching - Efl- Primary School- Pupils- Supplementary Sessions- University Didactics.

¹  University of Tlemcen, Algeria
benettayebassia@gmail.com

1. Introduction

Teaching English as a Foreign Language to children is not an easy task, especially if English is different from young learners' native language and is not akin to their everyday sociolinguistic/ cultural discourse as it is the case in Algeria. In these conditions a heavy burden is put on the teacher who takes the responsibility of what to teach (the content of education), what kind of teaching (the method of education) and what materials to use (the tools of education) in order to guarantee success in the action of knowledge transmission, skills improvement and competencies enhancement.

2. University Didactics and EFL Teaching

At the Algerian university level, didactics is given much importance due to its significant role in proving students (future teachers) with required theoretical knowledge about the teaching art. Didactics is a crucial source of guidance for eager teachers who work for the betterment of their teaching by giving them insights on how to organize and manage teaching, take decisions about contents selection, methods adoption, lesson planning, skills integration, assessment and testing...etc. Moreover, didactics highlights the laws, principles and essence of education representing a reference for any teacher overwhelmed with particular teaching difficulties:

Only when a teacher is aware of the principles of teaching will he be able to effectively manage it and make the right choice of effective teaching methods. Therefore, the principles of teaching are the basis for solving the most important issues of the educational process, both theoretically and practically.

(Riskulova and Yuldashova, 2020:787).

In foreign language teaching, particularly in EFL teaching, didactics plays a significant role in preparing teachers to meet the needs and expectations of the generation of students in their classes because one of its main principles is to “take into account the individual aspects of students in the educational process. It requires the organization of the teaching process, taking into account the characteristics of each student” (ibid). Thus, in order to well prepare EFL university students for the teaching profession, the departments of English all over the county provide instruction in didactics as a separate module in the third year of licence focusing mainly on foreign languages teaching approaches and methods, language skills, lesson planning, assessment and evaluation...etc. One example of didactics content is illustrated in 3rd year EFL didactics syllabus taught in the department of English at Abou Bakr Belkaid University of Tlemcen and which is almost the same in other universities across the country:

I. International Century Congress for Social Sciences

- 1- Didactics: Definition and Importance.
- 2- Didactics, Education and Pedagogy.
- 3- Language Learning Theories: Behaviourism VS Constructivism
- 4- Foreign Languages Teaching Approaches and Methods
 - 4.1- Grammar Translation Method
 - 4.2- Direct Method
 - 4.3- Audio-Lingual Method
 - 4.4- Communicative Language Learning
 - 4.5- Competency –Based Approach
- 5- Teaching Language Skills
- 6- Syllabus Vs Curriculum
- 7- Lesson Planning
- 8- Teacher Education Development.

The aim of this syllabus is to acknowledge than equip future teachers with necessary skills that shape successful teaching. Content covered in the syllabus emphasize the main theoretical aspects of effective teaching including definitions of some teaching concepts and principles that might help the students to find answers to some questions such as: how to teach successfully? and how to act effectively in EFL classroom contexts? Based on this syllabus didactics lessons try to blend theory with practice by giving students a chance to experience teaching pros and cons through illustrations and problem-solving activities related to everyday teaching situations. Unfortunately, this practice remains insufficient to prepare beginning teachers for the teaching mission. Complementary training is crucial especially for primary school teachers who are challenged to teach a foreign language to young pupils for the first time.

3. Teaching English in Algerian Primary Schools

English in Algeria has the status of a second foreign language after French and it is compulsorily taught throughout the Algerian primary, middle, secondary schools and universities. Huge and serious efforts are made by higher authorities in keeping abreast with requirements of the digital world by reinforcing the use of the English global language in different sectors and education is not an exception.

Recently, the Algerian educational system witnessed the implementation of English in primary schools. Officially, in September 21st, 2022 teachers, students and parents were confronted with the challenge of having *the language of Shakespeare* taught/learnt hand in hand with *the language of Moliere* in all primary schools over the country. Echoes about fears and criticisms of educationists spread everywhere: “Hasty, rushed and reckless: the decision to start teaching English in primary schools this very year brought sceptical reactions from educationalists, teachers’ unions and politicians. Everyone agrees that

bringing in that language “is a good thing”, it will make universality accessible to Algerians. But many feel that the haste with which the decision was taken is “abnormal” (Boukhlef, 2022). Few weeks before, ‘My Book of English’ for 3rd year classes was printed and hired teachers were given few weeks course to be ready to teach in September school opening.

In fact, the implementation of English in primary schools in Algeria is not new, past tentative was made and this dates back to the nineties (1993) when stakeholders took a step towards reforms by the implementation of English at some pilot primary schools in the country with the purpose of enhancing foreign language teaching at an early age. Parents were given the chance to choose between French or English and most of them opted for English to be studied by their children in primary schools. This reform was, however, abolished without any justifications or clear explanations for its elimination.

Undoubtedly the aim of primary schooling across the globe is to develop the child basic learning competence and Algerian schools do not make the exception: “current primary school pedagogy aims to follow learner-oriented approaches that focus on active and explorative learning and emphasize the role of meaningful tasks as well as cooperation” (Kolb and Schocker, 2021:22). However, a reality in primary school classrooms is that the teaching/learning of English is conventional and teachers use the lecture method relying solely on the book without taking into account the fact that: “in modern education.... the teacher should be an artist, initiator, sponsor and leader...(and)... an inspirational initiator...” (Riskulova and Yuldashova, 2020:786). Particularly the English language teacher of young pupils should possess required skills, knowledge and abilities that will help him not only understand the curriculum, syllabus, material, evaluation techniques and teaching methods he will use but will also motivate him to better manage teaching and make of EFL learning an enjoyable experience for those children in his classes.

Moreover, other requirements are deemed necessary for effective EFL teaching of young children. Primary school teachers should:

Understand the theories of language acquisition in general and the child second language acquisition in particular, bilingualism and the literacy skills in the early years. They should know theories of multiple intelligence, total physical response, left and right brain learning, formulaic language and work with songs and how to exploit and use of learning structures, vocabulary and facilitate pronunciation. They could connect songs, story, rhymes and poems to daily routines and transitions to learn English in class and integrate learning and playing.

(Vale and Feunteun, 1995: 6 in Sikki *et al*, 2013:140).

In Algerian primary schools, EFL is taught to young population aged between 9 and 11 years old by teachers who have studied didactics in the university (theoretically) without any training in the teaching act. Most of them have no classroom experience about what real

I. International Century Congress for Social Sciences

teaching is or how to deal with young pupils who have no contact with English in their social environment except for games and social media (you tube mainly). Fearing low performance of their kids and bad scores in English (especially because they compulsorily study two languages at the same time and for the first time: English and French) most parents get recourse to private-supplementary sessions.

4. Private Supplementary Teaching Sessions

EFL teaching in Algerian primary schools is done privately or in public institutions following the same book imposed by the Ministry of Education. Some differences include the fact that teachers in private schools are not restricted to a particular teaching method and have the privilege to use some authentic materials, technological tools and visual/auditory aids (laptops, iPads, projectors, videos) to teach the English language. Some private schools adapt curricula imported from prestigious schools in the world, such as (Cambridge and British schools mainly) and others have their own curricula and syllabi. Although the teaching method may differ between public and private schools but English instruction in primary schools over the country aims to assist pupils in using the language of technology and scientific development fluently.

Along with formal instruction a new-existing sociolinguistic phenomenon is increasingly spread all over the country in a way that threatens students' education outside the school walls. This phenomenon is old and new at the same time because it existed long ago in the Algerian society but it was restricted to a particular category of weak students who need extensive reinforcement of some learning skills or those who need special help in developing some learning competencies, especially at the secondary level of education (Baccalaureate students). The novelty brought by the implementation of English in primary schools is that most primary school children of different levels take English private supplementary sessions in addition to what they receive in school either by their school teachers or by other persons (not probably teachers) who have background knowledge in the English language.

The need of these supplementary sessions is caused mainly by the absence of English in students' lives and lack of practice of the English language in the Algerian society thought it is the second foreign language in the country:

It (English) does not particularly play an important role in the national and social life of the Algerian people. As it (English) is not one of the historical components of the Algerian cultural identity, people do not seem to need to resort to it to live their social, intellectual and economic daily realities. Also, English in Algeria is not the students' natural communicative environment. Besides, this foreign language is not akin to the students' mother tongue; Arabic. Therefore, apart from the limited amount of English they hear, speak, read or write in the classroom, English is, to a certain extent, absent most of the time in their daily lives.

(Slimani, 2016:34).

What is alarming about these supplementary sessions is that they are not accredited by the government and are generally done by teachers in their houses or in some private schools which themselves are not accredited because their actual increasing number is hard to assess. Accreditation is an important factor that might guarantee adherence to certain requirements of best practices including the quality of teaching, i.e, hiring qualified teachers with university degrees, the place of practice, safety of pupils and teachers, quality of the contents and financial transparency. If maintained, accreditation will solve many problems of education especially the phenomenon of supplementary sessions.

Another serious danger of supplementary sessions is when they are supervised by non-qualified persons who are not teachers or university degree holders and have no teaching experience. Their main aim is to satisfy students and their parents by making pupils score well in exams paying little or no attention to language improvement of the groups of students they teach. Teaching English to young learners is undoubtedly a difficult task that requires qualified teachers who possess a set of competences that need to be improved continuously, these include: “communicative competence in the foreign language, linguistic competence, linguistic-cultural competence and didactic/pedagogical competence” (Pogosian 2008: 53 in Sikki *et al*, 2013 :139).

In the same context of supplementary sessions given to young primary school teachers in Algeria, teachers are categorized into three main categories:

- 1) Teachers with EFL teaching experience and who are actually teaching in primary schools.
- 2) Teachers with EFL teaching experience and who have no experience in dealing with young pupils.
- 3) Teachers with no EFL teaching experience and who are teaching in primary schools.
- 4) EFL licence degree holders who have no experience in teaching or dealing with young pupils.
- 5) University students who have no experience in EFL teaching or dealing with young pupils.

Our concern in this study is the fourth category of teachers who were selected purposefully to take part in this study. EFL licence holders who are teaching young primary school pupils' supplementary sessions in English studied didactics during their third year of university without any training in teaching the foreign language to children. The lack of classroom experience and teaching practice results in teachers' poor didactic skills and lack of teaching competences. In this respect, Vale and Feunteun (1995: 6) recommended that teachers “with no experience of working with children needed training which focuses on awareness of the needs of children, awareness of the value of child-centred activities, and awareness of the ways to integrate EFL methods to the teaching of children”.

I. International Century Congress for Social Sciences

Moreover, Sikki *et al* (2013:140-141) argued that English teachers in elementary levels need to: “improve their level of pedagogic and professional competence...four competencies must be owned by the teacher: pedagogic, personal, social and professional competence.” For him pedagogic and professional competences are important in the teaching process. He defined them in the following words:

Professional competence is mastering the material, concept, and the structure of language... Knowledge about the various aspects of language (linguistics, discourse, sociolinguistic, and strategic) ... (to) master the English language spoken and written, receptive and productive in all aspects of communicative (linguistic, discourse, sociolinguistic, and strategic)... mastering the competency standard and basic competency, developing learning material, developing professionalism in sustainable reflective action, and utilizing technology information and communication to develop themselves.... Pedagogic competence is mastering cultural, emotional, and intellectual aspects... Mastering the theory of learning and learning principles, developing curriculum, organizing learning, using technology, information and communication in the learning process, communicating effectively and politely to the learners, conducting assessment and process evaluation and learning result, using the result of assessment and evaluation for the sake of learners and utilizing the results of assessment and evaluation for the sake of learning and taking the reflective action to improve the quality of learning.

(*ibid*, 142-144).

As for the teaching methodology used in EFL supplementary sessions addressed to primary school pupils it is not restricted to one particular method. Instead, teachers may use different methods according the lesson and specific contents to be covered. What may be widely used is the integrated skills method in which the four language skills of listening, speaking, reading and writing are focused or task-based approach which is generally applied by reinforced practice of selected activities and assignments that are similar to the ones available in the school book. Many aspects of the language such as vocabulary, grammar, phonetics and culture may also be included both implicitly and explicitly during the lesson using songs, games or videos according to pupils' preferences.

Furthermore and in accordance with the teaching method, the main objectives of English supplementary sessions are targeted towards grades improvement first than improvement in learning the English language. During these sessions students are exposed to content that is similar to what they receive in school with reinforced practice of related tasks as a preparation for tests and exams; something that makes students score high in English exams. Therefore, teachers do not work on developing students' language skills and learning competences; they rather focus on simplifying the school teacher's input through

reinforced practice in major points of the lesson. Thus, students' grades may increase but their overall English remains approximately the same for most of them.

Last and not least, it is worth noting that crucial in education being public (in governmental institutions), private (legalized non-governmental schools) or supplementary (non-accredited extra sessions) to consider the two main poles: the teachers and the student in a harmonious way upon which other parameters will be decided such as the curriculum, the syllabus, the material, the evaluation...etc.

5. Research Methodology

The present work is a case study held in the department of English at Abou Bakr Belkai university of Tlemcen (Algeria) with a small size sample of three beginning teachers. The researcher used the mixed method to conduct this case study for the aim of illuminating the phenomenon of EFL private-supplementary sessions addressed to primary school pupils and the didactic qualifications and teaching competence of novice EFL licence holders who teach these sessions. The mixed method was selected in this investigation using a questionnaire and a diagnostic test to elicit necessary data. The main reasons for choosing this method is that it "offers a logical ground, methodological flexibility and an in-depth understanding of smaller cases" (Maxwell, 2016). In addition, implementing mixed methods in research helps researchers to answer research questions with sufficient depth and breadth (Enosh *et al*, 2014) and it provides meaningful explanation of research issues by interweaving qualitative and quantitative data, i.e., the researcher will benefit from detailed insights of qualitative data and generalizable insights of quantitative data simultaneously.

6. Participants

The current study involved three novice EFL licence students who have recently completed their university graduation (June 2023) and are actually 1st year didactics master students (September 2023) in the department of English at Abou Bakr Belkaid University of Tlemcen. Those beginning teachers are hired in different private school to give EFL supplementary sessions to primary level young pupils (3rd and 4th Ps) aged between 9 and 11 years old. The participants were purposefully selected to take part in the study from a population of 40 first year didactics master students during the academic year (2023/2024) for the main reason that they are the only ones who teach supplementary sessions to primary school children and for the first time while most students in the selected specialty (Didactics) are either not interested in teaching or they give private sessions to middle and secondary school learners. What is also shared between the three participants is that they are all female aged 22 years old and their university grades were average during their third year of licence studies (They scored 11/20).

7. Research Questions and Research Hypotheses

The present study is grounded on the following research questions:

1. What are EFL private-supplementary sessions and how they are taught to primary school pupils outside the school walls in Algeria?
2. What are the didactic qualifications (skills) and teaching competences of novice EFL licence holders who teach private-supplementary sessions to primary school pupils?

It is stipulated that:

- ✓ In the Algerian context any form of financed EFL extra-extensive teaching outside the school walls that aims to make pupils score well in tests and exams may be considered as private-supplementary sessions. A one teaching method may not be favoured in teaching supplementary sessions to young pupils; rather diversity in implementing various methods may be more effective such as the integrated skills method or the task-based method.
- ✓ Knowledge of the main didactic theories about children second language acquisition and lesson planning as well as professional and pedagogic teaching competences may be lacked by most novice EFL licence holders who teach supplementary sessions to primary school pupils.

8. Results and General Discussion

Findings of the study revealed a serious gap between what EFL licence students receive in university didactics as theory and what they actually exercise in teaching supplementary sessions to primary school pupils. Teaching is a complex multifaceted task that requires some didactic skills and teaching competence which if provided they will result in a successful teaching/ learning process. Results of teachers' answers to the eight questions included in the questionnaire and that aimed at gathering data about teachers understanding of the nature of EFL private supplementary sessions and the way English is taught in these sessions indicated that all the three teachers (100%) believe that supplementary sessions represent an effective solution to most students low achievements in schools and weak scores in exams. They gave approximately the same justifications which are put as follows:

- School teachers are limited by time constraints and always in a rush to finish the syllabus
- Students in schools are always under pressure caused by different sources namely the overloaded lessons, the complicated assignments to do in and out-side the classroom
- Some teaching methods are not clear and make learning tedious, difficult and uninteresting for the majority of students.

Concerning their views about the way EFL is taught in supplementary sessions for primary school young pupils they also shared the same view (100%) that the teaching of English in these sessions is not limited to one method, explaining that the teacher use any

method that might help him better explain the lesson with total respect of the book order. One teacher only among the three informants representing a small percentage (33%) explained that a teacher should not stick to one method and eliminate other possible methods adding that a professional teacher is the one who acquaints his students first in order to know their styles and preferences than he can decide about the method he will use to teach them. These findings validate the first hypothesis that EFL supplementary sessions are geared towards scores improvement and not young pupils language improvement and that novice EFL licence holders do not use one method to teach supplementary sessions to primary school pupils but they implement different methods in accordance with the book order and learners' preferences.

Findings of the questionnaire also revealed useful outcomes concerning teachers' didactic skills which were reflected in their suggestions to EFL novice licence teachers by emphasizing the necessity of pre-training in using different methods of teaching young pupils and advising them to read more about the science of teaching and theories about young children learning foreign languages. These results validate the second hypothesis that those teachers are aware of the importance of didactics in the teaching profession but they lack professional and pedagogic teaching competences. Data obtained from the diagnostic test gave a thorough understanding of the sample's didactic and teaching competences. Answers to the test questions were homogeneous reflecting the informants' weak didactic skills (theories of child language acquisition and lesson planning mainly) and absence of professional and pedagogic teaching competences caused by lack of training.

9. Recommendations

With reference to results of this study it is strongly recommended to re-think 3rd year EFL didactics syllabus of licence students who are supposed to be future teachers by focusing on different stages of child language acquisition and techniques for improving young learners' learning skills styles and strategies in order to better prepare those beginning teacher to understand the didactic requirements of effective teaching and apply them successfully. It is also recommended to prioritize reinforcement of intensive didactics sessions by extensive training in a form of supervised sessions during which they might have real opportunities to experience matters related to teaching methods, lesson planning, teaching skills and many other teaching aspects.

In the same respect, a call for the re-integration of Teacher Pre-Training (TPR) in EFL university teaching is necessary. It should be mentioned at this level that TPR was implemented in many English departments over the country for many years. It was optional for licence students to select between TPR and extended essay in order to give a real opportunity for students who choose to be teachers to benefit from real pre-service training. Those who opted for TPR are assessed by qualified EFL middle and secondary school

I. International Century Congress for Social Sciences

inspectors taking into account some parameters such as: lesson plan, teaching objectives, involvement in the lesson, teaching competencies, teaching skills, practical part of the lesson, evaluation procedures, materials used, visual aids, general lay-out of the input. It is believed that if didactics lectures are bridged with TPR sessions or any other type of pre-training will be very beneficial for licence students.

Other pedagogical recommendations are addresses to policy makers, teachers, parents, universities and researchers as follows:

- ✓ Policy makers should scrutinize the sociolinguistic phenomenon of *'private – supplementary sessions'* in general and primary school pupils' supplementary sessions in particular in terms of *who* and *how* these sessions are conducted.
- ✓ The Algerian government is called- upon to maintain a permanent objective accreditation only to qualified teachers, education inspectors and university degree holder to allow them to practise supplementary teaching under continuous control and rigorous supervision.
- ✓ Universities should provide pre-training to all graduate and post-graduate students who are teaching or want to teach in the future.
- ✓ Teachers should not only follow the order of lessons in the school book, they should in addition use whatever available instructional materials that might be effective to improve students' learning skills. Games, puzzles, songs, short stories, toys and picture should also be used.
- ✓ Primary school teachers should learn about techniques, styles and skills of young children to better manage the teaching process.
- ✓ Parents should take more responsibility in shaping the success of their students by providing necessary support.
- ✓ Parents should bear in mind that supplementary-sessions are not always the magic solution to all their children learning problems.
- ✓ Teachers and parents together should not only think of good EFL scores achieved by learners. More importantly is to work cooperatively and achieve the long term objective of making those young children improve in learning the world's global language.

10. Conclusion

Recent re-implementation of English in Algerian primary schools after a first failed tentative lead to the spread of the sociolinguistic phenomenon of supplementary English sessions which was restricted only to middle and secondary school students with learning deficiencies in some subject matters such as physics and mathematics. Unfortunately, this phenomenon is spreading with feverish haste among young learners and is positively supported by most parents who are unaware of the danger these sessions may have on their children actual and future education. The present study had twofold objectives: to spotlight on the spread phenomenon of primary school young pupils EFL private-supplementary sessions in Algeria and to examine the didactic qualifications and teaching skills of novice EFL licence students who teach these sessions. The study findings revealed serious gap between what is received as theory in university didactics and what teachers actually practice in teaching young children and this gap is well demonstrate through their lack of professional and pedagogic competences that need major improvement. Lastly, it was strongly recommended to re-think 3rd year EFL licence didactics syllabus and to reinforce didactics lectures by obligatory pre-training sessions for students who want to exercise teaching as a future profession. The limitation of the study is the small sampling (three teachers only) because they were the only ones out of 70 students who are currently teaching supplementary sessions to young children as it has already been explained. In spite of the limitation that could not be avoided (the small sampling) we believe that the present study makes an important contribution towards understanding one serious '*outside the school walls*' phenomenon in order to shift education from better to the best.

Bibliography

- Boukhlef, A. (October 2022). *Independent Media on the Arab World*. Orient XXI. Available at: <https://orientxxi.info/magazine/algeria-introduces-english-at-primary-level-to-counterbalance-french,5962>. Retrieved December 2023.
- Enosh, G., Tzafrir, S. S., & Stolovy, T. (2014). The development of client violence questionnaire (CVQ). *Journal of Mixed Methods Research*, 9(3), 273–290. Available at: <https://doi.org/10.1177/1558689814525263>.
- Kolb, A and Schocker, M. (2021). *Teaching English in the Primary School (A Task-based introduction for Pre and In –service Teachers)*. Klett/ Kallmeyer.
- Maxwell, J. A. (2016). Expanding the history and range of mixed methods research. *Journal of Mixed Methods Research*, 10(1), 12–27. Available at: <https://doi.org/10.1177/1558689815571132>.
- Pogosian, V. (2008). The Russian System of Training Teachers of Foreign Languages for Young Learners: History and New Developments. In: Ritva Kantelinen, Eija Liisa Sokka-Meaney & Victoria Pogosian (Eds.) *Seminar Papers on Early Foreign Language Education*, University of Joensuu, 2008, pp. 45-55. [Online] Available at: <http://persona.yasni.ru/victoria+pogosian+97317/kantelinen> (January 9, 2013).
- Riskulova, K.D and Yuldoshova, U.B.K. (2020). The Role of Didactics in Teaching Process. *International Scientific Journal Theoretical & Applied Science*. Issue: 05 Volume: 85.pp. 786-792. Available at: https://www.researchgate.net/publication/342161000_THE_ROLE_OF_DIDACTICS_IN_TEACHING_PROCESS/link/612e632238818c2eaf72eea5/download?tp=eyJjb250ZXh0Ijp7ImZpcnN0UGFnZSI6InB1YmxpY2F0aW9uIn19.
- Sikki, E.A.A, Rahman, A, Hamra, A and Noni, N. (2013). The Competence of Primary School English Teachers in Indonesia. *Journal of Education and Practice*, Vol.4, No.11.
- Slimani, S. (2016). Teaching English as a Foreign Language in Algeria. *Revue des Sciences Humaines – Université Mohamed Khider Biskra* No :44. PP33-44.
- Vale, D and Feunteun, A. (1995). *Teaching Children English*. Cambridge: Cambridge University Press.

THE DIGITAL ECONOMY IN DEVELOPING COUNTRIES : COMPARATIVE STUDY

Dr. DEHKAL Asmaa

<http://dx.doi.org/10.47832/soci.con1-26>

Abstract:

The digital economy in developing countries is experiencing significant growth, driven by the increasing adoption of e-commerce. Consumers are increasingly using online shopping, often via mobile phones. Local e-commerce platforms are emerging to meet specific consumer needs. However, logistical and infrastructure challenges persist, particularly around delivery and payments. Some governments support the sector through favorable policies, tax incentives and tailored regulations. The electronic economy also contributes to financial inclusion by offering digital services to unbanked populations.

This paper discusses the current situation of the state of the electronic economy in developing countries in a comparative manner by discussing the initiatives that aim to overcome the specific challenges of each national context of the selected countries.

Keywords: ICT, AI, economy, developing countries

JEL classification : O10, M15, L81

**L'ÉCONOMIE NUMÉRIQUE DANS LES PAYS EN VOIE DU DÉVELOPPEMENT :
ÉTUDE COMPARATIVE**

Dr. DEHKAL Asmaa¹

Résumé:

L'économie électronique dans les pays en voie de développement connaît une croissance significative, stimulée par l'adoption croissante du commerce électronique. Les consommateurs utilisent de plus en plus les achats en ligne, souvent via des téléphones mobiles. Des plateformes de commerce électronique locales émergent pour répondre aux besoins spécifiques des consommateurs. Cependant, des défis logistiques et d'infrastructure persistent, notamment en ce qui concerne la livraison et les paiements. Certains gouvernements soutiennent le secteur par le biais de politiques favorables, d'incitations fiscales et de réglementations adaptées. L'économie électronique contribue également à l'inclusion financière en offrant des services numériques aux populations non bancarisées.

Ce papier discute la situation actuelle de l'état de l'économie électronique dans les pays en voie de développement d'une manière comparative en discutant les initiatives qui visent à surmonter les défis spécifiques de chaque contexte national des pays sélectionnés.

Mots clés : TIC, IA, Économie, Pays En Voie De Développement.

Classification JEL : O10, M15, L81

¹  université Mustapha Stambouli-Mascara, Algérie
a.dehkal@univ-mascara.dz
[ORCID : 0009-0004-8802-4089](https://orcid.org/0009-0004-8802-4089)

I. INTRODUCTION ET PROBLEMATIQUE

La digitalisation de nombreux secteurs économiques traditionnels fait de l'économie numérique un secteur transversal rendant sa mesure particulièrement complexe **(l'économie numérique en centre-Val Loire, un accompagnement en mode réseau, 12/2019)**

En matière économique, le numérique ouvre de nouvelles opportunités d'échanges, crée de nouveaux leviers de croissance et apporte d'innombrables innovations dans les process comme dans la conception et la production des biens et des services. Au-delà, la création de valeur ajoutée repose de plus en plus sur la capacité de traitement et d'exploitation de grandes quantités de données. Face à ces enjeux, les acteurs publics, qu'il s'agisse des services de l'Etat ou du Conseil régional, se doivent de mettre en place des dispositifs d'accompagnement pour soutenir la compétitivité des entreprises : création d'un écosystème favorable au développement des acteurs économiques du numérique, soutien aux entreprises qui s'orientent vers la numérisation de leurs outils de production, appui à l'innovation, renforcement des compétences numériques de la main d'oeuvre, création de tiers-lieux et de lieux-totems, etc. En un mot comme en mille, il s'agit de soutenir la transition numérique des acteurs économiques.

II. DEVELOPPEMENT THEORIQUE ET CONCEPTUEL

L'économie numérique diffère de l'économie traditionnelle en raison de sa dépendance à la technologie numérique, aux transactions en ligne et de son effet transformateur sur les industries traditionnelles. Les innovations numériques telles que l'Internet des objets (IoT), l'intelligence artificielle (IA), la réalité virtuelle, la blockchain et les véhicules autonomes jouent toutes un rôle dans la création d'une économie numérique.

Don Tapscott ²a inventé le terme économie numérique pour la première fois dans son livre à succès de 1995, *The Digital Economy: Promise and Peril in the Age of Networked Intelligence*.

À ses débuts, l'économie numérique était parfois appelée économie Internet, nouvelle économie ou économie du Web en raison de sa dépendance à la connectivité Internet. Toutefois, les économistes et les chefs d'entreprise affirment que l'économie numérique est plus avancée et plus complexe que l'économie Internet. Selon une définition, cela signifie simplement la valeur économique dérivée d'Internet.

² Don Tapscott CM (né le 1er juin 1947) est un dirigeant d'entreprise canadien, auteur, consultant et conférencier, spécialisé dans la stratégie d'entreprise, la transformation organisationnelle et le rôle de la technologie dans les affaires et la société. Il est PDG du groupe Tapscott et co-fondateur et président exécutif du Blockchain Research Institute.

I. International Century Congress for Social Sciences

L'économie numérique reflète le passage de la troisième révolution industrielle à la quatrième révolution industrielle. La troisième révolution industrielle – parfois appelée révolution numérique – fait référence aux changements survenus à la fin du XXe siècle avec la transition des appareils électroniques et mécaniques analogiques vers les technologies numériques. La quatrième révolution industrielle s'appuie sur la révolution numérique alors que les technologies continuent aujourd'hui de relier le monde physique et le monde cybernétique.

La pandémie de COVID-19 a encore accéléré la croissance économique numérique, le travail à distance, les achats en ligne, la télémédecine et le divertissement numérique étant devenus essentiels pendant les confinements et la distanciation sociale. L'économie numérique continue d'évoluer et de se développer rapidement, avec les technologies et innovations émergentes qui façonnent sa trajectoire.

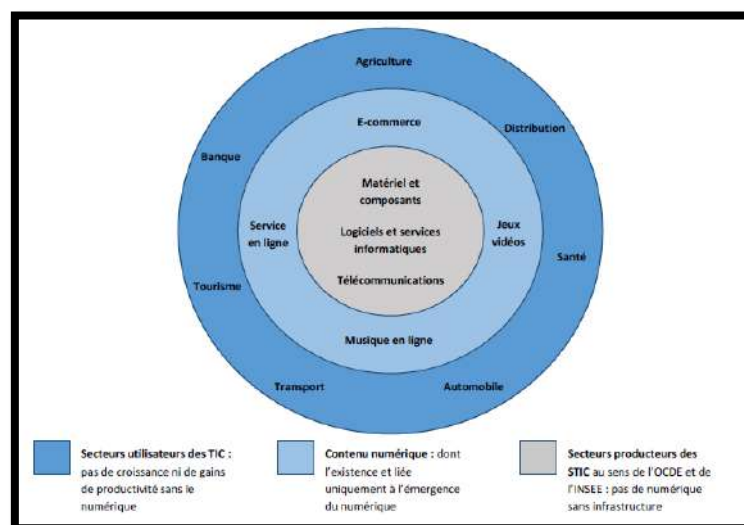
II.I. approche theorique

- Definition et compositions

Il n'existe pas une définition universel de l'économie numérique malgré qu'elle domine la littérature dans le temps actuel.

Selon the australian bureau of statistics, l'économie numérique, est « le réseau mondial d'activités économiques et sociales rendues possibles par les technologies de l'information et des communications, telles que l'Internet, les réseaux mobiles et les réseaux de capteurs. » **(Australia's Digital Economy: Future Directions Snapshot, 2009)**

Figure O1 : composition de l'économie numérique



Source : L'impact de l'économie numérique », Philippe Lemoine, Benoît Lavigne et Michal Zajac, revue Sociétal n°71 (1e trimestre 2011).

Selon l’INSEE, l’E-numérique se compose de :

- secteurs producteurs de TIC (fabrication d'ordinateurs et de matériel informatique, de TV, radios, téléphone,...) ;
- secteurs distributeurs de TIC (commerce de gros de matériel informatique,...) ; produisent des biens et services supportant le processus de numérisation de l'économie, c'est-à-dire la transformation des informations utilisées ou fournies en informations numériques (informatique, télécommunications, électronique)

Le caractère transversale de l'économie numérique impacte tous les secteurs d'activité, elle est à l'origine des nouveaux secteurs innovants et a rendu l'existence d'autres secteurs dépendantes de celle-ci. Elle regroupe le secteur des TIC, les secteurs utilisateurs et les secteurs à fort contenu numérique, ces derniers ne pourraient exister sans ces technologies (Lemoine.P, Lavigne, & zajak, 2011).

II. approche conceptuel : une vision général

L'étude *Measuring the true impact of the digital economy* d'Oxford Economics et Huawei (Oxford) estimait le chiffre d'affaires de l'économie numérique mondiale à 12,9 trillions de dollars en 2017. Un chiffre estimé plus juste que d'autres mesures par ses auteurs car il tient compte des **effets d'entraînement** induits par les investissements technologiques. Il s'agit essentiellement des gains de productivité générés par la reprise des innovations, bénéfiques tant pour les entreprises que pour les utilisateurs finaux. Parmi ces **12,9 trillions** de dollars, 35 % de la valeur est à imputer aux Etats-Unis et ses 5,9 millions d'emplois du numérique, 13 % à la Chine, 8 % au Japon et 25 % aux pays de l'Espace économique européen (EEE) (l'économie numérique en centre-Val Loire, un accompagnement en mode réseau, 12/2019)

Tableau 01 : Les pays leaders de la transformation numérique en 2018

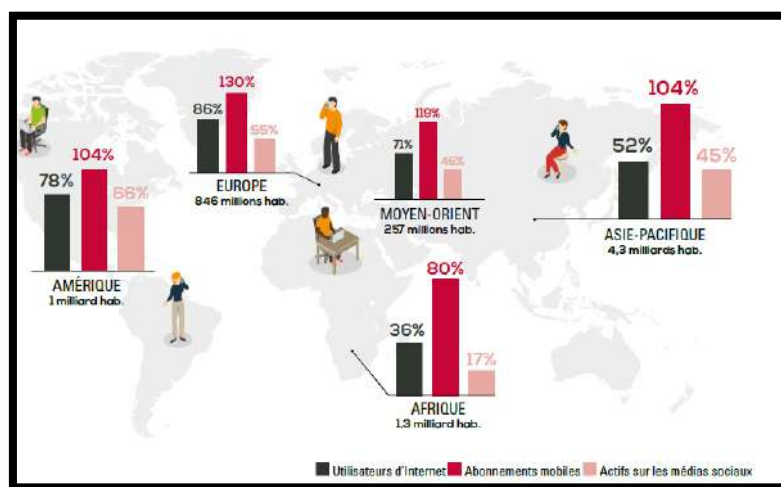
Rang	Pays	Score GCI
1	Etats-Unis	78
2	Singapour	75
3	Suède	73
4	Suisse	71
5	Royaume-Uni	70

Source : L'économie numérique en Centre-Val de Loire UN ACCOMPAGNEMENT en mode réseau, DEV'UP Centre-Val de Loire decembre 2019, P : 09

I. International Century Congress for Social Sciences

Pour calculer la performance de l'économie numérique des différents pays, l'étude se base sur un indice mettant en relation le Global Connectivity Index (GCI) et le PIB par habitant. Avec un score de 61/100, la France s'inscrit dans la catégorie des leaders. Si elle est loin de la 1^{re} place occupée par les Etats-Unis (78/100), la reconnaissance de ses formations scientifiques, un réseau solide d'entreprises numériques et la digitalisation croissante des autres secteurs d'activité lui valent sa 19^e position sur les 79 pays mesurés (l'économie numérique en centre-Val Loire, un accompagnement en mode réseau, 12/2019).

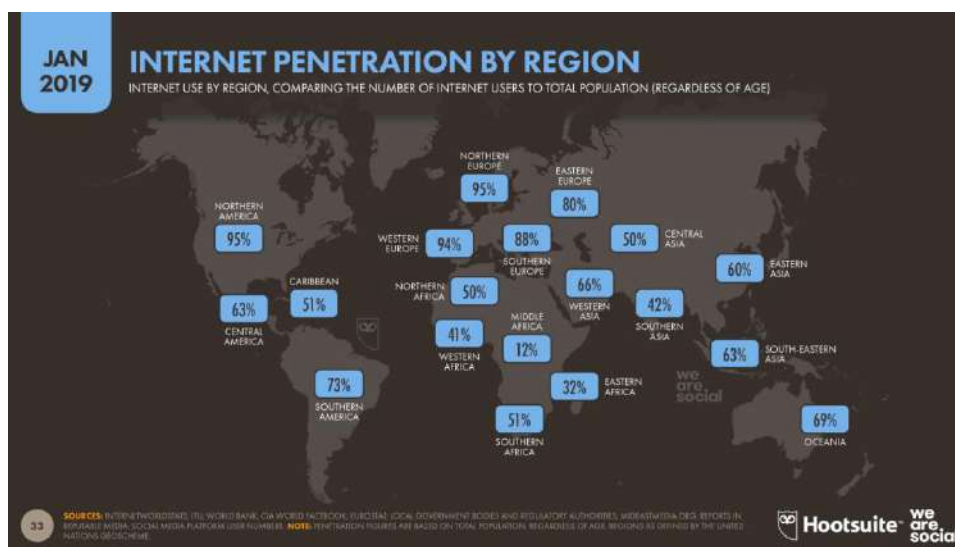
L'image suivante présente et donne quelques éléments chiffrés sur l'essor des usages numériques tels que les appareils mobiles, les réseaux sociaux, etc. l'image suivante présente un éclaircissement clé de lecture :



Source : L'économie numérique en Centre-Val de Loire UN ACCOMPAGNEMENT en mode réseau, DEV'UP Centre-Val de Loire decembre 2019, P :10

Les entreprises qui font de la transformation numérique une priorité peuvent rationaliser leurs processus, réduire leurs coûts et créer de nouvelles sources de revenus. Mais l'économie numérique ne se limite pas à l'utilisation d'un ordinateur pour effectuer des tâches traditionnellement effectuées manuellement ou sur des appareils analogiques. Il s'agit de trouver des moyens permettant aux organisations de faire en sorte que leurs systèmes et leurs collaborateurs travaillent ensemble plus efficacement (Digital in 2019)

Carte : Pénétration d'Internet par région



Source : <https://wearesocial.com/fr/blog/2019/01/global-digital-report-2019/>, **consulté le 26/12/2023 à 20 :05**

III. ETUDE COMPARATIVE: L'ECONOMIE NUMERIQUE DANS LES PAYS EN DEVELOPPEMENT

Notre monde d'aujourd'hui et de demain connaît une révolution numérique avec des implications importantes rigoureuse. Le développement de l'Internet des objets (IoT) peut rendre les lieux de travail et les systèmes de transport plus sûrs et les villes plus agréables à vivre.

La numérisation a transformé de nombreux consommateurs en prosommateurs grâce à la production de contenu sur des plateformes numériques et à la participation à des réseaux .

On peut résumer l'importance de l'économie digitale en quelques points :

- L'économie numérique stimule la productivité et soutient le développement socio-économique.
- L'introduction et l'utilisation des technologies numériques dans les processus économiques augmentent la productivité et vous permettent de participer aux chaînes de valeur mondiales.
- La numérisation contribue à accroître l'efficacité en réduisant les coûts de transaction, en éliminant l'asymétrie de l'information, en tirant parti des économies d'échelle et des effets de réseau.

I. International Century Congress for Social Sciences

- En raison de ces facteurs, l'économie numérique a élargi l'accès à un nombre important de marchés et de services : éducation, santé, crédit, crowdsourcing et financement participatif.

- De nombreux pays à économie développée disposent déjà d'un écosystème numérique développé et utilisent largement les avantages de la numérisation contribue à accroître l'efficacité en réduisant les coûts de transaction, en éliminant l'asymétrie de l'information, en tirant parti des économies d'échelle et des effets de réseau.

- Cependant, comme le montre l'expérience mondiale, le développement de l'économie numérique peut contribuer à la transformation sociale et économique, quel que soit le stade de développement d'un pays. Avec une organisation adéquate, les pays, quel que soit leur stade de développement, peuvent utiliser les technologies numériques pour accélérer la fourniture de services médicaux, éducatifs et gouvernementaux de haute qualité.

- Dans le même temps, la croissance de l'économie numérique ne va pas sans problèmes. La numérisation crée de nouveaux emplois tout en réduisant les anciens, entraînant ainsi des changements importants sur le marché du travail. Cela contribue aux changements qui sont la principale cause de l'augmentation des inégalités de revenus. De tels changements sur le marché du travail sont préoccupants, car la numérisation peut entraîner une augmentation du chômage et exacerber les différences existantes dans la répartition des revenus.

La numérisation crée des problèmes particuliers pour les pays en développement. Maximiser les bénéfices de l'économie numérique dépend d'un niveau de base d'infrastructure numérique, qui est assez faible dans de nombreuses économies émergentes. En outre, il existe une certaine dépendance technologique des pays en développement. Dans le même temps, les pays en développement ont la possibilité de tirer le meilleur parti de la numérisation, puisqu'ils n'ont pas besoin de consacrer d'énormes ressources au développement de solutions numériques innovantes. Les pays en développement devraient être impliqués dans la planification stratégique afin de maximiser l'impact de la numérisation sur le développement. Des pays qui ne risquent pas d'être à la traîne en termes de compétitivité. Sur cette base, l'objectif de cette étude est de développer les principes de construction d'une économie numérique dans les pays en développement (Myovella.G & Justus, 2019).

Notre recherche s'appuie sur des travaux de recherche et d'analyse approfondie, tels que :

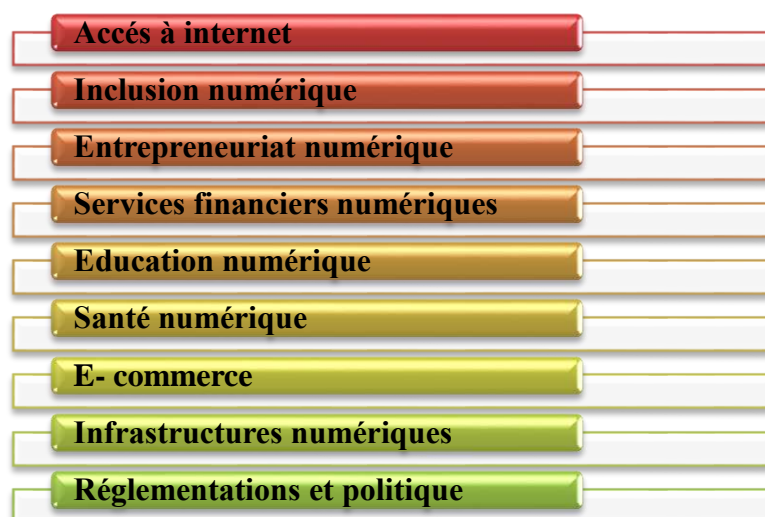
- Le rapport *Afrique numérique : Transformation technologique pour l'emploi* (Mondiale) analyse en détail la manière dont les technologies numériques peuvent favoriser la transformation économique et stimuler l'emploi dans la région. Il met également en lumière le rôle des réformes politiques et réglementaires dans l'élargissement de l'accès aux outils numériques et dans le développement de leur utilisation.

• Le *Rapport sur le développement dans le monde 2021 : Des données au service d'une vie meilleure* (world) examine l'immense potentiel que représentent les mutations du paysage des données pour améliorer les conditions de vie des pauvres, tout en mettant en lumière les risques que cela engendre pour les particuliers, les entreprises et les sociétés.

• Des diagnostics (a) qui présentent l'état de l'économie numérique de divers pays clients de la Banque mondiale en fonction de chacun des piliers de l'initiative pour l'Économie numérique en Afrique (infrastructure, plateformes publiques, services financiers, entreprises et compétences), en appui de la stratégie de transformation numérique de l'Union africaine.

• Même notre analyse dépend aux rapports nationaux des pays sélectionnées.

L'évolution de l'économie numérique dans les pays en développement dépend de divers facteurs, y compris les politiques gouvernementales, l'infrastructure technologique, l'éducation, et la capacité d'innovation locale. Il est important de trouver un équilibre entre l'adoption rapide de la technologie et la prise en compte des réalités locales pour maximiser les avantages de l'économie numérique. Pour avoir une étude comparative, nous nous sommes appuyés sur certains indicateurs de comparaison :



1- Inclusion numérique

En Afrique et au Moyen Orient, fortement touchés par la fracture numérique : Près de 60% de la population mondiale n'ont toujours pas accès à Internet, environ un quart des habitants des pays développés et trois quarts des pays en voie de développement. L'Afrique subsaharienne est fortement touchée car elle est en retard par rapport à la moyenne mondiale.

I. International Century Congress for Social Sciences

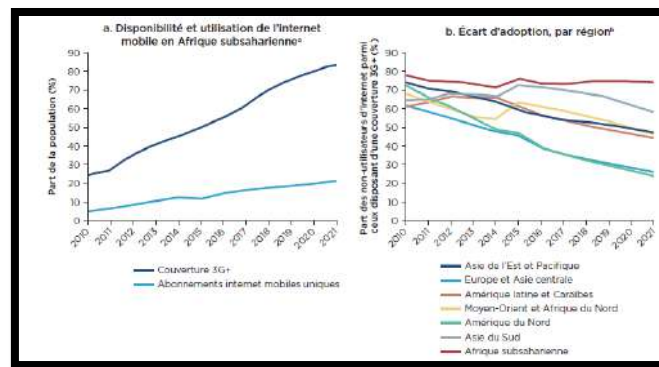
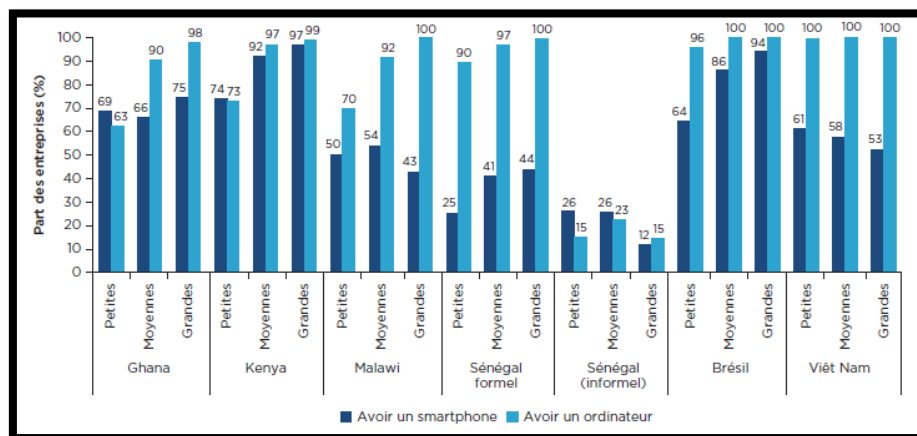
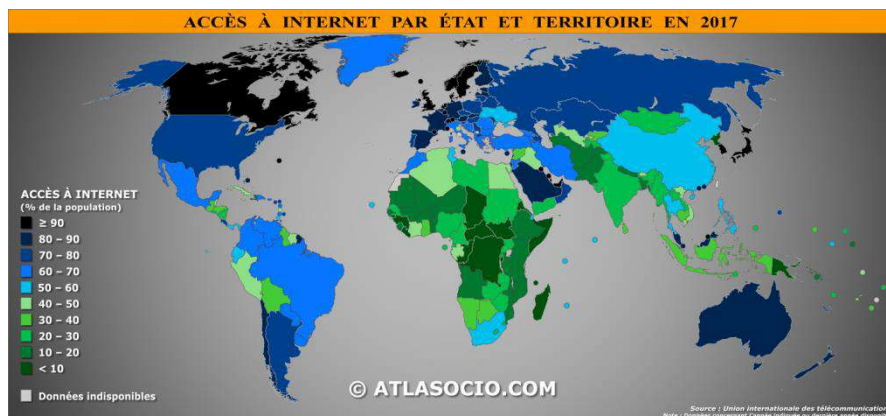


Figure : utilisations des ordinateurs et smartphones par tailles d'entreprises dans quelques pays



2- Accès à l'internet



Source : Union internationale des télécommunications.

3- Education numérique

Les récentes augmentations des investissements dans les infrastructures numériques après le début de la pandémie de COVID-19 n'ont pas été accompagnées d'augmentations similaires de l'utilisation. Au lieu de cela, des fractures numériques se sont creusées entre les grandes entreprises formelles et les microentreprises informelles ; entre les entreprises détenues par des hommes jeunes et celles détenues par des femmes plus âgées ; et entre les ménages plus riches, urbains et plus instruits et les ménages plus pauvres, ruraux et moins

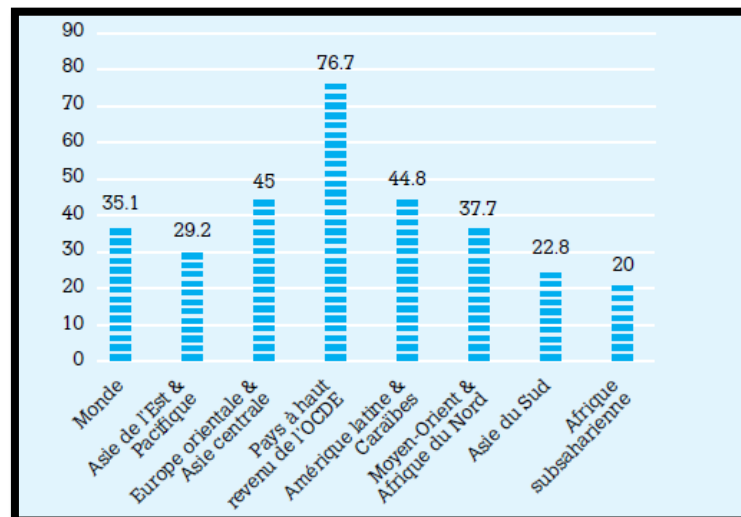
éduqués. Selon l'Unesco (2020), dans près de la moitié des systèmes éducatifs, y compris des pays à revenu élevé, les élèves n'avaient pas les compétences numériques requises pour suivre un enseignement à distance. 80 % des pays déclaraient des compétences insuffisantes dans les familles, indépendamment des revenus des foyers.

4- E- commerce

Le potentiel du commerce électronique ne peut se concrétiser que grâce à une infrastructure adéquate. Dans la plupart des pays en développement, il s'agit là d'un obstacle majeur. Du fait que les petits marchés Internet à faible revenu de ces pays, notamment en Afrique, n'ont pas réussi à attirer suffisamment d'investissements dans l'infrastructure et qu'il y a en outre une absence de concurrence, le coût de la bande passante peut y être jusqu'à 100 fois plus élevé que dans les pays développés. Dans la plupart des cas, ces pays sont hors de portée des câbles en fibre optique et doivent s'en remettre aux satellites pour la connectivité internationale – et même parfois nationale. Il en est ainsi en dépit même des améliorations importantes apportées par la technologie. Un autre sujet de préoccupation est la pénurie de compétences techniques, qui empêche les PME de concrétiser pleinement leur potentiel en matière de commerce électronique.

Bon nombre de pays en développement n'ont pas de main-d'œuvre suffisamment formée dans les TIC et la technologie mobile. De nombreuses PME qui pourraient chercher à se diversifier ou à se lancer dans le commerce électronique se trouvent ainsi fortement désavantagées. Il est très important de veiller à ce que les entreprises maîtrisent l'ensemble des compétences et des aptitudes nécessaires à une utilisation productive des technologies pour pouvoir bénéficier des avantages économiques liés au commerce électronique. De nombreux entrepreneurs dans les pays en développement et en particulier dans les PMA n'ont pas les capacités nécessaires pour tirer pleinement parti des TIC ou n'ont pas conscience de cette nécessité (voir le graphique suivant). Même si les entrepreneurs des pays en développement ont accès à un téléphone mobile ou à Internet, ils ne savent pas toujours comment exploiter au mieux ces outils au profit de leur activité. Dans certaines circonstances, ils risquent même de ne pas voir combien l'investissement dans les technologies requises est précieux pour pouvoir exploiter les possibilités offertes par le commerce électronique

Graphique : Entreprises ayant leur propre site Web, 2006-2009 (en pourcentage)



Source: World Bank Enterprise Surveys

IV. Discussions et conclusion

Selon des rapports internationaux, « Chaque dollar investi dans les technologies numériques ces 30 dernières années a renchéri le PIB de 20 \$ dollars en moyenne. Comparativement, le retour sur investissement hors numérique est de 3 \$ pour 1 \$ investi. », Alors, comme conclusion, l'économie numérique met en évidence l'opportunité et la nécessité pour les organisations et les individus d'utiliser les technologies pour exécuter ces tâches mieux, plus rapidement et souvent différemment qu'auparavant. De telles opportunités pour les entités existantes de faire mieux, de faire plus, de faire les choses différemment et de faire de nouvelles choses sont incluses dans le concept connexe de transformation numérique.

L'optimisation de l'économie numérique dans les pays en développement peut être un défi, mais il existe plusieurs stratégies et mesures que ces pays peuvent envisager pour favoriser le développement numérique. Voici quelques idées :

- Infrastructure numérique : Investir dans des infrastructures numériques solides, telles que des réseaux à large bande et des technologies de communication modernes, pour garantir un accès rapide et fiable à internet.

- Formation et éducation : Mettre en place des programmes de formation pour développer les compétences numériques de la population. Cela peut inclure la formation aux compétences techniques, à la gestion de l'information et à l'utilisation des technologies émergentes

- Encourager l'entrepreneuriat : Favoriser un environnement propice à l'entrepreneuriat numérique en offrant des incitations fiscales, en simplifiant les procédures administratives et en facilitant l'accès au financement pour les startups.

- Réglementation adaptée : Mettre en place des politiques et des réglementations qui favorisent l'innovation tout en protégeant les droits des consommateurs et en garantissant la sécurité des transactions en ligne.

- Connectivité adaptée : Étendre l'accès à Internet dans les zones rurales pour réduire la fracture numérique. Cela peut stimuler le développement économique dans des régions souvent négligées.

- Promouvoir le commerce électronique : Faciliter les transactions en ligne en mettant en place des plateformes de commerce électronique, en soutenant les paiements électroniques et en renforçant la confiance des consommateurs dans les transactions en ligne.

- Collaboration internationale : Travailler en collaboration avec des organisations internationales, des gouvernements étrangers et des entreprises pour partager des connaissances, des ressources et des meilleures pratiques dans le domaine du développement numérique.

- Innovation technologique : Encourager la recherche et le développement technologique pour stimuler l'innovation locale, en mettant l'accent sur les solutions adaptées aux besoins spécifiques des pays en développement.

- Inclusion financière : Favoriser l'inclusion financière en promouvant l'utilisation de services financiers numériques tels que les portefeuilles électroniques et les services bancaires en ligne.

- **Sensibilisation et éducation** : Informer la population sur les avantages de l'économie numérique, les risques potentiels et les meilleures pratiques en matière de sécurité en ligne.

Il est important de noter que chaque pays est unique, et les stratégies doivent être adaptées en fonction de leurs besoins, de leur culture et de leur contexte économique. Un engagement continu des gouvernements, du secteur privé et de la société civile est essentiel pour assurer le succès de l'optimisation de l'économie numérique dans les pays en développement.

Un équilibre entre ces indices permet de faire un meilleur climat de l'économie numérique.

Travaux cités

(2009). *Australia's Digital Economy: Future Directions Snapshot*.

Digital in 2019, W. a. (s.d.). . Consulté le 12 26, 2023, sur <https://wearesocial.com/fr/blog/2019/01/global-digital-report-2019/>

(12/2019). *l'économie numérique en centre-Val Loire, un accompagnement en mode réseau*. DEV'UP Centre-Val de Loire.

Lemoine.P, Lavigne, B., & zajak, M. (2011). l'impact de l'économie numérique. *Sociétale* (71).

Mondiale, B. (s.d.). Récupéré sur <https://www.banquemondiale.org/fr/region/afr/publication/digital-africa>

Myovella.G, K. M., & Justus, H. (2019). Digitalization and economic growth: A comparative analysis of Sub-Saharan Africa and OECD economies. *Telecommunications Policy*

Oxford. (s.d.). Récupéré sur <https://www.oxfordeconomics.com/resource/digital-spillover/>

world, b. (s.d.). Récupéré sur <https://wdr2021.worldbank.org/fr/the-report/>

ISBN 978-625941594-9



9

786259

415949

Rimar Academy
Publishing House